أحمد بن محمد الشامي

ديوان الشامي

الأعمال الكاملة

المجلد الأول

الطبعة الثانية

الناشر
عبد المقصود محمد سعيد خوجه
جدة

الطبعة الثانية

حقوق الطبع محفوظة

١٤١٣هـ - ١٩٩٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

إن اختزال الزمن بما فيه من تجارب ثرية وصداقات وطيدة وتجارب حية أمر ليس باليسير إذا ارتبطت هذه المعطيات بأية شخصية عادية؛ فما بالك إذا كانت هذه المعطيات لشخصية مثل معالي أستاذنا الكبير السيد أحمد محمد الشامي الذي بلغت صداقتي له عمق ما يزيد عن ربع قرن من الزمان... وهو المعروف بشخصيته النادرة المتعددة الجوانب التي تتيح للباحث الدارس الذي لا تربطه علاقة شخصية حميمة ــ أن يبحر معه شرقًا وغرباً، ويكتب الكثير في كل أو معظم ضروب المعرفة والنقد والتحليل. فهو سياسي ومؤرخ وأديب وشاعر وباحث ودبلوماسي، وفوق هذا وذاك مجاهد كبير له مواقف رجولية جعلته من أبرز الشخصيات في اليمن خلال النصف الثاني من القرن العشرين.

لكل ذلك يصعب تناول شخصية وأعمال معالي السيد الشامي دفعة واحدة... أو الاكتفاء بجانب واحد!! فالشخصية التي تتمتع بهذا الثراء والحيوية ينبغي أن نفرد لها صفحات ونوفر لها الوقت الكافي حتى تستفيد الأجيال القادمة من تجاربها وعلمها. وبما أننا بصدد دراسة الشعر باعتباره نقطة الارتكاز التي تتمحور حولها كثير من القضايا التي شغلت الشاعر وترجمت عواطفه وأفكاره وحسه الوطني خلال حياته الحافلة ــ أمدَّ الله في عمره ومتَّعه بالصحة والعافية ــ فلا بأس من أن يكون مركز دائرة هذه المقدمة ومنتهاها الشعر ولا غيره في حياة هذه الشخصية المتعددة المواهب.

الشعر، كما يقال، أبو الفنون وعلى رصيده انطلق المسرح الإغريقي القديم وشهد المسرح الروماني الملاحم الأدبية الشهيرة التي أكسبت المسرح فيما بعد قيمته الحضارية المعروفة. وبصفة عامة الشعر بالنسبة لمعالي السيد الشامي يعكس مرآة نفسه ونفسيته، يترجم لنا ما خفي واعتمل في داخله تجاه مختلف القضايا

الفكرية والسياسية والأدبية، وللنواحي العاطفية نصيب فيما قال من شعر رومانسي رقيق.

لقد اشتهر معاليه ــ شاعرًا ــ بين كبار الشعراء، عندما كان في شرخ الشباب.. فقد شق شعره طريقاً واضحاً بين فطاحل عصره عندما كان في العشرينات من عمره المديد بإذن الله. وشغل في ذات الوقت أرفع المناصب.. وجاهد من أجل مبادئه حتى دخل السجن.. لم يركن لحياة الدعة والرفاهية التي أهلتها له مكانته السياسية والاجتماعية والثقافية.

ولست بصدد التوسع في مواقفه السياسية البطولية وجهاده الذي سطع نجمه أثناء السجن ومواقفه المعتدلة بعد خروجه من السجن.. فتلك وغيرها مواقف سجلتها الكثير من الكتب والدراسات، ولعل أوفاها كتاب (أحمد الشامي شاعرًا) الذي أصدرته الدار اليمنية للنشر والتوزيع وحوى الكثير من ذكريات الأستاذ الأديب قاسم بن علي الوزير مع شاعرنا الشامي. ويكفي من خلال هذه الكوة أن ألقي بعض الضوء على زوايا تنفرج وتضيق من شعره بقدر ما تيسر لي من اطلاع لا بقدر عطائه الكبير.

شعر معالي السيد الشامي واسع الآفاق مترامي الأهداف كثير المعاني والمضامين والأغراض.. وفيها كلها تَرفُّع عن الصغائر والكلمات النابية التي تخدش الحس والحياء. فجاء شعره عذبًا سلسبيلاً يبل الصدى ويروي الغليل.. وبكلمة نقول إن شعره في الأساس نتاج موهبة فذة صقلها بالمران المتواصل والعطاء الجاد. وبالتالي استحق أن يقترن اسمه مع كبار الشعراء في الوطن العربي وليس في اليمن فقط.

وإذا كان الناس، وما زالوا، يحتفظون بمفكرات ومذكرات وكراسات لتدوين شؤون حياتهم فإن معالي أستاذنا الشامي قد جعل من الشعر أداته الطيعة للتعبير عن كوامن نفسه، عبَّر به عن كل ما يود أن يقوله.. وما لا يود أن يقوله.. ولكنه نفثة يراع يودعها الطرس بعد أن يجوب بصره الأفق ويرتد إليه ظافرًا بما تجود به قريحته الأخاذة وذاكرته القوية وشاعريته الرقيقة. كما أن أسفاره ورحلاته المتعددة لم تكن متعة بقدر ما هي استقراء للواقع من بعيد والبحث عن بعض الهدوء النسبي

والانفراد بالذات لتتجلى شاعريتها العبقرية فتأنس بالطبيعة والطيور والناس.. تحلق في آفاق الكون وتعود خفاقة الجناح تسكب أحاسيسها شعرًا يغرد بين جوانح الوجدان.

ولمعالي السيد الشامي كما ذكرت آنفًا شعر جيد في مختلف الأغراض ليس هناك مفاضلة بينها، وترتيب تناولها بالبحث والتحليل ليس له مدلول سوى التذوق الذاتي لهذا العطاء الفني الجميل.

ولنبدأ بالشعر السياسي: فقد واكب معاليه فترة حرجة في تاريخ اليمن المعاصر وكان له دور فاعل وبارز صعد به إلى سدة الحكم ثم هبط به إلى غياهب السجن وقد عبر عن جميع حالاته شعرًا.. ومنه شعر المديح الذي مدح فيه بسخاء نادر ووفاء جميل الإمام أحمد رغم اختلاف المواقف السياسية وضروب التعذيب المختلفة والإيذاء المبرح الذي تعرض له الأديب الشاعر، إلاَّ أن وفاءه ظل في مكانه وقال شعرًا رقيقًا في المدح والاستعطاف قد يرى غيره إنها مدعاة لوصفه بالضعف.. لكن الضعف صفة بشرية وهل إلى مفر من سبيل؟

العبرة في هذا المدح الذي انطلق من الفؤاد أنه يضع حدًا فاصلاً بين الوفاء وإيفاء الحق وبين الملق المريب.. لم ينكفىء الرجل على جروحه يلعقها ويقتات بالحزن والحقد.. كلا فهو كما عرفته ليس بطعان ولا لعان ولا فاحش ولا بذيء.. إنه خيار من خيار أبت نفسه الكريمة إلاَّ أن يعطي كل ذي حق حقه ويبقي شعره للتاريخ شاهدًا له أو عليه.

أما شعره الغزلي فهو رصين موطد الأركان نابع من القلب شأنه شأن جميع شعره.. ولا يمكن إلاَّ أن يكون عن تجربة أو أكثر فهو شاعر غرد طليق يطير من فنن إلى فنن ناقلاً فؤاده حيث شاء من الهوى ويبقى الحب للحبيب الأول.. لكنه في مجمله شعر حزين يجد القارىء بين سطوره خيوط مأساة شاعر يحاول إخفاء ما تنبىء عنه الآهات.

وفي النهاية يبقى حبه لوطنه (اليمن) فوق كل اعتبار وقد كتب المطولات يبث فيها يومه وغده لواعج فؤاده لذلك الوطن الكبير الذي غذى روحه وغرس فيها الثورة

وحب الناس والأرض والحرية.

لم يقتصر شعر معالي أستاذنا أحمد الشامي على الشعر العمودي لكنه كان من أوائل الذين تناولوا النظم بالشعر (الحر) رغم اختلاف وجهات النظر في كونه شعرًا أم لا... إلَّا أنه في النهاية كلام جميل يستحق التأمل وقناة لنقل المشاعر، وإذا كان الشاعر يمثل لسان قومه وسفيرهم في كل مكان تصل إليه ورقة مطبوعة فهو في نفس الوقت صاحب رسالة هي في الأساس رسالة حب لكل الناس.. ومن سولت له نفسه اتخاذ الشعر أداة لأي غرض غير ذلك فهو ساقط لا محالة في مستنقع (المنسيين) طال الزمان أم قصر.

وهذا اللون من شعر معالي السيد الشامي عفيف نظيف يحمل موسيقاه الداخلية الخاصة التي تميزه عن الأشعار المرسلة الكثيرة التي ملأت الساحة وأضعفت من قيمة هذا اللون الشعري حتى حسبه البعض هروبًا من الشعر وعدم تمكن من أدواته، غير أن شاعرنا الشامي متمكن ومتمرس في أدائه مما ينفي عنه صفة الهروب من العروض الشعرية والقوافي والوزن التقليدي.

ولعل مما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام (لزوميات الشامي) التي أجهد فيها نفسه وبرهن من خلالها على تمكنه من أدواته حيث انتهج فيها منهج لزوميات المعري.. الذي ترك أثرًا كبيرًا في شعر الشامي من حيث جزالة اللفظ وعمقه. إن من يقتفي أثر المعري جدير بأن ننظر في شعره بكثير من الإكبار لأننا للأسف نعيش في زمن أصبح الكثيرون لا يقرأون.. حتى مجرد قراءة مثل شعر المعري. وقد سجل من خلالها مجريات حياته وجعلها دفتر مذكرات مفتوح للجميع وصاغ من خلالها شعرًا صافيًا رقراقًا سجل ما قابله من أحداث سياسية واجتماعية وتاريخية عكف على تدوينها عبر سنوات طوال لتكون في النهاية بين يدي القارىء الكريم رمزًا لفحولة هذا الشاعر الرقيق.. الإنسان.. الذي حمل رسالة الشعر والشعراء وأدى أمانته على أحسن وجه.

عبد المقصود محمد سعيد خوجه

جدة: ١٤١٢/٦/٢٥هـ
١٩٩١/١٢/٣١م

١١ ذو القعدة ١٤٢٩

ديوان الشابي

الأعمال الكاملة

المجلد الأول

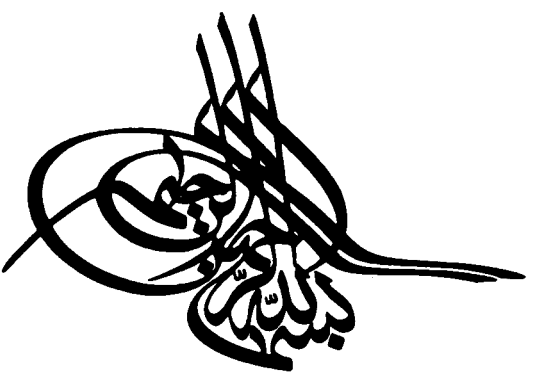

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَةُ الطَّبعَةِ الثَّانِيَة

قبل ثمان سنوات قدَّمتُ لدار «منشورات العصر الحديث» ديوان شعري «الأعمال الكاملة» فنشرته في مجلدين؛ وقد رتَّبتُ قصائده ترتيبًا تاريخيًا؛ وكان آخرها في المجلَّد الثاني تلك التي عنوانها: «سلام على عبد العزيز وآله» والمؤرخة ٢١ ربيع الأوَّل ١٤٠٣هـ / الموافق ١٩٨٣/١/٥م لَمَّا ضربت اليمن بزلزال «آنِس» المدمِّر ووقفت المملكة العربية السعودية ذلك الموقف الأخوي الكريم.

وقد تبيَّن لي بعد صدور الديوان أمران؛

● أولاً: أن مقاطيعَ وقصائدَ قد أُهْمِلَتْ..

● وثانيًا: أنَّني أثناء طبع الديوان قد ظَلَلْت حليفَ المشاعر والتأمُّلات، وخدين الحنين والتصوُّرات، من تطلُّع إلى مجهول، أو شوق إلى وطن، أو بكاء على فقيد، أو انفعال بحَدَث، أو حوار مع أطياف الذكريات؛

وما سمعتُ خبرًا سارًا أو محزنًا، أو فكَّرتُ في أمر، إلَّا قلتُ: يا ليتَ، ولعلَّ، وعسى، وربَّما، وكيفَ ولماذا؟!

وتلك هي نجاوَى الشعر ووساوسه؛ التي يُبْتَلى بها مَن فطره الخالق البارىء المصوِّر شاعرًا في هذه الحياة الدنيا؛ ولا يستطيع ــ إذا انفعل بها ــ إلَّا أن يُعبِّر عنها.

وقد كنت كذلك ــ طيلة مدة طَبْعِ الديوان التي استمرت أربع سنوات لأسباب أجهلها ــ وهل يستطيع مثلي الصمت أربع سنوات؟! فنظمت أشعارًا نَشَرْتُ منها في الصحف ما نَشَرْتُ، وقرأْتُ على الأصدقاء ما قرأْتُ، واحتفظتُ لنفسي بالقليل منها.

وقد جَدَّتْ أمور، وحدثتْ أحداث لم أستطع معها، ولا عليها صبرًا، دون أن أُعبِّر عمَّا أحسستُ به إزاءها؛ ولذلك رأيتُ أن أجمع ما أهملته عمدًا أو نسيانًا، وأضمّه إلى ما نظمته من قصائد الوجدان والمناسبات خلال فترة انتظار صدور المجلَّدين الأوَّلَين وأنشر كل ذلك في طبعة جديدة مصحَّحة.

وسوف يجد القرَّاء والنقَّاد على اختلاف مشاعرهم ومشاربهم، ومداركهم وأهوائهم، ومبادئهم ومذاهبهم، في هذا الديوان ما يعجب وما لا يُعجب، وقد يُرضي قومًا، ويُغضب آخرين، شأنهم مع سائر كتبي ومؤلفاتي ولكنِّي دائمًا لا أبالي بمن يغضبون، وحسبي الرضى من «كرام عشيرتي» حَسَبًا أو أدبًا.

كما أنهم سَيجدون في «ديوان الشامي» هذا قصائد قديمة قلتها في ريعان العمر فهي بحقٍ من «موؤدات الشباب»، وأُخريات نظمتها بعد أن جاوزت السِّتين... فهن «عرائس الأصيل».

وأودّ أن لا يظن القارىء أن ما حواه «ديوان الشامي» في مجلَّداته الثلاثة يضمّ كل أشعاري فقد أرجأتُ بعض القصائد السياسية، والقِطع الغزلية والفلسفية والاجتماعية وفضَّلت أن تظل بين «المؤودات» إلى ما شاء الله.

كما أنَّ لي مسرحية شعرية في خمسة فصول اسمها «ثورة الدستور في اليمن»، حكيتُ فيها قصة ثورة علماء اليمن ومصارع أحرارها عام ١٩٤٨م / ١٣٦٧هـ، وسيكوِّن كل ذلك، أو ما قد يَجِدّ ــ إن نسأ الله في الأجل «المجلَّد الرابع». من أعمالي الشعرية الكاملة إن شاء الله.

ولقد اتبعت في ترتيب قصائد وقِطع الديوان في هذه الطبعة النهج نفسه الذي التزمتُه في الطبعة الأولى، فرتَّبتها حسب التسلسل التاريخي رغم اختلاف وتضارب المواضيع والمناسبات.

وقد التزمن هذا الترتيب لأسباب ثلاثة:

● **أوَّلًا**؛ لأنِّي أعتقد أنَّ حياتي الشعريَّة لا تنفصل عن حياتي الوجدانية والاجتماعية فالسياسية؛ متغزِّلًا أو واصفًا، ساخطًا أو راضيًا، باكيًا راثيًا، أو ضاحكًا راجيًا، مادحًا أو قادحًا؛ فقد أُغْرِمْتُ بالشِّعرِ منذ الصِّبا، وجعلته عدَّتي وعتادي في جميع حالاتي، وفي كل ظروفي ومعاركي الوجدانية والأدبية والسياسية. وقد أشرت إلى ذلك في إحدى مقدِّمات هذا الديوان المنشورة في المجلَّد الأول؛ وما انفعلتُ بحدثٍ من الأحداث خيرًا أو شرًا، إلَّا وسجَّلته شعرًا.. سواء بالأسلوب العَرَبي «الموزون المقفَّى»، أو بطريقة الشعر المرسَل، وما أسمِّيه «الشعر الغَرْبي» وبالتصريح والإفْصَاح، أو بالرَّمز والتلميح.

ومَنْ يقرأ كتابي «رياح التغيير في اليمن» سيرى أني قد أحسنتُ صُنعًا حين رتَّبت «ديوان الشامي» ترتيبًا تاريخيًا لأن ذلك سَيُسَهِّل مهمَّة مَن يرغب في تتبُّع مراحل حياتي الشعرية وتطوُّرها الاجتماعي والسياسي، ويتعمَّق في فهم أسرار الظروف والمناسبات التي تأثَّرتُ وتأثَّر جيلي بها في اليمن.

● **وأما ثاني الأسباب**؛ فهو أن كثيرًا مِمَّن تحدَّثوا عن «الشعر المعاصر في اليمن» قد قالوا إن «الشامي» كان في طليعة من مارسوا «الشعر الجديد» في اليمن؛ بل وزعمتُ نفسي أني قد زاولتُه طبعًا قبل أن أسمع بالبياتي و «نازك الملائكة» في مطلع الأربعينات (راجع المقدمات ج ١، صفحات من ٧ إلى ١٧٩)؛ بل وظللت ــ كما هو واضح في الديوان ــ أُمارسه وألجأ إليه في أزماتي النفسية والسياسية، وعندما أعجز أو أخاف الإفصاح حينما كنت في معتقل «حجة»، ثم تحت الحراسة والإقامة الجبريَّة في «الحُديدة» ما بين عامي (١٩٤٨م و ١٩٥٥م / ١٣٦٧هـ و ١٣٧٤هـ)، ثم في مدينتَيْ (القاهرة) و (لندن) ما بين عامي (١٩٥٦م و ١٩٦٣م)، أي (١٣٧٥هـ و ١٣٨٣هـ)، ثم لَمَّا عُيِّنتُ سفيرًا في كلٍّ من (لندن) و (باريس) ما بين عامي (١٩٧٠م و ١٩٧٤م / ١٣٨٩هـ و ١٣٩٣هـ)، وأخيرًا في منتجعي بمدينة (بروملي) منذ سنة (١٩٧٥م) وحتى عامنا هذا (١٩٩٠م) (١٣٩٤هـ و ١٤١١هـ) وإلى ما شاء الله.

ولَمَّا تحدَّث الدكتور المصري الأستاذ «عز الدين إسماعيل» في كتابه: «الشعر المعاصر في اليمن» عن «أحمد الشامي» وأرادَ لِسَببٍ يعلمه الله أن يغمز من قناتِهِ الشعرية، فقال في صفحة (٢٢٥) ما يلي:

«على أنه من الجدير بالملاحظة أنَّ «الشامي» في هذه التجارب المختلفة لم يخلص وجهَهُ أو روحَه للشكل الجديد وحدَه؛ بل ظلَّ طوال الوقت يكتب «القصيدة التقليدية» إلى جانب القصيدة الطويلة، مختلفًا في هذا مع روّاد التجربة الشعرية الجديدة الذين بدأوا جميعًا بكتابة القصيدة في شكلها التقليدي ثم تحوَّلوا بعد ذلك إلى الشكل الجديد نهائيًا».

ثم يعقّب على ذلك في الهامش بقوله:

«يمكن ملاحظة أنه على حين أخذت تجربة الشكل الجديد تنمو لدى «الشَّرفي» إذا بالشامي يعود مؤخَّرًا فيصبح تشبُّثًا بالقالب القديم؛ أو هذا ما يدلّ عليه ديوانه

الأخير «ألحان الشوق» الصادر سنة (١٩٧٠م) فليس فيه قصيدة واحدة من القالب الجديد».

وظل الدكتور الفاضل يهرف بما يعرف وما لا يعرف حتى قال في (صفحة ٢٣٣): «وقد بدأ اتجاه الشعر في اليمن إلى الشكل الموسيقي الجديد منذ أوائل الخمسينات على يد «أحمد الشامي» وبخاصة سنة ١٩٥٤م». وكأنَّه قد أرغم على هذا الاعتراف فتداركه بقوله: «ولكن قصائده رغم اصطناعها للشكل الجديد لم تكن تطوريَّة في بنائها وذلك لغلبة الرؤية الرومانتيكيَّة عليها».

وأخيرًا ونظرًا للظروف السياسية التي كانت تكتنف اليمن حين ألَّف الدكتور كتابَه في أواخر الستينات وقبل قيام «المصالحة الوطنية»، قال الدكتور: «وللأسف توفِّي الشاعر (جعفر أمان) و «ارتدَّ» (الشامي) فيما يبدو إلى الشكل التقليدي للقصيدة». (صفحة ٢٤٩).

هكذا «ارتدَّ» دون خوف من الله أو حياء أو خجل من الناس؟ وكما تعمَّد أن يوظِّف الاستعمال الديني لعبارة «أخلص دينَه لله وحده» إذ إن مَن يعبد مع الله إلَهًا آخر يُعدُّ «مشرِكًا»، فقال بمكر ودهاء: إن (الشامي) لم يُخلِص وجهَهُ أو روحه للشكل الحديث بل ظل يكتب القصيدة التقليدية إلى جانب القصيدة الجديدة، مشبِّهًا له بالمشركين!

كذلك تعمَّد استعمال فعل «ارتدَّ» لا «تراجَع» أو نحوها، و «المرتدّ» في المصطلح الديني هو من يرجع عن الإسلام، وهذا يدلُّ على توتُّر نفسي شديد لا ضد (الشامي) فقط، بل وضد التعابير «الإسلامية» ومن يدافع عن لغة «القرآن» وآدابها.

وقد فنَّدت جلّ أخطاء الدكتور عز الدين إسماعيل وتخرُّصاته عن «الشعر المعاصر في اليمن» في كتابي «مع الشعر المعاصر في اليمن»؛ وإنما أردت أن ألفت النظر في هذه المقدمة إلى أن جهل الدكتور بما كنتُ قلته قبل سنة ١٩٥٤م مما سمَّاه شعر «الشكل الجديد» ثم ما نظمته بعد إخراج كتابه، في ديوان «إلياذة من صنعاء»، وديوان «أطياف» و «من يشتري السهر؟» و «اليمن السعيدة» و «الديوان الغربي» وغير ذلك ما لو لم يتجاهله، أو لو اطَّلع عليه وكان مصنفًا لغيِّر رأيه، وعرف أنه كان ظالمًا للشعر في اليمن بكتابته عنه دونما تبصُّر، ولا سعة اطِّلاع، ولا خلوص نيَّة للأدب

والعلم والبيان. ولعلَّ فيما سيقرؤه في هذا الديوان من قصائد وقطع شعر «الشكل الجديد» ما قد ينفع معارفه إن شاء الله.

● **وأما ثالث الأسباب**؛ ــ وهو أطرفها ــ فقد أحببت أن أحاور الصديق الأديب الشاعر الدكتور عبد العزيز المقالح فيما قاله عن «الشعر الجديد» وفي دعواه الظريفة التي زعمها في كتابه «من البيتِ إلى القصيدة» لَمَّا قال وهو يتحدَّث عن «أحمد الشامي» ما نصَّه:

«ولم يكن أمامي بعد ذلك إلاَّ أن أبدأ القراءة من حيث ابتدأ الشاعر أحمد الشامي محاولاته ومن خلال أربعة نماذج جيدة، نشرها في ديوانه الأوَّل «النَّفَسُ الأوَّل»، وهناك من بين نقَّادها من يتَّهم الشاعر أحمد الشامي بأنه كتب الشعر الجديد من باب الأغراب والاستجابة لنزوة التجديد، وفي يقيني أن الشامي كتب الشعر الجديد استجابة لشعور نفسي، وتعبيرًا عن عوامل اجتماعية وسياسية عاناها وعاشها وحاول التعبير عنها بهذا الشكل المختلف بعد أن ضاق الشكل التقليدي عن استيعاب مشاعر تلك الاستجابة».

«وقد تجسَّد ذلك الإحساس من خلال تقديمه لديوانه الأول، والذي يقول فيه:

«أعرف نفسي جيِّدًا، فلن أخدعها ولن أخدع النَّاس، فما أنا براضٍ كل الرضاء عن شعري، ولا أدري متى سأتمكَّن من إبداع الشِّعر الذي يرضيني.. في أعماقي شعرٌ؛ لكنه جديد.. جديد على عالم الشعر المعهود.. والجملة البيانية التي في قلبي أسمى من كل تعبير.. الحروف هذه ليس فيها حياة.. والمعاني التي في قلبي فيها حياتي بل وحيوات آخرين.. والكلمة الكبرى ما برحت معشعشةً في حنايا روحي.. حروفُها مشاعر مكفوفة.. معناها تاريخ ألم طويل، إن كان الوجود كلمة الله. فهذه كلمة الإنسان، وإن كانت الطبيعة شعر القدرة الإلهية فهذا شعر الوجدان». (مقدمة النفس الأول: ص ٩).

ثم يقول الدكتور:

«ماذا تعني هذه الكلمات؟ وما مدلول الأشواق إلى كتابة شعر جديد خارج عن المألوف ومختلف عن الأساليب البيانية المستهلكة؟ وهل كان في الظروف التي كتب فيها الشامي ما كتب من شعر جديد فسحة من الوقت للأغراب والانسياق وراء الأشكال

لذات الأشكال؟ إنني لا أرى غرابة في أن يكتب الشاعر أحمد الشامي، وهو في سجنه شعرًا جديدًا، فالسجن يدعو إلى كسر القيود، ولكن الغرابة ــ كما سوف يتّضح لنا فيما بعد ــ أن يكتب الشامي في لندن شعرًا عموديًا يلتزم فيه ما لا يلزم، ويعود بنا ألف عام إلى الخلف. لقد بدأ كتابة القصيدة الجديدة وهو رهين المعتقل، وهذا يدعونا بالضرورة إلى استرجاع ملامح من حياته القلقة المضطربة المتعرِّجة التي انعكست على شعره».

«لقد انغمس في بداية حياته الشعرية في غمار الحركة الوطنية، وكان كأيِّ شاب يمني مثقَّف وطموح مسكونًا بهموم اليمن، مشغولاً بفكرة تجديدها؛ تجديد النظام، وتجديد الأوضاع السياسية والاقتصادية، وتجديد الشعر، فكانت قصائده الرومانسية تحلِّق في هذا الجو، وتعبِّر عن هذا الهاجس الساخط الثائر الذي لا يرى مناصًا ولا خلاصًا إلاَّ من خلال نسف القديم بأشكاله وأنماطه كافة، إن الهدم هو الخطوة الأولى نحو البناء».

ثم يقول الدكتور:

«وقامت حركة (١٩٤٨م)، وشارك أحمد الشامي ما استطاع إلى المشاركة، وساقته ثورته إلى سجن نافع، وهناك حمل القيود، وتعرَّض للسياط، وواجه الموت كبقية الرِّفاق، وأحسَّ بعبء التقاليد، وثقل الاغتراب والاستلاب عن العصر، وفي ذلك الجو المشحون بالقسوة، وبسيطرة القديم تنفَّس الشعر الجديد وكتب القصيدة الأولى متحدِّيًا جدران السجن وجدران «العمود الشعري» وكانت قصيدة «صلاة»، التي بدأت هكذا:

«أنا لا أنظم شعرا..

فلقد أنسيت أوزان القصيدْ

إنما أنثر أشواقًا ودمعا»... إلخ.

انظرها في المجلد الأول من ديوان الشامي؛ وفي النفس الأول.

ثم يسترسل الدكتور المقالح قائلا.

«كم تمنيت وأنا أقرأ فاتحة القصيدة أن لا ينظم الشعراء ما قيل لهم إنه شعر،

وأن ينسوا أوزان القصيد لكي يكتبوا لنا مثل هذا الشعر الجميل الأصيل وليت شاعرنا الشامي قد نسي الأوزان والقوافي ولم يعد يتذكرها حتى يظل يكتب مثل هذا الشعر الخارج من منطقة الإبداع لا من منطقة التقليد والمحاكاة والاجترار». (من البيت إلى القصيدة: ص ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦).

وبعد أن أورد الدكتور من ديوان النفس الأوَّل مقاطع من قصائد «أمل» و«النور الشهيد»، قال:

«لا شك أنه بهذه القصائد وأمثالها قد استقام عمود الشعر الجديد وكاد ينطلق بالتجربة الجديدة ــ في بلادنا ــ دون تعثُّر أو إبطاء، لكن ما الذي حدث للشعر الجديد مع هذا الشاعر (الشامي) لقد أدركته الشيخوخة قبل الأوان وفقد هذه الصورة الجميلة، وهذه اللغة الشعرية الشفَّافة، والموقف الإنساني المتقدِّم، لقد كان الشاعر ــ باختصار ــ يرسم بالكلمات فأصبح يتكلَّم بالكلمات، والفرق كبير بين التصوير والحديث، وإقامة التفعيلات أو تحطيم وحداتها لا يصنع الشعر، ولا يخلق الشعراء. (ص ٣٧ ــ ٣٨).

ما أكرم الدكتور المقالح، وما ألطف ذوقه، وأرقّ طبعه؛ إنه حين يعبِّر عن رأيه المخالف للرأي الآخر لا يجازف ولا يجرح ولا يغمز ولا يلمز؛ لأنَّه ناقد مؤدَّب يحلِّل ويعلِّل ويعبِّر عمَّا يراه أو يظنّه أو يعتقده بوقار الباحث وأناة الناقد، فلم يقل: إنَّ (الشامي) «ارتدَّ»؛ أو إن (الشامي) لم يُخْلص وجهه للشعر الجديد وحده كما قال أستاذه الدكتور عز الدين إسماعيل، بل قال: «أدركتْه الشيخوخة قبل الأوان».

ثم ماذا؟ إنه يعلِّل أسباب هذه الشيخوخة التي أدركت شعر (الشامي) الجديد قبل الأوان، فيقول:

«وحين نقرأ هذا الشعر الجديد الذي كاد شاعرنا أحمد الشامي يبدأ به منعطفًا جديدًا في حياته الشعرية، ونقارنه بما كتبه من شعر جديد يدركنا قدرٌ غير قليل من خيبة الأمل؛ ولعل المشكلة عند **أستاذنا الشاعر أحمد الشامي** أنه كان شاعرًا وثائرًا، ثم أصبح سياسيًا وشاعرًا، والفرق كبير أيضًا بين الثائر والسياسي، وبين الثائر والشاعر السياسي؛ الأول يرفض ويحلم، والآخر يتقبَّل ويُساير، لقد أوصلت الثورة أحمد الشامي إلى السجن فجاء شعره مجسِّدًا طموح الشاعر الثائر وكانت من وحي

الثورة، ثم أوصلته السياسة إلى عضويَّة المجلس الجمهوري ــ فجاء شعره مجسِّدًا ذلك الواقع وكانت من وحي السياسة؛ إن شعره يرسم الصراع الدائر بين الثائر والسياسي. ولم تقف السياسة بالأستاذ الشامي عند هذا الشعر الفاتر الضعيف بل قادته كذلك إلى التنكر للجديد الشعري، وبدأ مرحلةَ تَرَاجُعٍ رهيبة عادت به إلى ما قبل «النَّفَس الأول» بألف عام وبضعة أعوام.. إلى عصر «المعرِّي» الذي بدأ يجاريه في «لزوميَّاته» ربما ليكفِّر عن تلك البدايات البريئة العذراء وعن تلك البكارات الفنيَّة المجبولة بنار الشعر المقدَّسة».

«ولعل مسرحيَّته الهزيلة [هكذا الهزيلة!] أخطر بيان عن هذا التراجع، فقد حشد فيها كبار الشعراء العرب في القديم والحديث لكي يدينوا القصيدة الجديدة، والشعر الجديد، بدلاً من أن يدينوا الانحطاط الشعري العام وليسهموا في تعريف الصالح من الطالح في التجربة حتى لا يؤخذ البريء بجرم المذنب، ولا يقتص القارىء من الموهوب انتقامًا من فاقد الموهبة»... «لقد كتب الشاعر أحمد الشامي «إلياذة من صنعاء» وكتب «لزوميَّات الشعر الجديد» وما يزال بين حين وآخر يكتب أشياء يسمِّيها شعرًا جديدًا؛ لكنها ــ يعلم الله ــ تبتعد عن الشعر الجديد كما كتبه في الخمسينات مسافةً تزيد كثيرًا عن المسافة التي تفصل بين شارع (الفِلَيْحي) في صنعاء، وشارع (أكسفورد) في لندن، وكان المتوقَّع والمنتظَر من شاعر موهوب في مثل قامته الشعرية، وثقافته القديمة والحديثة أن يكتب الآن شعرًا جديدًا يكون بينه وبين قصائد «حجَّة» و «الحُدَيدَة» مسافة لا تقلّ عن مسافة التخلُّف بين هاتين المدينتين التقليديتين وأيَّة مدينتين في بريطانيا». (ص ٣٨ ــ من البيت إلى القصيدة).

انظروا إلى تواضع كبير «دكاترة اليمن» علمًا وأدبًا ومعرفة؛ يقول فيمن ينتقده: «أستاذنا الشاعر أحمد الشامي» مع أن عاطفته الفنيَّة وتشجيعه لما يسمِّيه «القصيدة الجديدة» وشعرائها مع أولئك الذين حشرتُهم في جحيم التهافت والانحطاط البياني واللغوي أمثال «علوان» ودبوان، و «السقَّاف» والنقَّاف، و «اللوزي» والجوزي.! في مسرحتي الهزلية: «محاكمة في جنة الشعراء».

وقد طربت لِلبَاقةِ الدكتور اللغوية حين استعمل لَمَّا وصفها لفظة «الهزيلة» تلطُّفًا، لأنه يستطيع أن يقول: إنما قلت وأردت «مسرحيَّته الهزليَّة»، فالخطأ إذًا

مطبعي؛ هكذا يستطيع أن يقول ويحقُّ لي أن أطرب وأضحك راضيًا مطمئنًّا إلى أن الدكتور المقالح في قرارة نفسه قد رضي عمَّا صنعتُ؛ وإن كان لا يزال عند رأيه الذي يعلم أنِّي أخالفه فيه بالنسبة إلي «القصيدة الجديدة» والتطوُّر أو الترقي بها من البيت إلى القصيدة؛ ولم يقتنع بعدُ إلى أن «الرجوع إلى البيت» هو الأفضل؛ بل هو الواجب؛ أدبًا وشعرًا وعقلاً وشرعًا:

«وما أحلى الرجوع إليهِ»! والحديث شجون وله مكان آخر.

دفاع الشاعر عن نفسه:

وإنصافًا للحقيقة فلا بد أن أقول أن الدكتور المقالح كان حصيف المنطق وأقرب إلى الجدل المنهجي، والاستدلال البرهاني حين فرَّق بين ما زاولته مما يسميه «الشعر الجديد» عندما كنت ــ كما يقول ــ شاعرًا ثائرًا، وما كتبته منه بعد أن أصبحت «سياسيًا شاعرًا»؛ وله منطقه وذوقه وهواه أن لا يعجبه ولا يطربه ما كتبتُه في ديواني «إلياذة من صنعاء» أو في ديواني «لزوميات الشعر الجديد»؛ وأن يقول أيضًا أني ما زلت بين حين وآخر أكتب أشياء أسمِّيها شعرًا جديدًا ولكنها كما يعلم ــ أو كما يعلم الله ــ حسب تعبيره، تبعد عن الشعر الجديد كما كتبته في الخمسينات مسافة شاسعة.

وقد كان لطيف السخرية حين قال: إن تلك المسافة تزيد كثيرًا عن المسافة التي تفصل بين شارع (الفِلَيْحي) في صنعاء [حيثُ نشأتُ وتثقَّفتُ عندما كنت شاعرًا ثائرًا]؛ وشارع (أكسفورد) في لندن؛ أي حيث صرت سفيرًا أو مقيمًا بعد أن أصبحت سياسيًا شاعرًا!

وهو يؤكِّد بهذه النكتة اللطيفة أو السخرية اللاّذعة ما قاله قبل ذلك من أنه لا يرى غرابة في أن يكتب أحمد الشامي وهو في سجنه شعرًا جديدًا؛ فالسجن يدعو إلى كسر القيود؛ ولكن الغرابة أن يكتب (الشامي) في لندن شعرًا عموديًا يلتزم فيه ما لا يلزم ويعود بنا ألف عام إلى الخلف!

والدكتور المقالح بهذه النكتة اللطيفة قد فنَّد مزاعم أستاذه الدكتور عز الدين إسماعيل ولاَشَى تحامله على الشامي، لمَّا قال إنه «ارتدَّ» ولم يكتب بعد الخمسينات شعرًا جديدًا؛ وحسبي ذلك» وأما أن شعر «الإلياذة» أو «اللزوميات» لم يعجبه سواء لضعف صياغته الفنية، أو للمواضيع الاجتماعية والفلسفية التي طرقها وهام في

وديانها؛ فهل لي أن أزعم أن الأذواق تختلف وأن أذكِّره بقول المتنبي:

وكم من عائب قولاً صحيحًا وآفته من الفهم السقيم

ثم ألا يعلم الدكتوران الفاضلان أن مجموع ما نُشر لي حتى الآن في «ديوان الشامي» من قطع وقصائد بالشكل الذي يسمِّيانه جديدًا أكثر من ثمانين قطعة أو قصيدة، وأن كل ذلك يكوِّن ديوانًا ضخمًا قد لا يوازيه أي ديوان لشاعر يمنيٍّ التزم الشكل الجديد في العصر الحديث!.

وهل يعلم الدكتور عز الدين إسماعيل ــ أما الدكتور المقالح فإنه يعلم ــ أنَّ ديواني «إلياذة من صنعاء» قد صدر في مئتي صفحة؛ ويحتوي على أكثر من ألْفَي مصراع، وأن قصيدتي «أسطورة اليمن السعيدة» وهي بنفس الشكل الجديد تحتوي على أكثر من مئة وأربعين شطرًا، وأرجوزتي «ماذا يريد القصيمي» تضم حوالي مئتي بيت؛ فهل يعلمان شاعرًا يمنيًا أخلص روحه للشكل الجديد ــ حسب تعبير الدكتور عز الدين ــ أرفد هذا الفن بمثل هذا العطاء؟

وهناك سؤال أودُّ توجيهه إلى شاعرنا الكبير الدكتور عبد العزيز المقالح، وهو: هل يُعيبني شعريًا أن أغني لنفسي وأنا تحت الإقامة الجبرية في مدينة الحديدة عام (١٩٥٢ ــ ١٩٥٣م) هذا اللحن:

«النور الشهيد»

حطمتُ مصباحي.. والليلُ يرزح تحت وطأته الوجودْ.
وخنقتُ صوتي في فمي، وصهَرْتُ لحني في دمي..
وكسرتُ قيثاري.. والكون يصغي للنشيدْ..
ونحرتُ أحلامي الجميلة.. وارتميتُ على الترابْ..

* * *

أبكي بلا دمع..! وأنوح بالصَّمتِ البليغْ.
وأريق سؤْرَ الروح.. فوق حطام آمال الشبابْ.
وأذيب لحنَ الثكل.. فوق رفات أنغام الربابْ.

* * *

ودَّعت أفراحي . . والشمس تدلف للمغيبْ . .
والبحر ساجي الموج . . يرهب ظلمة اللَّيل العتيدْ .
يهفو إلى النور الجريحْ . . ويودِّع الضوء الذبيحْ . .
والأفق في شفق الأصيل . . نشوانُ كالحلُم الجميلْ . .
وأنا المعذَّبُ بالدجى والنور . .
حيران . . لا أدري . . ماذا وراء الليل .

* * *

آلفَجْرُ . ؟ لا . .
الفجرُ مقتولُ السنا .
خنقتهُ كف الهول . . وهو بمهد فرحته وليدْ .
يا دمعةَ الألق الطريدْ .
ذوبـي على الفجر الشهيد .

* * *

ثم أغني لنفسي في المكان نفسه، وفي الزمان نفسه وبالأسلوب العمودي أو التقليدي كما يحلو للدكتورين أن يسمِّياه بهذا اللحن:

«ضراعة روح»

خذِ النايَ واصدحْ بالنشيد المطلْسَمِ ... وحرِّك صبابات الغرام المكتّمِ
طحا بك شوقٌ في سمائم بَرْحة ... تذوب حنايا كل قلبٍ متيَّمِ
تبيت تُداري السُّهدَ أو تنشد الكرى، ... وتصبحُ في ليلٍ من الهمِّ مظلمِ
أحبَّا وقد ولَّى الشباب؟ وصبوةً ... وقد صرتَ مثل الهيكل المتهدِّمِ !!
ولم تدعِ الأرزاءُ منكَ بقيَّةً، ... لنزوة حبٍّ، وافتتان تتيُّمِ،
فؤادي شهيدُ الحبّ، لا تطلبوا له ... غريمًا سوى ثغر الهوى المتبسِّمِ،
صبرتُ على هوج الخطوب ولم أطقْ ... على الحبِّ صبرًا وهو ينسابُ في دمي،

سقــاني سعيــرًا في رسيس لهيبــه فنــاءٌ لعمـري واحتــراقٌ لأعــظمي
ومن يُعْطَ قلبًـا مثل قلبـي يعـشْ بـه يَــتيـم الأَمـاني للتعــاســة ينتمي.

* * *

ثم هــل يعيبني شعــريًــا أيضًــا أن أقف ذات ليلة من ليــالي خــريف عــام (١٩٦٢م/١٣٨٢هـ)، وبعـد البكاء عـلى «النـور الشهيـد» و«ضراعـة الـروح» بعشر سنـوات وأنـا سفـيرٍ في (لنـدن) والأحـداث في وطني تتمخَّض بـالـثَّـورة؛ وهنـاك من العنصريين والطائفيين والحاقدين من أخافهم عـلى وطني وعلى حيـوات من أعزهم من أصدقائي وأبناء قومي والمسؤولون غافلون فأُهَمْهِم كئيبًا حزينًا متشائمًا:

«كـهـف»

في حنينٍ دائم، وادّكارٍ واجمٍ،
في زفيرٍ وشهيقْ، ونحيبٍ لا يفيقْ
ضلَّ عن مأواه لا يعرف نهجًا أو طريقًا
والأماني حوله صرعىٰ؛ ولا يدري رفيقا،

* * *

كان بالأمس ربيب الصَّبواتْ
وهو اليومَ نديمُ الحسراتْ،
ورفيق العبرات، وصريع الذكرياتْ
وخيالات نشاء، وظنون خائباتْ،
ورؤى تلهثُ كالهيم بوادي العثراتْ.
وحنينٌ، وأنينٌ، ودموعٌ، وشتاتْ

* * *

كلَّما أمعن في الشُّكر صحا القلبُ الجريحُ
وأفاق الشوقُ، واستَعْرَمَ وجدانٌ ذبيحُ،

وتراءت كخيوط العَنكبُوتْ . .
ذكرياتٌ نَسَلَتْ من كهف ماضٍ موحشٍ
حسرات البؤس في أرجائه . . تتعاوى كذئابٍ جائعاتْ .
والمنايا تتلوَّى كالأفاعي ، والرزايا كالوحوش الضارياتْ
ودموعٌ ، ونجيعْ ، وحنينٌ وأنينْ . .
وسهادٌ واضطهاد ، وعذابٌ لا يلينْ
كلّها ترجف خوفًا . . بين تلك الظلمات .
وفناء غامضٌ يفغر فاهْ . .
وكيان شاحبٌ يرسف في أغلالِهِ . .
وهلاكٌ ودمارْ .

* * *

وغدٌ . . يا ويح نفسي من غدٍ . .
إنَّه لفحة نار ، إنه وثبة ثارْ . .
إنَّه وصمةُ جرحٍ في جبينْ ، إنه وحشٌ كمينْ
إنه غضبة حقدٍ لا يلينْ .

* * *

وبقايا خمرةٍ عاقرها شيخ عقورْ ،
أغمضَ العين على نشوتها وهي تفورْ ،
فهي موتٌ وحياةٌ ، وهي إظلامٌ ونورْ .

* * *

ثم وفي نفس الـزمـان والمكـان تستيقظ الأوزان والقـوافي فـأغنِّي لنفسي بهـذه الأبيات :

«عندما تعود»

وإذا ما رجعتَ يومًا ولا عشّـ ـكَ باقٍ، ولا غديرك جاري
والغصون الجدباء تبكي بصمتٍ والهزارىٰ هشيمة الأوكارِ،
ويقلبٍ محطَّمٍ وبروح... مثقل بالأوجاع والأسرار
نحتَ تنعى أهلاً وجيران أهلٍ وتُبكِّي دارًا وأصحاب دارِ

إلى آخرها.. وكل ذلك قد كان.

* * *

وسأسأل الدكتور الشاعر أيضًا هذا السؤال الأخير.. هل يضيرني شعريًا أن أكتب في يوم من أيام أغسطس سنة (١٩٥٤م/١٣٧٣هـ) وأنا رهين الإقامة الجبرية (بالحديدة) هذه القطعة التي أودعتها «الديوان الغربي» والتي تسمُّون ما شاكلها اليوم «القصيدة الجديدة» وإن لم تتقيَّدْ بوَزْن أو «تفعيلة» موسيقية:

«من ليالي آب على شاطىء الحديدة»

إنَّها ليلة باهتة.. من ليالي «آبْ»..
امتزجتْ حرارة الجو المختنق..
برطوبة البحر الراكد.. وبأضواء القمر والنجومْ..
ولا منفتح لنسمةٍ عابرة..
واختنقت أنغام البلبل في جوفه..
فصمت يرتعش..
وأشعَّة القمر تتساقط على صفحة البحر وتغنِّي..
والسفينة الرابضة قد أضناها الانتظار..
وأغمض «العزيز» عينيه على طلائع حُلُم..
وأنا أطالع قصَّة.. ولا أرى أبطالا..!!
المسرح فسيح.. ولكن أين الممثِّلون؟
والرواية رائعة.. ولكن أين الأبطال؟

والمأساة دامية.. لكن أبطالها أقزام.

* * *

ثم آتي بعد أكثر من عشرين عامًا، أي عام (١٩٧٥م/١٣٩٥هـ) وأنا في مدينة (بروملي) البريطانية، فأجاري شاعر الإسلام أبا العلاء المعري بهذه اللزومية. [الألف مع الراء].

«لماذا الحنين»

عراك الحنين بجُنْح الدُّجى إلى الأهل لمَّا خيال سرى
تذكَّرت «صنعاء» مهدَ الشباب وسالف عيشٍ بتلك الذرا
ليالي تمتحُ ماء الحياة.. شجاعًا كأنك ليث الثرى
وأيَّام تسرح ما إن تقول ماذا سيجري؟ وماذا جرى
زمان البراءةِ والعنفوان، وصحو شبابهما والكرى

* * *

لماذا الحنين إلى بلدةٍ بها العلم ممتحنٌ مزدرىٰ؟
وأبناؤها هلكوا بالخمول.. ولا يسأمون الفِرَى والمِرى
أسارىٰ خرافات جهَّالهم وأوهام من غشهم وافترى
لماذا الحنين لماذا الأنين؟ وأنت ترى فيهمُ ما ترى
وجُلُّ الرفاق قد استشهدوا ومعظمهم نُبِذوا بالعرا!!
ولم يبق إلَّا رفاق الرفاق وأبناء من غيّبوا في الثرى

* * *

حنانًا على مدنف خاشعٍ يخاف الخضوع ويأبى الفِرى
تعبَّد للحق يسموبه... وفيه يُشافه ما لا يُرىٰ
زمان الصبا؛ يا زمان الصبا ألاٰ وَصْل يُبتاع أو يُشترى؟
أنا دمعة «الأزل» المرتجى على «أبدٍ» مات قبل السّرى!
رضعت المنايا وقطَّرتُها نطافًا أُداوي بها ما اعترى
عرفت بجهلي سرّ البقاء.. ومعنى الخلود ولغز الورى:

«نـزول كـمـا زال أجـدادنـا ويـبقى الـزمـان على مـا نـرى»

وليس ذلك فحسب، بل وأحن إلى «الشكل الجديد» من جديد وأنا في نفس المكان وبعد ثماني سنوات، فأقول:

«انتظار..!»

جوفاء ما تزال..
تلك السنابل المبرعمة..
جوفاء ما تزال ظامئة..
تنتظر المطرْ..
ورغم فجرنا.. القاتم الأحمر..
فشمسنا وراءه..
تريد أن تصعد.. وتساقط المطرْ..
من سحب الأفق..
على سنابل الشعير..
والشيخ واقفٌ.. يستروح الهواء..
في قلقٍ.. يرنو إلى السماء..

* * *

تلك الغيوم الداكنَة.. تلوحُ من بعيد
مثقلةً تلكَ الغيومُ الداكنة.. بالمطرِ الموعودْ.
أين الرياح؟
في شبقٍ تنتظر السنابل الجوفاء..
زَحْفَ الرياحْ.. ليهطلَ المطرْ.

* * *

فما العيب شعريًّا؟ وأين «الردّة»؟ بل وأين «الشيخوخة» المبكِّرة؟

الشعر الغَرْبـي وعلم العروض:

وسيجـد القارىء القصـائد العمـوديَّة، أي المقيَّـدة بقوانـين «الشعـر العَـرَبـي» الأصيل بجانب القصائد «التفعيلية» المنغمة؛ وليس ذلك فحسب بل وسيجد قطعًـا مما يزعمه «المجددون» شعرًا رغم عدم تقيده بوزن أو حتى بتفعيلة تميّزه من النـثر؛ وكنت قـد نشرت في دواوين شعري الكثـير من هذا النـوع الذي يسمّـونه «الشعـر الجديـد» وكلّهـا في «ديـوان الشامي». غـير أني لم أثبت إلاَّ مـا الـتزمت فيـه «التفعيلة» الملتزمـة بالنَّغَمِ . . . الموسيقي، وإن تعدَّدت «الأوزان»، وتنوَّعت «القـوافي»؛ وذلك هـو ما يميِّـز «الشعر» من «النثر» عند العرب.

إنهم يسمّونه «الشعر الجديد» أو «الحديث»، وكنت ولا أزال أحدهم. . شريطةَ الـتزام «الـوزن» و «التفعيلة المـوسيقيـة»، ونُكِبَ الأدبُ العـربـي المعـاصر بمـا سمّـوه «قصيدة النثر»، وجاء بعض المتشاعرين بالطِمّ والرمّ وما يصدع الرؤوس. ولعل هـذه التسمية: «قصيدة النثر» قد تسلَّلت إلى الأدب العربـي المعاصر من تلك الـروائع التي ترجمها في أواخر القرن التاسع عشر ومـطلع هذا القـرن الميلادي [القـرن الرابـع عشر الهجري] فطاحل من أدبآء وشعـراء العرب في مصر والشـام والعراق لنـوابغ الشعـراء الأوروبيين، فقد كانوا ينقلون قصائدهم وآثارهم الشعرية؛ وحرصًا منهم على الإبداع والإتقان وأمانـة الترجمـة، ونفورًا من التقعُّـر والتكلُّف، لا يلتزمون الأوزان والتقفيـة، وقليلاً مَن يتكلَّف ذلك منهم فيحافظ عليها إذا عرف من نفسه القدرة، وكان شـاعرًا كبيرًا، أمثال: خليل مطران وعلي محمود طـه وعـلي أحمد بـاكثير وأضرابهم من شعـراء «أبلّو» و «المهجر».

وفُتِن بهذه التسمية: «قصيدة النثر»، فريقان:

● أحدهما: عدوّ لدود لِلُّغة العربيـة الفصحى، ويحاول بشتّى الـوسائـل، ومنذ زمن قديم، هدم قواعدها، وإبادة تراثها، وتشويه خصائصها، وطمس علومها البيانية التي استطاع بها المسلمـون أن يحافـظوا على كتـابهم المعجز المقـدس «القرآن الكـريم» طيلة أربعةَ عشر قرنًا؛ تصديقًا لوعد الله في قوله تعالى: ﴿إنّا نَحنُ نزَّلْنَا الذِّكْرَ وإنّا لَـهُ لَحَافِظُون﴾؛ وهذا الفريق يمارس مهمَّته بعلم ومعـرفة وطِبق مخـطَّط تآزَرَ عـلى رسمه، ويتعاون على تنفيذه الصليبيُّون والصَّهاينة وهم الـذين أشاعـوا بِدعَ إلغـاء «الفصحى»

واستبدالها «بالعامية»، وتغيير الكتابة والقراءة بالحروف العربية واعتماد الحروف اللاتينية؛ وتحدَّثوا طويلاً عن «الثابت والمتحول»؛ وألَّفوا في ذلك الكتب وبأساليب شيطانية لا يفقه مكرَها، ويفهم سوء مقاصدها، إلَّا العالمون: ﴿يُريدونَ أن يُطفئُوا نورَ الله بأفواهِهِمْ ويأبى اللَّهُ إلَّا أن يُتمَّ نورَه﴾.

● **والفريق الثاني**: المقلِّدون والمتشاعرون من تلاميذ مدارس ومعاهد الفريق الأول.

ونشأ جيلٌ من المتأدبين الذين تخرَّجوا من الجامعات والمعاهد الغربية؛ ولم تُثَقَّف ألسنتهم وأرواحهم بآداب اللغة العربية، وتلقّوا معارفهم باللغات الأوروبية ودرسوا بها آدابها فظنُّوا أنَّ «الشعر العَرَبي» ــ وليس فقط الغَرْبي المترجم ــ يمكن أن يُسمَّى شعرًا دون التزام لقافيةٍ ووزن.. وأغرقوا في ظنونهم، فزعموا أن هذا هو الشعر الحق، وهو الجديد الذي يجب أن يحلّ محلّ الشعر الرجعي العتيق «الموزون المقفّى»؛ وضربوا لذلك الأمثال؛ وغفلوا عن أمرٍ بينٍ وهو أنَّ الناقد العربي لا يعوزه التمييز بين الجيِّد والردي من القول، سواء كان موزونًا أو مرسَلاً؛ ولكنه لا يستطيع أن يسمِّي ما ليس موزونًا «شعرًا عربيًا».

وقد تأثَّر هذا الفريق الضائع بما تلقَّاه أبناؤه أثناء دراساتهم في معاهد اللغات الأجنبيَّة، دون أن يتثقَّفوا عربيًا بما يحصِّنهم ويحميهم ــ كما قلنا ــ فظنّوا أن «النثر الفنّي» وما اتَّبعه بعض شعراء أوروبا وأمريكا المحدثين من فن بياني لا يتقيدون فيه بقافية ولا وزن واستساغوا، وأباحَتْ لهم لغاتهم وآدابها وقابليتها للتغيير والتجدُّد أن يسمّوه شعرًا ــ ظنوا أن هذا «الفن» مما يسمِّيه العربي الأصيل «نثرًا» لا أصل له في «الأدب العربي»، وأنه اختراع جديد للغرب يجب أن يسود كما سادت سائر الاختراعات المادية ــ ولا يُلامون على هذا الظن إن وقعوا فيه، فهم لم يقرؤوا خطب العرب ولا درسوا «مقاماتهم» عبر العصور فلا يعرفون «قسّ بن ساعدة»، ولا «سحبان وائل» ولا «علي بن أبي طالب»، ولا «واصل بن عطا»، ولا «البلوي»، ولا «الجاحظ»، ولا «الزمخشري»، ولا «بديع الزمان»، ولا المئات من أضرابهم المتقدمين. وأظنهم أيضًا لم يدرسوا «الأيام» لطه حسين، ولا «وحي الرسالة» للزيّات، ولا قرؤوا آثار جبران والرافعي من المتأخرين؛ وآثار أولئك وهؤلاء بل والمئات من أئمة وأعلام البيان وفطاحل البلاغة تزخر بها المكتبات الخاصة والعامة.

وقد كثر اللَّغط، وتكرَّر الجدل حول «القصيدة الجديدة» أو «قصيدة النثر» أو هذا «الشعر المنثور» الخالي من الوزن والموسيقى، وفيه الجيِّد والردي؛ والبعض يمارسه بإبداع وبراعة؛ وبينهم شعراء ليسوا بعاجزين عن نظم الشعر «الموزون المقفَّى»؛ ولا يمكن أن ندَّعي أنهم تهرَّبوا عن التفاعيل والأوزان والقوافي عجزًا وجهلاً كالمقلِّدين والمتشاعرين؛ ولا خلاف بيننا وبينهم أن هذا الفنَّ من البيان ليس موزونًا؛ ولا نختلف على استحسان ما كان جيدًا منه، ولا ازدراء ما كان رديًا. . لا تصويرًا ولا تعبيرًا، كما لا نختلف أيضًا أن علماء الشعر العربي قد قالوا: إنه «الكلام الموزون المقفَّى».

وإذن فأين يكمن الخلاف؟

إنَّه على «التسمية» فقط؛ ولقد كان آباؤنا أكثر حصافةً منَّا حين كانوا يضعون لكل ما يخترعونه، أو يجدّ من فنون الشعر والصناعات الأدبيَّة أسماء تميِّزها من غيرها من سائر الفنون البيانية وصناعات الشعر والنثر أمثال «لزوم ما لا يلزم»، و «القوافي المشتركة»، و «القصائد المعرَّاة»؛ وسمَّوا أحد الفنون: «محبوك الطرفين»، وآخر: «ما يُقرأ نظمًا ونثرًا»، و «ما لا يستحيل بالانعكاس»، و «الملاحن»، و «الأحاجي والمعميّات»، و «المتائيم»، و «المشجّر» و «البَنْد»، و «ذوات القوافي». . إلى غير ذلك.

والحلّ بالنسبة لما يسمّونه «قصيدة النثر» سهل وميسور ــ في نظري ــ إذا خضعنا لمنطق العقل والعلم، والواقع اللّغوي والتاريخي لكلمة الشعر ومعناها عند العرب.

وسنقضي على هذا اللَّغَط والجدل «البيزنطي» الذي يدور في الصحف والنوادي الثقافية، وقد تنبَّه للأمر، وعالج المشكلة أحد النقّاد الشعراء العلماء العرب قبل ستمئة عام وبضعة وأربعين عامًا قمريًا وهو الشيخ العبقري صلاح الدين الصَّفدي المتوفى سنة (٧٦٤هـ/١٢٦٦م)، في كتابه «الغيث المسجَم»، وهو يتحدّث عن «العروض والقوافي»، فقال رحمه الله:

«العروض: آلة قانونيَّة تعصم مراعاتها الإنسانَ عن أن يضلَّ في وزن «شعر العرب»، وهذا الاحتراز الأخير [يقصد شعر العرب] أتيتُ به؛ لأن اللُّغة اليونانية فيها شعر، وليس الشعر عندهم ما يكون ذا وزنٍ وقافية، ولا ذلك ركن فيه، بل الركن في

ذلك إيراد المقدمات المخيّلة؛ وقال أرباب المنطق: القياس الشعري قولٌ مؤلف من مقدمات مخيّلة تؤثر في النفس تأثيرًا عجيبًا من قبض وبَسْط... إلخ». (ج ١، ص ٥٤).

وإذن: فأنا أقترح أن نسمِّي هذا الفن من البيان «الشعر الغربي» إذ لا يصحّ أن نسمِّيه «الشعر السرياني» لأن «السريانيِّين» كانوا يصوغونه موزونًا وإن بدون قوافي؛ ولا يمكن أن نسمِّيه «الشعر العبراني»، لأنهم يشترطون فيه القافية؛ ولاعتبارات أخرى!! وهو ليس شعرًا عربيًّا لأن الوزن والقافية هما ما يُميِّزان «الشعر» من «النثر» عند العرب كما قال الصَّفَدي.

ولنا قُدْوة بالشاعر الألماني (جوته)، إذ قد سمَّى أحد دواوينه «الديوان الشرقي»، وهو ما أعمله الآن في «الديوان الغربي» والذي سيجد القرَّاء نماذج منه في هذا المجلّد إن أصرُّوا على تسمية هذا النوع من البيان شعرًا، لأنَّه صيغ في تعابير تؤثِّر في النفس؛ وإذا لاقى هذا الاقتراح قبولاً فقد تخمد نار الجدل، ويُقْطَع دابر الخصام، وقد بسطت القول في السفر الأول من كتابي «معجم شعراء اليمن في الجاهلية والإسلام» (ص ٢٠٨ ــ ٢١٣) عن هذا الموضوع.

وأودّ أن أوضِّح أني لا أنصح الشعراء بالإسراف في دراسة علم العروض، ولا بالاعتماد عليه حين تخامرهم هواجس الشعر وتناجيهم دواعيه، فالشعر موهبة فطريَّة، وليس علمًا يدرَّس في المعاهد والجامعات والتي إن كان في إمكانها أن تخرِّج من كليّاتها مهندسين وسياسيين وعسكريين ومحامين وأطباء فليس في إمكانها أن تُنْجب شعراء!

وأنا شخصيًّا لم أحاول دراسة علم «العروض» على أستاذ، ولا أذكر أني لجأت إلى أوتاده وأسبابه وفواصله وأنا أنظم شعرًا، ولا أظنُّ أن شعراء المعلَّقات قد عرفوه، ولا أن أفذاذ شعراء العرب كأبي تمام والبحتري والمتنبّي بل والبارودي وشوقي والزبيري، قد اهتموا بدراسته لكي يكونوا شعراء؛ وقد قال بعض القدامى: «إنه لا حاجة للشاعر إلى علم العروض لأن كل من نظم به شق ذلك عليه، وأتى نظمه مكلّفًا، وإلى أن ينظم بيتًا يكون الشاعر صاحب الطبع السليم قد نظم قصيدة».

وقال الجاحظ: «العروض علمٌ مُسْتَبْردٌ، ومذهب مرفوض، وكلام مجهول، يستكدُّ العقول، بمستفعلٍ ومفعول، من غير فائدةٍ ولا محصول».

ولكن (الجاحظ) ورغم سخريته بمن يعتمد عليه في النظم دون طبع سليم وفطرة شعرية كان يعلم فائدته لناقد الشعر، وأنها تنحصر في تمييزه «الشعر العربي» من سائر أشعار الأمم، ولذلك قال: «العروض ميزان الشعر ومعياره وبه يُعرف الصَّحيح من السقيم، والمعتلّ من السليم».

وقال (الجوهري) في الصحاح: «العروض ميزان الشعر».

ونقل (الصَّفدي) عن علي بن عبد الرحمن أنه قال: «العروض علم يُدرك به ما تعتقده «العرب» من كلامهم شعرًا».

وكثيرًا ما كان الشعراء يسخرون ممَّن يتكلفون النظم معتمدين على معرفتهم بعلم العروض دون موهبة وطبع فقال أبو فراس:

تناهَضَ النّاس للمعالي ... لمَّا رأو نحوها نهوضي
تكلّفوا المكرمات كدًّا ... تكلّف النظم بالعروضِ.

وقال ابن حجاج:

مستفعلنْ فاعلُ فعولُ ... مسائلٌ كلّها فضولُ
قد كان شعر الورى صحيحًا ... من قبل أن يُخلق الخليلُ.

وقال أحمد شوقي:

والشعر ما لم يكن ذكرى وعاطفة ... أو حكمة؛ فهو تقطيع وأوزان.

ولم أتعرض للموضوع إلَّا لكي أؤكِّد ما قاله (الصفدي) من أنَّ فائدة هذا العلم تنحصر في «فصل القضيَّة فيما يُتَنَازعُ فيه هل هو شعرُ عربي أم لا» [الغيث المسجم، ج ١، ص ٥٦]، فهل اقتراحي أن نسمِّي هذا الذي يسمِّيه بعض المحدثين «قصيدة النثر» أو «القصيدة الجديدة»: «الشعر الغربي»، سيفصل القول ويقطع دابر الخصام إذا تُلقّيَ بالقبول؟

ثم ما كان جيدًا منه قبلناه، وما كان رديئًا رفضناه.

مسرحيَّـة البتـول:

في ٢٥ ديسمـبر سنة ١٩٨٥م/ المـوافق ١٣ ربيع الآخـر عام ١٤٠٦هـ كنت في مدينة (ويلت دزني) بفلوريدا، وشاهدت احتفالات القوم بذكرى ميلاد السيِّـد المسيح عليه السلام؛ فتذكَّرتُ، والذكرى تثير الذكـرى؛ ما نـوَّهَ به السيِّـد العلامـة محمد بن إسـماعيل الأمـير في كتابـه «الروضـة النديَّـة»، وأورده من قصة ميـلاد البتـول السيـدة «فاطمة الـزهرا» رضي الله عنهـا؛ واكتسحتني موجـة شعريـة فنظمت في تلك العشيـة وضحاها مسرحيَّة «مولـد البتول»، وقـد رأيت ــ رغم أنها عمل مستقـل ــ أن أضمِّها إلى المجلّد الثالث من «ديوان الشامي».

وختامًا.. هـا أنا أقـدِّم سجلّ حيـاتي مُنغّمًا في «ديـوان الشامي» ولـو كان ذلـك الصـديق الكريم الـذي كان ألـطف وأعنف، وأصدق وأرأف خصـومي السِّياسيِّـين؛ والذي قال لي ــ باسمًا ــ وأنا أُهـدي إليـه ديواني «النفس الأوَّل» قبـل أربعين عـامًا: متى ستلفظ «النَّفَس الأخير»؟!.. لو كان لا يزال يتنسَّم أنفـاس الحياة الـدنيا لأهـديته إليه مُتمثِّلًا بقولي يومئذٍ:

هــو دمــعي؛ ولــيــتَــنــي ... فــي جــفــونــي حــبــســتُــهُ
وابــتــســامــي؛ ولــيــتَــنــي ... فــي فــؤادي دفــنــتُــهُ
لــو تــبــيّــنــت مــنــتــهــى ... مــهــيــعــي مــا مــشــيــتُــهُ!

جـدة: ٢٥/ ٥/ ١٤١١هـ
١٢/١١/١٩٩٠م

أحمد بن محمَّد الشَّامي

مُقَدّمَةُ الطّبعَةِ الأوْلى

بقلم: قاسم بن علي الوزير

هل انتهى زمن الشعر فلا مكان له بُعد.. لا أُذن تسمع، ولا عين تقرأ، ولا وجدان ينتشي ويطرب؟

منذ فترة غير قصيرة والناعون لا يكفّون عن نعي هذا الفن الجميل، والنادبون يندبون الأيام الذاهبة.. تلك الأيام المغسولة الحواشي بأشعته التي منحت الحياة عذوبتها وأناقتها.. ولونها الأليم منه والبهيج.

وكل ما جدَّ جديد.. مما يكتشفه الإنسان أو يخترعه، دقَّ المتشائمون الناقوس، وأذّنوا في الناس أنَّ الشعر قد مات! وحلَّت محلّه أداة جديدة.. هي هذا الجديد المكتشف، أو المخترع أيًا كان!

قالوا ذلك مع اختراع الراديو، وصاحوا به مع اختراع السينما، ثم رفعوا عقيرتهم حين قفَّى على أثرهما التليفزيون.. ثم الڤيديو.. وسوف يردِّدون ذلك مع كل جديد؛ معلِّلين ذلك كل مرَّة بأن هذه الأداة الجديدة ستشبع الحواس جميعها؛ بالصوت المتأنق، والصورة المرئية، واللحن المسموع، والإخراج البديع.. فهل يتَّسع الوقت بعد ذلك لمتعة القراءة المتأنية المتذوِّقة للشِّعر.. هذا المخلوق اللطيف.. الرقيق.. الجميل البالغ الأناقة البالغ التعقيد أيضًا.. هذه الصورة السانحة بظلالها أكثر من ذاتها، والنغمة المعزوفة بأوتار الوجدان الأعمق للإنسان وليس بالإيقاع الخارجي للَّحن؟

لقد أغنى ما يُرى وما يُسمع وما يُقدَّم عن ذلك الجهد في «تفهُّم» المعنى القصيّ للقصيدة، واقتناص اللمحة الشاردة للصورة، واستماع اللحن بالوجدان؛ ليتناغم إيقاعه مع إيقاع النفس ذاتها؛ فيتولَّد ذلك النمط الفريد من «الموسيقى» الخاصة: موسيقى المعنى المضمر للكلمات، وموسيقى التقاء الكلمات نفسها في بناء هندسي

يصدر عنه إيقاعه الخاص الملائم لذلك المعنى. . مضافًا إلى ذلك كله الإحساس الخاص للقارىء أو السامع الذي تتجاوب في جنبات نفسه تلك الموسيقى التي هي السمةُ الأساسية للشعر من حيث هو. . ولا وجود لشعر بدونه. .

يا لها من عملية معقدة يمرُّ بها الشاعر وقارئه معًا. . وإذن: أفلا يكون الإنتاج الفنيِّ المتمثل في «فيلم» يتضمَّن ما شئت من «صورة» و«موسيقى مسموعة»: ثم ما شئت من معنى يجسِّده حدث تدركهُ العينُ الشاخصةُ دون عناء ــ هو «البديل» الأيسر، في عالم يتجه إلى التبسيط، والتناول الواقعي العملي لشؤون الحياة وفنونها؟!

نعم! ذلك كان ــ في الحقيقة ــ تحديًا. . ولكنَّه لم يكن بديلاً!!! فمع ذلك! مع ذلك كله. . ظلَّ الشعر في مكانه العالي يرطِّب بنداوته جفاف الزمن الكالح وينير بأشعَّته ظلام هذه الأيام المتعاقبة كلياليها. سوداء مظلمة. ويمنح الركب السائر حداءه؛ في أداء لم يغنِ عنه شيء ولا أبدله بديل!

ثم جاءت الكشوف العلمية المذهلة: طار الإنسان في الجوِّ، واخترق أجواز الفضاء. . نزل في القمر، وأرسل آلاته إلى الكواكب النائية ليستنبىء أمورها. ويستخرج خبيئها، ويجعل منها «حقلاً» لدراساته و«مجالاً» لتأملاته. . لقد تفتَّحت أمامه الآفاق، فهو كل يوم منها في جديد يبهر الفكر والبصر، ويملأ الروح والنفس.

وهتف المتشائمون: ماذا بقي للخيال إذن؟

أوَ يستطيع العاشق الولهان ــ مثلاً ــ أن يسير حالمًا سارحًا تحت ضوء القمر الساجي في ليلة هادئة لا يبدِّد أحلامه، إن هذا السَّمير الموغل في القدم ليس إلاَّ كتلاً من الصخور الميتة الخامدة التي لا تصلح للمسامرة ولا تنبض فيها حياة؟

وحقًّا. . لقد أصبح العلم ــ أو على الأصح كشوفاته ــ ضربًا من الخيال البديع، وأصبح عمل العالم لا يقلّ متعًا عن عمل الفنان سواء بسواء، وأصبحت الأرقام الرياضية الجامدة تنبض بالحياة والجمال، بما تتبرَّج عنه من بدائع السماوات والأرض، وتتكشَّف به من عجائب الكون والنفس. . وبما يتصاعد من أعماق ذلك كله من تسبيح خاشع باسم الخلاَّق العظيم!

وعلى هذا فإن العلم ــ في هذه الحدود ــ قد أصبح مددًا للشاعر، و«رفدًا»

للشعر لا تحديًا له، ولا بديلاً عنه، وحينما اقترب العلم من الحقائق الكبرى خرَّ ساجدًا لله، من بعد أن كان أداة للإنكار، ووسيلة إلى الجحود، وفي هذه اللحظة التي اقترب فيها العلم من الإيمان نتيجة لتقدُّمه المستمر.. اكتسى تلك «الشفافية» المبهمة التي هي إحدى الخصائص الأساسية للشعر، وهكذا أصبح العلم رفيقًا للشعر ومددًا له ومسرحًا رحيبًا لآفاقه وتصوراته!.

ثم قالوا: تعقدت الحياة كثيرًا، وتعددت مسؤولياتها تبعًا لذلك، وتضافرت عواملها المستجدّة المختلفة على استهلاك قوى الإنسان ووقته، فليس له من الوقت ما يصرفه على عمل معقَّد كالشعر مهما كان جميلاً أو عظيمًا؛ وإذا هو وجد الوقت، فلن يجد الجهد الذي استهلكته شؤون أخرى فرضتها دواعي الحياة؛ وإذا هو وجد الجهد والوقت معًا.. فلن يجد المستمع أو القارىء الذي لا يجد هو نفسه أيضًا، لا الوقت ولا الجهد، والذي يشبع أشواقه ــ فيما فضل له من وقت وجهد ــ بما هو متاح من وسائل المتعة المختزلة في «لحن»، أو «فيلم» أو ضرب من ضروب هذه «التخاليط» التي تزدحم بها الحياة من حوله.. ويُعدّ بعضُها ــ افتئاتاً ــ من الفنون الجميلة!.

هذا صحيح..

ولكن.. أصحيح ــ كذلك ــ أن الإنسان نفسه قد تغيَّرت عناصر إنسانيته؟ أَتبدَّل خفقان قلبه فلا تتردَّد في جنباته خفقة حب؟ أَفقَد بصره فلم يعد يتصبّاه الجمال في أيّ مجلى من مجاليه؛ في الطبيعة والناس؟ أَشغَلَتْه «معدته» عن عواطفه، وغرائزه الدنيا عن أشواقه العليا، وعن أفكاره؟. أَفتَحَ عقله المغاليق المغلقة من أسرار الطبيعة والكون؛ فلم يعد أمامه لغز يثير خياله، ويحرِّك كوامنه؟ أَحلَّ مشكلة الموت والحياة؛ فلم يعد يقف أمامها حائرًا تتوزَّعه مشاعر الحيرة واليأس والأمل والإحباط؟ هل فقد الإنسان قيمة الخلود.. أي فقد «قيمة» الإنسان فيه؟

لا.. أيها الناس؛ لشدَّ ما نظلم الإنسان حين نجرِّده من قيمه وأفكاره وعناصره الإنسانية، ولا نُبقي فيه أو منهُ، إلاَّ مكوِّناته العضوية ــ البيولوجية، كأيّ مخلوق من المخاليق التي تدبّ على الأرض على اثنتين أو على أربع!..

إن الإنسان سيظل مبهورًا أمام بدائع السماوات والأرض، وأمام بدائع الإنسان نفسه، ولن تزيده الكشوف العلمية إلاَّ انبهارًا رشيدًا، ولن يزيده الانبهار الرشيد هذا

إلاَّ شعورًا بضعفه وعظمته معًا، وبعجزه وقدرته في آن!. وسيظلّ يقف أمام الموت والحياة عاجزًا أن يفقه كنههما يطمح في الخلود ولا يقدر عليه؛ فيسمو ويهبط، وسيستمر يحب ويكره، وسيظل مشدود البصر والبصيرة، بمجالي الجمال فيما حوله، وفيمن حوله، وسيظلّ يطمح في العدل، ويكدح ضد الظلم، ويكره البشاعة في عمل أو منظر أو خُلق، وسيظل مشتاقًا على نحو موصول إلى ما هو أجمل، وأكثر كمالاً، وإلى ما هو أكمل، وأكثر جمالاً، وإلى ما هو عدل وحقّ وخير. وسيظلّ ــ بعد كل حساب ــ يكدح إلى ربِّه كدحًا.. حتى يلاقيه؛ فيوفِّيه حسابه. ويردّ على أسئلته الشجيَّة جميعًا..

وما دام الأمر كذلك؛ فسيظلّ للشعر مكانه الثابت من عطاء الإنسان وفي وجوده ذاته، لأنه واحدة من الوسائل التي يحقق بها ذلك الوجود، ويعمِّقه ويكثِّفه؛ فنحن لا نخشى على الشعر ــ في الحقيقة ــ وإنما نخشى على الإنسان، وحين يُصاب الشعر بأزمة: فلأن الإنسان يكون قد مُني بها قبل ذلك؛ فهي أزمة الإنسان أولاً..

إن الإنسان بالشعر، وبغيره من الفنون الجميلة، إنما يعيد طرح نفسه على الواقع.. كما سبق أن طرح الواقع عليه نفسه، فهو لا يريد أن ينسحق تحت وطأته، ولا أن يفقد ذاته فيه، ولهذا فإن الشاعر أو الفنّان. إنما يطرح نفسه ــ أي عالمه الداخلي ــ على الواقع.. أي على العالم الخارجي.. وذلك عن طريق إعادة طرح هذا الواقع ذاته، بالعمل الفني من وجهة نظره هو؛ من خلال تلقِّيه له، ورؤيته الخاصة إليه، وتعامله معه. و.. بوسائله؛ وهو بذلك ــ يعيد صياغة العالم الخارجي على نحو يلائم طبيعته، ويناسب أشواقه في رؤيته ذلك الواقع كما يراه، أو يريده، أو يحلم به.. إنه «ردّ» على المرفوض، أو «تمثّل» للمقبول، أو «تشكيل» للمنشود من الواقع.. وبهذا يكون الشعر أو الفنّ خلقًا من الخلق ــ وهذا هو الخلق الفني بذاته.

وإذا كان المعول ــ عمومًا ــ أداةً في يد الإنسان لإشباع حاجات الجسد ــ البيولوجية ــ فإن الإزميل في يد النحّات، أو الريشة في يد الرسّام، أو الكلمة على لسان الشاعر، إنَّما هي أدوات لإشباع أدوات الروح: وكما أن الإنسان لا «يعيش» بدون الحدّ الأدنى من إشباع حاجات جسده المادية؛ فإنه كذلك لا يحقق إنسانيته وسعادته؛ أي لا «يحيا» بدون إشباع أشواق روحه.. وقديمًا قال السيد المسيح عليه السلام: «ليس بالخبز وحده.. يحيا الإنسان»!

وإذا كان الرسّام يرسم بالألوان؛ فيكشف عن الكامن في الظاهر، والنحّات يخرج ــ بالإزميل ــ غير المرئي إلى المرئي المحسوس. . وإذا كان الموسيقي يكثّف ــ بالنغمة ــ ما لا يُسمع عادة؛ فيبصر الإنسان بسمعه ما لا يبصره بعينه، فإن الشاعر هو ذلك الفنّان الذي يرسم، ولكن بالكلمات. . وينحت ولكن بالمعنى. . ويغني ولكن بالإيقاع الخاص على بناء تلك الكلمات بناءً موسيقيًّا متناسبًا مع الإيقاع الباطني الخفي للمعنى. . المشخص للصورة، الساري كالروح لذلك البناء.

ومن عجب. . أن ليس إلَّا الشعر وحده بين تلك الفنون جميعًا هو الذي يجمع خصائصها مجتمعة حيث قد يُغني عن أيّ منها، ولا يغني أيّ منها عنه أبدًا. .

لهذا كان الشاعر هو الفنّان الأكبر. .

وليس الشعر أخيرًا ــ إلَّا التحدِّي الإنساني للبعد الزَّماني ــ إذا صح التعبير ــ فإن الإنسان يتطلَّع إلى الخلود وهو يعلم أنه لا يقدر عليه في هذه الحياة. . من هنا فإنه بالشعر يريد أن يمتد في الزمان امتدادًا يهبه بعض طمأنينة الخلود!. .

وعلى هذا فإن زمن الشعر لم ينتهِ، وما هو بمنته إلَّا بنهاية الزمن نفسه لأن الشعر ــ كما رأينا ــ حاجة من حاجات الإنسان الروحية غير المحدودة. . كما أن «الغذاء» حاجة من حاجات جسده المحدودة. . وكما أن الإنسان يشغل بجسمه حيزه في المكان، فإنه بروحه فقط يشغل مكانه في الزمان. . وحين يغادر الإنسان «مكانه بالموت»، فإنه يبقى بآثاره في الزمن. . وبأعماله في الخلود، أو في الأبد. .

ومع ذلك فإن الشعر في أزمة. . ومصدر هذه الأزمة أمران:

● **أوَّلهما**: آتٍ من طبيعة الحضارة الغربية الباسطة ظلالها على الأرض، وطبيعة علاقاتنا بها. . فأما طبيعة هذه الحضارة فهي التي قادتها إلى أزمة شاملة نجمت عن ذلك التناقض المروِّع بين التقدُّم الرائع للعلم، والتراجع المخزي للضمير. . أي انهيار الأساس الأخلاقي على نحو مطرد تزداد به الأزمة تفاقمًا. . يتجلَّى في هذا الفراغ الروحي المهلك الذي تتخبط فيه مجتمعات هذه الحضارة: بما تعلَّق بها من أخلاق وآداب وفنون وفلسفة.

وأما طبيعة العلاقة بها: فإن الاستعمار ــ كما هو معروف ــ كان هو أسلوب هذه

الحضارة للاتصال بالعالم الواقع خارج نطاقها، وقد تولّد من جرّاء ذلك شعور بالتفوق العرقي وليس الحضاري فحسب لدى المستعمِر. . وشعور بالنقص والتبعية لدى المستعمَر. . ونتج عن هذا أن اعتبرت مجتمعات هذه الحضارة (أوروبا وأمريكا) نفسها «مركز الكون» فما هو صالح بالنسبة لها فهو الصالح للعالم، وما هو غير صالح في نظرها فهو كذلك للعالم أيضاً. . ومن ثم أخذت تصدِّر لهذا العالم الكثير من أزماتها وقيمها الأدبية والاجتماعية. . مع منتجاتها، دون أن «تصدِّر» شيئًا من علمها ونظامها الدقيق. . ! أي تصدِّر فقط إفلاسها!.

ولأن المغلوب ــ كما يقرِّر ابن خلدون ــ مقلِّد للغالب عادة، فقد تقبَّل المغلوبون كل ذلك، وأضحوا يعيشون أزمات الحضارة دون أن ينعموا بمقدماتها أو أسبابها. . حتى لقد رأينا على أرصفة شوارعنا من يتباهى بتقليد «الهيبيز» (HIPPIES) و«البيتلز» (BETLES) دون وعي بأسباب هذه الظواهر الاجتماعية والنفسية في المجتمع الغربي الناجمة عن حالة الإشباع الحسي والمادي المفرط بحثًا عن إشباع روحي مفقود. . ومطلوب. . حتى بالهوس والتشرُّد، والتبطُّل، والعودة إلى حياة البدائية الأولى.

إن مجتمعاتنا لم تصل بعد إلى الحدّ الأدنى من الاكتفاء المادي، فضلاً عن التشبُّع، فلا مسوغ لشيء من ذلك. . إلاَّ أن يكون التقليد الأعمى، مضافًا إليه الجهل الذي يدفع بصاحبه إلى تقليد «الظواهر» مع انقطاع الصلات بالأسباب والمقدمات، وتلك هي آية «القابلية للاستعمار» على كل حال.

وإن الأمر لكذلك بالنسبة للأدب والشعر، فإن أزمة الحضارة الشاملة قد مسَّت الشعر كما مسَّت غيره من الفنون الجميلة. . فحسب الذين لهم صلة من الصلات المباشرة بهذه الناحية الأدبية «ظواهر» تلك الأزمة أشكالاً وقيمًا جديدة للأدب أو الشعر فقلَّدوها. . دون مراعاة لأسبابها في مواطنها باعتبارها ظواهر أزمة شاملة، لا سبيل إلى الخروج منها، ولا دليل على الجدة الموهومة فوقع الخلط، وكانوا بذلك كهؤلاء الذين قلدوا جماعات «البيتلز» و«الهيبيز»، دون سبب مقبول، ولكن على صعيد آخر، يكشف عن وحدة العلَّة في طبيعة العلاقة القائمة على «التقليد» لا على «التمييز».

ثم جاء الذين يقلدون هؤلاء المقلِّدين أنفسهم ممن لا يجيدون لغة من لغات

هذه الحضارة، ولا يعقدون مع آدابها صلة مباشرة. . فكان ذلك ضغثًا على إبالة، أضافت إلى عقابيل التقليد السيِّىء جرائر الجهل الضار، فكانت هذه الأزمة التي يتخبَّط في أحابيلها الشعر من الركاكة، والخروج على قواعد اللغة والهروب إلى اللامفهوم حذرًا من الانكشاف.

● **ثانيها**: آتٍ من سوء المناهج التربوية والتعليمية في مجتمعاتنا وغياب المؤسسات الثقافية، التي أخرجت جيلاً لا يفقه لغته كما يجب، وليس متصلاً بتراثه كما ينبغي، ولا متصلاً ــ كذلك ــ بعصره على النحو المنشود حتى «يجدد» وهو مستكمل أدوات التجديد، منطلقًا من أرض ثابتة، لا هاربًا إلى تجديد مقطوع الصلة بمقومات التجديد الحق.

فالأزمة في وجهها هذا هي أزمة نقص، وليست أزمة ضلال، كما هي في وجهها السابق؛ فما يزال للشعر مكانه المرغوب، وجمهوره المتحمِّس، وأنت لن تشكو من قلة المحصول حين تطالع المنشور في مجلاتنا ودورياتنا الأدبية. . فما يزال الشعر هو الغالب عليها، أو هو يكاد يكون. ولكنَّك ــ على التأكيد ــ ستشكو من ندرة الجودة. . وضعف الوسائل، واستعجال المواهب على العطاء دون مران كافٍ دؤوب، لا بد منه لكلّ ذي موهبة، ولا استكمال للأدوات الفنية اللازمة للعمل الفنِّي الجيِّد، وبخاصة في مجال «القصيدة الجديدة» حيث لحقها من جرّاء ذلك أفدح الأضرار.

نعم! مصدران لأزمة واحدة يعاني منها الشعر، ولكنها ــ كما رأينا ــ أزمة مفروضة عليه من غير بواعثه أو مصادره، وإنما هي جناية التقليد من ناحية، وجريرة التقصير من ناحية أخرى.

أقول هذا وأنا أقدّم لمجموعةٍ كاملة تزيد على ستة عشر ألف بيت من الشعر[1] ــ حسب إحصاء الشاعر ــ فإذا أخذنا ذلك من حيث الكم فإنه سيشكِّك في وجود أزمة، بيد أننا إذا نظرنا إليه من حيث النوع أو الكيف، فإنه يصبح تحديًا قويًا للأزمة. . ذلك لأنه نوع من الشعر الرفيع الذي يتطلب وجوده وجود شاعر يجيد القول، وقارىء يجيد تذوقه، أو منصت يجيد الاستماع إليه.

---

(١) لم يدخل في الإحصاء ما ضاع، ولا بقية «الموءودات» ولا مسرحية «ثورة الدستور في اليمن» وكل ذلك يكون بضعة آلاف بيت.

أما هذا الشعر فهو هذا الديوان.. الآثار الكاملة للشاعر الشهير. أحمد محمد الشامي.

والشامي شاعر كبير لا يحتاج إلى من يقدّمه، معروف لا يحتاج إلى تعريف، غزير الإنتاج متعدّد نواحيه، قد شغل الناس شاعرًا، وباحثًا، ومجاهدًا وثوريًا، ومحافظًا ورجعيًا، وعالمًا وسياسيًا، وسجينًا وسفيرًا، ووزيرًا.. وعضوًا في المجلس الجمهوري.. وما يزال يشغلهم، وسيظل ــ فيما أحسب ــ يشغلهم إلى أمد طويل.

الشامي متعدِّد الجوانب الشخصية.. وهذا أمر يجعل الحديث عنه صعبًا؛ لقد عاش حياةً حافلةً، مليئة بالأحداث، ذات خطوط متداخلة، ومتناقضة، حتى لتشعر أنك أمام أكثر من شخص واحد.. بل أمام عدد من الأشخاص حين تتابع حياته العملية ذات التعاريج الكثر، والدوي المنداح.

بيد أنه من الحقّ أن خيطًا دقيقًا واضحًا يربط حياته كلها برباط يجعل منها «وحدة» متعدِّدة الجوانب، لشخصية مثيرة: لا أشخاصًا متنافرين: وذلك هو «الشعر» الذي يتألق به جانب الشاعر منه بين جوانبه جميعًا.. ذلك الجانب الذي يقلّ عنده الخلاف، ويسهل عليه الاتفاق بين مريديه وخصومه على السواء.

ترجع معرفتي بالشاعر إلى تلك الأيام النائية القصية، المواظبة بذكرياتها على الحضور الدائم حين هبطنا معتقل قاهرة «حجة» عام ١٣٦٩هـ الموافق عام ١٩٥٠م..

كان «الشامي» هناك لا تتخطّى العين مكانته المرموقة بين تلك الصفوة من العلماء والأدباء والسياسيين المناضلين جميعهم؛ وكانت زعامة الأدب والفكر قد انتهت إليه بينهم دون نزاع؛ فإذا صدرت مجلّة أدبية (وقد صدرت مجلّتان خطيتان هما السلوة، والندوة) أحمد الشامي هو كاتبها الأول، ورئيس تحريرها، وإذا احتدمت معركة فكرية كمعركتي الخير والشر، والقديم والجديد، اللتين انشغل بهما المعتقلون فترة طويلة: فهو نفسه فارسها السبّاق الذي لا يشق له غبار: وإذا أغطشت سماء الشعر وتنزلت ملائكته (إذ لم يكن ثمة مكان للشياطين في تلك القمّة العالية العامرة بالصلاة والفكر والجهاد) فإن أحمد الشامي هو الذي كان بيننا جميعًا يخطف البصر

ويستأثر بالأسماع. وهو قبل ذلك، مع زميله الشاعر إبراهيم الحضراني قد رأسا تحرير مجلة «البريد الأدبي» لفترة عامَين قبل انفجار ثورة الدستور سنة ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م.

نعم: كان شاعرنا قد بدأ حياته الأدبية قبل ذلك، واقترنت بحياته السياسية والوطنية بفضل الرفقة المباركة التي ربما كان أسطع نجومها عنده، وأكثرها تأثيرًا عليه الشاعر الشهيد زيد بن علي الموشكي بدايةً.. ثم المجاهد الجزائري العظيم الفضيل الورتلاني من بعد..

فلم يدخل «الشامي» السجن إلاَّ بعد أن كان قد أصبح مشهورًا بين الشعراء المعدودين ومشهورًا كذلك بين المناضلين البارزين: حتى لقد اقترب من قمم الكبار من زعماء الأمة، وقادة جهادها، وهو بعد في شرخ الشباب، وحسبك أن تعرف أنه هو الذي أؤتمن على نسخ «الميثاق المقدس» لثورة سنة ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م الخالدة ثم اختير «سكرتيرًا» عامًا لمجلس وزرائها القصير العمر، وهو بعد في الثالثة والعشرين من عمره المديد بإذن الله.

وهكذا كانت شهرته ــ حين طوته ظلمات السجن ــ قد صورته لنا شيخًا كبيرًا، لا فتى في مقتبل العمر؛ فأولى مفاجآتنا به ــ تلك المفاجآت التي لن تنقطع مع الأيام ــ إنما كانت اكتشافنا له فتى غض الإهاب، في مقتبل العمر، يقتعد مكانًا بارزًا بين كبار المواقع الجهادية، وكبار الأعمار.

وأتاح لنا السجن أن نتتلمذ على أيدي الذين سبقونا بالجهاد، والعلم والسجن، وكانت «قاهرة حجَّة» ــ قد تحولت بفضل أولئك المجاهدين إلى معقل من معاقل العلم، ومصدر من مصادر الإشعاع العلمي والفكري والأدبي، دفع «الإمام أحمد» إلى إرسال برقيته الشهيرة إلى نائبه:

«ولقد اخترنا «القاهرة» دارًا للتأديب[1] لا كلية للآداب»!!

وآثرنا «الشامي» في هذا السجن بجهده ووقته، ومنحنا من علمه وأدبه الكثير الكثير.. ومنذ ذلك الحين وأنا أشعر بالامتنان والعرفان اللذين يشعر بهما تلميذ قدّر له أن يشق طريقه نحو أستاذ أضاء له بعلمه ذلك الطريق الطويل، طريق المعرفة.

---

(١) يقصد العقاب حملاً على «التأديب» والاستقامة كما يراها أي للسجن.

إنها ذات المشاعر التي تملأ النفس نحو كل أولئك الذين علّمونا في معقل المجاهدين، وبدّدوا ظلمات السجن بأنوار العلم والمعرفة.. حتى أولئك الذين التوت بهم الطرق فيما بعد، وانحرفوا عمّا علموا وعلّموا، ورجعوا عن مواقعهم المتقدِّمة إلى مواقع الذين ظلموا أنفسهم فإننا لم نستطع ــ بفضل تلك المشاعر ــ إلّا أن ندين منهم الانحراف اللّاحق محتفظين في ذات الوقت بالولاء الحميم، والذكر الجميل لذلك الموقف السابق؛ فما كان لمن أضاءت عقولهم المعرفة الحقّة، وعمر قلوبهم الإيمان الصادق، أن يدفعهم الحنق على الخطأ إلى العقوق، أو يحملهم الغضب على الانحراف إلى مجانبة الإنصاف.

على أن «الشامي» كان ــ إذ ذاك ــ أكثر الأساتذة احتفاء بتلامذته. وأكثرهم نفعًا لهم، وبذلاً من علمه وجهده، ومن أكثرهم حرصًا على إبقاء جذوة النضال حيّة مشتعلة في أعماق تلامذته، وتوجيه المعرفة هذه الوجهة.

وضرب الزمن بيننا بعد ذلك، وخرج أستاذنا «الشامي» من السجن وبقينا، وتبعه «الأساتذة» والزملاء، ونحن نودّعهم واحدًا بعد واحد، أو نفرًا بعد نفر، والقلوب يومئذ عامرة بالثقة مفعمة بالحب، مستيقنة بالفرج القريب لا ريب فيه، على يد هؤلاء الخارجين من السجون يحملون رسالة الشهداء إلى أمة تنظر إليهم في إكبار نظرة اليقين بأنهم سيستأنفون نضالهم الدائب حتى ينصرهم الله.

ولكن.. عندما خرجتُ من السجن كان أولئك النفر أنفسهم قد تفرّقوا شيعًا، واختلفوا مذاهب، وقنع من قنع منهم بفتات الباطل، مؤثرًا السلامة والعافية، وغرق من غرق في حمأة الفرقة: عنصرية وطائفية. وبقي قليل: ينظرون بأسى شديد، ويواصلون السير على الطريق..

وفي الحقّ أن هذه الفاجعة كانت قد بلغت ذروتها عام: ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م عندما تناهى إلى أسماعنا في ظلمات السجن أن ساحات الإعدام قد شهدت أفجع ما في المأساة حين كان بعض أولئك النفر تُضرب أعناقهم في الساحات العامة، والبعض الآخر يأخذون مقاعدهم على المنصة يشاهدون ضرب الأعناق! و«الأستاذ» الخطيب المفوه ــ إياه ــ يزاول مهمته المتقنة منذ انخرط في صفوف المناضلين الأحرار، محرضًا للطغيان ومندِّدًا بالمؤمنين، في استدلال مقلوب بالآية الكريمة: ﴿لَّئِن لَّمْ ينته

المنافِقُون والَّذينَ في قلُوبِهم مَرَضٌ، والمرجِفُونَ في المدينةِ لنغرينّك بهِمْ ثم لا يُجَاوِرُونَكَ فيها إلاَّ قليلاً، مَّلْعونينَ أَينما ثُقِفوا أُخِذُوا وقتِّلُوا تَقْتيلاً، سُنَّةَ اللَّهِ في الَّذِين خلَوا من قبلُ، ولن تجِدَ لسُنَّة الله تَبْدِيلاً﴾ [سورة الأحزاب: الآيات ٦٠، ٦١، ٦٢].

ولقد كان شاعرنا «الشامي» في قلب الدوّامة!. ومهما يكن من أمر فقد استطاع أن يحتفظ بينهم بتوازنه إلى حدّ لم يتجاوز به حدود التأييد الذي كان قد اتخذه للأسف الشديد الكثير من الأحرار في الداخل والخارج، فهو لم يحرّض على أحد، بل جهد لينقذ من يستطيع إنقاذه؛ في حين اندفع سواه ــ وصولاً إلى مصالح ذاتية ظنوها ــ يحرّضون ويهيّجون شهية الإمام المفتوحة إلى المزيد من الدم. دون اعتبار لقضية، أو وفاء لزميل، ولم يكتفوا بالتأييد وحده ــ على فداحته ــ كما اكتفى شاعرنا»[1].

وأنا ــ في هذه السطور ــ لا أبرِّر موقف الشامي، ولا أدين غيره فذلك من مهمّة «المؤرخ» وعمل «التاريخ». ولسنا نهدف إلى ذلك وإنما هو استعراض لوقائع معروفة للجميع اقتضاها سياق الحديث لما له من علاقة بصاحب هذه المجموعة الشعرية التي لا يمكن التعرض لها دون التعرض لصاحبها، وفي حدود الإيضاح لمواقفه التي تأثَّر بها وأثر، ونجد أصداءها في هذا الديوان، وليس بغرض التاريخ الذي سيتقصّى الدوافع وراء الوقائع، ويتولّى من ثم التبرير أو التجريم؛ قبل يوم الحساب الذي سيفصل في ذلك كلّه على نحو قاطع بين يدي الخلّاق، على مرأى ومسمع من الخلق أجمعين. ﴿يوم تجد كلُّ نفس ما عملت من خير محضرًا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدًا بعيدًا﴾!..

---

(١) بل إن الشامي وقف في اليوم التالي يحرض الإمام أحمد على الصفح والعفو ويقول في قصيدته:

وكم أحاطت بمغرور جرائره ... فبات في لهوات اليأس محتارا
وذاب كل رجاء في خواطره ... وشاهد الموت ألوانًا وأطوارا
وكاد يلقي بقايا روحه مزقًا ... يستفّها الليل أحزانًا وأكدارًا..!
كشفت عنه ظلام اليأس فانبثقت ... من حوله الأرض آمالاً وأنوارا
وراح يقطُفُ حتى من مصائبه ... وذكريات أساها الزهر والغارا
تعفو وتصفح لا عجزًا ولا حمقًا ... لكن حنانًا وإكرامًا وإعذارًا

كما هو مذكور في ديوان الشاعر.

وهكذا كانت الحياة قد أخذت الأستاذ والزميل بعيدًا عنا، وأخذتنا بعيدًا عنه: وما زالت المسافة ــ بحكم الظروف، واختلاف وجهات النظر ــ تتسع حتى وجدنا أنفسنا في اتجاهين مختلفين، ثم في معسكرين متقابلين قد احتكما إلى منطق الحرب يفصل بينهما!.

ومع ذلك فقد ظلّت العلاقة الحميمة السابقة تتمرَّد على معطيات المواقف المستجدّة، إزاء شخصه لا موقفه أو نهجه: فكأنما كانت تجسد ــ واقعًا ــ بيتين لإسماعيل صبري كان قد لقَّننا إيّاهما في الأيام السالفة:

إذا خانني خلّ قديم وعقَّني ... وفوّقت يومًا في مقاتله سهمي
تعرض طيف الودّ بيني وبينه ... فكسرت سهمي وانثنيت ولم أرم

فلما التقينا.. تبيَّن لنا أن شاعرنا الكبير.. لم يكن في ذلك المعسكر يطالب بعرش، وإنَّما هو الغضب والرفض للأخطاء في المعسكر الآخر ــ معسكره المفترض ــ فكان ردّ الفعل من جنس الفعل نفسه ــ حسب تعبيره، وتقبَّل بصدر رحب نقاشنا له بأن الخطأ لا يعالج بخطأ مماثل، وإنما يواجه بالتصحيح؛ وحركة التاريخ لا تصحِّح أخطاؤها أو انحرافاتها بالرجوع إلى الخلف وإنما بالتقدم إلى الأمام.! ومن أجل ذلك كلّه كان هو الذي قاد ــ داخل معسكره ــ عمليَّة التقارب المستمرة ابتداءً «بمؤتمر أركويت» ثم اللقاء الكبير في مؤتمر «الطائف».. فمؤتمر «حرض» ثم المصالحة الوطنية عام ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م التي أنهت الحرب حيث أصبح عضوًا في المجلس الجمهوري إلى جانب رفيقه القديم الرئيس عبد الرحمن الإرياني رئيس المجلس آنذاك.

والحقُّ أن الشهيد «الزبيري» رحمه الله ــ كان أوَّل من عرف من زميله «الشامي» ذلك؛ فقد ظل يردد عقب عودته من «أركويت» أن «الشامي» لا يختلف عنا.. إنه معنا.. وهو فقط ضد الأخطاء التي نحن ضدها ونحاربها.

على كل حال؛ لقد كان «الشامي» دائمًا رجل المواقف والمفاجآت.. وعنده دائمًا تفسيره الخاص لذلك: تقتنع به أو ترفضه.. فإنه يملكه لنفسه. ويصر على طرحه مقتنعًا به. ومحاولاً الإقناع! «ما علينا»!.

وإنما يعنينا الآن جانب الشاعر من الشامي، وليس أيّ جانب آخر من جوانبه

المتعدِّدة: وهو الجانب الذي ينعدم فيه الخلاف ويسهل عليه الاتفاق ـ كما قلنا آنفًا..

والشامي الشاعر يتسنَّم مكانةً عالية بين الصفوة من شعراء العربية في هذا الزمان: وقوام كل شاعر إنما هو موهبة، يصقلها مران، ترفدها ثقافة تمنح صاحبها القدرة على التخاطب مع أسرار الحياة والنفس؛ تتوافر لها أدواتها الفنية للأداء الرفيع أو الإفصاح البليغ!

وليس من جدال في أن هذه «المكونات» جميعها موفورة لشاعرنا على أفضل ما تتوافر لشاعر من الشعراء؛ فنحن أمام شاعر اتخذ مكانه بجدارة، وأحرز شهرته عن استحقاق.. وسيبقى ـ على التأكيد ـ بين الشعراء المعدودين، لأنه الشاعر الذي كونته مقوِّماته الحقيقية، وليس بالشاعر الذي خلقته طبول الأهواء ومزاميرها. وما أكثرهم في هذا الزمان.

والشعر الذي بين أيدينا شعر كثير لا سبيل إلى دراسته تفصيلاً وإنما تقنع عجالة كهذه بالإشارة إلى خصائصه.. وملامحه الرئيسية فحسب، وفي الحق أن تلك الخصائص إنما تتضح من خلال وضع هذا الشعر بمجموعه في مكانه من ديوان الشعر العربي المعاصر..

وقد استهل الشعر العربي المعاصر يقظته قبل قرن من الزمان. بيد أنَّ عودة الروح إليه قد جاءت على يد البارودي في مصر.. الذي لم يزد دوره على أن نفض عن الشعر غبار القيود التي كبَّلتها به عصور الانحطاط، وأعاد له رونقه القديم، وبلاغته الذاهبة، وكان هذا «القديم» هو «جديد» البارودي، غير أن الجديد الحقيقي إنما بدأ بعملية الإحياء هذه التي كان لسانها العضب الشاعر الفارس نفسه. أي محمود سامي البارودي.

وانتقل الشعر من الإحياء إلى الإبداع، ومن التقليد إلى الأصالة على أيدي شعراء عدّة.. هنا وهناك حتى بلغ ذروته على يد شاعر العربية الأول في هذا العصر: أحمد شوقي.

لقد شغل الشرق كله بشوقي، وتجاوبت أقطار العربية بقصائده الخالدات، ودار في فلكه شعراء عظام كحافظ في مصر، ومطران في الشام والزهاوي والرصافي في العراق، والزبيري ـ وإن تأخر زمنيًا ـ في اليمن..

كان شوقي ظاهرة أدبية كبرى، بلغ بالشعر العربي الذروة التي لا مطمح لشاعر فيما وراءها. . ولا قدرة له على ذلك، وكأنما هو بهذا قد حتَّم على اللاحقين من بعده أن ينهجوا طريقًا جديدًا. .

ذلك كان العصر الذهبي للشعر العربي المعاصر حقًا! وقد خيَّم الصمت بعد شوقي ورفاقه، ثم ما لبث الوادي في مصر أن صحا على أهازيج علي محمود طه، وإبراهيم ناجي، ومحمود إسماعيل وأضرابهم. وترنحت جنبات الشام بالألحان العذاب لأبي ريشة، وبدوي الجبل، وبشارة الخوري وغيرهم[1]. . وارتفع صوت الشابي قويًا برمًا من تونس، وتفتحت الأسماع المغلقة على قديمها في اليمن منكرة حينًا وطربة أحيانًا، وهي تستمع إلى «الشامي» و«إبراهيم الحضراني»، يعزفان على ذات الوتر «الرومانسي» الشجي. . وغير هؤلاء في الأقطار العربية كثير!

بين هؤلاء الشعراء إذن يأخذ الشامي مكانه، والخصائص العامة لشعره هي خصائص شعر هذه المرحلة على الإجمال، وهي خصائص وقفت لها دراسات عدَّة، أعتقد أن من أهمها وأكثرها نفعًا ما كتب عنها الناقد الكبير محمد مندور في سلسلة محاضراته القيمة عن الشعر المصري بعد شوقي التي ألقاها على طلبة «معهد الدراسات العربية العليا» في القاهرة ثم ــ إذا لم تخنِّي الذاكرة ــ صدر في جزءَين بنفس العنوان.

لقد تأثر الشامي عمومًا بشعراء مجلة «الرسالة» الذائعة الصيت البعيدة الأثر في حياة الأدب العربي والثقافة المعاصرة، وبشعر مجلة «أبوللو» الذي استهلَّت به «المرحلة الرومانسية» إشراقها. . ولكنه كان أكثر تأثرًا بالشاعر المهندس علي محمود طه، والشاعر محمود حسن إسماعيل على وجه الخصوص. وانظر إذا شئت إلى قصائده الأولى: «النفس الأول» و«التقينا» و«بين الصخور» «تائياته» اللاحقات في جوانبها الوجدانية.

إن تأثره لا يعني التقليد أبدًا وإنما هو الاقتفاء في الطريقة نفسها: طريقة التناول للأشياء، والإحساس بها، وطريقة التركيب الفني للجملة الشعرية بأسلوب خاص به ومتميز. وهذا في الواقع هو الذي يعطي كل مدرسة طابعها الموحد، القائم على التنوُّع

---

(١) لا نعني بذلك الترتيب الزمني؛ فإن كثيرين من هؤلاء قد وجدوا أيام شوقي، ولكنهم لا ينتمون إلى مدرسته وإنما إلى المدرسة التي بعد شوقي وهذا هو المقصود هنا.

المتعدِّد والمتميز والخاص لكلّ شاعرٍ من شعرائها ضمن إطار من الخصائص المشتركة يجعل منها «مدرسة» كما يُسميها النُّقاد المعاصرون، أو «طبقة» كما كان يسميها النقاد الأول الذين عرفوا تقسيم الشعر والشعراء وفق مقاييس فنية دقيقة تتناول المضمون والشكل معًا ــ إلى طبقات ــ أي إلى مدارس بالتعبير المحدث والمتأثر بالتسمية والتقسيم الغربيين.

خصائص شعر الشامي تتجلّى ــ بوضوح ــ في شعره الذاتي.. ذلك الشعر الذي تسري فيه الروح «الرومانسية» الشجية. تشف عنها لغة شعرية مختارة بعناية، تمنح تلك الروح أو المعنى إيقاعه العذب والشجيّ!

ونحن نذهب بدون تردُّد إلى القول بأنَّ كل شعر لا ينطوي على قدر من «الرومانسية» أيًّا كان انتساب هذا الشعر مضمونًا وشكلاً، هو ــ على الأقل ــ شعر غير جيد، ونجد لنا في ذلك سندًا من المرحوم الدكتور محمد مندور الذي ذهب إلى مثل ذلك في بعض دراساته القيمة للشعر المعاصر.

وأنت واجد في شعر الشامي قدرًا غير قليل من «الرومانسية» التي يخذلها أحيانًا وضوح شديد في الأداء، ولكنك تظل مأخوذًا بتلك الحيرة القلقة أمام المبهم في كثير من قصائده ومقاطعه، وفي أشعاره الأولى على وجه الخصوص؛ إن الشعور بالضياع والانسحاق والحزن الشفاف الذي منح «الخياليين» (الرومانسيين) لذة الألم لتسري في كثير من شعره هذا.. اقرأ مثلاً:

وإذا ما رجعت يومًا، ولا عشـ ـك باق، ولا غديرك جاري
والغصون الجدباء تبكي بصمت والهزارى هشيمة الأوكار
وبقلب محطَّم، وبروحٍ مثقل بالأوجاع والأسرار
نحت تنعى أهلاً وجيران أهل وتبكي دارًا، وأصحاب دار

وقوله في قصيدة: «والتقينا»:

اشهدي يا نجوم كم بتّ في محـ ـراب حبّي أشكو ليالي الفراق
أقلق الليل بالأنين وأبكي وأناجي أطياف عهد التلاقي
لا أبالي مرارة العيش في سجني ولا بالقيود تهصر ساقي

ونسينا ما كان في ساعة الوصـ ـل كأنا لم ننفصم عن عناق
والتقينا.. لكن.. وكفكفتُ دمـ ـعي وخنقت الآهات في أعماقي

وغير ذلك كثير.

وللحب في هذا الشعر نصيب كبير!

ولن يفوت القارىء المتذوّق أن يدرك بوضوح أن شعر الحب هذا ليس من قبيل «الغزل» الذي تعود الشعراء التقليديون على أن «يزينوا» به أشعارهم؛ بل هو «نبض» تجربة حقيقية، و«بوح» معاناة تمور بالأسى الشجي الذي يبلغ به الشعر «الرومانسي» مداه.

ويبدو أن شاعرنا قد مرَّ بأزمتين عاطفيتين قاسيتين ألهمتاه كثيرًا من هذا الشعر.. ولكنَّهما مختلفتان مذاقًا، ومختلفتان نتيجةً كذلك.

تجد عن التجربة الأولى قصائد ليس فيها غضب، وإنما فيها شجىً وحب، فيها ألم كثير وشوق أكثر، وفيها شعور بالحرمان، وتوق لافح إلى تخطّيه، وفيها ــ رغم ذلك كلّه ــ نوع من الرضا لأن الشاعر يعتقد أنه ليس بينه وبينها إلاَّ «هي».

نجد ذلك في «والتقينا» و«تحت صورة» و«هجر ليلة» و«أين صنعاء». وتأتي قافيته المتأخرة وكأنها سعيدة لهذه التجربة التي استمرت أربعين عامًا وفيها يقول:

لا تعذلي دمعه إن غار، أو شرقا وبات يشكو إليك الحزن والأرقا
رفيقة العمر رِفقاً إن بكى.. فله أشجان من فقد الأحباب والرفقا
وأنت وحدك من واسى شبيبته سيّان في القيد، أو حرًّا، ومنطلقا
تصغين إن قال تحنانًا: وإن شطحت ظنونه ذدت عنه الخوف والقلقا
دهرًا يردِّد أشعارًا.. مكرَّرةً؛ لم تسأمي منه تكرارًا ولا نزقا
تهدهدين الأماني إن غفا؛ وإذا صحا ابتسمت بلطف يرحم الحمقا

أما الأخرى: فتجربة متفجرة ليس فيها ذلك الحزن «المستطاب». وإنما الحب اللاّفح، وليس فيها التوق إلى الخلاص من العذاب، وإنما الغضب الجامح، وإنها لتبدو «معركة حب لا قصة محب»، كما تبدو التجربة الأولى، ويبدو أن ذلك كان

لاقتحام السياسة ودوافعها ذلك المحراب، حيث نرى الشاعر موزع القلب بين الحب الذي يدنيه والغضب الذي يقصيه، فكأنما يشير إلى أنه قد كان دائمًا بينه وبينها عارض من سياسة. ألقى ظلاله الكئيبة على هذه العاطفة فحوَّلها إلى لهب يشتعل ويخمد.

وشعر هذه التجربة ــ يدور في فترة زمنية حسب التواريخ التي وضعها الشاعر لقصائده.. تبدأ سنة ١٩٦٣م وتنتهي سنة ١٩٧٣م وهو قد نظمها بين «الرياض» و «بيروت» و «باريس» و «لندن».

والذين يعرفون حياة الشاعر، يعرفون أن هذه مرحلة عاصفة من حياته تميزت منذ البداية باندفاعه في اتجاه لم يكن اتجاهه، واتخاذه موقفًا حسب نفسه مضطرًا إليه. وفي خضم ذلك كان حبّ متفجر كهذه المرحلة كان صادقًا فيه ولا شك، ولكن عوامل هذه الفترة قد ألقت بكلاكلها عليه حتى تركته حطامًا أو كالحطام.

واقرأ: «حب وسياسة» و «هروب الفارس» و «اذهبي» و «كيف أنساها؟» ولعل «نشيد الهارب» على نحو خاص هي أدل هذه القصائد على ما أشرنا إلى كونها من بدائع الشعر العاطفي حقًا:

انطلق.. انطلق على فرس اليأس إلى حيث لا يعيش غرامُ
لا تدر سمعك الغبيّ إلى الخلف؛ فلا موعد، ولا أنغامُ
الهوى مات، والصبا قد تلاشى، والتعاليل.. كلها أوهامُ
انطلق.. واسحق التعاليل؛ فالحب قد احتاجه فباد.. الزُّؤامُ
إنه البغض.. إنه البغض، لا دمعة رجوى تجدي؛ ولا أحلامُ
أجل «عزرائيل» قد أصدر «الأمر» و «أمضى»؛ وصدَّق «الحكامُ»
فانطلق وانفث الغبار على الأوهام؛ وليأكل الضياء الظلامُ
فارس الحبّ قد فشلت، وقد عقَّك فيه حصانه واللجامُ
فانطلق.. وابتعد.. وللحب في قلبك ما تستلذّه الآلامُ
تنهش العمر كالذئاب؛ ليالي ــ عيشه تستجير ــ والأيامُ

* * *

ويشتغل الشعر السياسي والوطني حَيزًا غير صغير من هذه المجموعة الكاملة.. ولعلَّ أوَّل ذلك «رائيته» التي قالها الشاعر عندما «خرج» هو والشهيد الموشكي إلى عدن عام ١٩٤٤م: ثم ما قاله في عدن، وبعد فشل الثورة ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م في المعتقل وهلمَّ جرًا.

ولو ذهبنا نبحث عن «محور» يدور حوله هذا الشعر لوجدنا دون عناء أنه يدور حول «قضايا» ثلاث:

«الحرية، والدستور، والمساواة»

وحيثما رميت البصر في ثنايا هذا الأفق من آفاق الشاعر فستطالعك هذه القضايا على نحو يكاد يكون غالبًا على ما قاله من شعر في هذا الصدد.. وحتى عندما يسبق به غضبه، أو يزلّ به قلمه إلى عنجهية المباهاة بالأنساب والأحساب في ردَّة فعل على الإثارة العنصرية الجاهلية التي جعلته يلتقي أحيانًا مع مثيريها.. فإننا نجده ــ رغم ذلك ــ يرجع إلى نفسه ويخرج بها من تلك الحمأة التي غرق فيها دعاة الإثارة العنصرية على اختلافهم بمثل قوله في «دامغته»:

«حسين» ليس أفضل من «يزيد» إذا لم نعتبر خلقًا ودينًا

وقوله:

هي التقوى يعزّ بها ذووها ويخسأ من يجانبها لعينا

ألا ينتسبُ عذا النَّفس إلى قوله القديم:

أيها الظالمون قد مات عهد الظلم فاستشرفوا نهارًا جديدًا
السلالات قد خَوَتْ بالمساواة، وأضحى الورى عليها شهودًا
إنها حكمة الشريعة تأبى أن ترى الناس سيِّدًا ومسودًا

مع اختلاف الزمان والمكان؛ فقد قال «دامغته» وهو وزير خارجية للملكيين يدافع عن قضية كان هو ــ في الأساس ضدها ـ في حين قال «داليته» تلك تحية للثورة المصرية وهو يومئذٍ في معتقل حجَّة يبشر بفجر جديد للحريَّة، وهو من أشد المؤمنين بمطلع فجرها..

ونحن نشير إلى هذه المقارنة عن عمد، لأن اختلاف مكان الشاعر أو موقعه، مع اختلاف الزمن أيضًا ــ ومع ذلك التقاء المعنى متجاوزًا اختلاف الزمان والمكان ــ إنما هو الدليل على أن هذه القضايا هي «مضمون» شعره الأصيل في كل الأحوال بشكل لا يقبل الجدل من ذي إنصاف.

وتتكرَّر تلك «القضايا» في شعره كثيرًا وبخاصة في مراثيه للشهداء الذين سقطوا من أجلها.. في سبيل الله، ولرفاقه وزملائه الذين تخطفهم الموت من بعدُ.. وفي هذه المراثي لا تجد تلك «القضايا» فحسب. بل تكاد أن تسمع بكاءً شجيًّا؛ كأنما يبكي به الشاعر نفسه مستبطئًا أو مستعجلاً ــ سيَّان ــ ساعة اللحاق..! وهذا هو الذي منح تلك المراثي عمقها الذي جعل زميله الحضراني؛ يتوقف عندها في إعجاب.

وقد زادته الأيام تعلقًا بقضاياه هذه؛ فلا تكاد تخلو له قصيدة من قصائده الأخيرة ــ وبخاصة لزوميَّاته ــ من إشارة إلى واحدة منها؛ كأنما يعتبرها «رسالته» التي استخلصها من حياته الهائجة المائجة، يؤديها إلى الأجيال حتى لا يقع واقع في عنف المراحل التي مرت بها الأمة وتقلَّب في عواصفها الشاعر نفسه.

وربما يحسن الوقوف قليلاً عند شعر المديح في هذه المجموعة: فالشاعر قد حرص ــ كما هو واضح ــ على الاحتفاظ بكل الذي قاله من هذا القبيل؛ على غير عادة الشعراء الذين حذفوا من منشور شعرهم المدائح التي كانوا قد قالوها..!

أين وجه الصَّواب في ذلك؟

سؤال قد يجيب عليه البيت في شعر المديح نفسه.. فأولئك الذين يعتبرون هذا النوع من الشعر قد انقرض فيسقطونه، أو يحذفونه من أشعارهم.. قد يسوِّغ لهم اعتبارهم ذاك هذا الصنيع لاعتبارات فنية، أما أولئك الذين يحذفونه ليحذفوا مرحلة من تاريخهم؛ فلا مسوِّغ ــ فيما أظن ــ لمثل ذلك؛ فإن هذا الحذف اعتداء على واقع بتعلَّق بالتاريخ ولا يتعلَّق بالاعتبارات الفنيَّة وحدها.

وفي هذا؛ فإنني أذكر أن الشاعر الكبير محمد محمود الزبيري قد تعرَّض لحملة مغرضة تولت كبرها ــ يومئذٍ ــ سفارة اليمن بالقاهرة من جهة ــ والدكتور البيضاني في مجلة روز اليوسف من جهة أخرى، قوامها مدائح الزبيري السابقة للإمام؛ فأخرج الزبيري رحمه الله للناس ديوانه الرائع «ثورة الشعر» وانشغل في إحدى مقدمتيه

بالحديث عن مبررات ودوافع تلك المدائح!. ويومئذٍ كتبتُ لمجلة «الآداب» البيروتية بحثًا مطولاً عن هذا الديوان، وذهبتُ فيما كتبتُ عن هذا الموضوع إلى أن المديح في شعر الزبيري هو حجة للشاعر الكبير وليس حجة عليه، فإن ذلك هو دليل «ثوريته»، وآية ريادته في تلك الثورية؛ ذلك لأن الشاعر ابن مجتمعه أولاً، وهو قد فتح عينيه في مجتمع يصلِّي لله عز وجلّ بالقرآن، ولـلإمام بالشعر، فميزة الزبيري هنا أنه «وعى» وتجاوز الواقع فثار، وبانتقاله من مدح الإمام إلى شعر الثورة عليه من أجل الشعب سجَّل ريادته، فامتيازه إذن أنه ثار، ولم يثر الحاقدون عليه، وريادته أنه عاش الواقع الذي عاشه الآخرون فتمرد عليه مستشرفًا واقعًا أفضل، ولو أنه قد وجد في مجتمع ثوري لكان له فضيلة الالتزام، ولم يكن له فضل الريادة، فمدائحه هذه إنما هي الدليل التاريخي الذي يكرِّسه رائدًا لثورة الشعر دون منازع[1]. وأذكر أنه ــ رحمه الله ــ قد اغتبط لذلك البحث عندما قرأه، وقد روى لي صديقنا الأديب الكبير الدكتور عبد العزيز المقالح أنه لمس ذلك منه أكثر من مرة!

ولكن الموضوع لا يتسق هكذا مع الشاعر «الشامي»؛ فنحن نجده قد مدح وثار كزملائه، وكان في وسعه مثل الكثير منهم أن يسقط مدائحه تلك ويبقي «ثوريته»، ولكنا نجده يصرُّ على إثباتها ليس فيما نشر من «دواوينه» الشعرية السابقة فحسب.. بل في هذه المجموعة التي يريدها كاملة وأخيرة، تضم ما سبق أن نشر وما لم ينشر!؟.

أفَمَردُّ ذلك إلى شجاعة تفرَّد بها فلا يريد أن يتراجع عن شيء قاله؟ أم إلى علاقة خاصة بالإمام أحمد تكشفها مدائحه له من ناحية، وثوراته عليه من ناحية أخرى؟.

يبدو لي (وهذا استنتاج خاص يستطيع الشاعر أن ينفيه أو يثبته ما دام ــ أمدَّ الله في حياته ــ ما يزال بين ظهرانينا) أن الشاعر يكنُّ للإمام أحمد عاطفة خاصة لم تغيِّرها حتى السياط التي شوت ظهره في «حجة»! وينطوي على «إعجاب» به، لم يذهب به وقوف الشاعر العنيد ضدَّه؛ فهذا هو السبب الذي جعل من شعر مديحه جزءًا من شعره الذاتي، بما انطوى عليه من حرارة ووجدان... وهو نفسه السبب الذي جعله

(١) ذلك فحوى ما كتبناه.. بالمعنى وليس حرفيًا لأننا إنما نستعيده من الذاكرة.

يحرص على إثباته والإبقاء عليه.. على غير السنة المعهودة التي درج عليها الشعراء الذين قالوا في الإمام مثل الذي قاله، بل وأكثر بكثير مما قال!.

ولكن كيف يتفق ذلك الاستنتاج من واقع علاقاته بالإمام.. التي جعلته على بعد خطوة واحدة وقصيرة من سيفه الطائش العجول؟ وجعلت من ظهره مراحًا ومغدى للسياط القاسية ليالي وأيامًا قاتمة الآفاق والأعماق؟ وفجعته في آماله وأهدافه، وفي أعزّ رفاقه الذين ذهب برؤوسهم الغالية ذلك السيف الذي لا يرحم؟..

زعم لا يتفق والمشهور من ظواهر الأمور!..

ولكنه قد يتفق وطبيعة الأشياء إذا نحن سرنا معها منذ البدء على سنن المألوف من جبلة النفوس..

فمن جبلة النفوس السوية أن تحفظ الجميل، وترعى المعروف.. ومن شيم الإيمان في هذه النفوس أن يتغلّب الحقّ على رعاية المعروف الخاص إذا كانت هذه الرعاية تؤدي إلى إسناد باطل، أو إهدار حق.

لقد نشأ «الشامي» يتيمًا في جو ملائم من قسوة الحُكْم لتنشئة ثوري مثله.. أعطته الثقافة التي زود بها نفسه في عصامية مدهشة مثله ووجهته..! فلما استقر به النوى في مقام «ولي العهد» آنذاك ــ الإمام أحمد ــ كما استقر بآخرين كثيرين في تلك الأيام ومنهم «الموشكي» و«الزبيري» و«نعمان» أولاه «ولي العهد» رعايةً خاصة، عوضته عن حنان الأبوّة التي افتقدها بعمق، وحلّت مشاكل أسرته التي كابدت من العناء ما ناءت به فعلاً.. وهكذا وجد نفسه وقد حلّت مشاكلُه، وبقيت مثلُه: تلك توقظه، وهذه تنيمه.. وكاد ينام على هذا.. حتى هز مضجعه أحبّ رفاقه إليه، وأكثرهم تأثيرًا عليه الشهيد زيد الموشكي رحمه الله.. منبهًا له أن مشاكله ليست هي مشاكل الأمة التي لم تحل.. فاستجاب لنداء الواجب وخرج مع «الموشكي» إلى «عدن» مردِّدًا قصيدته الشجية:

غريب يجوب الأرض والليل سادرُ ... ولا هاديًا إلَّا النجوم الزواهرُ
وفي قلبه مما يكنّ معارك ... نوازع يطغى شرها، وخواطرُ
ومن حوله الأخطار تَسْري رهيبةً ... تطارحه أوهامه، وتحاورُ

وتنشـر أشـواك الأسى في طـريقـه فيـا ويحـه.. كم يتّقي ويحـاذرُ..

هو لم يفر إذن.. ولكنه «خرج» على الظلم.. وهو لم «يخرج» عن خوف ولا تهديد، ولا نقمة على شيء أراده فلم ينله، ولا ضيقًا بمشاكله الخاصة؛ لأنها كانت جميعها قد لقيت حلولها السعيدة.. وإنما خرج «استجابة» لنداء «مثله» مهاجرًا من أجل قضية؛ مضحيًا بخصوصياته من أجل شعب في هدى مبدأ، وبرفقة شهيد.

وهذه ميزة له يستطيع أن يجيء بها كلما أصرَّ خصومه أن يعدُّوا عليه كل زلّة، ويحسبوا كل خطأ من أخطاء اللسان في القول، أو زلات القدم في العمل.

هاجر الشاعر إذن؛ مستشرفًا بفكرة المجهول الذي يقدم عليه مناضلاً ومكافحًا؛ وهو يضرب بقدمه الأرض المزروعة بالصخور والأشواك في ظلام الليل، ولا يدري من أمر يومه ولا غده شيئًا.. وقلبه يتلفت إلى الدفء والدعة والأمن التي خلفها وراءه ويلحّ عليه نداؤها.. فلا يشدّ من عزيمته إلاَّ ذلك النداء القدسي الخالد: نداء المبادىء العليا التي يعلو صوتها الجليل على كل صوت من نوازع النفس وهفوات الأهواء.

وقد امتحن في «عدن» بالمرض حتى أشرف على الموت.. وبالفقر حتى تعثرت رائحة الجوع بين شفتيه، وبالاضطهاد.. حتى لم يجد نورًا ولا ماءً.. ولا سريرًا ينام عليه..! وبالخيبة الأقسى من كل ذلك في بعض من «خرج» معهم «لا ناقمًا» و«لا خائفًا» بل مجاهدًا.. فرأى ما رأى.. مما لا يتلاءم ودوافع الخروج والجهاد، فلما فشلت التجربة، وانفرط عقد الحزب الذي كونوه.. وعاد نتيجة لذلك عبد الله علي الحكيمي وزيد الموشكي، ومطيع دماج، وعبد الله أبو راس وغيرهم.. عاد الشامي.. وقد عقد العزم هذه المرة على أن يجمع بين مبادئه ومصالحه، بين رعايته لمن أسدى إليه المعروف، وأحسن استقباله بعد عودته، وبين وفائه لمبادئه التي ضحّى من أجلها[1].

---

(١) وأنشد قصيدته المشهورة «رحلة» ومنها هذان البيتان اللذان يصوران موقفه:

خلّه يخلب النّهى ببيانه ويناجي آماله بلسانه..
دعه يبكي أحلامه بدموع عصرت من شعوره وجنانه

وهي طويلة: وفيها هذه الأبيات التي لا ندري هل تعمَّق الإمام أحمد في معرفة ما وراءها ولكنَّه تغاضى؟ أم أن نشوة الفرح بعودة الشاعر وزملائه، وما في القصيدة من تمجيد قد صرفته عن ذلك؟ =

وكأنه قد بدا له أن مبادئه وأهدافه ستحقِّق إذًا هو أناطها بولي العهد! وحاول أن يحمل الآخرين على الإيمان بمثل ما آمن به!. أي أنه بدأ التجربة التي انتهى منها «الزبيري»[1] وقد اندفع «الشامي» في هذا المضمار «الجديد» سعيدًا؛ يجني ثمرة الوئام النفسي الذي صنعه لنفسه لكن حركة المعارضة في الداخل كانت تزحف نحو اليقين الثوري وترجمته إلى عملٍ منظم يوشك أن يزلزل بجلبته أركان الهيكل المتهيِّىء للتداعي والسقوط.. ثم.. ما لبث أن قدم إلى «اليمن» المجاهد العظيم الفضيل الورتلاني، فنسف ذلك الوئام المصطنع في نفس الشاعر، ووضعه بدفعة واحدة في قلب الثورة الهادرة.

واندفع شاعرنا بكل قدرته وشاعريته وشبابه، وأدَّى أدوارًا تتجاوز المأمول من سنه وتجربته، منتشيًا كما انتشى سواه.. من شيوخ وشباب بعظمة ما انطوت عليه الثورة الخالدة، ثورة السابع من ربيع سنة ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م.

وفشلت الثورة..

وانتهى المطاف بشاعرنا إلى السجن مع العشرات من قادة الأمة وعلمائها ومثقفيها.. وأخذت رؤوسهم الكريمة تتساقط فيرتفع مع سقوط كل رأس عمود من النور يضيء طريق المستقبل لأمة تهيأت للنهوض..

وأيقن أنه مستشهد لا محالة.. ألم يذهب السيف بمن كان أقل دورًا في الثورة منه؟ ألم يكن هو الذي احتل «الإذاعة» وكان هو الذي أعلن نبأ قيام «ثورة الدستور»؟ ألم يكن صوته هو آخر صوت يسمع في راديو «صنعاء» قبل سقوطها بساعات؛ ويعلن النضال حتىٰ النفَس الأخير؟ ألم يكن هو ــ بين أدوار وأعمال أخرى ذات خطر ــ

= والأبيات تصوِّر موقف الشامي تصويرًا دقيقًا:

أنا كالعابد الذي هجر الكون ... وأمدي ولّج في نسيانه
أثخنت قلبه الجراح فتيًّا ... وغرور الشباب في عنفوانه
كم صروف قاسيتها، كم ظروف ... كنت فيها كالميت في أكفانه
كالذي يغسل الظلام عن الأرض بدمع يسيل من أجفانه..!
أو كمن يعلن الكفاح؛ ولا يملك من قوة سوى إعلانه..؟!

(١) انظر «اليقين الثوري» مقدمة ديوانه «ثورة الشعر».

السكرتير العام لمجلس وزراء الثورة، وناسخ ميثاقها بخطه المعروف؟ ألم يكن رأسه ــ بعد كل حساب ــ هو المطلب الذي ألحَّ عليه الكثير من الأمراء والوزراء، بل وبعض الشعراء؟!

بلى.. ! وأقلُّ من ذلك ــ في منطق الحكم الفردي ــ كان كافيًا.. لإرساله إلى «المقلصة» دون إبطاء! ولم يكن ذلك هو يقينه وحده بل يقين كل من حوله.. ولكنه لم يرسل.. !

صحيح أنه قد ضرب بالسياط أيامًا متعاقبة ليفصح عن أسرار للثورة لم يتمكنوا من معرفتها، ومفتاحها بيده، فأبى أن يفصح عمَّا يعلم من ذلك مؤثرًا الشهادة.. مرددًا كلما عاد من التحقيق ملتهب الظهر من أثر السياط نشيده الجميل الذي نظمه في ذلك المعتقل وفي تلك الأيام:

بالأمة نقسم والجمهور ... والعزّة والقدر المقدور
وبما في مصحفنا مسطور ... أن نطلب «لليمن» الدستور
سنحاربُ كي نحيا سعدا ... ونضحّي بالأرواح فدا
بدماء الأحرار والشهدا ... سنحقِّق لليمن «الدستور»
وشباب «الشورى» و «الميثاق» ... ملأت أصواتهم الآفاق
كل يشدو جذلاً مشتاق: ... تحيا الحرية و «الدستور»

ولكنه ــ مع ذلك، ورغم يقينه ــ لم يقتل.. !

لقد استبقاه الإمام إذن.. وأسرها الشامي في نفسه.. وحفظها له.. حتى أفصح عنها بعد سنوات طوال مخاطبًا الإمام:

فدتك نفسي التي أحييتها كرمًا ... وصنت عزَّتها بالجود مدرارا

بعد هذا أترانا على صواب فيما ذهبنا إليه من رأي واستنتاج في هذا الموضوع. أم أن شعر المديح هذا إنما كان كشعر غيره وسيلة يتوسل بها المادحون إلى الخلاص من السجن وبخاصة، وليس للشاعر إلاَّ قصيدتا مدح فقط بعد خروجه من السجن، على الرغم من عمله في حكومة الإمام أحمد فيكون إثباته لهذا الشعر على هذا من قبيل عدم التنكر لشيء قاله؛ تاركًا لمن شاء الهجوم عليه، ولمن شاء الدفاع.

وسواء صحّ هذا أو ذاك؛ فإن ذلك لم يحجب قط ولاء الشاعر الحميم للقضايا التي ناضل من أجلها، ولا حمله على كبح شاعريته عن مواصلة حدائها الوطني الجميل: فإن هذه المجموعة لتزخر بألوان من هذا الحداء تجعل من شعره على الدوام شعرًا وثيق الصلة بقضايا مجتمعه كما آمن بها هو.

إن هذا الولاء الفني الرائع قد بلغ عنده الذروة في «إلياذة» كاملة من الشعر كرسها لذكرى الثورة الخالدة ومصارع شهدائها.. أي «إلياذة من صنعاء»، ولم يحشرها في مجموعته الكاملة هذه، لأنها من الضخامة ووحدة الموضوع بحيث تظل «ديوانًا» قائمًا بذاته.. وهي الوحيدة ــ فيما نعلم ــ إلاَّ ما نشر أخيرًا للرئيس ــ العلامة الشاعر عبد الرحمن الإرياني «ملحمة حجة».. على أن ملحمة الإرياني قد ركزت على مأساة الشاعر نفسه مستعرضًا من خلال ذلك بعض مشاهد المأساة، ومشيرًا إلى بعض أحداثها، بينما ركزت «إلياذة الشامي» على الحدث الضخم نفسه؛ واقفة عند مصارع شهدائه؛ مشيرًا من خلال ذلك إلى مأساة الشاعر نفسه.

ولأن هذه «الإلياذة» ليست ضمن هذه المجموعة.. فإننا لا نتعرض لها من حيث إنها أثر فني، وإنما نكتفي بالإشارة إليها.. من حيث موقعها من نتاج الشاعر وحياته ودلالتها على دخائله النفسية ونوازعه الفكرية. ومواقفه التي أفصحت عنها تلك «الإلياذة» فأبلغت الإفصاح..

إن «الشامي» لا يقبل العزلة على ما عنده، ولا يكتفي بذلك لأنه ذو عقلية مفتوحة؛ لهذا لم يقف من «القصيدة الجديدة» موقف العداء أو الرفض، بل أقبل عليها إقبال المتمكن؛ بل ذهب إلى القول أنه وزميله الحضراني قد سبقا إلى هذا النوع من الشعر.

ومهما يكن من أمر. فإن المؤكد هو أنه قد استقبل القصيدة الحديثة بحفاوة بالغة بالغة واقتحم حلبتها بثقة ملحوظة في نفسه، وفي هذا الشعر ذاته، و«القصيدة الجديدة»[1] قد جاءت أساسًا مع نشوء «الواقعية الجديدة» في الأدب العربي، وهي

(١) نحن نفضل تعبير «القصيدة الحديثة»: وليس «الشعر الحديث» لأن الشعر الحديث يشمل كل أنواع الشعر، وإنما «القصيدة الجديدة» هي التي تميز مضمون وشكل هذا النوع من الشعر المقصود: فهي تسمية أكثر دقة.

واقعية ذات مضمون اجتماعي بالدرجة الأولى، وشعراؤها البارزون قد حبسوا تحليقهم في هذا الأفق.. إلاَّ ما كان من أمر السياب (شاعر القصيدة الحديثة غير منازع في رأينا) فإنه قد جعلها تتسع لأغراض الشعر عامة وحلق بها في جميع آفاقه.

ونشر شاعرنا جناحيه في هذه الآفاق فوفق أغلب الأحيان، وأخفق أحيانًا.. إلاَّ أنه قد استخدم هذا الشعر «رومانتيكيًا». وكما نقل صديقنا الشاعر الشهير عبد الله البردوني كثيرًا من قاموس «القصيدة الجديدة» إلى القصيدة العمودية بنجاح؛ فإن «الشامي» قد نقل قاموس «القصيدة الرومانسية العمودية» إلى «القصيدة الجديدة» وبنجاح كذلك، فأثبت الشاعران الكبيران ــ بذلك ــ أن الجمود في الفنّ على نظرة محددة الحكم سلفًا هو أمر لا يتفق وطبيعة الفن نفسه.. الذي هو كالنفس الإنسانية التي لا يمكن «ضبط» أبعادها بدقة الأرقام الرياضية..

على أنني تروعني ــ في اجتماعياته وسياساته قصيدته:

«حاملو التابوت».. إنها إحدى «القصائد» المفجعة القليلة. المستوفاة التي يبرهن بها على صلاحية القصيدة الجديدة:

يا حيرة «التابوت» ضلَّ حاملوه..
وضيَّعوا معالم الطريق..
وظلمات اللَّيل قد تواثبت..
من كل فجّ.. موحشٍ عميق.
والخوف أشباح تحوم..
على مشارف الوادي السحيق،
و «زمرة الأجداث» في انتظار،
للزائر الصديق..
والعفن «المسلول» في انتظار،
يرتقب «التابوت»..
في كهفه العتيق.

وينسج البلى . . على هياكل «الرقيق»!
حتّى «وحوش» القفر . . و «عقارب» السهول . .
حتى «الأفاعي» . . و «عناكب» الكهوف . .
الكلّ في «انتظار»
وفي «احتفال» . . جائعين «للجدث» الجديد . .
للزائر الصديق .
و «التائهون» بين أدغال الظلام . .
حائرون . .
و «حاملو التابوت» . . ضائعون .
في الظلمات يعمهون
والموت والأجداث في انتظار . .
وعناكب الفنا، والعفن «المسلول» . .
ترتقب الطريق ، ، في ملل وضيق .

وما دمنا قد تطرقنا إلى هذه الزاوية؛ فتجدر الإشارة إلى أن الشاعر الشامي قد سبق له أن كتب شعرًا خاصًا من «القصائد الحديثة» قرأتها له في سجن حجة ــ وما زلت أتذكرها ــ قبل أن أقرأ مثلها لأي شاعر عربي آخر . . وهي هذا اللون من القصيدة القائمة على «التدوير» بشكل مستمر ومحافظ على الإيقاع . . حتى ينتهي المعنى، دون تقيد إطلاقًا بالبحر مع الالتزام بالروي الذي يحفظ على «المقطع»، وعلى الأداء عامةً «موسيقيته» . . دون خروج على هذا الروي في المقاطع التالية . . اقرأ:

مسكين . . ذاب هوى وذاب صبابةً . .
في حبِّ من لا يستجيب، لصوته الباكي . .
ولا يحنو عليه، ولا يرقّ . . لذائب الدمع السخين . .

* * *

في الحبِّ . . ضيَّع عمره . .

يجري . . وراء فراشة الحلم الغرير . .
ثم استفاق على فحيح اليأس . .
وهو بهوة البلوى . . سجين .

إلى آخرها . . وقد أصبح هذا النوع ــ على نحو قريب أو مماثل ــ متداولاً اليوم وفارسه السباق في بلادنا صديقنا الشاعر الكبير الدكتور عبد العزيز المقالح . .

ولم يكتف الشامي بذلك . . بل اندفع إلى كتابه «قصائد حديثة» «ملتزمًا فيها ما لا يلزم» . . ! كأنما قد فرغ هذا النمط الحديث من الشعر من تثبيت وجوده، ولم يبق إلاَّ أن يبرهن على قدرته على مجاراة النمط القديم حتى في «لزوم ما لا يلزم» . . ولا أرى في ذلك طائلاً أن تكون رغبة الشاعر في استعراض ثروته اللغوية، وقدرته البيانية، وإلاَّ فإن «القصيدة الحديثة» ليست إلاَّ تمردًا على قيود النمط القديم، ورفضًا للانحباس المطلق في قوالبه؛ بابتداع قوالب جديدة ذات ضوابط فنية ملائمة لدور الشعر كما يتمثله شعراء القصيدة الجديدة. وإذا كانت «القصيدة القديمة» تعتبر «لزوم ما لا يلزم» إيغالاً في تقييد الشعر فترفض «الالتزام» به. أفيكون من المقبول أن يأتي الشاعر الشامي ويجعل من شعر التمرد أكثر خضوعًا للقيود من النمط القديم نفسه؟ .

ما أظن «الشامي» قد أحسن إلى «القصيدة الحديثة» بهذا: عن عمد أو غير عمد، ولعل الناظر في ذلك يذهب إلى أنها «مكيدة» «شامية» لهذا الشعر . . فلا يكون قد أخطأ فيما ذهب إليه. لأنه سيعثر على الدليل على ذلك في اعتذار «الشامي» لأبي العلاء المعري في مسرحيته الشعرية: «محاكمة في جنّة الشعراء» عن هذا النوع الجديد الذي عزف على أوتاره مع العازفين . . فهل تراه صادقًا في الاعتذار . . أم تراه راجعًا عنه إلى متاب؟ .

لقد قيل: إن الكاتب هو ما يكتب . . والشاعر ــ على ذلك ــ هو شعره . . وهذا القول يصدق على شاعرنا تمامًا؟ فإن شعره مرآة نفسه يعبِّر عن أطوار حياته ومواقفه ويتعامل به مع الواقع لحظة مواجهته له، وليس بمقتضى نظرة سابقة ومحدَّدة . . ولهذا تعدَّدت أغراض هذه المجموعة تعدّد مناحي حياة الشاعر نفسه: والمهم أنه في كل تلك الأغراض ظل محتفظًا بالسمات والخصائص ذاتها . . فمن حيث «المضمون» ظل مشبعًا على الدوام بذلك الشجي «الرومانسي» الحزين والشفاف، في كل حالاته

على الإجمال.. ومن حيث «الشكل» ظل محافظًا على اللفظة المنتقاة، والتركيب الفني الملائم للمعنى، والأداء البليغ في وضوح يقترب أحيانًا كثيرة من «التقرير». وهو في عموم شعره لا غموض فيه، ولا إبهام، وهو في هذا يعرض قدرة الشاعر اللغوية وثقافته البيانية التي وظفها في خدمة موهبته الشعرية فأحسن التوظيف. واحتل كرسيه المرموق بين شعراء العرب.

في هذا الشعر رصانة ستدركها، وفيه عمق كذلك؛ وفيه استبطان للنفس الإنسانية، وفيه أيضًا نزق وعنف، وفيه عمق كذلك؛ وفيه أحيانًا دفاع عن باطل.. ومثل كل شعر غزير.. ومثل كل شاعر عملاق فيه تحليق وفيه إسفاف. نكتفي بالإشارة إلى كل ذلك دون الوقوف عنده.. لأن تلك هي مهمة الناقد الذي سيدرس هذا الشعر ويقوِّمه.. وما يعيب شاعرنا قط أن تكون له هنات؛ فلقد أحصى النقّاد على أكابر شعراء العربية ما يعرفه مثله، وفي طليعتهم «المتنبي» و«شوقي»، ومع ذلك فإن تاريخ الأدب مشغول بجيدهما.

ولست أدري أأحسن الشاعر أم أساء بنشر كل ما قاله حتى أشعار المناسبات العابرة التي ليس فيها جديد ولا إبداع؟

إن شاعرنا ــ كما يعرف قراؤه ــ يلح في انتقاد الآخرين على ضرورة التنقيح والمراجعة، ويشجّع بل يدعو إلى إسقاط ما يجب إسقاطه.. فلم إذن لم يطبّق ما يراه إحدى الضرورات الفنية على نفسه؟ أهي الرغبة لديه في أن يقدِّم نفسه في مجموعته الكاملة ــ كما هي ــ كأنما يقول: هأنذا؟. أم هي ثقة مفرطة بالنفس؟ أم تضحية بها حيث يعرض صحيحها وسقيمها على حد سواء؟.

تمنيتُ لو أنه لم يفعل...

ولكن.. هل إلى الكمال المطلق من سبيل؟

قاسم بن علي الوزير

١٠ محرم ١٤٠٣هـ
١٩٨٢/١٠/٢٧م

مُقدّمة المقدّمات

قالوا: أحكم الحكماء، وأشعر الشعراء، كما قالوا: أغفل المغفّلين، وأكذب الكذّابين، وسميتُ إحدى قصائدي «دامغة الدوامغ» مبالغةً وتباهيًا، ولما أردتُ أن أقدِّم لديوان شعري، الأعمال أو «الآثار لكاملة» كتبتُ بعد أن قرأتُ مقدِّماته: «مقدمة المقدِّمات»، وأنا لا أعني المبالغة، أو المباهاة، بل «الحقيقة».

فهذه «المقدمة» أكتبها بين يدي «مقدمات» دواوين شعرِي الذي نظمته خلال أربعين عامًا، ونشرت معظمه، وجمعته، وما لم ينشر في هذا الديوان، وسميتُه «ديوان الشامي».

لن أستيطع أن أضيف شيئًا عن الشعر والشاعر. . ولن أطرف بجديد إلَّا إذا قلت: «إنه شعر لا يستحق النشر» لأنَاقِضَ ما قلتُه في مقدمة. «النفس الأول» منذ ثلاثين عامًا، وهو ما لا يمكن أن أقوله. .

غير أن في إمكاني أن أذكر ما ساءلتُ به نفسي، حين قرأت قولي في تلك «المقدمة»: «فما أنا براضٍ كلَّ الرِّضا عن شعري ولا أدري متى سأتمكَّن من إبداع الشعر الذي يرضيني. !»؟

«في أعماقي شعرٌ، ولكنَّه شعرٌ جديد على عالم الشعر المعهود، والجملة البيانية التي في قلبي أسمى من كل تعبير».

«والكلمة الكبرى. . ما برحت مُعَشْعِشةً في حنايا روحِي».

لقد ساءلت نفسي: وهل أنت اليوم راضٍ كل الرضا عن شعرك؟

وهل أبدعت شعرًا جديدًا؟ وهل نفثتَ بالكلمة الكبرى؟ أم لا تزال معشعشةً في حنايا روحك؟

ولقد كان الجوابُ: نعم! لا تباهيًا، ولا لأنه لم يكن في الإمكان أبدع مما كان، ولكن لأنني حقًّا لا أستطيع أن أقول إلاَّ ما قد قلتُه، وقد حاولتُ الإجادة جهدي، وأنا راضٍ ــ كل الرضا ــ عن «لزوميّاتي» وما نشرتُه في «حصاد العمر» و«بنات الخمسين»، أو ما ترنمت به «مع العصافير في برومليّ»، أو ناجيتُ «الأطياف»، ولم يبق مُعَشْعِشًا في حنايا روحي إلاَّ الاستغفار من زلّات القلم وشطحات اللسان. أناجي به شفق الأصيل، وتباشير الصباح في دياجي الأسحار.

وأريد أن أنبه إلى أن ما بين دفتي هذا الديوان هو جلّ شعري لا كلّه، فمن شعر الصبا قد أحرقتُ ديوانًا صغيرًا اسمه «دموع وأنات»، خوفًا من الاعتقالات التي طمّت موجتها صنعاء في شتاء سنة ١٣٦٠هـ/١٩٤٢م، ولكنّي لا آسف عليه، فكل قصائده حماسيّة، لم أكن فيها رصيناً بل ناقدًا متحاملاً متطرِّفًا.

وقد اطّلع عليه أستاذي الشاعر عبد الكريم الأمير ونقح بعض قصائده، وقرأت بعضها على الشاعر أحمد المعلمي، كما أن بعض المراثي التي أنشأتها في سجن «حجة» قد ضاعت ومنها ما آسف عليه مثل قصيدتي في الأمير إبراهيم بن الإمام يحيى حميد الدين ومطلعها:

اللَّهُ أكبر مات إبراهيمُ فانهدّ ركنٌ للفخار عظيمُ

وأخرى في أخيه الأمير يحيى، وثالثة في الإمام عبد الله الوزير. وقصيدة ميمية طويلة في مأساة «الجندي المجهول» علي حمود.. وأذكر أنّي عندما أمليتُها على الزَّميل العالم الشاعر عبد الرحمن الإرياني أظهر إعجابه بها، وقال: «يحق لي أن أتوقّف الآن عن البتّ فيمن يستحق لقب شاعر اليمن»! ومن الغريب أنني لا أتذكّر الآن حتى ولا مطلعها، ولا أدري هل تستحق الأسف أم لا.!

ولي قصيدة «رائية» طويلة قلتها قبل ثورة الدستور وأنشدتها في حفلة تكريم أقيمت للأستاذ الفضيل الورتلاني بصنعاء سنة ١٣٦٧هـ/١٩٤٧م ومطلعها: «أفقْ يا فؤادي وانتعشْ بالبشائِر» ومنها:

بني وطني، هذا الفُضيل أتَت به إلى سفحِ صنعا معجزات المقادر
أتى لا ليحْظى بالمديح، وإنما ليهديَ أربابَ النهى والبصائر

ولقد رأيت «الفضيل» يهتز طربًا عندما قلتُ:

ولـو علموا مـا يبتغي، وهو جَـلّ أن ... يُقـالَ ويُسْمَى لاهْتـدى كـلُّ حـائِـر
ولانتعشتْ بشـرًا مُنى كـلّ ثـائـر ... ولارتقبت نصـرًا جبـال «الجـزائـر»!
وصـافح حـرٌّ في «الربـاط» شقيقَـهُ ... «ببغداد» أو في «مصر» أو في «المعافر»
ومـا بيننـا من بعـد أوشـاجِ ديننـا ... وأنْسـابِنـا، إلَّا اتحـاد المصـائـر

وقد ضاعت بين ما ضاع من كتبي وأوراقي.

ولي «مسرحية» سمّيتها «جحيم الغيرة» وهي مأساة تشبه مأساة «عطيل» فصولها الثلاثة في خمسمئة بيت، وقد ضاعت في حقيبة «ثياب» ما بين لندن وباريس سنة ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م وأظنها مما يؤسف عليه، وقد أثبت بقاياها في هذا الديوان.

هذا، وأمَّا ما مزَّقتُه أو أحرقتُه من أشعار النزقِ والمجون فلا آسف عليه، لأني فعلتُ ذلك تائبًا مستغفرًا، وعلى كلّ فهذا الديوان! هو جلّ شعري إن لم يكن كلَّه، وقد رتبتُ قصائده حسب تواريخ نظمها وليس حسب المواضيع أو القوافي، فهو كالغابة الطبيعية تتهادى فيها زهرة الياسمين، في ظلال النخلة السحوق، وشجرة الطّلح، إلى جانب شجرة الزيتون، ولا أعرف ديوانًا لوحظ فيه هذا الترتيب ولا شاعرًا توفَّق في أن يضع لكل قصيدة تاريخًا عند إنشائها أو نشرها قبل هذا الديوان! وذلك من الصدف العجيبة، إذ لم أتعمدها تحسبًا لنشرها في مثل هذا الديوان.

ولا شك أن من يهتم بتاريخ اليمن السياسي والأدبي في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري «العشرين الميلادي» سينتفع بهذا الترتيب، ويتعمّق في معرفة الأسباب وراء الأحداث، ولا سيما إذا قارن ما في هذا الديوان بما ذكرته من تفاصيل في «كتاب حياتي». «رياح التغيير في اليمن».

وأستغفر الله من كل خطأ وقع فيه قلمي، أو زلل تقحَّمتهُ لساني وأسأله الهداية والعفو وحسن الختام.

أحمد بن محمد الشامي

بروملي: ١٧ جمادى الآخرة سنة ١٤٠٢هـ
١١ أبريل سنة ١٩٨٢م.

النفس الأول

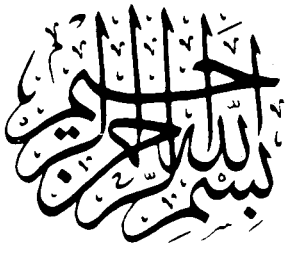

الإهداء

إلى شعراء الشباب
من أبناء وطني العزيز

أحمد بن محمد الشامي

مُقدِّمة الدِّيوان

بقلم الشاعر الأديب: إبراهيم بن أحمد الحضراني

يجدر بي ــ وأنا أكتب أول مقدمة لأول ديوان يطبع لشاعر يمني حديث ــ أن ألمَّ إلمامةً قصيرة بتاريخ أدبنا المعاصر.

إلى ما قبل عشرين عامًا. والفكر اليمني يغط في نوم عميق إذا استثنينا تململاً لا يكاد يذكر ظهر في أدب الطليعة الأولى كالقاضي يحيى بن محمد الإرياني والقاضي عبد الكريم مطهر رحمه الله والقاضي أحمد الحضراني الذي لا يزال يساير أطوار الأدب فيتأثر بها ويؤثر فيها. . . ولكن أدب هؤلاء ومن على شاكلتهم بقي مشدودًا شدًا محكمًا إلى عجلة الماضي، زد على ذلك أنه لم تصحبه دعوة إلى التجديد فبقيت أصواتهم خافته لا تكاد تجاوز آذانهم.

فما هو إلاَّ أن قدم إلى اليمن بعض أبنائها الذين عاشوا مدَّة من الزمن في البلدان العربية الأخرى فحملوا إليها ما تأثروا به من الاتجاهات الفكرية الحديثة. كما أن المطبعة من جهة أخرى بدأت تغزو مجتمعات اليمن بالكتب والجرائد والمجلات، فتكوَّنت آنذاك طبقة ممتازة يرأسها السيد النابغة أحمد عبد الوهاب الوريث الذي كان رئيسًا لتحرير مجلة الحكمة اليمانية رحمه الله ورحمها (توفي سنة ١٣٥٨هـ).

ولكن هذه الطبقةَ بقيَتْ متأثرة بنوعٍ خاص من التفكير لا يتعدى الناحية الاجتماعية والتاريخية وشيئًا من السياسة قليلاً.

وكنتيجةٍ لهذه الحركة نجمَ عددٌ من الشعراء يصح أن نسميهم شعراء (العلا والمعالي) ــ ولن أنسى ما ساهم به جلالة (الإمام الناصر) في تكوين هذه الطبقة، وأذكر مرةً أنه برم بما كان يقدَّم إليه من قصائد المديح، فقال مخاطبًا لمن بحضرته من الأدباء والشعراء وهمُ الصفوة المختارة في البلاد:

ما الشعر إلاَّ ما حوى ... روحًا به تحيا الشعوب

وبلغ هذا الاتجاه الشعري أوجه على يد الشاعر محمد محمود الزبيري.

وكان الزبيري مأخوذًا إلى حدّ كبير ببطولة جلالة «الإمام أحمد» ورجولته المثالية وصفاته الكريمة، وبهذه الروح جعل ينظم الشعر ويلقيه بين يدي جلالته لا باقات من الزهور، ولكن مواد متفجرة ينخلع لها فؤاد الجبان:

عليَّ أن أخلب الألباب محتكمًا ... كما تحكَّم في الأعناق بتّارُ
وأن أقيم لك الدنيا وأقعدها ... حتى تكون كما تهوى تختارُ
وأن أصوغ لهذا العرش أجنحةً ... من القوافي عليها العرش طيّارُ
فضع دعائم هذا الملك في كلمي ... فإنها كالرَّواسي ليس تنهارُ

كما كان «الزبيري» معْنِيًا بزخرفة الجملة البيانية كقوله يخاطب جلالة الإمام يحيى رحمه الله:

من نور هذا المحيا يشرق العيدُ ... ويعبق المجد والعلياء والجود
ما للمحاكم تستفتي أهلتها ... وأنت يا «سيد الأقمار» موجود؟
ما أنتَ إلاَّ «شعاع الله» جاء به ... من غرة المصطفى آباؤك الصيدُ
وضعتنا في «يد الرحمن» فارتفعتْ ... بنا مكانًا سوانا عنه مطرودُ
صدّيت عنا جحيم الغرب إذ فتحتْ ... فما تذوب به الأمصار والبيدُ

ومن الجدير بالذكر ــ أن كثيرًا من النقاد يرون أن شاعرية «الزبيري» فقدت شيئًا من قوتها بعد أن ابتعد عن هذا الوسط.

بينما كان «الزبيري» يستأثر بإعجاب الناس ــ كان اثنان من الشباب ــ لا ثالث لهما ــ ينظران إلى هذا النوع من الأدب نظرًا فيه شيء من الريبة والشك، ويعتبران حصرَ الشعر في هذا النطاق الضيِّق وحده خنقًا لروحانيته المطلقة وتحديدًا لنفحاته القدسية المنطلقة، وكانا قد تأثرا بمطالعات خاصة أهمها ما كان يُكتَبُ في مجلة «الرسالة» المصرية (القديمة) عن الأدب، وما كان يُنشر فيها من الشعر ــ وراحت نفساهما تنفتحان لكل ما في هذا الوجود من جمال وجلال.

كان أحد[1] هذين الشابين صاحب «النفس الأول» صديقي الشاعر السيد أحمد بن محمد الشامي، فلقد كان ينظم الشعر آنذاك على نمط لم يستسغه المجتمع بعدُ، فلم يُعهَد من قبله أنّ شاعرًا يمنيًّا نظم في أغراضٍ مختلفة تحت عناوين خاصة كالآتي:

«أنَّةُ قلب» و «دموع الغريب» و «بين الصخور». إلى آخر ما كان ينظمه صديقي في ذلك الحين.

إذن فصاحب النّفس الأوّل هو في القمة من هذا التدرّج، واليمن إذ تقدّمه تقدم نهايةَ ما وصل إليه نموها الفكري والأدبي الحديث.

ولْنَطوِ تاريخ شاعرنا منذ بدأ يقول الشعر إلى الآن ــ على ما في تاريخه من عظات وعبر ــ ونكتفي بما قد سنجده في ديوانه هذا من صدى لحياته الصاخبة، ونفسه الملتهبة، وخياله الوثّاب.

سنجد ذلك ــ ولكن بعد لأي ومشقّة ــ في قصيدة «التقينا» وفي «دموع سجين» وفي «النور الشهيد» وفي غير ذلك من الشعر الذي تأتى للشاعر أن ينقل لنا فيه شيئًا من خوالج قلبه، ورعشات نفسِه، وما الشعر في نظري إلاّ براعة في نقل خوالج القلب ورعشات النّفس.

على أن في الديوان ما هو من وحي المناسبات والظروف، صاغه عقل سليم ــ ورأي رصين، وذاكرة هاضمة ــ وهو صورة ناطقة لاهتمام الشاعر بالقضايا العربية العامة وتجاوب روحه مع أمانيها واقرأ «عيد استقلال لبنان» و «اليمن تكرم لبنان» و «دمعة على الثعالبي» تجد مثالاً حيًّا للروح العربية المؤمنة.

أما قصائد المديح فهي جيدة الأسلوب، حسنة السبك سامية المعاني، عليها مسحةٌ من التجديد ويُعْجبني فيها شعر المناجاة والاستعطاف ذلك الشعر الذي يعلّمنا كيف تخاطب القلوبُ القلوب وتناجي الأرواح الأرواح، واقرأ «ضراعة سجين» و «وحنانًا أمير المؤمنين» و «إلى مفخرة العرب» وغيرها.

---

(١) أما الثاني فهو كاتب المقدمة إبراهيم الحضراني.

أما الناحية الاجتماعية بكل فروعها فإن في نفسه طاقة يعجز الشعر عن حملها، وقد تحدَّث عنه حديث المتحكم فيما يقول، لأنه قد عرف الكثير من تقلبات الأيام، فبلا الشدّة والرخاء، وعرف كيف ينقلب الصديق فيصبح عدوًّا وكيف ينقلب العدوّ. . كما عرف الشيء الكثير عن نفس الإنسان وما يكتنفها من ضعف وما يكمن فيها من قوَّة، وعبَّر عن كل ذلك بحرارة وإيمان في قصائده (تحية) و (المعري) و (اعتراف) وفي مراثيه التي أشهد أنه كان فيها رائعًا قويًّا، وشاعرًا حكيمًا.

وبعد:

فخيرٌ من أن أشغلك ـ أيها القارىء ـ بإطالة الحديث عن «النفس الأول» أن أقدِّمه لك فاكهةً شهية تجد فيها متعة العقل وغذاء الروح فإلى النفس الأول.

إبراهيم بن أحمد الحضراني

الحديدة: ربيع الآخر ١٣٧٤هـ

ديسمبر ١٩٥٤م

ديواني... وشعراء اليمن

بقلم: صاحب الديوان

تعوَّد القراء أن يقرأوا في طليعة كل ديوان مقدمات عن الشعر وتراجم للشعراء.. ما شئت من فلسفة شعرية عن الشعر ومثله العليا إن كان الشاعر نفسه هو الكاتب.. وإن كان صديقًا للشاعر أو به معجبًا فما يَلذ من إطراء وما لا يدمي من نَقْد.. وما يشبع رغبة الصداقة أو شهوة الإعجاب من بيان واستشهاد.

وكانت سنةً يندر المتمرِّد عليها والمتنكِّب عن نهجها.

وحاولت أن أتمرد فجبنت، وكان لا بد من مقدمة للديوان.

وتكرم صديقي الشاعر إبراهيم الحضراني فكتب المقدمة، ونفحني مشكورًا بكلمات شاعرة معطرة، وألم إلمامة قصيرة بتاريخ الأدب اليمني المعاصر.

وظلَّ الديوان ــ كما خيل إلي ــ يتطلَّع إلى كلمتي عن الشعر والشعراء ولكني لحسن الحظ أو لسوئه ــ أعرف نفسي جيدًا فلن أخدعها ولن أخادع الناس، فما أنا براضٍ كل الرضا عن شعري، ولا أدري متى سأتمكن من إبداع الشعر الذي يرضيني.

* * *

في أعماقي شعر. ولكنه شعر جديد.. جديدٌ على عالم الشعر المعهود والجملة البيانية التي في قلبي أسمى من كل تعبير.

الحروف هذه ليس فيها حياة، والمعاني التي في قلبي فيها حياتي، بل وحيوات أخرى.

والكلمة الكبرى ما برحت معشعشة في حنايا روحي:

حروفها مشاعر مكفوفة.

معناها تاريخ ألم طويل.

إن كان الوجود «كلمة الله».

فهذه كلمة الإنسان!

وإن كانت الطبيعة شعر القدرة الإلهية.

فهذا شعر الوجدان البشري.

* * *

وكم حاولت أن أصوّر معاني قلبي وروحي:

وقلتُ ما قلته من شعر وقصيد.. ولكني وحدي الذي يعلم أني لم أكن واضح البيان، دقيق التعبير، وقد قرأت الديوان مرّات فكنت أجد التعبير دائمًا قاصرًا عن الصور الروحية الكبيرة التي لا تحدّ.

* * *

ويأتي دور الشعراء..

ولليمن شعر ولها أدب..

لها ماضيها الأدبي النفيس المغمور..

ولها حاضرها.. فأين شعرها؟ وأين أدبها؟

تمتماتٌ، وذبذبات، تتوثب وترتكسُ في الألسن منذ ثلاثين عامًا.. هذه هي الحقيقة... فكم من شاعر هيأتْهُ مواهبه للفن الرفيع. وقال قصيدًا بليغًا، ولكن سرعان ما تندّ به رغباته أو ظروفه عن «محراب الفن» فيتلاشى وينسى، وينسى الناس أنه كان شاعرًا.

لقد التهمه الواقع وأصبح إنسانًا كسائر الناس.

* * *

أستثني ــ ثلاثة أو أربعة ــ ممن يزحفون نحو الكهولة، وفيهم من أخلص لفنه، وظلت عينه تنظر في أعماق روحه، وفي أعماق فنه، وفي أعماق الكون.

وبين الخمائل طيور يمنية صغيرة ترسل أنغامها، ساحرة الشدو، رخيمة الإيقاع، حية الوجدان، آمل أن تظل في رياضها تستنشي من عبيرها الطَّيب وترشف من جداولها الصافية، وتصل ألحان نهارها بأنغام ليلها.

* * *

وأخيرًا.. لا بد من أن أرضي كبريائي؛ ولتخرس ألسن: ولتَنْحَطِم أقلام.

لقد قلتُ شعرًا يستحق النشر.

وها هو ذا تحت أنظاركم يا شعراء اليمن وأدباءها.

قرظوة إن شئتم.. بالألسن. أو بالأنياب..

إنه نفسي الأول..

وربما كان الأخير.

أحمد بن محمد الشامي

الحديدة: ربيع الآخر ١٣٧٤هـ
ديسمبر ١٩٥٤م

عُدالة المغرب

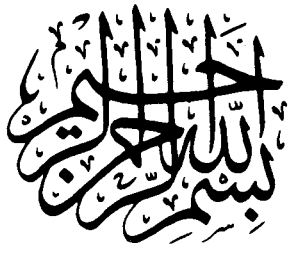
بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى من علّمني كيف أُحِبُّ الشعر والمجد..
إلى أُستاذي الوفي:
الأستاذ محمّد بن علي النّعماني..
رمزًا للوفاء والتقدير.

أحمد بن محمّد الشامي

مُقدّمة

لم يعرف الاستقرار، ولا خلدتْ نفسُه إلى مستقَر منذ أن أعرف الحياة.

دائمًا يصبو إلى هدف، أو يهفو إلى جديد، ودائمًا ينزع إلى مجهول، فلا يقف إلاَّ على الحيرةِ والهباء.

يشعر دائمًا بالاغتراب، ويحس بأنه ناءٍ عن كلّ ما حوله.. بل وعن كل ما يَنْطَوي عليه.

بين أهله وأحبابه، أو تَائِهًا في الآفاق.

بينَ الناسِ، أو وحيدًا شريدًا.

في انْطِلاقِهِ وحريته، أو بين الحواجزِ والأغْلال.

دائمًا.. هو المغترب النَّائي.

مغتربٌ في موطنِه، مغترب في غربته.

ولا نديمَ ولا سلوى، ولا مؤنس ولا عُلالة، إلاَّ الشعر، يقرؤهُ أو يغنيه، فيخفف آلامه، ويجفِّفُ دموعَه، ويَصدُّ به أشباح العذاب، ويستَنْزِل بِه الرحمة والحنان، ويصور خَلجات فكره، ولفحات آلامه، وحنين روحِه، ويُعللُ أماني قلبه، ونزعات نفسه، ويهدهدُ صبايا آماله، وذكريات صباه، ويعوذ به من كل بلاء، ويعربُ به عن كلّ شعور جميل، ويذكي به نارًا ونورًا.

الشعور بالغُربة، والإحساس بالخيبة، هو الذي حداه إلى أن يقول[1] في «عدن»، ١٣٦٣هـ / ١٩٤٤م:

قدرٌ، أو مصيبةٌ، أو شقاءٌ ... ليس يدري ماذا دهاهُ فهاما؟

(١) كل الشواهد في هذه المقدمة من ديوان «النفس الأول» للشاعر.

لَيْسَ في وُسْعِهِ الكلام، ومن كا ... نَ مُصابًا لا يَستطيع الكلاما
كلُّ ما في لِسانِه أنه زا ... غَ عن الأهل خشية أن يُضاما
نَظَر العُشَّ فازدارهُ مع الذل ... وولى عنه يجوبُ الظَّلاما
يشربُ القيظَ روحُهُ في المَفَازا ... ت ويَقْتَاتُ الهول والآلاما

وأن يقول في الفترة نفسها، وفي المكان نفسه:

غريبٌ يجوبُ القَفْرَ والليلَ سادِرُ ... ولا هاديًا إلَّا النجومُ الزَّواهرُ
وفي قلبه مما يكنّ معارك ... نوازعُ، يطغى لَفحُها، وخواطِرُ
ومن حوله الأخطار تسري رهيبة ... تطارحه أوهامَهُ وتحاورُ
وتَنْثر أشواك الأسى في طريقهِ ... فيا ويحَه، كم يتقي ويحاذرُ

وهو الشعور نفسه الذي انتابه وهو يودع «صنعاء» في سنة ١٣٦٤هـ / ١٩٤٤م، فقال:

ودَّعتُ تلكَ الرُّبوعَ حيرانًا ... يفيضُ قلبي أسًى وأشجانا
وقفتُ في ساحها، أخاطبها ... بالدمع لا أستطيع تبيانا
تَحيَّر اللفظ في فمي حَزَنًا ... يعثُرُ بينَ الشفاهِ حَسْرَانا
أنظرها خاشعًا، وقد مَلأتْ ... صدري همومُ الفراق نيرانا

* * *

يا ويح نفسي! أكُلَّما نَعمت ... بالوصل.. لاَقَتْ نوى وهِجرانا؟
وَوَدعَتْ صَفْوَها وراحتَها ... وصادفَتْ جفوة وحِرْمَانا؟
فَصادمتْها الخطوبُ قاسِيَةً ... تَسُومُها بالعذاب ألوانا

* * *

كم أذْرعُ الأرض ذاهلاً وَجِلاً ... وكم أجوبُ البلاد هيمانا؟
كشارِد، يأسُه يُطاردُهُ ... يُريه أيان سارَ أحزانا
فليتني ما شهِدت شارقَةً ... وليتني ما عرفتُ إنسانا

وأي شعور، غير الشعور بالاغتراب في هذه الحياة، حين بلغ الخامسة والعشرين وهو في المعتقل سنة ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م، فقال:

مَرَّتْ حياتي، ولما يُقْضَ لي وطَرٌ ... وليس لي غير نيل المجد من وطرِ
خمسٌ وعشرون عامًا، ما ظفرت بِها ... من الحياةِ بغير الهمّ والكدرِ
إمّا غريباً أقاسي كل نائبةٍ ... أو موثقًا بين سمع الموت والبصرِ
لولا بقية آمال تهَدْهدها ... في قلبِيَ المتعنِّي رحمة القدرِ
فارقْت دنيا الورى بالهمّ منتحرًا ... إمّا إلى جنَّةِ الفردوس، أو سَقَرا!!

وحين كان يستَدرُّ عطف جلالة أمير المؤمنين الإمام أحمد، أطال الله عمره، ليصفح عنه في سنة ١٣٧٢هـ / ١٩٥٢م، فيقول:

دَعَاني وحُزْني، في محاريب عزلتي ... فقد سَئِمتْ روحي حياةَ البرية
عشِقْتُ الأسَى من طول ما شفَّني الأسَى ... وَهِمتُ بآلامي لِسَرْمدِ شقوتي
فلا تَطْلبا عندي رقَى السحر والمنَى ... ولكن خُذا عني صَدَى كلّ خيبَةِ
فقد هَرِمَتْ أيام لَهوي وبهجتي ... وماتَتْ ليالي صبوتي وشَيبتي
فأمسيتُ في أكفَانِ سُقْمِي ونكبتي ... أراقبُ بَعْثي، وانتعاشي ويَقْظتِي
وما أنا بالحي الذي طاب عيشُه ... ولكنني في السجن حيٌّ كمَيِّتِ
ولم يَبْقَ في كأسِ الشقاءِ ثُمالَةُ ... لغيري.. فقد أفرغته نَخْبَ حيرتي
أعانِقُ طغيان المخاوفِ، مُطبقًا ... جفوني، على أشباح يأسي وذِلَّتِي
وخلف الدَّياجي يجثم النُّورُ موثقًا ... ينوء بأعباء الليالي الثقيلةِ
أسارقه اللَّمْحَ المفزّعَ خائفًا ... كأني رجاء في فؤاد فريسةِ
حنانًا «أمير المؤمنين»، فإن في ... حنانك ما يشفي عُضال الرَّزية
ودعني أبادر حظّ عمري من المنى ... قبيْلَ احتباسي في شباك المنيةِ
فقد عَجَمَتْ عودي الكوارثُ فانثنى ... مهيضًا يلاقي الموتَ في كلِّ خُطوةِ
وغلَّتْ صروفُ الدهر كفَّ عزيمتي ... وفَلَّت شَبا حدّي، وأبلَتْ عزيمتي
ولم تُبْقِ لي خِلًّا، ولا ذا قرابة ... يُصِيخُ لِقُربي، أو يفي لمودَّةِ

كان أيضًا يصور حياته وأحاسيسَه وآلامه، وقد بلغ المنى من ذلك حين قال في قصيدة أخرى من الروي نفسه وفي الموضوع نفسه:

إلى من أبث الشجو؟ قلبي موجَعٌ ... ونفسي في نيران يأسي وخيبتي؟
قطعتُ حياتي تائهًا أجرع الأسى ... ضُروبًا، وأشقى في منامي ويقظَتِي
وأنفد أيَّامي بكاءً ولوعَةً ... وأسكبها في شعر بؤسي وشقوتي
وأجري وراء الوهم حيرانَ، أسْتَقي ... كؤوس الفنا من كفّ تيهي وحيرتي
وأغذى مراراتُ الخطوب، وأشتوي ... على جاحمٍ من نارِ حُزني وحَسرتي
ولا صاحبٌ إلاَّ الدموع أذِيلُها ... وإلاَّ بقايا زَفرةٍ طَيَّ مهجتِي
وأشلاء روحٍ مزقتها همومها ... وأنقاض نَفْس حُطِّمتْ بالتَّشَتُّتِ
إلى من أبثّ الشجوَ؟ لم يَشفِني البُكا ... ولم تغنِ آهاتي، ولم تُجدِ زفرتي
ولا عَصَمَتْنِي من زماني سماحتي ... ولا نَفَعتني في حياتي جرأتي
خُلِقْتُ شَقيًّا، مزَّق اليتْمُ خافقي ... صغيرًا، وأبلى الحُبُّ رَسْمَ شَبيتي
وألوتْ بي الأسفارُ شَرقًا ومغربًا ... ولم تَرْعَنِي في أُسْرَتي وأحبَّتي

وتفضل الإمام العظيم بعفوٍ عظيم، ومارس الحياة أشكالاً وألوانًا خيرًا وشرًّا، ونُعمَى وبُؤسى، ولكن القلق الدائم.. والتَّوق إلى الجديد.. واستشفاف المجهول.. والشعور بالاغتراب... إلى هموم وهموم، أبقتْهُ، دائمًا صبّ الشعر، باكيًا ناعيًا، أو صارخًا داعيًا، أو مفكرًا، أو لاهيًا، وقد لا يذكر عنه الناس شيئًا ــ والجُحُودُ دَائمًا مقبرةُ المخلصين ــ ولكن أحدًا لن يستطيع أن يقصيه عن زمرة الشعراء وكفى.

وبعدُ، فهذا الديوان الثاني للشاعر جمع فيه ما قاله بعد أن صدر ديوانه الأول سنة ١٩٥٣ وما لم يتمكن من نشره أو ما كان مفقودًا من شعره القديم.. فديوان «عُلالة المغترب» إذنْ قديمٌ جديد..

فيه شعر: قيل سنة ١٩٤٣م وآخر قيل سنة ١٩٦٣م، ولكن النفَسُ نفْسُه، وطابع الحزن، ومَيسم الآلام يسود كليهما.

وفي حياة الشاعر «صاحب الديوان» أحداث جسيمة كان لها أعظم الأثر في

توجيهه، وأفكاره، وثقافته، وعلاقاته بالمجتمع والناس، وأهم هذه الأحداث ثلاثة:

١ ــ فقد نشأ يتيمًا، وعرف الحزن صغيرًا، وتمرَّس على مختلف الآلام يافعًا، فأحب الحزن، وقدس الدموع، وأكبر المساكين، وكره القسوة، وعاف الذلّ، ومقت الدجَّالين.

٢ ــ اعتزل الناس خمس سنوات في «حجة»، فرأى كيف تتغير الأحوال، وتتقلَّب الأمور، وكيف يتحول العدو صديقًا، وكيف يتحوَّل الصديق... وكانَتْ فترة تأمل، ودراسة، واعتبار ففكر كثيرًا، وقرأ كثيرًا، وازداد فهمًا وإيمانًا.

٣ ــ عفا عنه جلالة الإمام أحمد، وكانت قد امترسَتْ فيه الأقاويلُ، وأحدقَتْ به الحزازات، ولكن الإمام العظيم وخلائقه الكريمة تجاوزت وسَمتْ وعرَّفت الشاعر كيف يُحسنُ الأبطال، كما أنه عرف أيضًا. كيف يتقيَّد بالإحسان ويعتنق الوفاء.

آثار هذه الثلاثة الأحداث، اليتم والعزلَة والوفاء، تتحكم في حياة الشاعر، وتظهر جليَّة واضحة في كل ما يأتي وما يدع من خير وشر وقول وعمل.

وفي هذا الديوان بكاء مع الأشقياء، وثورة على القُسَاة، وتمجيد للرحمة، وتفنيد للأدعياء، وتقريعٌ للمنافقين، وإشادة بالأبطال، ودعوة إلى المجد، إلى ذكريات استجرَّها من ماضٍ باك، أو خيالات استوحاها من أحلامٍ بائدة.

ولقد كان الشاعر في كثير من الأحيان صريحًا في تعبيراته عن خوالج النفس البشرية، وانفعالات االوجدان الإنساني مِمَّا قد لا يستسيغه بعض أهل الفضل من المتزمتين، أو من لم يتعمقوا في دراسة الأدب العربي.. وطبيعة شعره قبل الإسلام وبعده... ولن يسلم الديوان وصاحبه من لوم هؤلاء أو أولئك، ولكن من ذا الذي لَمْ يُلَمْ قَطْ؟ ومن ذا الذي قد تفَردَ بالحسْنى؟

ويحتوي هذا الديوان على قصائد لم يتقيَّد الشاعر فيها بقافية واحدة أو وزن واحد، وهذه الطريقة ليست جديدة على صاحب الديوان، بل إنه كان من أوَّل من مارَسها من شعراء اليمن، ولكنه لم يسرف فيها إسراف أولئك الذين هبطوا بلغة الشعر ومعانيه وأوزانه إلى درك سحيق، وتنوعَت القوافي، على أنه كثيرًا ما يتعمَّد أن تكون «التفعيلات» متسقة، متناغمة في تفعيلاتها وقوافيها.

وسيجد القارىء في آخر الديوان رواية شعرية تَحت عنوان «في مسرح الحياة»، وقد أنشأها الشاعر في سنة ١٣٦٣هـ أي منذ أكثر من أربعين عامًا، وهي أوَّل محاولة من نوعها لشاعر يمني حديث[1]، بل إن أحدًا من شعراء الشباب لم يُنْتجْ ما يماثلها، أو ينهج نهجها فيطور الشعر القصصي في اليمن، ويخطو به خطوة أُخرىٰ.

«عُلالة المغترب»، و «النفس الأول» يضمّان معظم ما قاله الشاعر من قصيد، ومقطوعات شعرية في شتى المناسبات، ومختلف الأغراض ويُعْطيانِ مَعًا صورة صادقة للشعر اليمني الحديث، ومواكبته للشعر في جميع الأقطار العربية الشقيقة.

أحمد الضَّالعي

لندن: ١٨ ذي الحجة ١٣٨١هـ
٢٢ مايو ١٩٦٢م

(١) أعني في اليمن المستقلة.

من اليمن

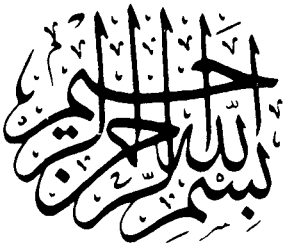

الإهداء

إلى الضالين والمظلومين
نذيرًا وبشيرًا.

أحمد بن محمد الشامي

مقدمة

يعرف الناس عن «الشامي» السياسي أكثر مما يعرفون عن «الشامي» «الشاعر»، فأخباره وتحركاته حديث الصحف والإذاعات، خصوصًا منذ اليوم السادس والعشرين من شهر سبتمبر سنة ١٩٦٢ م / جمادى الأولى ١٣٨٢هـ.

وقد امترسَت في اسمه الألسن: خيرًا وشرًّا، وحقًا وباطلاً، ومدحًا وقدحًا.

ولسنا في موقف الحكم: فنقرُّ حقًا أو ننفي باطلاً، وفي نظرنا أنه لم يَحن الوقت بعد ليقول التاريخ كلمته الصريحةَ عن «الشامي» وما ساهم به، أو فرطَ فيه، أو نافح عنه، من أجل وطنه، ومن حقوق أمته، وفي سبيل مبادئه، وسنترك ذلك للتاريخ والناقدين.

ولد السيد أحمد محمد الشامي سنة ١٣٤٢هـ/١٩٢٤م بالضالع وتوفي والده وهو في الخامسة، ونشأ يتيمًا بصنعاء في بيئة علم وأدب ودين، وقال الشعر وهو في السادسة عشرة، ولمع نجمه في سماء الأدب والسياسة وهو لمّا يتجاوز العشرين.

وفي سنة ١٣٦٣هـ/١٩٤٤م هاجر إلى «عدن» مع السيد زيد الموشكي. وفي سنة ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م كان من جملة من سيقوا إلى سجن حجة وتعرض للموت مرارًا، وأطلق سراحه سنة ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م ليبقى في الحديدة حتى سنة ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م فَنَهَدَ إلى حجة، وانتدبَ إلى «الرياض» ورافق الوفود إلى «تعز»، وكان له دور فعال في أحداثها.

وفي السَّنة نفسها نقل إلى المفوضية اليمنية بالقاهرة، ومثَل اليمن في الجامعة العربية وكثير من المؤتمرات الدولية.

وفي سنة ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م، عين وزيرًا في مجلس الاتحاد اليمني المصري، ثم

نقل إلى «لندن» في سنة ١٣٨٠هـ/١٩٦١م بوصفه وزيرًا مفوضًا لليمن لدى المملكة المتحدة.

وفي أكتوبر سنة ١٣٨١هـ/١٩٦٢م، شغل منصب وزير خارجية المملكة اليمنية في ظروف عنيفة لا يزال تيارها يعب ويَجْري.

نُشر له ديوان «النفس الأول» وديوان «علالة المغترب» وقد جمعنا في هذا الديوان معظم ما في الديوانين المذكورين ومختارات مِمَّا لم ينشر من شعره القديم والحديث.

وقد تعمدنا تجريد شعره من المدح والسياسة وما قد يثير خصامًا، أو ينكىء جراحًا.

ولا بد أن يلاحظ القراء أن «الشامي» قد سجّل في شعره كل خلجات روحه، ونبضات قلبه، وعبر عن آلامه وآماله، ونوازعه وأفكاره في كل فترة من فترات حياته الحافلة التي أوجزناها، ولقد ذكرنا إزاء كل قطعة شعرية اسم المكان والزمان الذي نظمت فيه ليَسْتَنْبِطَ الناقد والمؤرخ الدَّوافع الشعرية وأجواءها وأسرارها.

أما الحديث عن منزلة الشامي الأدبية فلن نزيد على ما قاله الشاعر إبراهيم الحضراني في مقدمته لديوان «النفس الأول» حيث قال:

«واليمن إذ تقدّمه تقدّم نهاية ما وصل إليه نموها». «الفكري والأدبي الحديث».

وأما الحديث عن نفسية «الشامي» الشاعر فقد صورها في مقدمة ديوانه «عُلالة المغترب» بقوله:

«لم يعرف الاستقرار، ولا خَلدت نفسه إلى مستقر. منذ أن عرف الحياة».

«دائمًا يصبو إلى هدف، أو يهفو إلى جديد، ودائمًا».

«ينزع إلى مجهول، فلا يقف إلاَّ على الحيرة والهباء».

«يشعر دائمًا بالاغتراب، ويحس بأنه ناء».

«عن كل ما حوله.. بل عن كل ما ينطوي عليه».

«بين أهله وأحبابه، أو تائهًا في الآفاق».

«بين الناس، أو وحيدًا شريدًا».

«في انطلاقه وحريته، أو بين الحواجز والأغلال».

«دائمًا.. هو المغترب النائي».

«مغترب في موطنه، مغترب في غربته».

«ولا نديم ولا سلوى، ولا مؤنس ولا عُلالةَ إلاَّ الشعر».

«يقرؤه أو يُغنيه فيخفف آلامه، ويجفِّف دموعه».

«ويصد به أشباح العذاب، ويستنزل به الرحمة والحنان».

«ويصور خلجات فكره، ولفحات آلامه، وحنين روحه».

«ويعلِّلُ أماني قلبه، ونزعات نفسه، ويُهَدْهِد صَبايا».

«آماله، وذكريات صباه، ويعوذ به من كل بلاء، ويُعْرب».

«به عن كلّ شعور جميل، ويُذكي به نارًا ونورًا».

«ولقد مارس الحياة أشكالاً وألْوانًا، وخيرًا وشرًا، ونُعمى».

«وبؤسى، ولكن القلق الدائم.. والتَّوق إلى الجديد.. واستشفاف».

«المجهول.. والشعور بالاغتراب.. إلى هموم وهموم أبقته دائمًا».

«صب الشعر، باكيًا ناعيًا، أو صارخًا داعيًا، أو مفكرًا أو لاهيًا».

«وقد لا يذكر عنه الناس شيئًا ــ والجحود دائمًا مقبرة».

«المخلصين. ولكنّ أحدًا لن يستطيع أن».

«يقصيَه عن زمرة الشعراء.. وكفى».

وبعد:

ففي هذا الديوان بكاء مع الأشقياء، وثورة على القساة، وتمجيد للرَّحمة، وتفنيد للأدعياء.. وتقريع للمنافقين، وإشادة بالبطولة، ودعوة إلى المجد، وتقديس للحق والحريّة.. إلى ذكريات استجرّها من ماض باك، أو خيالات استوحاها من أحلام بائدة.

ولقد كان الشاعر في كثير من الأحيان صريحًا في تعبيراته عن خوالج النفس البشرية وانفعالات الوجدان الإنساني مِمّا قد لا يستسيغُه بعض أهل الفضل من المتزمتين، أو من لم يتعمقوا في دراسة الأدب وطبيعة شعره قبل الإسلام وبعده. . ولن يسلم الديوان وصاحبه من لوم هؤلاء وأولئك: ولكن من ذا الذي لَمْ يُلَمْ قَطْ؟ ومن ذا الذي تفرد بالحسنى؟.

وفي الديوان قصائد لم يتقيد الشاعر فيها بقافية واحدة أو وزْن واحد وهذه الطريقة ليسَت جديدة على صاحب الديوان، بل إنه كان أول من مارسها من شعراء اليمن، ولكنه لم يسرف فيها إسراف أولئك الذين هبطوا بلغة الشعر ومعانيه وأوزانه إلى درك سحيق، بل ظلَّ «محافظًا» على نغمه الوزن العربي، وإن تعدّدت الأوزان، وتنوعَت القوافي، على أنه كثيرًا ما يتعمد أن تكون «التفعيلات» متَّسقَة متناغمة في أوزانها وقوافيها.

إن ديوان «من اليمن» يضم معظم ما قاله «الشامي» من قصيد في مختلف الأغراض، ويعطي صورة صادقة للشعر اليمني في العصر الحديث؟.

أحمد الضالعي

ألحان الشوق

بيروت ١٩٧٠

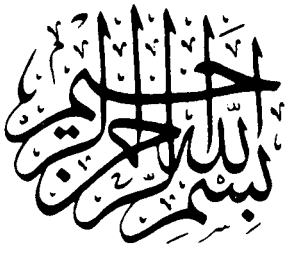

فرتاشـ[1]

لكل لحن من هذه الألحان قصة عذاب مرير وطويل.

عذاب «الحنين» يرهقه «الشوق» ويضنيه الألم.

عذابُ «الغربة» يوريها «التوق» ويمزقها «الندم».

عذاب «الحب» شردته «الوساوس» وقدسته «الأوهام».

عذاب «الطموح» هيض جناحه فجأر بالشكوى. ولاذ بالأوزان والقوافي.

الإرهاق، والندم، وشوق الحنين، هي الحصاد المرعب «للموسم السياسي» الذي ظللت أجهد بمشاعري. وأفكاري. ومطامحي. وآمالي، في حقوله حوالي ثلاثين عامًا.

ومنذ سنة ١٣٦١هـ/١٩٤٢م، لم يطمئن لي أمل في وطني. بل ظللت خائفًا أترقب بين «الغربة» و «المكاره» و «السجون».

ومنذ «ثورة» ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م، لم أنعم بسكنى «صنعاء» ــ مهد شبابي وأحلامي ــ بل ظللت بعيدًا عنها، معتقلاً، أو منفيًا، أو تائهًا في الآفاق.

ومنذ سنة ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م، واليمن في صراعٍ أليم.. خضْتُ جولته الأولى ضد ما رأيته طغيانًا عسكريًا وتدخلاً أجنبيًا.. ثم وقفتُ حين أصبح الصراع «معركة» أطماع، وخلافات يمنية.. أدعو إلى السلام. وأحذر من مغبّة تقلبات الأيام.. وأخيرًا استيقظت. وإذا..

---

(١) الفرتاش: لفظة يمنية عامية، يعني بها المدخل إلى اللحن حين يحاول المغني ضبط أوتار عوده وتذكر «تواشيح» ترانيمه.

زيد الموشكي وأحمد الشامي
في عدن . جمادى الأولى ١٣٦٤هـ/ أبريل نيسان ١٩٤٥م

وإذا «بالحصاد المرعب» من قلق. وإشفاق. وندم. يحتلّ كل «خزائن» قلبي وفكري.

وكان الشعر هو «المفرّ» وبه أحدو مطايا «الأشواق» من رحلة العمر ــ القصيرة إن شاء الله.

إن هذه هي «أسباب النزول».. لبعض قصائد هذا الديوان وبعض «الأسباب» قد تعمدت تجاهلها، كما أني آثرت نفسي بالألحان المنتحرة في محراب أشواقي، لأن «الجرثومة» الملعونة التي يسمونها «الإنسانية» لا تزال تمتص دمي، وتأكل أحاسيسي..

وصورها «المتحركة» قد ترعب من لا يَستسيغون نشوة القلق. حين تسامر «الخيال» على مائدة «الشياطين»؟.

أحمد بن محمد الشامي

بيروت: ٩ ذي الحجة ١٣٨٩هـ
١٦ يناير ١٩٧٠م

المودات

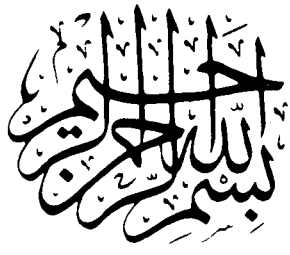
بسم الله الرحمن الرحيم

المؤودات

وأدتهنّ صبايا ..
بين "الوثائق" و"الأسرار".
ولكم كانت دهشتي،
وأنا أنفض عنهن غبار النسيان،
أن أجدهنّ
مازلن ينبضن بالحياة

بيروت: ٢٢ محرّم ١٣٩٣هـ
٢٥ فبراير ١٩٧٣م

أحمد بن محمد الشامي

سلسلة الأدب اليمني المعاصر

حصاد العمر

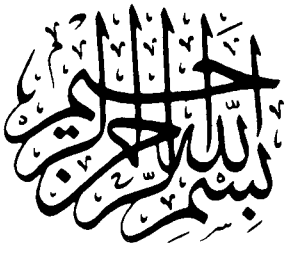
بسم الله الرحمن الرحيم

وأحبُّ أن أقول

لا أحب أن أقول إن هذه «المختارات» من أهم قصائدي أو من أجملها، كما أَحَبَّ أن يقول الشاعر محمد الشرفي في مقدمة ديوانه «معها أبدًا» سلسلة دار العودة عن الأدب اليمني رقم (١)، ذلك لأني لم أبتكر شيئًا مهمًا، ولا «أبدعت» جميلاً.. أرتضيه كل الرضا، وأنا مع الشاعر الفارس عنترة بن شدَّاد في قوله:

ما أرانا نقول إلاَّ قديمًا ... مستعادًا من لفظنا مكرورًا

كما أني لا أحب أن أقول: إن القارىء قد يجد في دواويني الأخرى ما هو أهم، وأكثر جودة، كما قال الشاعر الشرفي أيضًا. فقد يكون على حق فيما قاله عن إنتاجه الكامل. أما أنا فسأنصح النقاد والدّارسين ــ إن كان ثمة ــ بأن يكتفوا بما في هذا الديوان من «مختارات شعري» لأنها أهم أشعاري، و«أجمل» قصائدي إن كنت قد قلت شعرًا مهمًا أو أبدعت قصائد جميلة.

و «أحب أن أقول»:

يا يراعي أعتصر حياتي شعرًا ... يُطرب الناس لحنه الرقراق
نغمًا تلجأ الأماني إليه ... إن تأسَّست ــ ويفزع العشاق
قدسيًا إذا قوافيه تتْلى ... خشع المؤمنون والفُسّاق
هم يظنونه ترانيم لهو ... أو نشيدًا تبثه الأشواق
وهو أنات عثرةٍ، ومعانا ... ة خلاص، ودمعُ روح يُراق
لهمو منه نغمة الوتر اللا ... هي، ولي منه النار والإحراق

أحمد بن محمد الشامي

بيروت: ١٩٧٥/١/٤م

لزوميات الشعر الجديد

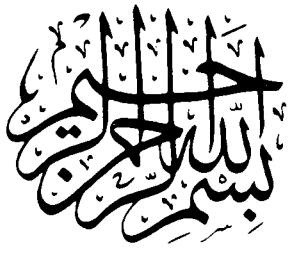

الإهداء

إلى مَنْ غمرتني بالحبِّ والحَنانِ ؛

و" الْتَزَمَتْ" معي الصَّبرَ والإيمانَ :

إلى زوجتي ؛

"أُمة الله" عبد الرحمن الشَّامي ..

مع حُبِّي الصَّادق .

أحمد بن محمد الشامي

مع الشعر في اليمن

[في صيف سنة ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م، وكنتُ حينذاك سفيرًا لليمن في (لندن) زارني صديق أديب، فأمليت عليه «مراثيَ» كنت أبكي بها بَعضَ الرِّفاق، ومقاطِعَ من «بَحِر الدّموع»]:

فقال: هنيئًا لك

قلتُ: بماذا..؟

قال: لأنكَ تقرض الشِّعْر

قلتُ: وماذا في ذلك؟

قال: موهبة قرض الشعرِ نعمة لا يحظى بها إلَّا السُّعداء.

قلتُ: أو الأشقياء جدًّا.

قال: كان شقاؤهم سيكون أشدَّ وأنكى بدونه، لأنَّهم به يُروِّحون عن أنفسهم، وما أظنك كنتَ ستطيق الحياة، وتمارس شتَّى شؤونها..

وبمشاعِرك التي أعرفُها ــ لو لَمْ تكنْ قادِرًا على نظم القريض.. وقال.. وقلتُ.

وعندما خلوت إلى نفسي، واستعرضْتُ قافلة حياتي، ومراحلها المتضاربة، بُؤسى ونُعمى، وخيرًا، وشرًّا، استعبرتُ وهمَسْتُ في أعماقي: لقد صدقَ صديقي.

وقصتي مع الشِّعر هي قصة كلّ إنسان:

هبط الأرض كالشُّعاع السَّنيِّ ... بعصا ساحرٍ وقلبِ نبي

كما قال «علي محمود طه».

قصةُ.. هذا المخلوق «المختص». المزود بأحاسيس، ومشاعر عجيبة، يستطيع

بها «تَلْفَزَةَ» وتشخيص، واسْتِكناه، ما لا تَستطيع الحواسُ البشريةُ المركَّبة في الإنسان «العادي».

وإذا كانت سليقةُ الشِّعر تُورث كما يقولُ البعض.. فأنا أدْلي إليها بسبب عريق عتيد، فقد أنْجبتْ أسرة «الشامي» عددًا مرموقًا من شعراء اليمن خلال العشرة القرون الماضية.. كما أن شقيقي هو صاحب ديوان «ابن الظلام».

ولو عدتُ بذاكرتي «خمسةً وأربعين عامًا» لرأيت طفلاً يُناهِزُ العاشرة.. يفتش ركامًا من الأوراق المهجورة، وكان قد عَرَف كيف يتهجَّى الكلمات المكتوبة، وحَفِظ السُّور القصار من جزء «عم يتساءلون».. ويعثر على صفحات منثورة من ديوان. ابن الفارض. فيأخذه العجب حين يرى ذلك النَّهر مِنَ الفِراغ يفصل بين «الأشطار» و «الأعجاز».

وتغمره الدَّهشة حين يجد حروف أواخر الكلمات مُتَنَاسقة، مُتشابهة: تاءً تاء، ولامًا.. لاما، وسينًا سِينا، ويحاول القراءةَ فلا يُتْقِنُها، ويحاولُ الفهم الفهم فلا يَسْتطيعُه إلاَّ قليلاً.. ويُوسْوِس في صدره صوت لا يدري لَهُ مَصْدَرًا، ما هذا.. ما هذا؟ ويَتَذكَّر مقاطِعَ السّور القِصار.. ثم يخافُ ويَستعيذُ بربِّ النّاس، مِن شَرِّ الوَسواس الخنَّاس، ويَنْتَشِل تلك الأوراق باحثًا عن أخواتها بين ذلكَ الرُّكام اليتيم،.. ويحاولُ تَرتيبها حسب أرقامها وحروفها.. وما إنْ يُرددها مِنْ جديد، ويكرِّرُ قوافِيهَا المنغومة. وكلماتها المرصوفة، جهرًا وهمسًا، وطردًا وعكسًا، حتى يجدَ شيئًا من اللذة والمتْعة لم يعرفْهما من قبل، ويهذي بها مرارًا وتكرارًا: ويشاركه أخوه لذة السَّماع، ويُنَغِّم مَعه الكلمات، والقوافي، وخصوصًا «التَّائية» و «السّينيَّة»، بل ويتخذان مِنْ ذلك لعْبةً ممتعة، ويضعان لها ألحانًا غريبة.. يهمهمان بها حين يروحان وحين يَغدوان، ولا يكادانِ يملاّنِ تِرْدَادَها.

كانتْ هذِه هي «البداية».. ولا أنسى فرحتي حين وصلتُ إلى قوله:

أنتُمْ فروضي ونَفْلي أنتُمْ حديثي وشُغلي
يا قِبلتي في صلاتي، إذا وقفتُ أصلّي

لقد استَسَغْتُ هذين البَيْتين، وانْسَجمَت موسيقاهما اللفظية مع مشاعري

الصَّغيرة، وفهمتهما، إذْكنتُ أعرفُ معاني «الفرض»، و «النَّافلة» و «الصَّلاة»، و «الشغل»، و «الحديث» فسلوكي اليومي مثل سلوك سائر أبناء ذلك الزمان «فروض» و «نوافل» و «شغل» و «صلاة»، ومجالسُ «المداكي» وحلقات «المساجد»، تضج بمثل هذه الألفاظ، وما يتعلق بها.. فكانا، أولى محفوظاتي، قبل أن أعرف أن هذا النَّوع من البيان يُسمَّى شعرًا».

وحين التحقت بمدرسة «الأيتام» وكان السيد الأديب الخطيب على عقبات «خريج الأزهر» يُعلِّم فيها درس المحفوظات.. المختارة من الشعر والخطب، للقدامى والمحدثين، شغفتُ بهذا الدرس وفزت برضا الأستاذ. ثم لازمتُ الشَّاعر عبد الكريم الأمير فازْددت للشعر حُبًا.

كنت أحسُّ بالمعاني تجيش في نفسي وتَتَوثَّب، غير أني لا أستطيع التعبير عنها، واكتَشفت طريقةَ أستاذي عبد الكريم الأمير في نظم القصائد، وإذا هو يعمد أوَّلاً إلى انتقاء «الوزن» والقافية، ثم يُحَضر، «جدولاً» لكلمات «القوافي» التي تَنْسجِمُ مع «الوزن»، و «الموضوع» راجعًا إلى محفوظاته و «قواميس» اللغة، ودواوين الشعراء.

فإذا كانت القصيدة التي يَنْوي نَظمها على «وزن» و «قافية»: «أرقُّ على أرق، ومِثلي يأرق».. مَثلاً.. فإنه يحشر ما ينْسجمُ على هذا الوزن من «القوافي» مثل «يُشْرق» و «يَخْفُقُ» و «يبرقُ». و «يتحرَّق»، «ولا يُسْبَقُ»... إلخ، ثم يتحرى في إبداع «المطلع» المناسب للموضوع، مدحًا أو رثاء أو غزلاً وهكذا.. وقَد نَصَحني بانتهاج هذه الطريقة، ومارستها فعلاً.. ولكني ضِقت بها ذَرْعًا، وشعرتُ أنها طريقة متكلفة. وسرعان ما نبذتُها جانبًا وانْسَبْتُ مع أحاسيسي، وكثيرًا ما كنت أرسلُ الشعر منغَّمًا. موزونًا، ولكن بقوافٍ متعدِّدة، ثم أجهد نفسي في التنقيب عن القوافي المتَّسقة «أو يرفدني بها أستاذي، ولا أذكر أني أجهدتُ نفسي في إبداع المطلع الخلاب.

ولا شك أن الطريقة التي أرشدني إليها الشَّاعر عبد الكريم الأمير قد أفادتني لغويًا، وأثرتْ قاموسي الشعري، وكم مِنْ ليالٍ أفنيتها مُعْتكِفًا على القواميس اللغوية، والدَّواوين الشعرية، أختار «القوافي» وأجدْوِلُها، وأتفهَّمُ معانيها ومترادفاتها، وذلك في حدّ ذاته مفيد.. وأدركت جدواه فيما بعد.. وربما أن أستاذي عبد الكريم قد أرادها لي في تلك المرحلة، ولم تكن هي طريقتُهُ. عندما يريد أن يَنْظم الشِّعر، وقد كان من مجوديه.

وعندما أعود إلى الشعر في اليمن قبل أربعين عامًا إلى سنة ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م وأتذكر طرائقه وأغراضه، وألفاظه، ومواضيعه.. لا أجد معظمُه إلاَّ فاسد السّبك، قليل الطَّلاوة من مدائح تكررت ألفاظُها ومعانيها، إلى غزل متكلّف لا يثير وجدانًا، ولا يحرك عاطفة، إلى «مراثي» هي، مدائح تنوح، دموعها مثل دموع «النوائح» المأجورة، مع تعسف في الصناعة البيانية، وتكلف في التقليد.. ولذلك ولأمر لا خيار لي فيه لا أستطيع أن أقول إنّي تأثرتُ بأيّ شاعر من شعراء اليمن في تلك الفترة. وكان من حسن حظي: أني عثرتُ بين أوراق والدي على نتَفٍ من ديوان «ابن الفارض» ثم وقع في يدي ديوان «حافظ إبراهيم» فهمْت به والتهَمتُه، وأمّا بعد ذلك فقد تتلمذت في علوم البلاغة والأدب على الشاعر السيد عبد الكريم الأمير وقرأت عليه ومعه. «البارودي» ومختاراته و«شوقي» و«مطران» و«الرافعي» و«الجارم» و«الرصافي» و«الزّهاوي» و«بدوي الجبل»، و«بشارة» و«جبران» وكلّ شعراء «المقتطف» و«أبولّلو» و«الرسالة» و«الثقافة» و«المهجر» الأمريكي.

أما أوَّل المواضيع التي بدأتُ مزاولتها نظمًا فقد كانت «الوطنية» كما كنَّا نفهمها حين ذاك. وكان مثلي الكامل شاعر النيل «حافظ إبراهيم» وألَّفتُ أوَّل مجموعة شعرية: «دموع وأنات» ولمَّا أتجاوز السابعة عشر، ولكني أحرقتها خوفًا حين فتشوا دار جارنا القاضي محمد الخالدي وسجنوه مع «الشاعر الزبيري» و«محمد الخطيب» وزملائهم..

وكنت قد سمعتُ بيتًا لأبي تمام يقول:

ولولا خلالٌ سنَّها الشعرُ ما درى بغاةُ العُلا من أين تؤتى المكارمُ

فتأكَّد اعتقادي بأن الشعر أسمى المواهب الإنسانية: وأنَّ صِفة «الشاعر» هي أعلى المراتب.

وأيد ذلك الاعتقاد ما قاله الأولون، ولهج به المحدثون، شعرًا ونثرًا، ونَصَبتُ نفسي ذائدًا عنه، ومحاميًا في المجالس والأندية، أجادل الفقهاء والمتزمتين الذين ينالون من مكانة الشعر، أو يحقرون من قيمة الشعراء، وكنتُ لا أزال أحْبو على عَتبات جَنَّاتِه، وأدفّ في آفاقِه بجناح واهن ضعيف، وجعلتُه غايتي في الحياة، وأخلصْتُ له، وهمت به، وهامَ بي في كلِّ واد.

ولا أنكر أنّي كنتُ أشعر بالضّيق حين أقرأ أو أسمع . . ما يقلل من الشعر، أو يحطّ من مكانة الشاعر، مثل البيت الذي ينسبونهُ إلى الإمام الشافعي:

ولـوْلا الشعـر بـالعلمـاء يُـزرى لـكنـتُ اليـوم أشعـر من لـبيـد

وتلك الروايات والأخبار من بعض الشعراء الذين تزهدوا، أو ندموا على ما قالوا: فأحرقوا كل آثارهم الشعرية . . وإن أنسَ فَلَنْ أنسى حوارًا ساذجًا دار بيني وبين المرحوم السيد العالم هاشم المرتضى في مجلس «قات» بصنعاء سنة ١٩٤١م وكان تِرْبًا وزميلاً لوالدي في مدرسة «شهارة» فقد قال لي: بلغني أنكَ تَقرض الشِّعر يا أحمد؟

قلتُ: نعم، قال: لا خير لك فيه. قلت: لماذا؟

قال: لأنه كما قالوا «أعذبُه أكذبُه»، وأنت «ابن فلان الفلاني» ولا أريد أن تكون كذَّابًا، ثم ستبقى طيلة حياتك، إمَّا . . مادحًا متسولاً، أو هجاءً تَنَال مِن أعراض الناس، أو تهيمُ في وديان الضَّلال، وهل تعرف أنَّ «المتنبي» أكبر الشعراء تحاشى دخول الكوفة حين بلغه قول شاعر لا يصل إلى رتبته بلاغةً وبيانًا:

أي فَضل لشاعر يطلب الفَضْلَ من النَّاس بكرة وعشيّا؟
عاش حينًا يبيعُ في الكوفة الماء وحينًا يبيعُ ماء المحيا!

قلت: ولكنّ الرسول ﷺ قد أيد «حسّان» بروح القدس.

قال: فلقد قال ﷺ: «لأن يملأ أحدكم جوفه قيحًا خير من أن يملأه شعرًا».

قلت: قد صحّحت الرِّواية عائشة أمّ المؤمنين . . بقولها إنّ تَتمَّة الحديث «هُجيتُ به» فضحك، ربما ابتهاجًا بأنّ ابن صاحبه يستطيعُ الجدل!!

وقال: وماذا تقول في قوله تعالى: ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون: أَلم تَرَ أنَّهم في كلّ وادٍ يهيمون، وأنَّهم يقولونَ ما لا يفعلون﴾، قلتُ: تتمة الآيات: ﴿إلاَّ الذين آمنوا﴾، قال: فَلن تأتي بجديد، وقد قال «عنترة» قبل الإسلام:

هـل غـادر الشعـراء مـن مُتَـردِّمِ

وقال آخر:

تأمَّلْت في نظم القريض وأهله

إلى قوله:

فلم أرَ إلا سارِقًا لَفْظَ غيرِه بلا حشمةٍ، أو مَنْ يُغِيرُ على المعنى

قلت: أوَّلًا، ليس في ذلك نيل من قيمة الشعر الأصيل، وثانيًا، هل قال أحد قبل عنترة، والشاعر الآخر ما قالاه؟

قال: لا أذكر، قلت: إذن فقد جاءا بِشيء جديد، قال: أما سمعتَ قول الشَّريف الرضي؟ وهُوَ هُوَ.

مالك تَرضى أن تُعَدَّ شاعرًا؟ بُعْدًا لها من عدد الفضائِل

وكذلك قوله يخاطبُ أباه:

إنّي لأرضى أن أراك مُمدحًا وعلاكَ، لا ترضى بأنّي شاعرُ

أليس في ذلك دليل على أن «الشريف» وأباه كانا يَسْتَنكفان عن لقب الشاعر ويحتقرانه؟

قلتُ: وهل سمعتم قول «المتنبي»:

وفؤادي من الملوك وإن كا ن لساني يُرى من الشُّعراء

هذا من جهةٍ، ومن أخرى فلَوْ لم يكن الشَّريف الرضي شاعرًا لما كان من الخالدين، وأين «عُلاَ» أبيهِ. وقد كانَ كما قال «المعري» يرثيه:

الطَّاهر الآباء والأبناء، والـ أثوابِ، والآراب والألَّاف
رَغَتِ الرِّعودُ وتلكَ هدّةُ واجب جبلٌ هوى من آل عبد منافِ
هلّا دفنتم سيفُه في قبره مَعَهُ، فذاك له خليلٌ وافي

أين ذلك الجبل؟ لقد نسيَهُ الناس، وبقي شعر ابنه «الشريف» يُعلى ذكره، ويمجَّدُ اسمه، حتَّى في مجلسنا هذا بعد مئات السنين.

قال باسمًا: لو كان جدّكَ «عامل شهارة» حيًّا لزجرك عن قول «الشعر».

قلتُ: وهل كان شاعرًا؟ قال كلَّا! قلتُ: فأنتم تعلمون أنَّ جدّه الأعلى هاشم بن يحيى الشامي وابنه محمد بن هاشم قد قالا الشعر البديع. قال: نعم.. قلت: وأيهما أفضل في نظركم «جدّي». «عامل شهارة» أم جده هاشم بن يحيى قال: لقد كان «هاشم بن يحيى» إمام علمٍ، وزُهدٍ، وهو صاحب «نجوم الأنظار».

قلت: وقد كان أيضًا إمام شعر، وقد نسي الناس نجوم أنظاره لكنهم يحفظون بدائع أشعاره، وقوله:

وإذا القَلْب على الحبّ انْطوَى، فاشْتِراط القُربِ واللقيا غريب

يدورُ على لِسان كل يمني أديب، ثمَّ أمَا قَد رويَ عن النبي ﷺ قوله: «إن من الشِّعر لَحِكمة»؟ قال: نعم.. قلتُ: أو مَا قَال عمر بن الخطاب «الشِّعر ديوان العرب»؟ قال: نعم. قلتُ: وإذن..؟ فتأمَّل قليلًا.. ثم أقبل عليَّ بصوتٍ خافت قائلًا:

«إنني أخشى عليكَ يا بُنَيَّ مِنْ حصائِد الألْسنة».

«فإذا كان قَدْ قُدر لكَ أن تكونَ شاعرًا: فاتْركِ المدحَ، واحذرْ مغبَّات القول، ولا تكُنْ هجَّاء، وكنْ من الذين آمنوا.. قلت: (وانْتصروا من بعدما ظُلِموا) فضحك وقال: هداك الله»:

لقد شعرتُ يومها بشيء من الاعتزاز والتباهي، فركبت دولاب الخيال يدور بي في آفاق الشعر الواسعة، ولم يدرك عنفوان طموحي وحماس شبابي عمق ما تعني «مغبات القول» و «حصائد الألْسِنة» واندفعت متغزلًا، وناقدًا ومادحًا، وقادحًا، وبانيًا طورًا، وطورًا هادمًا، وهادئًا حينًا وحينًا ثائرًا، وأرضيت وأغضبْتُ، وصادقت بشعري وعاديت، وربما أحسنتُ ولكني قد أسأتُ أيضًا.. وهأنذا الآن وبعد الخامسة والخمسين أدرك أنّ الوالد «هاشم المرتضى» كان ناصحًا برًّا، وأتذكر بعضَ ما تفوَّه به لساني، أو خطه قلمي، مِمّا نُشر ومِمّا لم يُنْشَر فيلسعني النَّدم، وأفهم ماذا عَنَاهُ ذلك الشَّيخ الوقور رحمه الله.

نَعَمْ لقد أخلصت لِلشِّعر وجعلته عُدتي وعتادي، ورفيق عمري وزادي وزنادي.

وحينَ لَسعَني الهوى رقاني «الشعر» بِترياق الخيال، فكنت أفيء إلى ظلال الأحلام في رياضه، وألوذُ بِه من رمضاء الهجْر والبعاد.

وحين أنكَرتُ ما أنكرتُ، وحاربْتُ منْ حاربت، كان «الشعر» هو السلاح الذي به أصولُ وأجول، وأحدو قوافل الرفاق إلى ميادين الصِّراع.

وحين طَغت المصائبُ والمحنُ، وأناخَتْ بكلاكلها على الضُّعفاء، والمضطهدينَ والمشردين، كان «الشعر» أرقَّ ما استطعتُ أن أواسيهمْ به، أرسل ألحانه الحزينة فتكَفْكِف الدموع، وتبلسم الجراح، وتهدهِد الحرقات.

وحين حاول ــ من حاول ــ أن يطمس مَعالم التاريخ «وقال الزُّورَ والبهتان فينا.! كان «الشعر» حجَّتي «الدّامغة»، وجَلْجَلت بصَوته فارتَجفَت أركان، وانهزمَت جحافل..

وكان رفيقي عندما هاجرت.. وكان أنيسي في السجن، وما طاف بي مكروه إلاَّ بدَّدت ظلماته بالشعر، ولا ألمَّ بي أسى إلاَّ طردتُهُ بالأوزان والقوافي.

وهو من قبل ومن بعد كما قلت:

يا يراعي أعْتصرِ حياتي شعرًا ... يُطربُ النّاس لحنُهُ الرَّقْراقُ
نغمًا تَلْجأ الأماني إليه ... ــ إن تأسَّتْ ــ ويفزعُ العُشَّاق
قدسيًّا إذا قوافيه تُتْلَى ... خَشعَ المؤمنون، والفُسَّاقُ
هُم يظنونهُ ترانيمَ لهو، ... أو نشيدًا تبثُّه الأشواق
وهو أنات عثرةٍ ومعاناةُ ... خلاصٍ، ودمعُ روحٍ يراقُ
لهمُو منه نَغمةُ الوترِ اللاهي ... ولي منه النّار والإحراقُ

وقصتي مع الشعر. هي رحلة العمر، أقرؤه أو أنشيه، ولَعَله ــ وقد أسْهبْتُ ــ يجدر بي أن أذكر أني كنت ــ قبل البلوغ ــ أتذوَّق تلك الأشعار الركيكة في «ألف ليلةٍ ولَيْلة» وقصة «سيف بن ذي يزن» ثم تجاوزت ذلك إلى «البُرعي» و «البهاء زُهير» و «المستطْرف»، وما جاوزت السابعة عشر إلاَّ وقد درست دواوين «أبي تمام» و «البحتري» و «المتنبي» و «جرير» و «الفرزدق» و «الأخطل» وكتب «البدر الطالع» و «نيل الوطر» ثم وقع في يدي كتاب «الأغاني» فهمت معهُ في كلّ واد.

ولا بد أن أشير إلى تأثري بكتب الدكتور «زكي مبارك» «البدائع»، و«الموازنة بين الشعراء» و«النثر الفني» وبدراسات الدكتور «طه حسين» في «حديث الأربعاء» والأدب «الجاهلي»، وقد قرأت «العقاد»، و«المازني»، و«الزيات»، و«أحمد أمين»، حتى وقفتُ بباب أديب الإسلام «مصطفى صادق الرافعي» فألقيتُ عندهُ عصا التِّرحال واتخذت من أدبِه المنهج والمثال، وقرأت بإمعان «حديث القمر»، و«رسائل الأحزان» و«أوراق الورد» و«المساكين»، و«وحي القلم» وأعدت قراءتها، ولم أسأم تكرارها، ودرسْتُ ودرَّسْت «تاريخ آداب العرب» و«إعجاز القرآن».

وإن أنسَ.. فَلَن أنسى ــ ولْيغفر لي القارىء الإسهاب ــ أني حين أنشدتُ قصيدتي «الرائية» في مجلس ولي العهد «أحمد» أودع عام ١٣٦١هـ المشؤوم، وأستقبل عام ١٣٦٢هـ/١٩٤٣م، مهنئًا الأمير. متحدِّثًا عن «الشعراء»، وكان الشاعر إبراهيم الحضراني قد وصل من «ذمار» إلى «تعز» لكنَّه لم يكن في المجلس عند إنشاد «القصيدة»، وفي اليوم التَّالي هَبَطتُ إلى «المدينة» مع الأخ الأديب السيِّد حسين الويسي، وقصدنا «دكّانَ الحِرْوي» فأخذ «الويسي» القصيدة وأملاها على الحاضرين وضمنهم إبراهيم الحضراني وما إن تلا الأبيات:

وشاعرٍ يَبْعث الأنّاتِ صاخبةً كأنَّها جَمَراتٍ في حناجِرِهِ

إلخ.

حتى قَهْقَه «إبراهيم».. فقلت: ماذا بك؟

فقال «الويسي»: «إنه قد تصوَّر نفسه، فقد اشْتوى حلقومه بهذِه الجمرات..! وضحكت، وطَرَفَتْ عينا «إبراهيم» فمدَدتُ كَفِّي وتصافحنا، وكان أوَّل لقاءٍ لصداقةٍ شعرية عجيبة!

انسجمتُ مع إبراهيم الحضراني انسجامًا شعريًّا إبداعيًّا، وبدأنا نسلك الجادة التي سلكها شعراء «أبو للّو» ونهيم في وديان علي محمود طه، وإبراهيم ناجي و«الشابي» وكنت قد قرأت قطعًا مترجمة من «شكسبير» للأستاذ محمد فريد أبو حديد، وبطريقةٍ لم نألفها من قبل: وفي سرد منغم موزون لا يبالي بالقوافي، كما قرأنا مثل ذلك للشاعر علي أحمد باكثير، والشاعر حسن بن عبد الرحمن السقاف،

«وكلاهما من حضرموت اليمن» وهو ما كنت أصبو إليه، وأحاوله حينما بدأت مزاولة الشعر وعاصتْني القوافي، فمضيتُ مع إبراهيم في تلك الجادة السَّهلة: هازلين حينًا، جادين أحيانًا، ومن شعر إبراهيم حينذاك قصيدة «بلا عنوان؟ قالها سنة ١٩٤٣م أي قبل أن تُفكر الشَّاعرة «نازك الملائكة» في نظم «القصيدة الجديدة» بخمس سنوات، يقول إبراهيم فيها:

ما لِقَلْبِي يتضَرَّمْ؟
وكياني يتهدَّمْ؟
أيتها النَّفسُ.. حنانيكِ.. اهْدئي.
أيتها الآمال مَهْ لا تعبسي.. وابتسمي.
لِمَ.. لا أحْيا.. كما تَحْيَا الطُّيورْ.. وادعا؟
أتَغنى حين أغدو. وأحورْ.. لاهيا،
لا أبالي. هم أمسي، أو غدي،
وَاجدًا في كلِّ شيء مُتْعتي،
في الهواء الطَّلق، في عَرْفِ النَّسيم،
في خرير الماء، في سِحر الأصيل،
لَسْتُ بالمسؤول.. في هذا الوجود!
أنا فيه ذرة في جَبَل..
أو حصَاة في خضم مُزبد..
إنما جِئتُ لأحيا
بفؤادٍ كالرَّبيع،
لا ترى فيه سوى غُصنٍ يميسْ،
وهزاز يَتَغَنَّى فيه.. أو زهرٍ يضوعْ.

إلى آخر القصيدة وهي طويلة بديعة، ولقد ألَّفتِ الشَّاعرة الكبيرة «نازك الملائكة» كتابًا قيِّمًا عن «قضايا الشعر المعاصر»! وأنا أتفق معها في جلِّ ما افْتَرَضَتْهُ،

وفي معظم دراساتها، وأنظارهـا، التي ضمنتها الـطبعة الـرابعة سنـة ١٩٧٤م عن هذا اللون من الشعر، ولكنّي أخالفُها في تحديد بداية حركة «الشعر الحر وتاريخهـا» وزعمها بأنها كانت سنـة ١٩٤٧م «في العراق، ومن العـراق بلْ ومن بغـداد نفسها»! وأنَّ أوَّل قصيدة حرة الوزن تنشر ــ كانت ــ قصيـدتها المَعْنـونة. . «الكـوليرا» ص ٣٥ «قضـايا الشعر». لأن هذا الزعم قد جعل مكان نشأة الشعر الجـديد «العـراق» كما يؤيـدها في دعـوى فَضْل ابتكـاره سنـة ١٩٤٧م، وهي دعـوى عـريضـة. . ، يخـالفهـا الـواقـع، فـالشـاعـران عـلى أحمـد بـاكثـير وحسن السقـاف «بن عبيـد الله» وهمـا يمنيـان، ومن حضرمـوت موطن أمـير الشعراء «امـرىء القيس» قَدْ مـارسا هـذا اللون من الشعر في أواخر الثَّلاثينـات، وبطريقـة مثيرة، وقبـل أن يَسْمعا بـاسْم «نازك المـلائكة، كـما أني وإبراهيم الحضراين قد تعاطيناه قبـل أن نقرأ «لنـازك، أو نزارًا» شعـرًا مقيدًا أو شعـرًا حرًّا، ومع ذلك لا أدَّعي أن إمارتـه لليمن: وأنها منبعُه، مثلما كـانَت قديمًـا، متمثلين بقول الناقد القديم: «كادت اليمنُ تذهب بـالشِّعر كلِّه». . لأنَّ هـذا اللون من الشعر قد عرف قديمًا، وكانوا يسمونه «البَنْد» وهو أصل من أصول الشعر الجديد.

وقـد وجَدت بـين ركام أوراقي «مَـوْؤودَتَين» مِن هـذا الشعـر قلتُ الأولى قبـل هجرتي إلى عدن سنة ١٣٦٢هـ / ١٩٤٣م، وعنوانها: «الحرية»، ومِنها:

يا فتى الآلام. . يا ابْنَ القَهْرِ. .
ماذا تَتَصبَّـى. ؟
ما الَّذي يُضْنيك؟ بل ماذا تريد؟
أنت تهواها. . !
أنت مُضناها. . وتَخشاها. !
ولها «بَابٌ» عَتيد. . !
إنَّها «الحمراء» والكفُّ العنيد. .
يطرقُ البابَ. . فكُنْ،
كُنْ. . وَكنْ. . أو لا تكُنْ،
تلكَ مأساة جميع العاشقين.

إلى آخرها، وأفكارُها مطروقةٌ، ومُضطربةٌ، ولا أستطيع أن أسْتَجْلي الآن ما كان يخامرني من مشاعر، ولكنَّها تؤكد ما قلته من دَحْض دعوى «نازك»، وتصور ثورةً مبكِّرةً على الهياكِل الشعرية المألوفة حينذاك.!

وأما «الموؤودة» الأخرى فكان عنوانها «لعنة» في «عدن» وقد أنشأتُها هناك سنة ١٩٤٤م، ومطلعها:

«أحبّك.. لا.. بل أحبُّ انفعالي،
بما يلتَظي تحتَ عينيك من!
سُهادٍ، ومِن ألمٍ قاهر.!
أأنتِ الغريبةُ..؟ لا.. أنتِ في شاطىءٍ
بعيدٍ بعيدْ...
غريبٍ على العاذل السَّاخر،
وفي «عدن» حيثُ لاَ مقلَة..
ترانا إذا ما التَقينا.. على نَغَمٍ سَاحِرِ.
نُراقص فيه ظنون الجمالْ..
فتعيا.. وقَد ثمِلَتْ بالخيالْ..
وتغفو.. وسرعان ما تستفيق»،
على صوتِ شاعرها الثَّائر،
فأرجُمُ بالوهْمِ من يخطئون،
ومن يقرأون، ومن يكتبون،
زورًا.. وإفْكًا..
وأشْتُمُ من يجأرونَ.
بالدَّعواتِ.. ومَن يُحْرِقونْ..
بخُورَ الصَّلاة.. على جُثَّةِ الشَّاعِر.

* * *

وحين هاجَرْتُ إلى «عدن» ولازمت ندوةَ «مخيَّم أبي الطيب» وجالَسْتُ الشاعرين محمد عبده غانم، وعلي محمد لقمان، استعَنتُ بهما على معرفة قصائد مِنَ الشعر الغربي، وكنتُ قد قرأت ما ترجمه «خليل مطران» و «الزيَّات» وغيرهما لِشعراء الغرب وأدبائه، وقرأتُ «طاغور» و «تولُوتسوي» و «جوركي» و «شيلي» و «بيرون» واستوعبتُ ما كتبه أحمد أمين، وزكي نجيب في «قصة الفلسفة اليونانية» و «الحديثة»، وفي «قصة الأدب في العالم»..

الشعر هو لبابُ حياتي، ولا أستطيع أن أتصور نفسي ناجحًا راضيًا.. لو لم أكُنْ قادرًا على قول الشعر ــ كما قال صديقي ــ فهو سراجي إذا تدجَّتِ الخطوب، ووسيلتي إذا انقطعت الأسباب، ومَهْرَبي إذا انسدَّت الطُّرقات، لقد حاول البعض أن يجردني من خصائصي.. وقالوا ما قالوا. ولكنَّ شعري فَرَض نَفَسَهُ على أقلامهم، فلم يَسْتطيعوا له جحودًا.. وَوَدّوا لَو اسْتطاعوا..!

والآن.. وقد طَغت فوضى اللفظ واخْتَلت موازينُ الشعر، وتطاول عليه قومٌ لم يُهيَّأوا طَبعًا وتكوينًا ليكونوا شعراء.. بَلْ ولَم يحاولوا معرفة وسائِله وآلاتِه، ودراسة علومه، فَيُحْسِنُوا إنشاء تراكيبه، ليكونوا على الأقل من طبقة «النظَّامين».. كما كانوا يسمونهم قديمًا، «والشعرُ صَعْبٌ، وطَويلٌ سلمه»، وويل له من كاتبه وقارئه، إذا لَمْ يملك حاسَّةَ ضَبْطِ أوزانِه وأعاريضه، ومَلَكَةَ اسْتِكْناه رموزه، وتواريه، وإشارته»، ولقد كتب الكثيرون يحاولون التَّصحيح والتبيين، ولكن هؤلاء لا يكادون يفقهون قولاً، وإذا أراد العارفون تبْصيرهم، قالوا.. لا.. لا.. هذا شعرٌ جديد، فإذا قيل لهم: أين نَغَمهُ؟ أينَ مُوسيقاه؟ أنكروا العَروض وقالوا تلك تُرّهات القدماء، في الجاهلية الجهلاء، فإذا قيل لهم: على الأقل سمُّوه «نَثرًا».. وإلاَّ فلماذا وجدت لفظتا «الشعر» و «النثر» في كلّ لغات البشر، وقالوا «نثر فني» و «قصيدة منثورة» و «معنى معقود» وقالوا هذا «شعرٌ» وهذا «نظمٌ».. وهذا وهذا، إذا قيل لهم ذلك، تبرموا، ولاكوا كَلِمات؛ «الجمود» و «الرجعية» و «التجديد» و «الحريَّة» إلى آخر الألفاظ التي لا علاقة لها بالشعر والنثر، والنظْم، والبيان، والقديم والجديد.

لقد اعترفتُ ــ سَلَفًا ــ أني كنتُ من أوَّل من زاول هذا النوع من الشعر الذي يسمُّونه تارةً «الجديد» وأخرى «الحر»!

ولكني ما كنت أظنُّ أنَّه سينتهي إلى مصيره الحاضر.. ! وفَرَرْتُ بِنَفسي وهمومها الشعرية، إلى كنف «أبي العلاء المعرِّي» وبعد عشْرةٍ طويلة: توطَّد يقيني، بأنَّ «القافية» «لازمةً» ضرورية.. وليس ذلك فحسْب.. بل وأنَّ «التزام» الحروف المتعدِّدة «فنٌّ طبيعي» يحتمه الذوقُ الفني أحيانًا، وتفرضه الفِطرة الشعرية، وتَساوق السَّرد البياني، كما لَهَج به «كُثَيِّر عَزَّة» في تائيته، و«ابن الرومي» في مطولاته، وَوَجدْتُ لذلك أشباهًا ونظائر في أشعار الفحول خلال العصور؛ وفيه المتكلف البغيض، وفيه الطبيعي الجميل.

ولقد مارست هذه الصناعة الطَّبيعية، فوجَدْتها رياضة فكرية ولسانية وفنِّيَّة، لأنها تشحذ الذِّهْن، وتقوي ملكة البيان، بل وتُرْهف الذَّوْق الشعري.

وعندما كنتُ أجاري «أبا العلاء» في لزومياته.. قال لي أحدُ أدباء اليمن، ولماذا تعنتُ وتُجهد نفسك؟ قلت؛ ليس في الأمر إعنات ولا إجهاد؛ ثم أغرقْت في القول كي ألفت انتباهه فَقُلْتُ: ولو كُنْتُ من أبي العلاء. وفي قُدْرته ومعْرفته، وتمكنه اللغوي، وشاعريته الخلاَّقة. لسَمَّيت كتابي «لزومُ ما يلزم».. قال: إن «لزوميات المعرِّي» من الشعر الوحشي الغريب المكبَّل بالقوافي والحروف، والألفاظ المتكلَّفة؟

قلتُ ــ غير قاصد إحراجه ــ : إن الواقع عكس ما تقول يا صديقي ؛ ففي «بعض» ما ورد في ديوان.. «سقط الزَّند» وهو أوَّل دواوين «المعرِّي» ما هو أكثر وحشية وغرابة علينا نحن المحدثين.. وقواميسنا اللُّغوية المحدودة، مِمَّا وَرَدَ في «اللُّزوميَّات» وسأضرب لك مثلاً:

يقول «المعرِّي» في «سقط الزّند» [ص ٥٨]:

يا ابن الأَلَى غير زَجْر الطَّير ما عرفوا ... إذْ يعرف العربُ زجر الشاء والعكَرِ
والقائديها مَعَ الأضياف تتبعُها ... ألَّافها وألوف الأُم والبدرِ
من كل أزهر لم تأشرْ ضمائرهُ ... لِلثم خدٍّ، ولا تقبيل ذي أشر
لكِنْ يُقبِّل فوهُ سامِعي فَرس ... مقابل الخلْقِ. بينَ الشَّمس والقمرِ
من الجياد اللواتي كان عوَّدها ... بنو الفُصَيص لقاء الطَّعن بالثُّغر
يا غيثَ فهم ذوي الأفهام إن سدرت ... إبلي فمرآك يشفيها من السَّدر

ويقول أيضًا في «سقط الزند» [ص ٢٨٢]:

أضاةٌ يروم السَّمهري ورودها ... فتشرقُه مِنها بأبيضَ سلْسال
وترجعُ خرصان العواسل هيِّبًا ... كخرصان رقْل، أو مخارص عسَّالِ
من البيض فرعونية ليس مثلها ... بمشْتَمِل حيْرى دهرٍ، على حالِ
إذا كرةٌ كانتْ لبيضاء نثرة ... دواء أرتْ كرًّا يجيب وأذيال

وهاتان القطعتان من روائع شعر المعرِّي في المدح، والوصف في ديوانه «سقط الزند» بينما نسمعه يقول في «اللُّزوميَّات» [ص ١٦٠] ملتزمًا الباء المكسورة مع الذَّال والياء:

الحمد لله؛ ما في الأرض من دعةٍ ... كلّ البرية في همّ وتعذيبِ
جاء النبي بحقّ، كي يُهَذِّبكم ... فَهَلْ أحسَّ لكُم طَبْعٌ بتهذيبِ؟
«عودٌ» يُصدِّقُ، أوْ غرٌّ يُكذِّبُ أو ... مردّدٌ بين تصديق وتكذيب
ولو علمتم بداء الذئب من سغَلٍ ... إذن لَسَامحتم بالشَّاة للذيب

ويقول أيضًا ملتزمًا الباء المكسورة مع الباء والألف:

بني الآداب؛ غَرَّتْكُمْ قديمًا ... زخارفُ مثل زمزمة الذبابِ
وما شُعراؤكم، إلَّا ذئاب ... تلصَّصُ في المدائح والسِّباب
أضرّ لِمَنْ نَودّ من الأعادي ... وأسرقُ لِلمقال من الذُّباب!
أقارضكم ثناء غير حقٍّ ... كأنا منهُ في مجرى سبابِ
أأُذْهِبُ فيكم أيام شيبي ... كما أذهبتُ أيَّامَ الشَّباب!
معاذَ الله وقد ودَّعت جهلي ... فحسْبي من تميم والرَّبابِ؛
ذروني يفقد الهذيان لفظي ... وأغلق للحِمام عليَّ بابي؛

فتأمل أيُّ الشعرينِ أسهل وألطف وأجمل، لا قافية وروعة سبك، بل ومعنى وموضوعًا؟ هذا مع أني لم أتعمد الاختيار للأصعب من هناك، أو الأسهل من هنا؛ لأنَّ العارفين باللغة لا يجدون صعوبة في تلك الشواهد؛ كما أني لا أنكر أن «اللُّزوميَّات» قد اشتملت على الكثير من الألفاظ الغريبة والتعابير المتكلفة، وذلك

ما يوجد في الشعر على مختلف أشكاله وفي كل العصور. وكأنَّ الصَّديق قد أراد «اختباري» فقال: وهَلْ جاريت هاتين اللُّزوميَّتين؟ قلتُ: نعم. قال: كيف جاريت الأولى؟

قلتُ:

قلبي لكم؛ فلماذا تعبثون به ... ماذا جنى كَي تجاوزه بتعذيبِ؟
أنتم يقيني وشكِّي في الحياة، كما ... كنتم جحودي وإيماني وتهذيبي
بالحُبّ أقسمُ ما أشركتُ غيركُم ... فيه، ولا فُهْتُ ـ عَنْ عمدٍ ـ بتكذيبِ

قال: وماذا عن الثانية؟ قلتُ: كانت للمجاراة كما يلي:

دعوني أنتحبْ أسَفًا، لأني ... وهَبْتُ اللهو أيامَ الشَّبابِ
شُغِلتُ عن المحاسِنِ بالمعاصِي ... أجازفُ بالمدائح والسِّبابِ
وأقطع بالظُّنون بلا دَليل ... وأرضَى بالقشور عَنِ اللُّبابِ!
وكِدْتُ أهيمُ في فلوات تيهي ... فتخطفني متاهاتُ التِّبابِ،
وهلْ يُغني التلهف؟ أو سيجدي ... إذا أغلقت دون النَّاس بابي؟

وستجد كل ذلك في ديواني، «ألف باء اللُّزوميَّات» الذي آمل أن يخرج على الناس مع هذا الديوان، إن شاء الله تعالى.

ولأنَّ الشِّعر موسيقى، وتصوير وتعبير، وله صفات، وقواعد تميزه عن النثر، أردتُ أنْ أضرب مثلاً لأولئك المتطاولين عليه من يمنيين وغيرهم، وليعرفوا أنهم إنما يفرِّطون، ويتساهلون ويتهرَّبون من الموسيقى، والقوافي، لا تجديدًا.. كما يزعمون، وإنما تكاسلاً أو عجزًا.

إن الشَّاعر ينظُر إلى الوجود ببصر خاصّ لأنه قد خُلقَ مزودًا بقوة إشعاع باطنة ترى ما لا تراه العيون العادية «والجمال والحب، والخيرُ، والشرّ، والحق والباطل، والعدلُ والظلم، والإيمان والكفر، والسَّعادة والشقاء.. بل والطبيعة بكل ما فيها من هواء وسماء وبحر وبر، وأشجار، وحيوانات، إلى آخره.. كل ذلك حقائق.. لها مدلولاتها في أذهان النَّاس، حَسَب قُدْراتهم الفطرية، وثقافاتهم الاجتماعية، وظروفهم المادية والروحية، ولكن الشاعر. يأتي «فيرى ببصره الشعري» أسرار هذه الحقائق

والأشياء فيعبِّر عنها ويُظهر خفاياها. ويبين خصائصها. بَلْ ويزيدُ فيها وينقص، ويهذِّب ويلون، ويَعْبث أحيانًا: وبقدر نفاذ بصره الشعري «الموسيقي» يستطيع أن يُضفي على تلك الأشياء المادية، والكائنات الطبيعية، والحقائق الذاتية.. ألوانًا سحرية راقصة خلاَّبة تَسْتَولي على مشاعر الناس «وتَسْتَهويهم»؛ وتسرحُ بمشاعرهم في عالم كلّه لذَّةٌ وانسجام.

ولذلك قيل: «إن من البيان لسحرا»، ولذلكَ أيضًا كان للشعر «تفاعيل» موسيقية، وأنغام مطربة، لأنَّ «الموسيقى» هي لذَّة الرُّوح، وشهوة السمع، وموسيقية «التَّفعيلة» ورنَّة «القافية» هي الفرق بين الشعر، والنثر، علمًا بأنَّ عظماء الكتاب والخطباء والفلاسفة يملكون فطْرةً واكتسابًا ما يملكُه عظماء الشعراء من مواهب، ولذلك فآثارهم النثرية يكون لها نَفْسُ التأثير على المشاعر البشرية..!

إلاَّ أن الشعر ــ الشعر الحقّ ــ ألطف وألذّ، وأكثر متعة بنغمتِه، وموسيقاه! ولذلك أيضًا لا يمكن أن نسمي الكلام الذي لا وزن له، ولا تفعيلة شعرًا.. حتى ولو كان في أسلوب بياني جميل خلاَّب، ويعرب عن حقائق سامية، وأفكار إنسانية نبيلة، ولذلك أيضًا نحاسب الشَّاعر حسابًا عسيرًا، على «الإيطاء» و«الإقْواء» و«السنادِ»... إلخ، ولا نسمح له بما نسمح للكاتب والخطيب والفيلسوف من حرية الإسهاب، والتبحُّر، والتدليل، لأن بصره ــ الشِّعريّ إن كان نافذًا ــ يجب أن يتقيد بنظام الأوزان. بل و«يَلتَزم» القوافي الطبيعية المناسبة لمضمون ما يريد الإعراب عنه، فتأتي أفكاره موزونة لا خلَلَ فيها، ولا فساد، ولا استرسال، ولا تكرار، ولا نشوز.

إن المعاني هيَ هيَ عند «الناثر» العظيم وعند «الشاعر» العظيم، لكنها لدى «النَّاثر» حرية وانطلاق، وشرح، وهي لدى «الشاعر» غناء وموسيقى واستيعاب، وهذا هو الفرق بين «النثر» و«الشعر» عند البشر، وبهذا المعيار أيضًا يظهر الفرق بين الشاعر «حقًّا» و«المتشاعر» عند «النقاد» الذين يملكون وسائل نقد الشِّعر، من علم، وذوق وإحاطة و«بصر شعريّ» أيضًا.

ولا أعتقد أن «طاغور» كان مخطئًا حين قال: «إن الله يخاطبُ النَّاس عن طريق الموسيقى»! وإذن فالموسيقى اللفظيَّة «ملتزمة» للقوافي المتعددة، أو غير مُلتزمة، هي مِيزة «الشِّعرِ» والفارق الفني بينه وبين سائر أنواع «الكلام»..

إنَّ آثار عباقرة «النثر الفني» تُسامق جمالاً وروعةً آثار كبار الشعراء.. في كلِّ العصور ولمن يُريدُ ــ وهو يَسْتَطِيعُ ــ أنْ يُعبِّر عن أفكاره وأحاسيسه، بعبارات جميلة غير مقيدة بـ «وزن» ولا «قافية».. فلْيَفْعَل وَلْيُسَمِّ ما يقوله «نثرًا» لا «قصيدًا» ولا شعرًا؟ وله من «نهج البلاغة» للإمام علي، و «أوراق الورد» للرافعي، و «الأجنحة المتكسرة» لجُبْران، و «الأيام» لطه حسين أمثلة رائعة خالدة في تاريخ الأدب قديمًا وحديثًا.

وحانَتْ «نوبتي» الشعرية، حين.. تجتاحُ أعصابي ومشاعري ونهاري وليلي، دونما سابق إنذار، أو محاولة، أو إرادة..! وقلت لنفسي: «إنها فرصة العمر»! فَلأضربِ «المَثَلَ»، لا تحدِّيًا، ولكن حفاظًا على كرامة «الشعر الجديد»، واستَسْلَمَتْ «للنَّوبة».. في فترةٍ رهيبةٍ بإرهاصاتها، وأحداثها، وذكرياتها، وترنَّمت به مقيدًا بالتزامات شاعرنا «المعرِّي» مُنْطلقًا في آفاق ذكرياتي حينًا.. وتارة أهيم في ذاتي مصورًا ما تعانيه أوزارنا، وما تكابده أنغامًا.

أحمد بن محمد الشامي

بروملي: ٧ ربيع الثاني ١٣٩٨هـ
١٥ مارس ١٩٧٨م

بنات الحسين

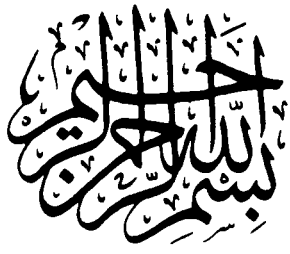
بسم الله الرحمن الرحيم

للإهداء

إلى .. قَصيدةِ الحبِّ الخالد ..
إلى .. ابنتَيَّ "الخمسين" من لحمٍ ودَمْ ؛
إلى .. بُنَيَّتَيَّ "أمة الله أحمد الشّامي"
أُهْدي : "بَناتَ الخمسين".
وإذا ما .. رجَّعَتْ أنغامَها .
مَعَ أخواتها ، و"رفيقاتِها ، مِنَ اليَمَن" .
وفي اليَمَنْ ، وبعدَ عشرينَ عامًا ..
فَلْيقولوا :
« رَحمةُ الله عليْه »

أحمد بن محمد الشامي

٧ ربيع الثاني ١٣٩٨ هـ
١٦ مارس ١٩٧٨ م

مُقدّمة

إلى المؤمنين بالحريَّةِ قولاً، وتفكيرًا، ومذهبًا، أقدمُ «بَنَاتِ الخَمْسين».

وما هُنَّ كلُّ مَنْ أنجَبْتُ بعدَ «الخَمسين».

فَبعض أبكارهنّ قد تخطَّرن على مسرح «حَصَاد العمر»[1] أما اللَّواتي توارين آنذاك اسْتحياء فهاهنّ «سافرات» مع أخواتهن «الأوروبيات» في هذا الديوان، وفي «ألف باء اللزوميات» وديوان «لزوميّات الشعر الجديدة»[2]..!

«الحريَّة» «ألف باء»، لغة الحياة. «توراة» و«إنجيل»، و«فُرقان» البَشَر، غايةُ كلّ «فلسفةٍ» وهدفُ كلّ «تشريع». روحُ «العقود» و«المواثيق»، وناموسُ «الشرائع»، و«الدَّساتير».

لا قيمة لي، ولا.. لَكَ، ولا.. لهُمْ، ولا.. لهُنَّ دونما حُريَّةْ! «حرِّية الاختيار»، و«حريَّةُ الرَّفضِ» أيضًا.. قولاً، وتفكيرًا ومذهبًا..

أنا لا أقول جديدًا.. فبِاسمِ «الحرية» كم هَتَف وتَفَلْسَفَ، وألَّف ونَظم، وعاش، وتلف، وجار وأنْصف، كثيرٍ من الأولين.

وباسمها قَد شرَّع وحكَم، وعدل وظلَم، وشيَّد وهدم، وثارَ وانْتَقَم كثيرٌ مِنَ الآخرين.

وباسمها.. كم تجبَّر الأقوياء لأنَّهُمْ «أحْرارْ»!

وكم تعذَّب الضعفاء.. لأنَّهم «عبيد»..!

---

(١) حصاد العمر: نُشر عام: ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

(٢) سيخرجان على الناس مع هذا الديوان إن شاء الله وثلاثتهن مِنْ وَحْي «الخمسين».

وقصةُ البشريَّة في كل مكان: شرائع وقوانين، وفلسفة ومذاهب، وحربًا وسلامًا، وخصامًا وَوئامًا، هي قصةُ الحرية في كلِّ زمان؟

وفي حدود زمني ــ وأنا في عقدي السَّادس ــ ومكاني، وَهْو اليمن[1] ستغنّي وتنوح، وتأسى وتمرح، وتجدُّ وتمزح، وتتمتم وتبوح، «بنات الخمسين» تحت لواء المحبة والرحمة.

يا أخي في «اليمن».

لماذا ألومُك إذا كنت «زَيْديًّا» وأنا «شافعي»؟

ولماذا أكرهكَ إذا كنت «شافعيًا» وأنا «زَيْدي»؟ وماذا يضيرك أو يَضيرني.. إذا كنتَ أو كنتُ «رجعيًّا»، أو «تقدُّميًا»، «سنِّيًا» أو «شيعيًا»، «قحطانيًّا» أو «عدنانيًّا»، «يساريًّا»، أو «يمينيًّا»؟

أليس الجميعُ بشرًا؟.. وقد خلقُوا «متساويين»؟

أليس لكلٍّ حقٌّ في الحرية، ونصيب في «الحياة»؟

وهُناك.. «قسطاس» للعدل لا تميلُ «شوكَته» حين تَطغى.. «الأمزجةُ» أو يُؤلِّه «الهوى».

لأنَّ «العدل».. هو.. «الحريَّة»..!

وميزانه.. وبمعاييره الدَّقيقة.. نِعْم الوازعُ، الرَّادعُ، والحارسُ الأمين.

فلْنتحاورْ ــ يا أخي ــ بالحُجَج.. ولْنَتَجادلْ بالبراهين، ولْنغمد السيوف، ولنكمِّمْ أفواه «النار والرَّصاص»، وليكن «المنطق ــ نهج حوارنا، وليَكُن «الحوارُ» وسيلةَ تعبيرنا، عمَّا.. نَعْتقده خطأ، أو نَظُنُّهُ صَوابًا، «في الرأي»، تَضطَغِنُ العقولُ.. ولَيْس تَضْطَغن الصُّدور، كما قال «أحمد شوقي»، أو كما قال أيضًا: «اختلاف الرأي» لا يفسدُ في الحُبِّ «قَضيَّة».

هذا هو نشيد «بنات الخمسين» اللَّواتي بَرزْنَ قَبْلاً، واللائي أسْفَرنَ في هذا

---

(١) ولدت في «الضَّالع» في شهر جمادى الأول سنة ١٣٤٢هـ / يناير سنة ١٩٢٤م.

الـديوان، والصَّبـايا اللواتي. . مـا زِلْنَ وراء الحجـابْ، والشَّـوقُ والحُبُّ لِلصَّبـايـا. . اللواتي ما زِلْنَ وراء الحجابْ!!!

«المحبَّة» ظلُّ «الحرية» الوارف.

«الرحمة» عرضُ «الحرية» المقدّس.

«الحوار» شعارُ الحريَّة، وحاميها القويّ الأمين:

فلماذا لا يكونُ نشيدُ الجميع:

المحبَّة.

الرَّحمة.

الحِوار. . ؟

والسَّلام على مَن اتَّبع الهُدى

أحمد بن محمد الشامي

بروملي: ٢٥ ربيع الثاني سنة ١٣٩٨هـ
٣ أبريل سنة ١٩٧٨م

ألف باء

اللُّزُوميَّات

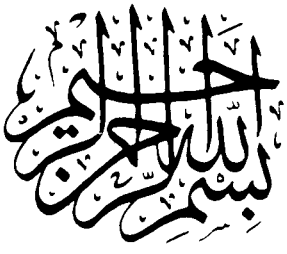
بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى: مَنْ تحت قَدَميها
جنَّتي وجَهنَّمي.
إلى: "الأُمِّيَّة"
التي عَلَّمتني
كيف أقرأُ وأكتب وأفكِّر..
إلى: "أُمي"..
"أُمة الله أحمد"
الشَّامي!

مُقدّمة

لقد سخرتُ من نفسي حين راودني النزوع إلى مُجاراة شَاعر الإسلام أبـي العلاء المعـري في «لُزوميَّـاتـه»: وَرددتُهـا بـادىء ذي بَـدْء ردًّا غـير جميـل.. ولكنّهـا ــ وهي الأمَّارةُ ــ أعادت الكرة. وظَلتْ تُغريني، وتشغل يَقْظَتِي ومنَامي، وتَهجُس في خاطري رَغم أنفي، مُتَمتمـة بـالقـوافي المصفـودة، وكُلما أمْعنت في الإعـراض: اشتَـطتْ في الإقلاق..

واسْتسلَمْتُ.. وبَدَأت أتسلَّق ذلك الجبـل الأشمَّ الشاهق، وأروضُ «أنْفَـاسي» على اقتحام شناخيبه، وكثيرًا ما كانت تخر لواهث في سفوحه ومَطَامِحهـا تَتَطلع إلى قممه ضَارِعة خاشِعَة.. ثمَّ تَهْدج مِنْ جديد..

و «المعري» في «لُزومياته» شاعر عمـلاق، ومعارضَتُهـا عَمل شـاق، ولهذا ــ في حدود علمي ــ لم يُحاول شـاعر أنْ يحـذو حذْوَهُ ــ القُـذَّة بالقُـذة ــ وبالالـتزاماتِ التي فَرضَها على نَفسه في ديوانٍ مُستقِل: يحتوي على ألف وخمسمئة واثْنتين وتسعين لزومية: أخضعَ فيها الشعـر للْحرف بقـدرة مروض مـاهر، كـما أخْضعَ الفِكْـر للشعر ــ وزنًـا وقَافية ــ بموهبة فَيلسُوف شاعر.

وكما قَيد أوْزَانَه بِقَوافٍ وحرَكاتٍ متعددة يَصعب الالتزامُ بها:

فَقـد قَيد نَفْسـهُ أيْضًا بموضوعات وأغراضٍ معيَّنة، فهـو لا بدَّ أن يُـودعَ في كُـل مَقْطوعة.. فِكرة فَلسفية. أو نَـظرة كَوْنيـة، أو مسألـة دينية أوْ مُشْكِلَة اجْتـماعية. وقـد يَسْخَر ويأسَى: ولا رَيْبَ أنه أبْدَعَ كثيرًا، كما أثارَ التساؤلات والارتباك أحْيانًا..

إنهُ «ديوان شِعْر بديع» فيه علمٌ، ودينٌ. وفَلْسفَـةٌ. وفَن، في صُور رائعـةٍ كأنمـا خُطت بِريشَة شاعرٍ إنساني، ولا يُوجد لها نَظير في كتَابٍ من مِثله..

أما القيمة الأدبية لِهذه «الصنَاعة الفَنيَّة» وتاريخُ نَشأتِها، وأوَّل من تَحدث عنها، فأحْسن مَنْ أشارَ إلى ذلكَ الأستاذُ مُصطفى صَادق الرافعي في كتاب «تاريخ آداب العرب قال في [ج ٣، ص ٣٧٥]:

«هَذَا نَوْع من الصِّناعة يَعُدونه من «البَديع» وقد سُمّي «الالتزام». و «الإعْناتُ». و «التَّضييقُ». و «التشديد».

وبهذه الأسماء يَدورُ في كتُبهم. والمرادُ بذلك عنْدهُم: أن يُعْنِتَ الناظم، أو الناثر نفْسه في التزام حرفٍ أو أكثر قبل حَرف الروي. وهو إنما يَفعلهُ صَاحبُ الكَلام لقوته، وَلوْ تَركَهُ لَمْ يَدْخُلْ عليه ضعف! غَير أني أرى أنَّ الحروف تَتساوقُ، وأنَّ اللِّسانَ «ميزان». . فربما كان موضعٌ لا يجد فيه البليغُ المطبوعُ بدًّا من الالتزام. فَيَفْعل ذلك «طبعًا لا صناعة» لأنه يرى اللسان يَتثبت في الكلمات، فإذا لم يَقَع من كل كلمة على الحرف الملتزم أخلَّ فلم يصبِ الرنَّة. ومن أجل ذلك لا يتمُّ حسن هذا النوع إلاَّ في الكلمات المتوازِنة بالألفاظ كقوله تعالى: ﴿فَلا أقسمُ بالخُنس. الجوار الكنَّس﴾ وهو أكثر ما يتفقُ. . أوْ بالمقاطِع، لأن كلتا الكلمتين التي يُلتزم فيهما قَدْ لا تكونان على وِزان الأحرفِ بنفسها. ولكنهما يتوازنان مع بعض مقاطع الكلمة التي قبلها، أو هما يتوازنَان في بعض مَقاطعها، لا في جُملتها كقوله تعالى: ﴿والليل وَمَا وَسَق. والقَمَرِ إذَا اتَّسَق﴾. فإن «وسَقَ» لا تُوازِن «اتَّسَقَ» ولكنَّهما يَتوازنان إذا قُلت «مَا وسق» و «إذَا اتَّسق، فإذا لَمْ يَتفق هذا التوازن كما ترى في «مَجْنُون»، و «مَفْتُونون» مثلاً ــ فهو حينئذٍ «الإعنَاتُ» و «التَّضْييقُ» و «التشديد» إذا كان يُحتَسبُ «التزامًا» لأنه غير «طبيعي في الكلام» ثم قال في[ص٣٧٦]: ولا نَعْرفُ أوَّل مَنْ نبه على «الالتزام»: ولكنَّ «قُدامة» و «ابن المعتز» و «العسكري» ــ وهذا توفي سنة ٣٩٥هـ لَمْ يُشيروا إليهِ في كُتُبهم. ولا وَرَدَ ذلك في كلام مَنْ نبَّه على «البديع» ممَّن قَبْلهم من الرواة، لأن الالتزامَ في أكثر مواضعه المسْتَحْسَنة طبيعي ــ كما قدمنا ــ ولكن «أبا العَلاء المعَري» المتوفى سنة ٤٤٩هـ نظم هذا النوع في ديوانه المشهور «باللزوميّات» وقال في «مُقدمته»: «وجَمعتُ ذلك كله في كتاب لقبتُه «لزوم ما لا يلزم» ومعنى هذا اللَّقب: أنَّ القافية تلْتزم لها لَوازِم. ولا يفتقر إليها حَشْو البيت: ولها أسماء تُعرف: وسأذكر مِنها شيئًا مخافة أن يقع هذا الكتاب إلى قليل المعرفة بتلك الأسماء». اهـ. ففي كلامه رائحة ضعيفة من الاختراع. ولعله أوَّلُ من نبَّه عليه: فإنْ كان كذلك فهو لم يدعه، لأنه نهجٌ مطرودٌ،

وشرعة موْرودة، غير أنه لا مراء في أنَّ «المعرّي» أوَّل مَن اتخذ هَذا النوع صناعة احترفها شطرًا من عمره، فتكلَّف في تأليفه كما قالَ ثلاث كلف:

- **الأولى**: أن ينتظمَ حروفَ المعْجمِ عن آخرها.
- **الثانية**: أنْ يجيء رويه بالحركات الثلاث وبالسكون بعد ذلك.
- **الثالثة**: أنه لَزِم مَعَ كُل روي فيه شيء لا يلزم مِنْ باء أو تاء أو غير ذلك من الحروف.

ثم قال الرَّافعي: ولم نعرف بَعْد «المعرّي» من تكلَّف تأليفًا مُستقلاً في «لزوم ما لا يلزم»، إلَّا ما ذكرهُ صاحب «وفات الوَفيات» عن عبد العزيز ابن قاضي حماة المتوفّى سنة ٦٦٢هـ: إنَّ لَهُ في لزومِ ما لا يلزم «مجلدًا كبيرًا»، وما نَظمه قبلَه الوزيرُ محمد بن يُوسف التَّميمي المتوفّى سنة ٥٣٨هـ في مقاماتِه التي عَارض بها «الحريري» فقد لزم في نَظْمِها ونَثْرِهَا هذا النوع، ولذلك تعرفُ بالمقامات اللُّزومية. واحتذاهُ في الأندلس عبد الرحمن بن محمد المكْناسي المتوفى سنة ٥٩١هـ فقد كان يُنشيء الرَّسائل اللّزوميَّة». انتهى كلامُ الرَّافعي.

وقد أراد «المعري» أن تكونَ «لزوميَّاته» قاموسًا مُنَغَّمًا يُحيط بقوافي الشعر العربي ومفرداته، فأتى بالعَجَب، وبَرْهن على صِدْقه حِين قال:

وإنّي وَإن كُنْتُ الأخير زَمانهُ ... لآتٍ بما لَم تَستطعْهُ الأوائلُ

ولا أظنّ أحدًا من الأواخِر سَيَسْتطيع أنْ يُصابِر المعاني. والأوزان، والحركات والقوافي كما صابرها..

ومُقدمته الطَّويلة لديوان «لزوم مَا لا يلزم» تؤكِّد ما أقول. وهي بَحْثٌ قيِّم في «علم الشعر» لا غنى لأديبٍ عربي عنْها.

وقد ذكر «ياقوت» في «المعْجم»: أنَّ ديوانَ «لزوم ما لا يلزم» يَحتوي على أحد عشر ألف بَيْت. وأحْصَيْتُ ما وَرَدَ في «اللزوميّات» المطبوعة في «بيروت» ـ دار صادر ـ سنة ١٣٨١هـ/١٩٦١م، فإذا هي لا تزيدُ على عشرة آلاف وسبعمئة واثني عشَر بيتًا.

وقد أنْفَقَ «المعري» في نَظْم «لزومياته» معظم حياته، ولا شكَّ لديَّ أنَّ ما بينَ أولِ «لزوميّة» قالها وأخْراهُن قَدْ كانتْ فترة شِعر طَويلة لا تقل عَنْ سِتة وخمسين عامًا: وهو ما استنتجتُه من «اللزوميات» ذَاتها: كما عَرَفْتُ منها أيضًا: أنه بَعْد أنْ حدَّدَ مِنْهاجَهُ بالنِسْبة إلى «لوازم» القَافية المذكورة في مقدمته، ومن أحرف: كالروي. والردف. والتأسيس. والوَصْل: والخروج، ومنازلهن الاثنتي عشرة، ومن حركات: كالرس والإشباع. والحَذْو. والتوجيه. والمجْرى. ومنازلهن الاثنتي عشرة أيضًا، وبعد أن تثبت من القيود واللوازم التي ارتضى تجشُّمها.. قد أعطى نفسه الحرية المُطلقة في أن يُسجل خواطره. ويُقيد أوابدهُ. بأيَّة قافية تسنَحُ. وفي أيّ وزْن يَعن، ثم يُلحق كُلَّ «لُزوميَّةٍ» بحرفها شأنه شأن سائر الشعراء الذين تَرتَّب دواوينهم حَسَب الحروف، فلزوميته «البائية» [ص ١٠٣، ج ١] مَثَلاً تَدُل على أنه نظمها وهو في «الثَّلاثين» وفيها يُعاتب نَفْسه ويؤنبها.. لانْقيادِهِ لدَواعي الهوى كالجَنيب معَ أنَّه قد تَجاوز سنَّ الشباب:

إذا هبت جَنوبٌ أو شمالٌ ... فأنتَ لكل مُنقادٍ جَنيبُ
رويدَكَ إنْ «ثلاثون» استقلَّتْ ... ولَمْ يُنبِ الفَتى فمتى يُنيبُ؟

والجنيبُ بمعنى مجنوبُ. أي مقود إلى جَنب آخر. ولا يمكنُ الجزمُ بأنَّ هذين البيتين أولى لزوميّات المعري: فلعله قَدْ نَظَم «لزوميَّات» أخريات قبل «الثلاثين» وخليقٌ به أن يَفعَل، ونحنُ نعلم أنه وُلد سنة ٣٦٣هـ. وتوفي سنة ٤٤٩هـ عن ستة وثمانين عامًا.

ولُزوميته «الهمزية» [ص ٤٤، ج ١]، توحي بأنه قالها بعدَ أن تخطَّى الأربعين:

وما بعد مَرّ الخَمس عَشَرة من صبًا ... ولا بعد مرِّ الأربعين صباء

كما أنه يحدثنا في لزومية «همزية» أُخرى [ص ٥٤] حديث الشيخ الذي سئم الحياة:

طالَ الثواءُ وقد أنَى لِمَفاصِلي ... أن تَسْتبِدَّ بضمها صَحراؤها

كما يُنشدنا في حرف «الألف» [ص ٨٢] لزومية يَصِف فيها جسمه البالي:

أعائبةً جَسدي روحُهُ ... وما زالَ يخْدمُ حتى ونَى؟!

ويعود في لزومية «بائية» [ص ١٣٨] فَيُخبرنا بأنه قد بلغ «الأربعين»:

إذ المـرءُ مَـرت لَـهُ «أربعـون» فـليس يُـعـنَّـفُ إن جـنَّـبـا[1]

بل ويصْرُخ في لزوميَّة «بائيةٍ» أيضًا [ص ١٤٣] صرخةً حزينـةً تبكي شيخوخَتَه الواهنة:

فَـقَـد عِشْـتُ حتـى ملنـي ومَلَلْتُـه زمـاني؛ ونـاجَتني عيـون التجـاربِ

وإذَنْ.. فَهو قد بَلغ «الثـلاثين». وجـاوز «الأربعين» في حـرفِ «الباء» بـلْ.. وبَلَغ فيها مِنَ العمر عتيًا.. كما أنَّهُ في حرف «الهمزة»، وفي حَرْف «الألف» تارةً.. في «الأربعين». وأخرى قد مَلَّ المقـام. وطال عليـه الثواء.. وإذنْ، فقـد تَقَيد بـالصنْعةِ الشعرية التي سمَّاها «لزوم ما لا يلزم» وخَضَع لأغلالها..

ولكنَّه ظَلَّ حُرًّا في اختيار ومـزَاولةِ الأحْـرفِ والحركـات والقوافي. والعَـروض: ولا يبـالي إذا ما عنَّ لـهُ خاطـر، أو سَنَـح معنى ذاتَ صبـاحٍ أن يسجله في «لـزوميـة» «بـائية»: فـإذا جَاء المسـاءُ وعَنَّت له خـواطرُ أُخَـر. قيدهـا بحرف «الشـين» أو حرف «الغين» ثمَّ بِقدرة الشَّاعر الماهر يعود إلى حرف «الباء» وإنْ كان بعد ثلاثين عامًا: علمًا بأن هذا لا يعني أنَّه لم يمارس أنواعًا أدبيةً مغايرة خلال هذه الفترة الطَّويلة نَثْرًا وشعرًا.

ولكي يكون استنتاجي جليًّا سأثبتُ بعض مـا رود في «اللُّزوميَّات» من أبيـات تُشير إلى فترة إنشائها وكم كانت سِنّهُ وَقْتها:

فقد كانَ في الأربعين عندما نظم لزوميَّتهُ البائية [ص ١٧٣]، فقال:

خَبـرَ الحيـاة شـرورهـا وسـرورهـا مـن عـاش عِـدَّة أوَّل المـتَقَـاربِ

وافى بـذلـك «أربعين»: فمـالـهُ عـذرٌ إذا أَمْسَى قَـليـل تَـجـاربِ

وبَحر «المُتقارب» مؤلَّف من «فَعُولُن» ثماني مرات.

وهو في الأربعين أيضًا حين قال لزوميَّته «العَيْنية» [ص ١١٨، ج ٢]:

شـربتُ سني الأربعـين تـجـرُّعًـا فيـا مقـرًا مـا شـربـهُ فيَّ نـاجـعُ

---

(١) جنَّب: انحنى ظَهرُه.

وفي لزوميةٍ «ميمية» يتحدَّث عن الأربعين [ص ٣٧٨]:

إذا ما تقضَّى «الأربعون» فلا تُرد ... سوى امْرأةٍ في الأربعين لها قِسْمُ
فإن الذي وفَّى الثلاثين وارتقى ... عليهن عَشرًا للفناءِ به وَسْمُ

ويقول في لزومية «نونية» [ص ٥٥٦، ج ٢]:

إذا ما الأربعون مَضت كمالاً ... فما للمرء من أربٍ لِعين

والعينُ: بقَر الوحش، وأراد المعرِّي جميلات العيون من الحسناوات.

ويذكُر الأربعين في حرف «الهاء» مع «الراء» فيقول [ص ٦٣٤]:

قد مضتْ عنْهُ الأربعون بلا حَمْـ ... ـدٍ وذَاكَ الأجلُّ من عُمُرَيْهِ

ويشير إلى أنه في الثامنة والأربعين في لزوميتين: رامزًا بلفظ «الطَّويل» الذي هو من بحور الشعر: وعدد حروفه ثمانية وأربعون فقال في الأولى [ص ٦٣٦، ج ١]:

بقائي «الطويل» وعَيشي «البسيط» وأصبحتُ مُضطربًا «كالرَّجز»

وقال في الثانية من لزومية «كافيَّة» [ص ٣٣٧، ج ٢]:

عِش يا ابن آدم عِدة الوزنِ الذي ... يُدْعى «الطويل». ولا تجاوز ذلكا
فإذا بلَغت وأربعين ثمانيًا ... فحياة مثلك أن يُوسَّد هالكا

وفي لُزوميَّةٍ «خائية» يخبرنا أنَّه تجاوزَ الأربعين: فيقول [ص ٣٠٤، ج ١]:

تنَسَّكْت بعد الأربعين ضرورة ... ولم يَبْق إلَّا أن تقوم الصَّوارخُ

وفي «دالية» يقول [ص ٣١٥، ج ١]:

حياتي بعدَ الأربعين منيةٌ ... ووجدانُ حِلْف الأربعين فقود

ثم يعودُ إلى الحرف نفسه بعد أن بلغ العمر عتيًا فيقول [ص ٣٢١]:

تجاوزت عني الأقْدار ذَاهبةً ... فقد تأبدتُ حتى مَلَّني الأبدُ

وعندما بلغ الخمسين قال في «لزومية» «سينية» [ص ٣٩، ج ٢]:

أخمسين قَدْ أفنيتُها ليس نافعي ... بتأخير يومٍ أن أعضَّ على خَمس
نرجي إيابًا من غدٍ، وهو آيبٌ ... وكان صوابًا لو بَكينا على أمس

وكان قد أشار قبل ذلك إلى أنه قد جاوز الخمسين حين قال [ص ٥]:

لعمري لَقَد جاوزْتُ خمسين حجة وحَسبي عشر في الشَّدائد أو خمس

وأشار في حرف «الشين» إلى ذلك فقال [ص ٧٣، ج ٢]:

لا خير مِنْ بعد خمسين انقضت كَمَلا في أن تُمارس أمراضًا وأرعاشًا

وقال في [ص ٧٨]:

خمسون قَدْ عِشْتها: فلا تَعِشِ والنَّعش لفظ مِن قَولك انتعِشِ

ويؤكد ذلك في لزومية «ظائية» فيقول [ص ١١٣، ج ٢]:

ابنُ خمسين ضَمَّهُ عقدُ تسعين يُرجِّي لهُ مِن الموتِ حظا

وقد أراد أن حَلْقة الخمسين تُشبهُ حَلْقة رأس التسعة كتابة.

ويقول عن بلوغه الخمسين في لُزوميةٍ [ص ٢٤٥]:

خمسون جرَّت عليكَ الذَّيل ذَاهبةً تَبّاً لعقلِكَ إن شيء مَضَى تَبَلكْ

كما يؤكد في أُخرى «لامية» أنه لا يزال في الخمسين [ص ٢٥٨]:

علقتُ بحبل العُمر خمسين حجةً فقد رثَّ حتَّى كادَ ينصرمُ الحبلُ

أما حين أنافَ على الخمسين فقد سجل ذلك حين قال في لزوميَّة [ص ٣٢١، ج ٢]:

إذا أنافَ على الخمسين بالِغُها فَلْيُضْمر اليأس من سعدٍ وإقبال

ولكنه لزمَ في أُخرى الدال الساكنة مع السين، وقد قالها حين بعَثهُ أهلُ «المعرَّة» مُستشفعين إلى القائد «صالح» الذي حاصر مدينتهم [ص ٤٠٤]:

فَلَما مضى العُمرُ إلَّا الأقلّ وحُمَّ لروحي فراقُ الجسَدْ
بُعثتُ شفيعًا إلى صالحٍ وذاكَ مِنَ القومِ رأيٌ فَسد
فَيسمعُ مني سَجْع الحمامِ وأسْمعُ منهُ زَئير الأسَدْ

ونحن نعلم أن هذه الحادثة كانت سنة ٤١٧هـ، أي والمعرِّي في الرابعة والخمسين، كما أنه قد ذكر «صالحًا» هذا في لزوميَّة «رائية» فقال [ص ٦١٢]:

مـا لمتُ في أفعـالِـهِ «صـالحًـا» بَـلْ خـلتـه أحسـنَ منـي ضمـيـرْ
يـا قَـوم؛ لـو كـنتُ أميـرًا لكـم ذممتُمُ فـي الـغَـيـبِ ذاكَ الأميـرْ

ثم عـاد في حرف «الـلام» فالـتزمها مكسـورة مع الضَّـاد وذكَر «صـالحًا» فقـال [ص ٣٥١]:

نَجَّى المعـاشـرَ من بَـراثنِ صـالـح رَبٌّ يُـفـرجُ كـلَّ أمـر مـعـضـلِ
مـا كـان لي فيهـا جنـاحُ بَعُـوضـةٍ والله ألـبـسـهُـم جنـاحَ تـفـضـلِ

ورِواية «ياقوت»:

ربٌّ يـعـافـي كُـلَّ داءٍ مـعـضـل

ولا شكَّ أن كل ذلك وهو بعد الرابعة والخمسين.

وفي لزومية من حرف «الواوِ» مَعَ «الهاء» يقول [ص ٦٣٧]:

كـأنـك بَعـد خَمْسـين اسْتـقلتْ لِـمـولـدك البنـاءُ دَنَـا ليَـهْـوي
ومـا أنَـا يـائِسٌ عَـنْ أمـرِ ربِّـي على مـا كـان مِن عـمـدٍ وسهـو

أما وهو في الستين؛ فقد نَستشِفُّ من قوله في [ص ١٨٥، ج ١]:

جـنـى ابـنُ سـتـيـن عـلى نـفـسـه بـالـولـد الحـادثِ مـا لا يُحبْ
تقـول عِـرسُ الشَّيـخ في نَفسهـا: لا كـنتَ يـا شـرَّ خَـلـيـل صُحِبْ

أنَّه قد جاوز الستين: وإن كانَ يتحدَّث عن أيّ شخص بَلَغ السِّتِّين!! وبالرغم من أنَّـه يُحدِّثنـا عن كهْل وناشىء في لزوميةٍ: عَيْنُها مضمومةٌ مع الفاء [ص ١١٧، ج ٢]:

إذا خَـطَـب الزهـراء كَهل وناشىء فـإن الصبـا فيهـا شفيـعٌ مُشفَّـع
ولا يُـزهـدنهـا عـدْمـه: إن مُـدَّهُ لأبـركُ من صَـاع الكبيـر وأنـفـعُ
ومـا لأخـي سـتـين قـدرةُ سـائـرٍ إليهـا، ولكن عجـزُه ليس يُـدفـع

فإننا نَسْتطيع أن نَستشِفَّ منها بأنَّه كانَ في نَفْسِ السن لواقعية تصويره.. كما

أنه في «اللام» المفتوحةِ مَعَ الهَاءِ يحدِّثنا عن «ابنِ الستِّين» حديث الواصلين فيقول [ص ١٣٤، ج ١]:

إذا مَا ابْنُ سِتين ضَمَّ الكعابَ ... إليه فقد حلَّت البَهلَهْ
هو الشَّيخُ لم يُرضَه أهْلُهُ ... ولم يُرضِ في فعله أهْلَهْ

وقد أشار إلى سن «السبعين» بقوله» في لزومية «عينية» [ص ١٤٠]:

وعقلك يا أخا السبعين واهٍ ... كأنَّك في مَلاعبكَ ابنَ سَبعِ
يَسرُّك أنَّ ربع سواك خال ... إذا مُكنت من أهْل ورَبعِ

ولعلي قد سهوتُ أن أذكر، أن له لُزومية «رائية» ذكر فيها «الأربعين» فقال [ص ٤٤٨، ج ١]:

ومتى سرى عَنْ «أربعين» حليفُها ... فالشخصْ يَصغُر والحوادثُ تكبُرُ

وقال أيضًا في لُزوميَّة «رائية» [ص ٥٨٥] وهي بديعة:

ورميتُ أعوامي ورائي مِثْلما ... رَمَت المطيّ مَهَامِهَ الأسفارِ
ورَكبتُ منها أربعين مَطيةً ... لم تخلُ من عَنتٍ وسوء نفَارِ

كما أنه تَحدَّث عن «الخمسين» في حرف «الراء» فقال [ص ٥١٤]:

إذا طَلَع الشيب المُلمُّ فَحيه ... ولا ترض للعين الشباب المزوَّرا
لقد غاب عن فوديْك خمسين حجة ... فأهلاً بِهِ لما دَنَا وتَسوَّرا

وكان قد أشار إلى «السبعين» في حرف «الراء» فقال [ص ٥١٤]:

من عاشَ سبعين فهو في نَصَبٍ ... وليسَ للعيشِ بعدَها خِيرَهْ

نَعم.. ثمَّ.. لا نجده بعد «السبعين» يهتم بتَعداد السِّنين. فلا خمسة وسبعون، ولا «ثمانون»! إلَّا لزومية في بَيْتَيْن من «الدَّال» المفتوحة مع الدال: ربما أنه قالها عندما تجاوز منتصف عقده التاسع. وربما أراد أن يُصورَ بها «ابن التسعين» وهي [ص ٣٥٢، ج ١]:

من عاشَ تسعينَ عامًا فهْو مُغتربٌ ... قد زايلَ الأهل إلَّا معشرًا جُددا
وشاهَد النَّاس مِن كَهل ومُقتبلٍ ... ودالِفِ الخَطْوِ لا يُحْصِي لَهم عَددا

وكأنه قد سئم الحياة، ومل الانتظار للموت. وضاق بتَعداد السنين: فنسمعه يقول [ص ٣٢٧، ج ٢]:

إذا ما عَدَدْتُ السِنَّ عُدْتُ بترحةٍ ... وأمَّلْتُ ربِّي أن يحلّ عقالي
وقد صَدئتْ نَفْسي بجسمي ولبسِهِ ... فَهَل تَصطفيها ميْتتي بصقَال؟!

ولقد شكا شيخوخته. ووَهن جسمه. وطول ثوائه بلزوميَّاتٍ كثيرة، وأعربَ عن تطلعه إلى الموت. وتشوُّقه إلى الرَّحيل. وضيقه بالأرض ومن عليها بمختلف الحروف وشتَّى القوافي، وما ألطف قولَه في حرف «اللام» مع «الجيم» [ص ٣٧١، ج ٢]:

إن كانَ نَقْلي عَن الدنيا يكونُ إلى ... خَيْر وأرحَب فانقُلني عَلَى عَجَلِ
وإن عَلِمْتَ مآلي عند آخرتي ... شرًّا، وأضيق، فانْسأ رَبِّ في الأجَل!

وهو ابْتهالٌ رائعٌ؛ خليقٍ بأن يجأر به كلُّ إنسان في أيةِ سن كانت.!

هذه هي سيرة «المعرِّي» الشعرية في «لزوميَّاته»، وقد سبق أن قلتُ: إنه كان أثناء نظمه لها يمارس أشكالاً أُخرَياتٍ من الأدب: شعرًا ونثرًا: وقد ألَّفَ عدة مؤلفات خلال تلك الفترة الطَّويلة من حياته: وقد ذكر «ياقوت»؛ أن لأبي العلاء كتابًا شَرحَ فيه ما في ديوان «لُزوم ما لا يلزم» من الغَريب في ثلاثة أجزاء: وكتاب «زَجر النَّابح» يتعلق باللُّزوميات أيضًا، ولا شك أنه قَدْ ألفهما بعدَ أن قطعَ «أشواطًا» ومراحلَ شاسعة في اللُّزوميَّات» وانتشرتْ بين النَّاس. وتناوَلُوها تمجيدًا وتفْنيدًا.

أما شأني مع «ألف باء» لزوميَّاتي فهو شأنٌ آخر.. فقد تقيدتُ أولاً بلوازم القافية التي تقَيَّد بها «أبو العلاء».. ثم.. ودونما رغبةٍ ولا اختيار.. وجدتني أقفُ مع «لزوميَّاته» قطعةً قِطعة: لا أغادر لزوميةً إلى أخرى إلاَّ وقد عارضْتُها: وإذا عاصاني البيانُ ظللْتُ هائمًا فيها: مترنِّمًا هاذيًا نهاري وليلي، حتى لقد سمَّاني صديقٌ كريم «مجنون المعرّى».

وكانت أولى لُزوميَّةٍ نظمتُها هي:

ليَ الله كم لِلْجِدِّ روحي أريقها ... حَزينًا، وحولي يَعبثُ الأدباءُ!

في أوَّل المحرم سنة ١٣٩٥هـ، الموافق ٥/٤/١٩٧٥م، ثم توقَّفت.

ونظمتُ اللزوميَّة رقم ٧٢ [ص ٦٧]:

إنْ كنت ضيَّعْتَ فرصةً سَنَحتْ فَلم تُهيِّىء لها الذي يجبُ!

يوم ٢٤ ربيع الأول ١٣٩٥هـ، الموافق ٥/٤/١٩٧٥م، ثم توقَّفت.

وزُرْتُ «القاهرة» و «جدة» ثم عدتُ إلى «بيروت» أتجهَّزُ للسفر مع أهلي إلى «صنعاء»، ولكنَّ «مَجْهُولِينَ» حاولوا اغتيالي صباحَ اليوم الحادي عشر من شهر ربيع الآخر سنة ١٣٩٥هـ، الموافق ٢٢/٣/١٩٧٥م، فأراد الله لي النجاة، وشَمَلَتْني أَلْطَافُه، ثم انتقلت إلى «لندن» لإكمال «المعالجة». وما كِدتُ أتماثلُ للشفاء حتى استأنَفْتُ التَرنُّمَ باللُّزوميَّات. ومجاراتها من جديد، وفرغتُ من حرف «الباء» باللُّزوميَّة رقم ١٧٧:

أبو لهبٍ: وَهُو عَمُّ الرَّسول تَبَّت يَدَاهُ ضَلالاً وتَبْ
ولو كانَ يَنفعه قربُهُ لَنَالَ بقُرباهُ أَعْلى الرُّتَبِ!

في شعبان سنة ١٣٩٥هـ / أغسطس سنة ١٩٧٥م.

وإذن.. فهي حصيلةُ ستة أشهر، إذا استثْنَيتُ فترة المرض الشَّديد إثر الإصابة: وعملية إخراج الشظايا من رأسي: وقد قلتُ أثناء تلك الفترة وبَعدها شعرًا حرًّا. وشعرًا ملتزمًا. وشعرًا تقليديًّا، جاريتُ ببعضه «المعرِّي»، و «البحتري»، و «ابن زيدون»، و «شوقي»؛ وناجيتُ ببعضه نفسي، وقد أودعته ديواني «بنات الخمسين» الذي أرجو أن يخرج على النَّاس مع هذه اللُّزوميَّات في شهر واحد.

وإذا كنتُ قد أخضعت الشعر للحرف في «ألف باء» لزوميَّاتي.. وبقيود أبي العلاء والتزاماته فقد تعمدت أن أروغَ عَنْ مواضيعه أحيانًا، وأعطيتُ لنفسي حُرِّية «الهَيَمان» في كل أودية الشعر والبيان، وقد يكون هذا هو المبرر الوحيد لِمثلِ هذه المجاراة، وكأني إنما أحاولُ بها حَثَّ المعاصرين على العودة المستبصرة إلى آثار «أبي العلاء» الرائعة: وعلى كلّ أحوالي فَلَستُ إلاَّ ظلاًّ باهتًا متضائِلاً أمَام جبلٍ من سِلسِلة جبال شامخة شاهقة.!

ولقد أوْدعتُ في «ألف باء» لزوميَّاتي خلاصة «مجريات» حياتي، فهي سِجل

تجاربي. و«نوتة» مذكّراتي. رسمتها في أوزانٍ وقوافٍ. وغَنيتُها كالطائر الحُرّ على فَنَن. ورتلتُها كالعابِد البر في المحراب. وفيها مقاطع.. تضرَّعت بها، فهي مترعَة بالدموع. مُدلهةٌ بالخشوع، تائهة في «اللارجوع» وأُخرى تماجَنْتُ فيها؛ فهي تضِجُّ لَغَطًا، وتَوجّ سخطًا، وما كنت في تَعبدي ــ ويا أسفاه ــ بالأوّاه المنيب. وإن كنتُ في مجوني قد أعربتُ عن طبيعتي البشرية.! وأستغفر الله..!

وقد «التزمتُ» الصِّدقَ والإخلاص. وذلك شفيعي.

وبعدُ: فقد وقف بي «حمارُ الشعر» في عَقَبة «تاء»[1] شيخنا «المعرِّي» وأيقَنتُ أن تَقَحُّم أدغالِها ليس مِن السَّهل ولا بالميسور.. ولكن.. إذا هتَفت بي دَوَاعي المجاراة من جديد.. فقد أُلبِّيها.. غير أني لا أتخيَّلُ كيفيَّةٍ مَّا! ولا أَتَصور نهجًا معيَّنًا.

﴿وما تَدري نَفْسٌ مَاذَا تكْسِب غَدًا﴾.

أحمد بن محمد الشامي

برواملي: صباع عيد «جمعة رجب»
٤ رجب سنة ١٣٩٨هـ
٩ يونيو سنة ١٩٧٨م

(١) في ديوان «بنات الخَمْسين» «لُزوميَّات» «تائية» وغير «تائية».

مع العصافير

في بُرُوملي

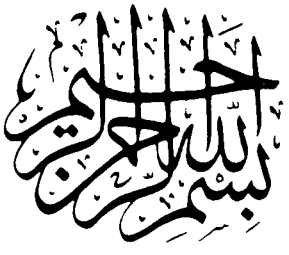
بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدّمة

يضم هذا «الديوانُ» قصائدَ نَظمتُها بعدَ صُدورِ دواويني الثلاثة:

١ ــ لزوميّات الشعر الجديد.

٢ ــ و «بنات الخَمسين».

٣ ــ و «ألف بَاءِ اللُّزوميّات»، وثلاثتُهن مَعَ رابِعهن هَذَا.. يحْوين معظم ما قلتُه من شعر.. وأنا بعيدٌ عن وطني «اليمن».. اختيارًا، أو اضطرارًا.. وهي ــ إلى ــ قصائد الغُربة والحنين. في دَوَاويني: «من اليَمَن». و «ألحان الشَّوق». و «الحَصَاد». تُكَوِّن «ديوانَ غُرْبتي».. وهو ديوانٌ أُعزُّهُ.. بَلْ وأعْتَز به حين يأتي كلُّ شاعرٍ بديوان غُربته، وما أكثر «المُغْتربين» من «الشعراء» منذ قال «امرؤ القيس»:

«بكى صاحبي لمّا رأى الدَّرب دُونه ... وأيقنَ أنَّا لاحِقانِ بقَيْصرا»

إلى أن قال «المتنبي»:

«تغرَّبَ» لا مستعظِمًا غير نفسه ... ولا قابِلاً إلَّا لِخالِقِه حُكمًا.!

حتى قال «الزُّبيري»:

كُشِفَتْ لي في «غُرْبتي» سَوءةُ الدُّنْـ ... ـيا ولاَحَت هناتُها لعياني

دَعكَ «ابْنَ زُريق». و «الزَّمخشري» و «الآنسي» و «شوقي». و «طه» و «الجواهري» وما قاله «فلان» من الأولين. وما قاله «فلان» من الآخرين: ونادر هو الشَّاعِرُ الذي لَمْ يَتغرَّب؛ أوْ لا يحسُّ بالْغُربة ويَصبو إليها..

وكَم كان «متشاعرًا». و «متماجنًا» ذلك الذي فند «الغُربةَ» بنَظمه الركيك..

بل وقَالَ عَنْ شعرائها ما يَتحاشاه «الأدباء».. نَثْرًا..[1].

لقد ترددتُ في «تسمية هَذَا الديوان الصَّغير؛ وخَطَرتْ بالْبال عِدة أسماء.. حَتى استيقظتُ فجرَ البارحة على «تَسابيح» و «ترانيم» عصافير «برومِلي».. وتذكرت فضل ساعات استماعي لأنْغَامِها، وحواري مع بَعضِها.. وقلتُ «القَصيدةَ».. «مَعَ العَصَافير في «برومِلي»: واختَرتُها اسْمًا للدّيوان: اعترافًا، وتَقْديرًا؟

أحمد بن محمد الشامي

برومِلي: ٢٦ جمادى الآخرة ١٣٩٩هـ
٢٣ مايو ١٩٧٩م

(١) يعني «علي بن علي صَبْرَة» في قصيدته التي نشرتها مجلة اليمن الجديد: أبريل ١٩٧٩ ردًا على «لامية» الشاعر الكبير «أحمد المعلمي»: وقد ردَّ «المعلمي» عليه ساخرًا في «بائيته».

أطياف

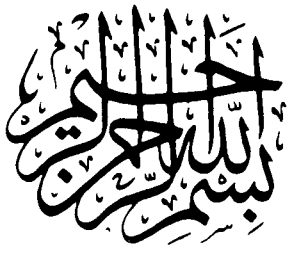
بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

كل قصائد هذا الديوان استوحاها صاحبها من الغربة وهواجسها ومُعاناتها؛ سخطًا ورضا، ويأسًا وأملاً. وفيها قصائد لم تنشر، ومنها ما سبق نشره، ثم تناولها الشاعر من جديد فأعاد صياغتها وغيَّر، وبدَّل، وهذَّب وشذَّب، لا سيما تلك التي نشرها بخط يده في ديوان سمّاه «لزوميّات الشعر الجديد». . فقد أعاد للبعض من غاداتها ثياب الوقار والهيبة «العلائيَّة»[1] بعد أن تبرَّجتْ في «بذلات» التجديد»! كما أنه قد ضبط و «قولَز» إيقاعات بعض «منثوراتها» بتفاعيل الشعر الموزون، و «مبيِّتات» و «موشحات الحُميني» الأصيل، فماسَتْ أنغامها راقصة عابرة شاعرةً ناثرة. . وبذلك وفَّى بالوعْد الذي قطعه للشاعر «أبي العلاء المعري» عندما التقيَا في مسرحيته الهزلية: «محاكمة في جنة الشعراء».

إن هذا الديوان: «أطياف» سَيُكَوِّنُ مع الدواوين السابقة «من اليمن»، و «ألحان الشوق»، و «إلياذة من صنعاء»، و «المؤودات»، و «حصاد العمر»، و «ألف باء اللزوميات» و «مع العصافير في بروملي» كلَّ «الأعمال الشعرية» أو جُلَّها لصاحب «النفس الأول» و «دامغة الدوامغ». ما عدا ما ضاع من أشعاره وهو في معتقلات حجَّة، أو ما يحتفظ به لنفسه ويسميه «ديوان ما بعد الموت». .

﴿ومَا تَدري نفسٌ ماذَا تكسبُ غدًا﴾. .
﴿ومَا تَدري نفس بأي أرض تموت﴾. .
﴿إنَّ الله عليمٌ خبير﴾.

أحمد بن محمد الشامي

(١) نسبة إلى أبي العلاء المعرّي ولزومياته في مجلدين ضخمين، انظر مقدِّمة ديوان «ألف باء اللزوميات».

أحمد بن محمد الشامي

ديوان الشامي

الأعمال الكاملة

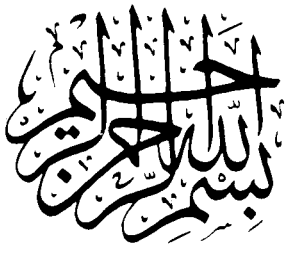

عندما أُطلق سراح صاحب الديوان من سجن حجة إلى الحديدة
في شهر رجب سنة ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م

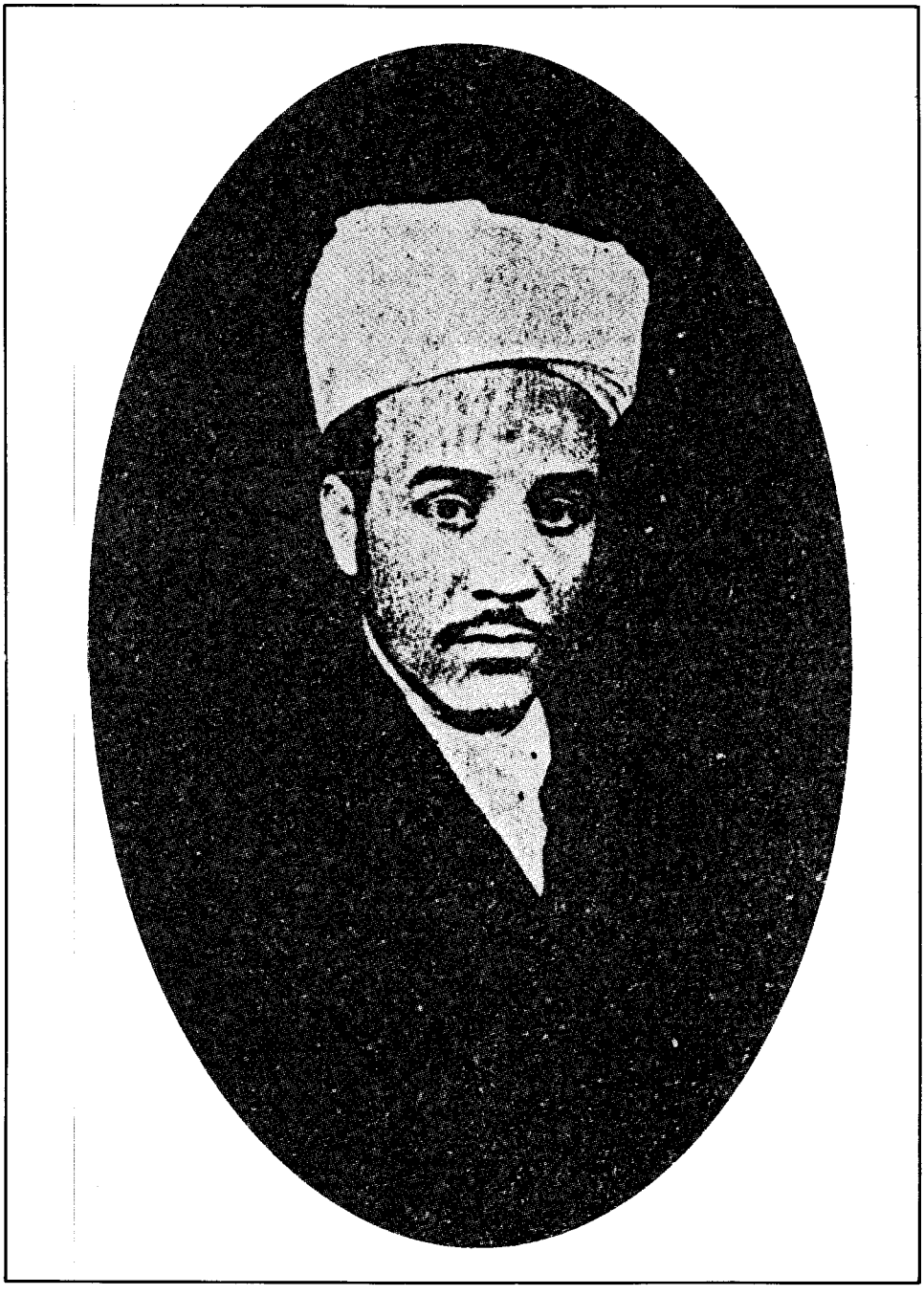

أثناء إقامة صاحب الديوان بالحديدة
سنة ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م

١ ــ السيِّد أحمد عبد الوهاب الوريث

[من قصيدة طويلة قالها الشاعر يرثي السيد أحمد الوريث رئيس تحرير مجلة «الحكمة اليمانية» وزعيم النهضة الفكرية الحديثة في اليمن، وقد توفي في سنة ١٣٥٨هـ، وكان الشاعر حينذاك لم يتجاوز السابعة عشر، وهي أول ما قاله من مجموعة هذا الديوان، وتعبر عما كان يتدفق في قلبه وفكره من آلام وآمال، وتوثُّب وطموح]:

اليوم حُقَّ البكاءُ حُزنا وعزَّ العزاءُ
فقد فَقَدْنا عظيمًا آباؤه عظماءُ
وسيدًا أنجبَتْهُ الفطاحل النجباءُ
كانت به تتباهى على الدُّنَّا «صنعاءُ»
مؤرِّخ وأديبٌ وناقدٌ بنّاءُ
وفي الحديث إمامٌ تؤمُّه الفقهاءُ
وكانَ للحق صوتًا تُصغى له الآناءُ
تهابُه إذ يُدَوّي الملوكُ والزعماءُ

* * *

قبل «الثلاثين» ولّى وعِرضُهُ وضّاءُ
فلم يقارفْ حراما ولا ازدهاه ثناءُ
ولا ثَناهُ عن الحـ ـق خيفة أو رجاءُ

* * *

يـا «ابْـنَ الـوريـث» عن الشعْر هاك مني الرثاءُ
لـو اسـتـطاعت أبـانَـتْ عـن حُـزْنِهـا الـفُـصْحـاءُ
بـالصَّمْت دهـرًا طـويـلاً كـلامُـه الإيـمـاءُ
وارتـجَّ كـلُّ بـليـغٍ وأعْـيَـتِ الـشُّـعـراءُ

* * *

كـانـت إلـيـك تـولّـي وجـوهـهـا الـضـعـفـاءُ
والـظالـمـون يـخـافـون مـنـك والـسـفـهـاءُ
وكُـنْـتَ تَـزْحَـف ثـبـتًـا وفـي يـديـك الـلواءُ
بـحـكـمـةٍ، واتـزانٍ وحـولَـكَ الأولـيـاءُ
تـدعـو إلـى كـل خـيـرٍ كـمـا دعَـا الأوصـيـاءُ
والـيـوم قـد خَـمـدَ الـصَّـ ـوت واسْتحال الضِّياءُ
فَـلْـيـبـكِ كـلُّ يـمـانٍ ولْـتَـحْـزَنِ الأذواءُ
ولْـيـنـفـطرْ قـلب «بـلقـيس» ولْـتَـضِـجَّ الـنـسـاءُ
«مُـحَـمَّـدٌ» و «عـلـيٌّ» أخـوه و «الـزَّهـراءُ»
أرضـاهُـمـو منـكَ فـضْـلٌ وعِـفَّـةٌ وإبـاءُ
قـدْ يُـسـتـغـاثُ صـراخٌ وقـد يُـجـابُ نـداءُ

* * *

يـا «ابن الـوريث» ابـتهـالٌ صـلاتـنـا والـدُّعـاءُ
في الخلْدِ فـانعم سعـيـدًا! لـنـا سيَـبْـقَـى الشَّـقـاءُ

صنعاء: ١٣٥٨هـ/١٩٤٠م

٢ ـ إليها

جميلةٌ أنتِ، ولكنْ ... هل جَمُلتِ في الطباعِ
إنسيَّة أنتِ.. ولكن ... فيكِ من طبع الأفاعي
وضعتُ عمري في يد ... يكِ، وشبابي، ومتاعي
قصرتُ آمالي، وأحلا ... مي، وأنزلتُ شراعي
وقلتُ؛ هاتي أملي ... بعد كفاحي وصراعي
وجدتها.. لكنَّها ... ظلَّت حبيسةَ القناعِ
تلوك ألفاظ الغرامِ ... في نفور أو خداعِ

* * *

ستندمين حين أن ... يأتي الصباحُ بالشعاعِ
ستعرفين أنَّني استُشْـ ... ـهِدتُ من دون دفاعِ
وأنَّني وحدي الذي ... يهواك من دون انتفاعِ
يا مُنْيتي، يا أملي، ... يا رونق الحُلْم المضاعِ
يا سَلوَةَ المحروم لا «تسـ ... ـخينَ» بالصَّبِّ.. الشجاعِ
ستندمين حين لا يدعو ... إلى الإحسان.. داعي
ستحلمين بخيالي، ... وشبابي، وشراعي

صنعاء: ١٣٥٩هـ/١٩٤١م

٣ ــ لَـيْـتَ لـي

بـالـعـيـونِ الـسـواحِـر والـقـدود الـضـوامـرِ،
بـالـقـلوبِ الـمـدلّـهـات، بـمـا فـي الـضـمـائـرِ،
بـالـنـفـوس الـمـعـذبـ ـات بـعُـنـفِ الـمـقـادرِ
بـفؤادي، بـلوعـتي، بـشعـ ـوري، بـنـاظـري
إنـنـي أعـشـق الـجـمـال بـقـلبٍ مُـقـامِـرِ؛
سـحـقَ الـحـبُّ مـهـجـتي وضـمـيـري وخـاطـري
وسـقـانـي الأسـى مـريـ ـرًا، وأذكـى مـشـاعـري
آه لـو يـعـلم الأنـام بـمـا فـي سـرائـري،
وبـأحـلام صـبـوتـي ومـجـالـي خـواطـري
لأسـاغـوا نـقـائـصـي وعـفـوا عـن جَـرائـري

* * *

لـيـت لـي قـلب مـاردٍ وإرادات قـادرِ
واشـتـهـاءات غـادرٍ وتـهـاويـل سـاحـرِ
لَـتَـفَـنَّـنْـتُ بـالـحـيـاةِ كـصَـبٍّ مـغـامـرِ
وَلَـمـا عِـشْـتُ مـثـقـلاً بـالـهـمـوم الـفـواقِـرِ

تعز: ١٣٦١هـ/١٩٤٣م

٤ ــ الصَّــدْى

[إلى أخي عبد الوهاب الشامي]:

يــا مَــن لـقــلب ذابــلاتٍ مُــنــاه ... كم ذا يقاسي من صروف الحياهْ؟
قلبٌ معنًّى سـرمـديُّ الأسـى ... تَـصَـرَّمـتْ آمـالـه فـي هـواهْ
قلبٌ شجيٌّ قـد سقـاه النَّـوى ... كـأسًـا مـن الهـم بـعـيـدًا مـداهْ
محتـرق الآهـات تكـوي الحشـا ... وتلسَعُ الروح، وتشـوي الشفاهْ؟
يـا من لـهُ..؟ والنَّـار مشبـوبـةٌ ... تـؤجُّ؛ والـحُـبُّ جـحـيـمٌ جـواهْ؟
يـا مـن لـهُ..؟ أوّاه لا مـشـفـقٌ ... رقّ، ولا قـلب رحـيـم رثـاهْ.
يـا من له..؟ ليسَ سـوى نغمـةٍ ... حـيَّتْ فـأحـيَتْ في فؤادي سنـاهْ
نـشيـدُ حُـبٍّ مـائـجٍ بـالـهـوى ... يـرشف منـه الـروح أحلى مُنـاهْ
من عـبـقـريٍّ أنـجبتْـهُ الـعُـلا ... فـطاولَ الـشُّـمَّ بـذوخًـا عُـلاهْ
حـرّ بـراه الله أمـثـولـةً ... للشعْـرِ، واستخلصَـهُ، واصـطفـاهْ
لا يـعـرف الـشـرُّ إلـى قـلبـه ... دَرْبًـا، ولا يـفهـم معنى السّفـاهْ
مـقـولـهُ يـحـسـده عـزمُـه ... ووِدُّه أصـدق مـنـه وفـاهْ
مـن سـادةٍ مـا حضـروا محفـلاً ... إلَّا انحنَتْ ــ شكـرًا ــ عزيـز الجباهْ
من شـاعـرٍ فَحْـلٍ، ومن قـائـدٍ ... فـذٍّ، ومـن داعـيـةٍ لـلإلـهْ
يُـفـاخـر الـشـعـب بـهـمْ دائـمًـا ... ويَـنْتَـضيـهـم لـخـطوب الـحيـاهْ

* * *

أخي، لقد نال «نشيد النوى» من مهجتي ما لم يَنلهُ سواهْ
هَلَّ عليه كمذاب الندى كالحُبّ، كالسحْرِ، كخمر الشفاهْ
فهاك شعري باكيًا مثلُه ـ هيهات: لَن يسبق صوتًا صداهْ

تعز: ١٣٦١هـ / ١٩٤٢م

٥ ــ تَحِيَّة العِيد

[أُنشدت أمام الإمام أحمد في ١١ من ذي الحجة ١٣٦١هـ، تهنئة بالعيد الكبير وذلك قبل ارتقائه العرش]:

وقِّع على وتر القصيدِ ... نغمًا من الشعر الجديدِ
واملأ فراغ الجوِّ أنغا ... مًا ترنُّ بغير عودِ
تهتزّ من طرب لها الدنـ ... ـيا وترقص رقص غيدِ
وتكاد تجذب قاصرات ... الطرف من «دار الخلودِ»
واسبك أزاهير المنى ... عقدًا من الدرِّ النضيدِ
وارفعه تهنئةً بعيد ... النحر للملك الوحيدِ
ملك كريم صفاته ... ستظل رمزًا للخلودِ
أحيا البلاد بنهضةٍ ... طارت بأحلام الرقودِ

* * *

مولاي؛ يا بطل العروبةِ ... يا ملاذ مني الشريدِ
ألَّفتُ شعرًا كالنسيـ ... ـم مبلَّلًا بشذى الورودِ
أشدو به فأخال أنّي ... صاحب الوتر الفريدِ
وكأنما أصبحتُ في ... جوِّ السماء بلا صعودِ
وكأنما طارت قوافي الشـ ... ـعر بي خلف الوجودِ
الشعر هذا قطعةٌ ... من قلب شاعرك المجيدِ
صوَّرت فيه سناك يا مولا ... ي في العيد السعيدِ

والأرض تـزخـرُ بـالـفـوا رسِ ، والمـدافـع والجنـودِ
متـقـلِّديـن بنـادقًـا خُـلِـقَتْ لتـعـصـف بـالـكَـنـودِ
وكـأنَّـمـا هـي صـورةٌ وُضِـعَـت لأفـواه الـرُّعـودِ
ورصـاصـهـا كـالـشُّـهـب تـرمي كـل شيـطانٍ مـريـدِ
إن أبـرقَـتْ رعـدَتْ فـرا ئص كـل جـبّـار عـنـيـدِ
قـومٌ يـؤمَّـل فـيـهـم أن يـرجعـوا مجـد الجـدودِ
رحـمـاء بـيـنـهـم أعـزّاءٌ عـلى الـبـاغـي الـجـحـودِ
إن شبَّت الـحـرب الـعـوا ن مشـوا بـأفئـدة الأسـودِ

* * *

يـا أيـهـا المـلك العـظيـم وملجـأ «الـوطن السعيـدِ»
جـدّد عهـود «الـراشـديـن» ومـلك «هـارون الـرشيـدِ»
وأعـدْ إلى الإسـلام مجـدًا بـاتَ فـي طـيِّ الـلحـودِ
واجمـع شتـات العـرب وانـ ـعش هِمَّـة القـوم الهجـودِ
وانـزع عـن الأفـكـار والأرواحِ أغـلال الـجمـودِ
لا زلـت فـردًا فـي الـكـمـا ل ودمـت فـي عـيش رغـيـدِ

تعز: ١١ ذي الحجة ١٣٦١هـ
١٩ ديسمبر ١٩٤٢م

٦ ــ عشرون عامًا

من أين للشاعر أن يستريحْ ... قبل انطواء الجسم في رمسهِ
وكيف والشاعر صبٌّ جريح ... ويومه أشأمُ من أمسهِ

* * *

عشرون عامًا من حياتي مضَتْ ... كأنها طيف خيال ألم
تصرَّمت أيامها وانقضت ... وخلفتني بعدها للألم

تعز: جمادىٰ الأولى ١٣٦٢هـ / ١٩٤٣م

٧ ــ تحيَّة رمضان

[أرسلَتْ من «صنعا» إلى تعز تهنئة لسيف الإسلام أحمد بشهر الصوم سنة ١٣٦٢هـ، وقد تعرضتْ للحرب العالمية الثانية وما كان يقاسيه العالم من مصائبها]:

أشرقْ على الأرواح يا رمضانُ ... نورًا يفيض شعاعه القرآنُ
واغمر قلوب المسلمين ببهجةٍ ... فيها الهدى، واليمن، والإيمانُ
وانثر زهور السعد والبشرى على ... ملك بعزتِه سمت عدنانُ
زرع المكارم في القلوب فأثمرت ... وثمارها الإخلاص والشكرانُ
ورأت به الدنيا أعزّ ملوكها ... وتفاخرتْ بزمانه الأزمانُ
هَدَّ الضلال فزلزلت جنباته ... وبه استقامَتْ للهدى أركانُ
كم بدعةٍ بالحقّ أزهق روحها ... فقَضَت وكانَتْ بالضلال تُصَانُ
كم ظالمٍ بالعدل أرغم أنفه ... فغدا ذليلاً بالجزاء يدانُ

* * *

إن عَمَّ شر الحرب أصقاع الدُّنا ... وأتَتْ على عمرانها النيرانُ
فليكفِ هذا الشعب أنك حصنُه ... وملاذه والحارسُ اليقظانُ
أنَّى يخاف الشَّعب أي رزيَّة ... والسيفُ حرزٌ مانعٌ وأمانُ؟

* * *

عَزَّ الحضارةَ: إنها قد أفْلَست ... في أهلها وتقوَّص العمرانُ
عادَ الحكيم بها وكل مفكِّرٍ ... وكأنَّما في عقله شيطانُ

فالسلم حربٌ، والسياسة نقمةٌ ... والعدل ظلمٌ، والتقى طغيانُ
وكأنَّ هول الحرب إنسانيةٌ ... والفتك بالشعب الضعيف حنانُ
كم أمةٍ هلكت وكم شعبٍ قَضَى ... وبنيه حتى قيل كان وكانُوا
أين العقول؟ وأين من كانوا إلى ... بثّ السلام يسوقهم وجدانُ؟
كذبوا فلو كان التمدُّن قصدهم ... ما مسهم بأسٌ ولا خسرانُ
ما بالهم ضلّوا السَّبيل وسوَّغوا ... أن تهلك الأرواح والأبدانُ؟
ما بالهم قتلوا السلام وأضرموا ... نار الحروب على الأنام وخانُوا!

* * *

ليس الزَّعيم هو الذي تفنى به ... الأرواح، أو تشقى به الأوطانُ
فاعجبَ لقوم يذعنونَ لقائد ... يودي بهم، وهُمُ له أعوانُ؟
إنَّ الزَّعيم الحقّ من قامَتْ به ... للخير في أوطانه الأركانُ
ترعى الرعايا منه عين مدبِّرٍ ... يقظٍ، وقلب كلّه تحنانُ
ولأنتَ يا مثلَ الزَّعامة روحُها ... وعميدها، ولِعَيْنِها إنسانُ
فإذا أمرت فكلنا لك طاعةٌ ... وإذا نهيت فكلَّنا إذعانُ
فاسلم لشعبٍ أنت روح حياته ... حقًا وأنت لمجده عنوانُ

صنعا: رمضان سنة ١٣٦٢هـ / ١٩٤٣م

٨ ــ علي الأمير

[السيد علي بن عبد الله الأمير توفي في ١٩ رمضان سنة ١٣٦٢هـ / ١٩٤٣م، وكان شاعرًا وجيهًا، وصديقًا للشاعر]:

أفلَتْ، ولكن لا تؤوبُ ... شمسٌ مشارقها القلوبُ
أفلَتْ، فلا صبحٌ يُنير ... بها ولا عيشٌ يطيبُ
فالدَّهر ليلٌ موحشٌ ... والكون مسودٌّ كئيبُ
ما كنت أحسبُ والزَّمانُ ... له سهامٌ لا تخيبُ
أن البدور النيِّراتِ ... الزُّهر في حُفَرٍ تغيبُ
حتَّىٰ رأيتُ أتمها ... يهوي وتصرعُه شَعوبُ
أوّاه، قد جلَّ المصا ... ب، فأيّ قَلْبٍ لا يذوبُ؟
وتقلَّص الظلُّ الظليل ... وأجدب المرعى الخصيبُ
وبشاشة الدنيا ذوت ... فبدا بصفحتها الشحوبُ
وتقوَّضَتْ عمد العُلا ... وتهدّم الشرف المهيبُ
فالعلمُ باكٍ طرفُهُ ... والمكرمات لها وجيبُ
وبكلّ نفس لوعةٌ ... وبكلّ خفّاقٍ ندوبُ
وبكل طَرْف مزنَةٌ ... بالدمع ساريةٌ سكوبُ

* * *

أ «علي» يا من كان ... مشهدُه جميلاً، والمغيبُ
من كان أثبت منك عز ... مًا لا تزعزعه الخطوبُ!

مـن كـان أسـمـح مـنـك نـفـ ـسًـا، إن عتـا الـزمن الحـزيبُ
مـن كـان أطـهـر مـنـك؛ لا خـلُقٌ يـشـيـن ولا يُـريـبُ
ولَّـيـت فـردًا فـي الـكـمـال يـحـفّـهُ مـجـدٌ ذهـيـبُ
وذهـبـتَ مـبـكـيًّـا، كـمـا يـبكي عـلى الـشفق الـغـروبُ
بُـعْـدًا لـيـومـك فـي الـزمـان فـإنـه يـومٌ عـصـيـبُ
يـومٌ بـه فـزع الأنـا م عـلـيـك شـبَّـانٌ وشـيـبُ
خـرجـوا بـصـنـعـا والأسىٰ بـيـن الـضـلوع لـه وجـيـبُ
يـمشـون مـن حـول الـجـنـا زةِ خُـشـعًـا، ولـهـم نـحـيـبُ
وكـأنـهـم بـحـرٌ ونـعـشُـكَ فـوقَـهُ فـلكٌ يـجـوبُ
أبـكـيـك بـالـدمـع الـذي، فـيـه أسـى قـلبي يـذوبُ
أبـكـيـك بـالـشـعـر الـذي يُـذكـيـه مـن ألـمي لـهـيـبُ
شـعـرٌ مـذابٌ مـن دمـي وبـدمـع آمـالـي خـضـيـبُ
شـعـرٌ عـصـرتُ مـدامـعـي فـيـه فـأحـرفـه تـصـوبُ

* * *

مـا أحـقـر الـدنـيـا، مـحـا سـنـهـا وإن سـرَّت عـيـوبُ
مـا أخـدع الـدنـيـا، ومـيـضُ وعـودهـا بـرقٌ خـلـوبُ
مـا أكـذب الـدنـيـا لـذيـد وصـالـهـا حُـلُمٌ كـذوبُ
بـسـمـاتـهـا زورٌ، ومـا حـسـنـاتـهـا إلاَّ ذنـوبُ
والـمـوت حـادٍ لـلأنـام ووردُهُ مـنـهـم قـريـبُ
كُـتِـبَ الـفـنـاء عـلى الـورى كـلٌّ لـه مـنـه نـصـيـبُ

صنعا: ١٣٦٢هـ / ١٩٤٣م

٩ ـ القاضي يحيى الإرياني

[في رثاء القاضي العلامة الأديب يحيى بن محمد الإرياني، رئيس محكمة الاستئناف بصنعا، ١٢ من ذي الحجة ١٣٦٢هـ / ١٩٤٣م]:

أصحيحًا هوى منارُ الرشادِ؟ أيقينًا خبا ضياء النادِي؟
وثوي ذلك الخضمّ على الأعـ ـواد واندك أشمخ الأطوادِ؟
يا لروض العُلوم، يا لمنى الأحـ ـرارِ، يا للإسلام، يا للعبادِ!
قد تولّى الندى، وأجدب مرعاه وغاب التقى، ومات الهادِي!
فالأماني مقرّحاتٌ حيارى يتعثّرن في ثياب الحدادِ
وعيون القريض تبكي فتاها فائضات بالدمع فيض الغوادِي
ونوادي العلوم تندب من كـ ـان لها خير ناصرٍ و «عمادِ»

* * *

إيه شعري ولستَ إلاَّ دموعًا نزفتها مشاعري وفؤادِي
أبك من كان كوكبًا للمعالي أبك من كان بهجة للنَّوادِي
أبك من ألبس البطولةَ تاجًا من ذكاءٍ، وحكمةٍ، وسدادِ
كان للعدل مصحفًا ينذر الظـ ـلم قوى الإنذارِ والإرعادِ
كان للدّين ناصرًا وأمينًا وسياجًا له من الإلحادِ
كان للشعر والبلاغة روضًا تجتني زهره شعوب الضَّادِ
ربَّ شعرٍ لَهُ تودّ العذارى لو تقلَّدْنَه على الأجيادِ

إن تغنَّى به شجيٌّ أثار الحـ ـزن نارًا تكوي شعور الفؤادِ
أو تلهَّى به طروبٌ خليٌّ رقَّص الكائنات بالإنشادِ
هو آيات فكرةٍ تتجلَّى بسنا الوحي والتقى والرشادِ
هو آهات مهجة ألهبتها جمراتٌ من الذكا الوقَّادِ

* * *

عجبًا للمنون وهي سهامٌ سدَّدتها كفّ الزَّمان العادِي
كيف أودت بكوكب الحقّ والحق شديد المراس يوم الجلادِ؟
لا عجيبٌ! فالموت كاس وكلٌّ رغم حُبّ الخلودِ للكاس صادِي
إنَّما النَّاس في الحياة ثمارٌ والمنايا مناجلٌ للحصادِ
وحياة الأنام في الأرض وهمٌ وخيالٌ معرَّض للنَّفادِ
رسمتها الأقدار في الأرض رمزًا لحياةٍ تكون بعد المعادِ
يا صريع الجلال، والمجد، والحكـ ـمة، والعلم، يا رفيع العمادِ
غبْ كما غابت الشموس فقد خلَّدت مجدًا يضيء للآبادِ
وتنعَّم ونَمْ فقد كلَّ متناك وأدَّيْتَ واجبات البلادِ
في نعيم الجنان في جنَّة الفر دوس تجني ثمار ذاك الجهادِ

صنعا: ١٣٦٢هـ / ١٩٤٣م

١٠ ـ تحيَّة عام ١٣٦٣هـ

[كان عام ١٣٦٢م عامًا مشؤومًا فتكت فيه الأمراض بالمواطنين اليمنيين، وأضر القحط بالبلاد، فما إن تقلَّص ظله حتى بادر الشاعر يشيعه، ويهنِّىء الإمام أحمد بالعام الجديد سنة ١٣٦٣هـ، قبل ارتقائه العرش]:

قُمْ شاعر المجد، في أعلى منابره ... وعَزِّزِ الدين واهتف باسم ناصرِهِ
وأرسل الشعر آياتٍ مفصَّلَةً ... كأنَّها الوحي أو من فيض ماطِرِهِ
واقْدَحْ شعورَك وانْشر من أَشِعَّتِه ... على الوجود ليُجْلى من دياجِرِهِ
حَلِّقْ بأجواء آفاق الخيال تَجِدْ ... بنات عَبقَر تلهو في مَقَاصِرِهِ
وصُغ معانيك من أزهار جنتِهِ ... وسرِّح الفكر في باهي مناظِرِهِ
وافحص عن الدرّ في أصفى معادِنِه ... وانْقُدْ قوافيك من أغلى متاجِرِهِ
وانظم قصيدةَ مجدٍ شعَّ جوهرها ... كأنها الحسْنُ، أو من فنّ ساحِرِهِ
وزفها لوليِّ العهدِ مالكنا ... تحيَّةً نُحِتَتْ من قلب شاعِرِهِ
تحيةً بقدوم العام مُشْعِرةً ... بكل بشرٍ دفينٍ في ضمائِرِهِ

* * *

عامٌ أطلَّ على الدنيا وليس لَه ... هادٍ سواك إلى دنيا بشائِرِهِ
فكلّ شهرٍ إلى لقياكَ في شغفٍ ... وكلّ يومٍ تجلَّى في خواطِرِهِ
وكل ساعاته ترنو إليك كما ... يرنو المحبُّ إلى حِبٍّ بناظِرِهِ
كأنَّما كل قوسٍ من أهلته ... إشارةٌ لك تحكي سعدَ طائِرِهِ

كـأنَّمـا كـل نجـم في ديـاجـره ... رَمْـزٌ إلى أملٍ يَسْـري بخاطِـرِهِ
كـأنما هـو طفلٌ طـائشٌ جـذلٌ ... وأنتَ حـافظُه من كـل ضـائِـرِهِ
فكن لـه يـا «وليَّ العهـدِ» منتبهًـا ... كيْ لا يكـون شقيًّـا مثـل غـابِـرِهِ
فكم أراق دموعًـا من محـاجـرنـا ... وكـم أسـأل دمـاءً من خنـاجِـرِهِ
وكم أثـار الـرزايـا من عـواصِفِـهِ ... وكم رمى بـالمنـايـا مـن مقـادِرِهِ
وكم أذابَ نفـوسًـا في مـرابعنـا ... وكم هـوى بـالبـرايـا في حفـائِـرِهِ
عـامٌ مضى بعـد أنْ كلَّت نـواظـرنـا ... وعُـذِّبتْ بـالمـآسي في منـاظِـرِهِ
كـأنَّـه عـاصف طمَّتْ عجـاجُتُـهُ ... على البـلاد فبـادَتْ تَحتَ قـاهِـرِهِ
كـأنمـا هـو قصَّـابٌ ومـديتُـهُ ... مشحـوذةٌ وهـو عـاتٍ في مجازِرِهِ
لـولا أيـاديـكَ فلَّتْ غضب أزمتـه ... وقـلَّمـتْ كـلَّ شـرٍّ مـن أظـافـرِهِ
لكـان مـا هـو أنكى من مصـائِبِـهِ ... وكـان مـا هـو أدهى من منـاكِـرِهِ

* * *

مـولاي، مجـدك بحـرٌ من زواخـره ... نشفي الأوام، ونَغْنَى من جـواهِـرِهِ
وحـدّ سيفـك سـورٌ لـلبـلاد إذا ... تحَشَّـد الـرعب نَستَـوقي بعـامِـرِهِ
وفـيض جـودك غيـثٌ وابـلٌ فـإذا ... مـا أجـدب الغيث نَستغني بمـاطِـرِهِ
لـولاك مـا شُيِّـدَت للشعب مكـرمـةٌ ... ولا أُقـيـم بـنـاءٌ مـن مـفـاخِـرِهِ
ولا تـبَـلَّج فـي آفـاق عـزتـه ... نجمٌ، ولا فـاض خيرٌ في حـواضِرِهِ
ولا تـرفْـرف فـي أجـوائـه عَـلَمٌ ... ولا تـكـوّن فـوج من عسـاكِـرِهِ

* * *

كم شـاعـرٍ يتغنَّى بـالهـوى ثمـلٍ ... كـأنَّمـا هـو طيـر في حضـائِـرِهِ
يهيم في صحـراء اللهـو ليس لـه ... هَمٌّ سـوى أن يغـني فـي قيـاثِـرِهِ
وشـاعـرٍ مثقـلٍ بـالهم مـرتبـكٍ ... كـأنمـا هـو مَيتٌ في مـقـابِـرِهِ
يـرى بكـل مكـانٍ مـا يُـنَغِّصُـهُ ... كـأنـه خـائـبٌ في سجن آسِـرِهِ
يُعَشْعش الحـزْن فتَّاكًـا بمهجتِـهِ ... ويعبث الهمّ وخـزًا في ضمـائِـرِهِ

وشـاعـر يبعث الأنَّـاتِ صـاخبـة ... كـأنهـا جَمـرات فـي حنـاجِـرِهِ
كـأنـه عـاشق سـالت حشـاشتـه ... من الحنيـن نشيـدًا في مـزاهِـرِهِ
ينـوح بـالشعـر والآلام تعصف في ... فـؤاده، وتنـزَّى فـي مشـاعِـرِهِ
سخـريـةُ الـدهـر من قـوم حيـاتهم ... كـأنَّمـا هي شـوكٌ في نـواظِـرِهِ
وأنتَ يـا زينـةَ الـدنيـا وبهجتهـا ... كهفٌ لكـل حـزين القلب حـائِـرِهِ

تـعـز: ١٣٦٣هـ / ١٩٤٤م

١١ ــ زنبقة في فلاة

[اشترك صاحب الديوان مع صديقه الشاعر إبراهيم الحضراني في نظم هذه القصيدة وأرسلاها إلى الشاعر محمد محمود الزبيري في ٢٥ صفر ١٣٦٣هـ / ١٩٤٤م، وكان يتحصَّل «الزكاة» في «ماوية»]:

تلفَّتَ الشعرُ إلى الشاعرِ ... يسأل عنه أين ولَّى وسارْ؟
وأين ربّ النغم الساحرِ؟ ... أين هزاري يا ترى؟ أين طارْ؟
وأي روضٍ فاتنٍ زاهرِ ... في ساحة بات يناجي مناهْ؟
يحمل عبء القدر القاهرِ ... ظمآن يشكو لليالي صداهْ؟
يا حُسْنَ لحنٍ كان يشدو به ... فترتوي أكبادنا الظاميَهْ
ويرسل الأنغام عن قلبه ... فتحتسيها فكرٌ واعيهْ
فحدثوني اليوم ما شأنه؟ ... وأي روضٍ بعد روضي سباهْ؟
وكيف إذْ يطفح وجدانه؟ ... وهل يرى ما كان عندي يراهْ؟
من مهجٍ والهة هائمة ... تَتْمَلُ إن غنَّى شجِيَّ القصيدْ
وأنفسٍ من حوله حائمة ... لا شيء تهوى غير رجع النشيدْ
أظنّه اليوم يغنّي وحيد ... يشدو فيرتدّ إليه غناهْ
لا سامع من حوله يستعيد ... كأنه زنبقةٌ في فلاهْ
يبيتْ في الليل يناجي النجومْ ... فينصت الليل، ويُصغي القَمَرْ
وتارةً يطْغى عليه الوجوم ... فيفرغ الكأس ويلقي الوتَرْ
يستقبل الفجر بقلب عميدْ ... ويستقي أنغامه من سناهْ
ويرمق الشمس بطرف شريد ... كأنما يرمق فيها هواهْ

يـا حيـرة الشـاعـر عنـد الأصيـل ... والـكـون بـاكٍ لفـراق الـحبيـبْ
هنـاك يـذكـو فيـه وجـدٌ دخيـل ... هنـاك تنهـل دمـوع الـغـريـبْ
عـد أيـهـا الشـاعـر عُـدْ إنَّـنـا ... فـي جنـة الـشـعـر وأزهـى رُبـاهْ
نعبث بـالـدَّهـر ونُـزجي الـمنى ... مـا أعجب الشعـر وأحـلى منـاهْ؟

تعز: ١٣٠٤هـ / ١٩٩٠م

١٢ ـ دُموع الغريب

[إلى أخي عبد الوهاب]:

نفسٌ معذبةٌ وقلبٌ دامي ... ومشاعرٌ مشبوبة الآلامِ
ومنًى مجنحةٌ تدفُّ وتنثني ... موهونةً مكلومة الأحلامِ
نام الوجود! فلا سميرٌ هامسٌ ... بحديث صفوٍ، أو بشعر هيامِ
لم يبق إلا مغرمٌ. ويراعه ... وسراجه الواهي، ووجدٌ نامي
وحطام آمالٍ تلوح قصيةً ... عنه، وقفر تشاؤمٍ مترامي
ومخاوف خرساء تحدق حوله ... وفضاء آلامٍ وبحرُ ضرامِ

* * *

صبٌّ تقاذفُهُ الهموم كأنَّه ... كُرةٌ مطوحةٌ على الأقدامِ
صبٌّ يناجي الذكريات، وروحُه ... تنزو فيمسكها الهوى بزمامِ
وخياله المجنون يسمو هاجرًا ... هذا الوجود، إلى وجودٍ سامي
يسمو إلى حيث الحياة جميلة ... محفوفةٌ بالخير والإنعامِ
يسمو إلى حيث الحقيقة كوكبٌ ... يرمي بشهب النور كل ظلامِ
والشرُّ يُصرع، والشقاء مجدَّل ... والجهل يفضحُهُ سنا الإلهامِ
يسمو إلى حيث السَّعادة عالم ... زاهٍ، وحيث الحُب غير حرامِ

* * *

قيثارتي.. هذا فؤادي خاشعٌ ... غَنِّيه ما يهوى من الأنغامِ

هـاتي تـرانيم الصبـابَـةِ والجـوى ... هـاتي تغـاريـد الهـوى البسّـامِ
يـا من «بصنعـا» يمـرحـون تحيـةً ... من مهجـةٍ حَـرَّى، وروح ظـامي
أنـا بعـدكم مضنىً أذوب من الأسى ... الهـول يـزحف جـانبي وأمـامي
لا الصبـح ألقـاه بـوجـهٍ بـاسمٍ ... كـلا ولا ألـقى الـدجى بـمنـامِ
أتـلَمَّسُ السَّـلوى فـأعـثـر دونـهـا ... والـهمّ يـرشـق مهـجتي بـسهـام
هـذي دموع الحُبِّ، وهي حشـاشةٌ ... سـالـت وزفـرةُ صبـوةٍ وهُـيـام
قيثارتي، شعري، حنين عـواطفي، ... خلجـات روحي، لـوعتي وغـرامي

تعز: ١٥ صفر ١٣٦٣هـ/١٩٤٤م

١٣ ــ نظرة إلى الكون

[أُنشدت أمام سيف الإسلام أحمد بتعز في ٢٢ من ربيع الأول ١٣٦٣هـ، قبل ارتقائه العرش]:

يا أيها الشَّاعر: قُم لا تَنمْ ... وأسمعِ اللَّيل شجيّ النَّغمْ
فالكون غافٍ، ونجوم الدُّجى ... تطلُّ حيرى من وراء الظُّلَمْ
وتسكُبُ النُّور على عالَمٍ ... يكاد من شقوته ينحطمْ

* * *

يا أيها الشاعر: قم صادحًا ... فكل حَيّ في الورى قد وجَمْ
وليسَ إلَّا أنتَ تبكي المنى ... وتندب الحظّ، وتذكي الألمْ
حيران لا خلٌّ، ولا سامرٌ ... إلَّا التياعُ وشقاءٌ وهَمّ
وأنَّةٌ تتبعها أنَّةٌ ... وزفرةٌ مشبوبةٌ كالضَّرمْ
وذكرياتٌ لِلَّيالي التي ... مرَّتْ وأبقتْ للفؤاد الندم
ما التفتَ القلبُ إلى ذكرها ... مناجيًا إلَّا بكى وابتَسمْ

* * *

يا أيها الشاعر: صبرًا إذا ... ذَابت أمانيك ببحر العدَمْ
أمسيتَ والآمال مكفوفةٌ ... والدَّهر إن ناديْتَهُ كالأصمّ
وا لَهْفَ نفسي، أصحيحٌ قضَى ... حبّي، وولّى عهده وانصرمْ؟
انظر إلى الكون، تجد مسرحًا ... يمثّل اللؤم به والكرم

تجـدْ صـراعًـا سـرمـدي الشقـا ... بـيـن ضـعـيـفٍ وقـويٍّ ظـلَـمْ
تـجـدْ نـزاعًـا هـائـلاً نـاشبًـا ... بـيـن فـقـيـرٍ وغـنـيٍّ غـشـمْ

* * *

هـذا هـو «الغـربُ» طغَى واعتـدى ... وجـرَّع الـعـالـم مُـرَّ الـنّـقـمْ
لا عـقـل يـهـديـه، ولا رحـمـة ... تـشـعـره الـخـيـر، ولا ديـن زمْ
لـيس سـوى شعـبـك في غـبـطة ... أصبح في هـذا الـورى كـالحـرمْ
جـداول الإيـمـان فـيّـاضـةٌ ... تـغسـل عـنـه كـل خـوف وغـمْ
لأيِّ شـيء يـا تـرى قـصَّـرتْ ... عنـه الـرزايـا، والـزَّمـان انهـزمْ؟
وكـيـف والـشـرّ يـطمُّ الـورى ... والموت يطوى في القبـور الأممْ؟
ليس سـوى «أحمـد» من عـزمـه ... عـزمٌ قـويّ، وعـلاه أشـمْ
سـعـى لإسـعـاد الـورى بـاذلاً ... مـن أجـله كـل غـوالـي الـقـيـمْ
مـولاي أنـت اليـوم في قـطرنـا ... الـملجـأ الـرحـب وأنـت الـعَـلَـمْ
وأنـت أنت الـقـائـد المـرتـجى ... إذا تـعـدّى دهـرنـا واحـتـدم
ألـهـمني مـجـدك شعـري الـذي ... أنـسى هـزار الأيـك حُـرّ الـنغَـمْ
وأصبـحـت تـشـدو بـه كـلَّمـا ... أشـرق صبـحٌ، أو ظـلام هجَـمْ

تعز: ١٣٦٣هـ/١٩٤٤م

١٤ ــ صُورٌ رائعة

قف تأمل ذُكا جنَّحَتْ للمغيبْ
بطلاً منكَسِرْ

وهجوم الدُّجى في سكون رهيبْ
ثملاً بالظَّفَرْ

واندفاع الظلامْ ووجوم الوجودْ
منصتًا للسَّحَرْ

واحتشاد الغمام وهزيم الرعودْ
وانهمال المطرْ

وطلوع الحبيبْ باسمًا راضيًا
زاهيًا كالقمَرْ

واختفاء الرقيبْ غافلاً لاهيًا
ما درى ما الخَبَرْ

وتداني الشفاه وخفوق القلوبْ
وهدوء النظَرْ

وابتسام الحياةْ لمُحبٍّ طروبْ
كان يشكو الضَّجرْ

وسقوط الندى ورفيف النَّسِيمْ
عابثًا بالزهَرْ
وهزار شدا بغناء رخيمْ
ساحر كالوَتَرْ
قُدِّستْ من صور
كلّها رائِعَهْ

تعز: ١٣٦٣هـ/١٩٤٤م

١٥ ــ ردُّ التحيَّة!!

[ردَّ بها على أبيات وردت إليه من الشاعر إبراهيم الحضراني في ١٣٦٣هـ/١٩٤٤م]:

نفحةٌ من «بديع هذا الزمان» ... ومنار القريض والعرفانِ
بهر العقلَ حسنُها، وسقاه ... من كؤوس البيان خمر المعاني
أقبَلَتْ في غلائلٍ طَرَّزتها ... كفُّ إبداعه بدُرِّ الأغاني
تَتَهادى كأنَّها سُبِكَتْ مِنْ ... بارقات الهوى ودَلِّ الغواني
من فؤاد المحبِّ، من نشوة الوصـ ... ـلِ، من السحر من خدود الحسانِ

* * *

أيها الشَّاعر الذي رفع الشِّعْـ ... ـرَ بآياته على «كيوانِ»
لك في مهجتي ودادٌ عريقٌ ... ثابت الأسِّ شامخ الأركانِ
هاك شعري؛ وإن أجدتُ فما ... شعري إلَّا عواطفي وجَنَاني
كامن في حروفِه كلُّ ما في ... مهجتي من جوى ومن وجدانِ
فقوافيه بوتقات شعوري ... ومعانيه ملتقى أحزاني

صنعاء: ١٣٦٣هـ/١٩٤٤م

١٦ ــ إحساس الشَّعب

[أُلقيت أمام الإمام أحمد قبل ارتقائه العرش في ١١ جمادى الأولى ١٣٦٣هـ بتعز، بعد أن أبلَّ من مرض أقعده في داره أيامًا]:

هذه شمس الأماني أشرقت بالبشرياتِ
وشدتْ في روضة الشعر طيور الأمنياتِ
وزهَتْ في كل ثغرٍ زهرات البسماتِ
وبنات الوحي طافَتْ بالمعاني الثملاتِ

* * *

قلمي.. خذ عن جمال الفنِّ سحر النغماتِ
وصغِ الأشعار من روض الأماني الزاهراتِ
من شعاع الأمل الزّاهي، وطيف الذكرياتِ
من رفيف الابتسامات، ودلّ الغانياتِ
واهدها تاجًا موشى بلآلي التهنئاتِ
(لوليّ العهد) ذي الهمَّةِ ربِّ الحسناتِ

* * *

يا «ولي العهد» يا فجر الأماني الضاحكاتِ
غبتَ عنّا برهةً كانَتْ مثار الحسراتِ
فترى النَّاس حيارى في دياجي المشكلاتِ
يشعلون الأفق نيرانًا بجمر الزَّفراتِ

كـل شـخص مـطرق الـرأس كئـيـب الـنـظراتِ
ثـائـر الـلُّوعـةِ مـضـنـى الـقـلـب، جـمّ الـعـبـراتِ
رافـع الـكـفِّ مـذيـبًـا قـلبـه فـي الـدعـواتِ

* * *

ثـم أشـرقْـتَ عـلـيـنـا بـالـمـنـى والـبـسـمـاتِ
فـانـجـلى الـلَّيـل.. وقـد كـان كـثـيـف الـظلمـاتِ
وغـدا الأفـق كـمـا كـان وضـيء الـقـسـمـاتِ
سـاطـع الأنـوار يـهـديـنـا شـذيّ الـنـسـمـاتِ

* * *

يـا «ولـي الـعـهـد» أنـت الـيـوم كـنـز الأمـنـيـاتِ
أنـت لـلديـن ضـيـاءٌ شـع فـي كـل الـجـهـاتِ
عـظمـت فـيـك صـفـاتٌ لـم تـسـعـهـا كـلمـاتـي
أيـن مـن شـعـري مـا طـمَّ فـراغ الـكـائـنـات؟

* * *

أنـا مـن بـالـشِّـعـر قـد فـنـد أوهـام الـحـيـاةِ
شـاعـرٌ تـيَّـمـه الـمـجـد غـريـب الـنـزعـاتِ
شـارد الـلُّب حـزيـن الـروح مـكـبـوت الـشـكـاةِ
دائـمًـا أشـدو فـتـدمـي بـالأنـاشـيـد لـهـاتـي

* * *

إيـه عـصـر الـنُّـور قـد جئـت بـشـتـى الـمـهـلـكـاتِ
نـكـبـة الـغـرب الـذي حـطَّم نـبـراسَ الـهُـداةِ
شـدَّ بـالـبـؤس عـلى الـعـالـم مـن كـل الـجـهـاتِ
وأنـا الـشـاعـر يـشـجـيـنـي بـكـاء الـكـائـنـاتِ

شاعرٌ ما الشعر إلاَّ نكبةٌ من نكباتي
ضلَّ قلبي في صحاراه وتاهَتْ أمنياتي
طالما غنيت لكن لم ترقهم نغماتي
آه لو يدرون ماذا ينطوي في كلماتي

* * *

يا «ولي العهد» هذي نفثةٌ من نفثاتي
فتلمَّسْها تجدها قطعةً من عاطفاتي

تعز: ١٣٦٣هـ/١٩٤٤م

١٧ ــ يا ليل...

ما قرَّ يا ليل لجنبي قرار لا خِلّ وافاني ولا الفجر لاحْ!
فأينَ أين النُّورُ أين النَّهارْ؟ أين تولّى يا ترى؟ أين راحْ؟

* * *

فهات قُلْ، أين تركتَ السنا هل حبسَتْهُ في الثغورِ الملاحْ؟
أم ضَلَّ مثلي في شِعَاب العنا وهام في صَحرائها والبطاحْ؟

* * *

قد بتُّ حيران حليفَ النوى كأن قلبي في رؤوس الرماحْ
يئزّ قلبي بجحيم الجوى فآح من حَرِّ الجوى آحْ آحْ

* * *

متى متى يا ليل يُشْفَى الغَلِيلْ مَتى متى يا ليل تُؤْسى الجراحْ
حملني الهجرانُ عبئًا ثقيلْ ما زال يُضْنيني مساءً صباحْ

* * *

الليلُ مأوى التَّائه الشَّارِدِ يبيتُ فيه يَسْتَجِمُّ الكفاحْ
لا.. إنه في قبضة الصائِد طيرٌ سَجينٌ قُصَّ منه الجناحْ

تعز: ١٣٦٣هـ/١٩٤٤م

١٨ ــ بين الصُّخور

أوّاه هأنا في الظلام أنوحُ محترق الشعورْ
ودمي يضجّ من الهمو م ومهجتي الحرّى تفورْ
ومشاعري مكفوفة الرغبات تخبط كالضريرْ
وخواطري تهفو وراء أماني القلب الكسيرْ
والكون غافٍ لا ضجيج، ولا رقيب، ولا سميرْ
لا مشفقٌ يحنو عليَّ، ولا نصير، ولا عشيرْ
إلاَّ فؤادٌ؛ دامي الزَّفر ات، أو دمع غزيرْ
أو لجّة النُّور التي فاضَتْ من القمر المنيرْ
وكأنَّما هي بلسمٌ والكون مجروح الضميرْ
ظمآن مستعر الجوانح والشعاع له نميرْ
أوّاه هأنا من وجود ي كالمكبَّل في السعيرْ
وكأنَّما أنا طَيف ميت ضَلَّ عن دنيا القبورْ
أحيا وحيدًا حائرًا بين المخاوف والشرورْ
متأججُ الأحشاء أدعو بالمصائب والثبورْ
وكأنما أنا طائرٌ في هذه الدنيا أسيرْ
يشدو بمختلف اللحون على أناس كالصخورْ

تعز: ١٥ جمادى الأولى ١٣٦٣هـ/١٩٤٤م

١٩ ـ نشيد المهاجر

[يذكر الشاعر في هذه القصيدة هجرته إلى (عدن) مع السيد زيد الموشكي والتحاقهما بالأستاذين أحمد محمد نعمان ومحمد محمود الزبيري في شهر جمادى الآخرة عام ١٣٦٣هـ/مايو ١٩٤٤م، ولم تنشر كاملة في ديوانه «النفس الأول»]:

غريبٌ يجوبُ القفرَ، والليلُ سادرُ ... ولا هاديًا إلَّا النجومُ الزواهرُ
وفي قلبه مِمَّا يُكنُّ معاركٌ ... نوازع يطغى شرُّها وخواطرُ
ومن حوله الأخطار تسري رهيبة ... تطارحه أوهامه، وتحاورُ
وتنثر أشواك الأسى في طريقه ... فيا ويحه.. كم يتقي، ويحاذرُ
ألا أيها الساري إلى أيِّ وِجْهَةٍ ... وأيِّ بلادٍ نحوها أنت سائرُ؟
لقد عركتك النائبات وأنت في ... شباب الهوى والقلب بالحبِّ عامرُ[1]
ومثلكَ في دنيا الصبابة والمنى ... يقارف فيها حظّه، ويعاقِرُ
وقِرنك بالأحلام هيمان مغرمٌ، ... وأنت بأعباء الحقائقِ عاثرُ
يؤزُّكَ قلبٌ في قرارةِ حِسِّه ... طموحٌ إلى المجد المؤثَّل طائرُ

* * *

ألا أيُّها السَّاري ترفَّق: فما السُّرىٰ ... بمجْدٍ إذا ما القلب كسلان خائرُ
فما المرءُ إلَّا بالفؤاد مغامرُ، ... وما هو إلَّا بالفؤاد مخاطِرُ؛
إذا كنتَ جبارًا فحظك مُسعدٌ، ... واِسمُكَ مرهوبٌ، ونجمكَ زاهرُ

(١) كان في الحادية والعشرين. وانظر قصة الهجرة في كتابه «رياح التغيير في اليمن».

سريتَ، وفارقتَ الأحبةَ والدُّجى ... رهيبٌ، وأنواء الخطوب ثوائرُ
«كأن نجوم اللَّيل أعين نقمةٍ ... تطل؛ وفيها للأماني مقابرُ»
تزوغ من الأرصاد عن كل مسلكٍ ... إلى طرقٍ لا يحتذيها مسافرُ
لتَرتاد مأوى، أو لتنشد ملجئًا ... من الخوف والظلم الذي لا يُصابَرُ
وشعبك في وادي الرزايا يسوقه ... إلى الموت راعٍ مستبدٌ وجائرُ
تنزَّه باسم الدين عن كل شبهةٍ ... وما هو باسم الدين إلَّا متاجرُ
يقول لهم: هذا حرامٌ، ومنكرٌ، ... ويفعله سرًّا، وحينًا يجاهرُ!

* * *

وجامَلَهُ فيما يريد منافقٌ ... ووغدٌ، ودجّالٌ، وخبٌّ، وفاجر
«عصابة بغي» سوف تلقى حسابها ... إذا ارتبكت يوم النشور البصائر
إذا قال «يحيى» كلمةً هلَّلوا لها؛ ... وقالوا «صوابٌ» ما يقول وسايروا
هم الشرُّ في أفعالهم، وصفاتهم، ... وإن دلَّسوا، أو غالطوا، أو تظاهروا
«مطهّرهمْ» يَسْطُو «كلُطْفِيٍّ» مكرِهم ... و «عَمريّهم» يحميهموا ويؤازرُ
ولم يرقبوا في الشعب إلَّا، ولا سَمَتْ ... بهم همّةٌ، أو رأفةٌ، أو مشاعرُ

* * *

فسرْ في سبيل الشعب حرًّا مجاهدًا ... وهاجرْ؛ فأنصار الفضيلة هاجروا
ولا تخشَ أحداث الزمان وبطشها ... فما فاز إلَّا الألمعيّ المغامرُ

* * *

بلادي: هذي أكبدٌ ومشاعرٌ ... تؤجّ؛ وهذي أنفسٌ وضمائرُ
وهبناكِ أرواحًا علينا عزيزةً ... تفَدّيك يوم الروع؛ والله ناصرُ

عدن: ٦/٦/١٣٦٣هـ
٢٨/٥/١٩٤٤م

٢٠ ــ زَفــرة

[أبلَّ من مرضه ونظر فيما حوله.. فلم يجد بدًّا من الشكوى]:

ما لـقـلبي ولـلضَّـجـر ... ولِـطَرفـي ولـلسَّـهَـرْ؟
أرقـب الـنـجـم ذاهـلاً ... مثـل من يـرقـب الـخـطرْ
سـاهم الـوجـه، مـطرقًـا ... حـائـرًا خـاشـع الـنـظرْ
وأبـثّ الـسـمـاء سـرًا ... خـفـيًّـا عـن الـبـشَـرْ
وأنـا الـشـاعـر الـشبـاب ... ! فـتى الـمـحـتـد الأغَـرّ
لا صـديـقٌ؛ ولا حـبـيـبٌ ... يـؤاسـي، ولا سَـمَـرْ
كـل مـا فـي الـوجـود ... لـؤمٌ؛ فـيـا قـسـوة الـقَـدَرْ
فـهـنـيئًـا لـمَـن قَـضَـى ... مـستـحـريحًـا، أو انـتحَـرْ

* * *

آه لـولا صـبـابـة ... في الحشـا تقـدح الـشـرَرْ
واسـتـيـاقٌ ومـنـيـة ... وهـوى بـالـغ الأثـرْ
لـجَـرَعـتُ الـزُّؤام لا ... هـول فـيـه ولا خَـطَرْ
وأنـا الـمبـعـد الـشـريـد ... عـن الأهـل والـمـقَـرْ
عـرف الـنـاسَ لا صـديـقٌ ... صـدوق سـوى الـكـدَرْ
فـقـد الـحـبّ لا حـنـانٌ ... ولا صـاحـبٌ أبَـرْ
آب مـن سيـره الـبـعـيـد ... بـعِـبءٍ مـن الـعِـبَـرْ

بـثـراءٍ مـن الـكـآبـةِ، والـهـمّ والـضـجَـرْ

* * *

آه.. والآه زفـرةٌ لـيس تُـبْـقِـي ولا تـذرْ
تـتـلظَّى كـأنَّـمـا صـاغـهـا اللَّهُ من سقَـرْ
لـيتـنـي لـم أرَ الـوجـود ولـم يُـقْضَ لـي وطـر
لـيتـنـي كـنـتُ نـغـمـةً يـتـغـنَّـى بـهـا وتَـرْ
لـيتـنـي كـنـتُ نـسـمـةً تـتـثـنَّـى عـلى نَـهَـرْ
لـيتـنـي كـنـتُ خـاطـرًا فـي نـهـى شـاعـرٍ خـطَرْ
ليتني بسمة الصباح وغـيـبـوبـة الـسـحَـرْ
ليتني.. مـا هـبـطتُ يـو مًـا إلـى بـؤرة الـبـشّـرْ

عدن: ١٢ رمضان ١٣٦٣هـ/١٩٤٤م

٢١ ــ استيقِظ يا وطني

[ألقاها الشاعر في أحد احتفالات حزب الأحرار بعدن]:

آنَ أن نرقب الخلاص وحانا..
فكفانا ذلاً وخسفًا.. كفانا،
ثلث قرن مضى عرفنا به الظلم..
فنونًا.. وعسفَه.. ألوانا،
لم نَشِمْ فيه لمعةً من ضياءٍ..
أفعميًا.. رب الوجود برانا؟..
أبرانا بلا عقول، ولم يخلُقْ..
لنا عزة.. ولا وجدانا.

* * *

لا.. ولكنها العزائم خارَتْ..
فأضعنا إباءَنا، وعُلانا،
وخليق بمن تهاونَ ذلٌّ
وجدير بخانعٍ أن يُهانا!.
أيُّها الأمَّة التي عبثَ الظلمُ..
وأودى بمجدها وأهانا،
تخِذَتْهَا لها الجهَالةُ رَبعًا،
واصطفاها لَه الفناء مكانا!.

فهي في لجةِ الزَّمان غريقٌ..
لم يجد منقذًا ولا رُبّانًا،
والرياحُ الهوجاءُ تعصفُ..
والبحْرُ غضوبٌ يزلزل الشطآنا،
والمنايا من حوله تملأ الأفق..
ضجيجًا، وتُفزع الأكوانا،
هو في ساعة الهلاك فإن لم..
تنقذوه، فابكوا عليه الزَّمانا،

* * *

هذه ساعة الخلاص من الموتِ..
إذا رُمْتُمُ حياةً! وشانا!.
إيه «حزب الأحرار» لا زلت..
للشعب تؤدِّي له الأيادي الحسانا،
أنت من ترتجي البلاد به نفعًا،
و «تبغي» سلامةً وأمانا،
علَّقت في «بنيك» آمالها الكبرى..
وهزَّت حسامها «نعمانا»!.
ذلك «العبقريّ» من نصر الحقَّ..
فعالاً. ورغبةً. وبيانا!.
وهب الشعب قلبه وحباهُ.
مقولاً صارمًا، ورأيًا مصانا.
فهو للشعب روحه الثائر الحيّ..
وسيفٌ يمزِّق الطغيانا!.

وهزارٌ إذا شدا، فإذا صال..
على ظالمٍ.. غدا بركانا!..

* * *

إيه «حزب الأحرار» حَرِّر قلوبًا..
وعقولاً تستمطر العرفانا،
أنقذِ الأمةَ «الشقيَّة» وانشرْ..
علَم الحقّ، وانصرِ القرآنا،
وامضِ في حومة الجهاد، وحطِّمْ..
كل من ناصر الغشومَ وخانا،
لا تدع للطاغي مجالاً، ولا تسمعْ..
له حجة.. ولا برهانا،
إنها «خدعة» المضلِّ الذي ضلَّ..
هداهُ.. وضيَّع الإيمان..

* * *

أيها السادرون في ظلمات الجهلِ..
هلاّ سئمتُم الطغيانا؟!.
حطَّموا الأسر والقيود وثوروا..
«ثورةً».. تعمروا بها الأوطانا!..
لا تهابوا شيئًا، فما خاب إلاَّ
كل من كان خائفًا أو جبانًا!.
ما عسى يصنعُ «الغشوم» إذا ثُرتمْ..
رجالاً، أشاوسًا، شجعانا..
هو فردٌ يذل للحقّ لو قمتم..

به، أو يهوى صريعًا مهانا،
وهو الحقّ لا يذلّ، ولا يفنى..
وإن خاصَمَ الورى والزَّمانا!.
فلْنُغَامر وننقِذ الشعب..
أو نَفْنى..
وعينُ الإلَهِ يقظى تَرانا!.

عدن: ١٣٦٣هـ/١٩٤٤م

٢٢ ــ دمعة على الثعالبي

[في ١٥ ذي الحجة ١٣٦٣هـ أقام «مخيم أبي الطيب» بعدن حفلة تأبين للزعيم المغربي المشهور السيد عبد العزيز الثعالبي التونسي، وألقى صاحب الديوان هذه القصيدة في ذلك المأتم]:

شمس مجدٍ غابتْ، وغاب سناها ... أوحشَت أرضها وأبكت سماها
مُلِئتْ بعدها القلوب ظلامًا ... ودهى بعدها النُّهى ما دهاها
فالعيون القرْحى تذوب دموعًا ... وزفير الأنات يشوي الشفاها

* * *

«عدن» ما لها تضجّ وتبكي؟ ... أفزع الأرضَ والسماء بكاها
ما لزخارها غضوبٌ؟ وما للبيد ... حرَّى؟ وما أصاب ذراها؟
وينوها.. ماذا أصاب بنيها؟ ... فقدت رُشدَهَا وضلت نهاها
لا تَسلْها عن خطبها فكفاها ... ما دهاها وحسبها ما شجاها
ربَّ ذكرى تثير في القلب آلا ... مًا، وتذكي فيه جحيم أساها

* * *

ماتَ «عبد العزيز» من كان في ... «تونس» أزهى آمالها ومناها
مات «عبد العزيز» يا ليته ... عاشَ وماتَتْ زعانفٌ نأباها
أفيقضي من كان فذًّا وتبقى ... عصبة محنة علينا بقاها
رب رحماك بالعروبة ضاعَتْ ... بين أوباشها وبين عداها

* * *

يـا عـظيمًـا مضَى وخلف للتـ ـاريـخ مـجـدًا بنبله نتبـاهى
فـقـدتْ فيـه «تـونس» سيـفـهـا الفذ وصنديـد غابهـا وحماهـا
فـهي مـن بعـده تـضـجّ وتبكي مثلمـا تنـدب الصغـار أبـاهـا
لـك في هـذه «الجـزيـرة» آثـارُ جـهـادٍ هيـهـات أن تـنـسـاهـا
«عـدن» لـلوفـاء دار وفـيـهـا شـهب يـبهـر الـزَّمـان سنـاهـا
حفـظَتْ عهـدك المكين وصـانت ذمـةً كـنت بـالـوفـا تـرعـاهـا

* * *

إيـه يـا «تـونس» الـعـزيـزة آلامـك في ربعنـا تؤجّ لـظاهـا
لستِ بـالحـامـل المصـاب وحيـدًا كـل شعب بـالخـطب حـار وتـاهـا
تـعـسَـتْ أمـة تـضـيّـع آثـار صنـاديـد غـابـهـا وحـمـاهـا
لا تـرى لـلأبـطال حـقًّـا وإن مـاتـوا ضحـايـا فخارهـا وعـلاهـا
كـم عـظيم قـضَى ولـم يلق... تـقـديـرًا لأعمـالـه، ولا حَـازَ جـاهـا
أمـة لا تقـدس البـطولـة لا تبقى وحـتـم بـأن تُـلاقـي فـنـاهـا

* * *

لـبست بعـدك الـسـواد شعـوب كنت «عبد العزيز» نور هـداهـا
كُنْتَ نعم الـطبيب لـلأمـة الفُصحى تـداوي جـراحـهـا وأسـاهـا
كنت تـبني لهـا فـخـارًا ومجـدًا كنت في كـلّ محنـة تـرعـاهـا
طـالمـا صحت بـالعـروبـة تستـ ـنهض آمـالهـا وتـحيي مـنـاهـا
تـربط «الشَّامَ» و «العـراق» «بمصرٍ» و «بصنعـا» تشدُّ «نجـدًا» أخـاهـا

* * *

غبْ كمـا غـابت الشمـوس فقـد خلدت مجدًا ومحتدًا لا يضـاهـا
وإذا مـا لـقيـت سيـد «عـدنـان» فحـدث عن «يـعـرب» وشقـاهـا
قـل لـه: أمـة العـروبـة ضـاعَت بعـد مـا ضـاع دينهـا وعـلاهـا

وبنـو «يعـرب» أقـامـوا على الضيمِ ... وسـادتْ عـلى البـلاد عـداهـا
سيمت الخسف فارتضتهُ مع الجهل ... وغـطت مـوهـونـةً في كـراهـا
و «فلسطين» في فم «الذئب» تشكـو ... مـا صَـغَـتْ أمـة إلـى شكـواهـا
جـرّعتهـا الخـطوب كـأسًا مـريـرًا ... وسقـاهـا زمـانهـا مـا سقـاهـا
لـو رآهـا الـرَّسـول في الـذل والـ ... ـبؤس بكى رحمـةً لهـا، ورثـاهـا

* * *

آه أيـن الأبـطال من أمـة «الـضـا ... ـد» وأين الأسـود تحمي حمـاهـا؟
أين «قحـطان»؟ سـامـح الله «قحـ ... ـطان» فقد خالَفتْ سبيل هداهـا..
أين «عـدنان»؟ ضيّعتْ بنت «عـدنـا ... ـن» فحـارَتْ على الشفـاه لغـاهـا..!
لـغـة حُـرَّة أطلت عـلى الـدنيـا ... زمـانًـا فـأشـرقَـت لابـتـاهـا
ثـم ولـتْ ولا رعـى الله قـومًـا ... جـرَّعـوهـا جهـلاً كؤوس فنـاهـا
خفتت يعـد أن دوَتْ في البـرايـا ... يمـلأ الأرض والسمـاء صـداهـا..

* * *

إيـه نفسي ذوبـي دمـوعًـا وشعـرًا ... وانـدبـي شمس «يعرب» وضحـاهـا
كم قلوب ذابتْ قـريضًـا وكم سـا ... لَتْ نفـوس من الجفـون ميـاهـا
لغـة الحـزن ليس تَـرضى سـوى ... الشعـر لسانًـا لبؤسهـا وشقـاهـا
ودمـوعي أغلى من اللؤلؤ الـرطـ ... ـب، وأسمى شأنًـا، وأرفع جـاهـا

عدن: ١٣٦٣هـ/١٩٤٤م

٢٣ ــ الوتر المغمور

[ألقاها الشاعر في «مخيم أبي الطيب» بعدن سنة ١٣٦٣هـ/١٩٤٤م، يقرظ ديوان الوتر المغمور للشاعر علي لقمان]:

العبقرية في فؤاد الشاعِر ... فاضت بينبوع الحياة الزاخرِ
بالسحْرِ، بالحب المقدَّس عرشه ... بالفنّ معجزة الزمان الغابرِ
بالشعرِ يغْمر كلَّ قلب بالهوى ... ويرنّ كالوتر الحنون السَّاحرِ
يا شاديَ الوادي ترفَّق بالنُّهى ... وبأكبدٍ ملتاعةٍ ومشاعرِ
غنَّيتَ فاهتزَّ الوجود صبابةً ... وهفَتْ جوانح كل فذٍّ شاعرِ
وأثرتَ كامنَ كل قلبٍ موجع ... وقَتَلْتَ وحشة كل صبٍّ ساهرِ
جدَّدت بالألحان عهدًا ماضيًا ... هو كنزُ أحلامي، ربيع خواطري
كانتْ به روحي رفيقة صفوها ... تلهو وتسخَرُ بالزَّمان الغادرِ
ذكرى أثرت شؤونها فتأجَّجَتْ ... نارًا تذيبُ سرائري ومرائري

* * *

مالي وللأمس البعيد إخاله ... فتسيل نفسي من غضون محاجري
ولقد مضى زمنٌ عليَّ ولا أرى ... فيه سوى شبحِ الهموم الثائرِ
لا الصُّبْحُ يلقاني بثغرٍ باسمٍ ... والليْل، لا يأتي بوجهٍ زاهرِ
فأثرت بالأنغام كامن لوعتي ... وأهجْت في قلبي شعور الذّاكرِ
ما أروع الذكرى لصبّ مولعٍ ... تُورَى بشعرٍ من لسانك عابرِ

شعـرٌ، حـرامٌ يـا يـراعى وصفـه ... أخشى عليك من القصـور فحـاذرِ
هـو نفحـةُ الفن الجـديـد ووحيـهُ ... وخـلاصـة الأدب القـديم الغـابـرِ
فـي كـل بيت ذوب قلبٍ طـاهـرٍ ... وبكـل بيـت روح حُـبٍّ قـاهـرِ
أعـلَنْتَ لـلدنيـا بـأنـك شـاعـرٌ ... سيُنيـل أُمَّتَـهُ فـخـار الشـاعـرِ
ويـذود عنهـا كـل خصمٍ جـائـرِ ... ويـذُبّ عنهـا بـالبيـان البـاتـرِ
ديـوان شعـرك شعلةٌ لن تـنـطفي ... سـتـظلّ رمـزًا للغـرام الـطاهـرِ
سيـدوم مـا دامَتْ أزاهيـر السمَـا ... تـزدان بـالفلك الكبيـر الـدائـرِ
يُملي على الأكـوان آيـات الهـوى ... ويبُثّ أسـرار الجمـال الـسـاحـرِ
شعـرٌ جـديـدٌ حَـطَّمتْ نغمـاتـه ... نيـر الجمـود المستبـدّ الجـائـرِ
رفضَ التقـاليـد الكئيبـة وانـتحى ... نهجًـا كفيـلاً بـالنجـاح البـاهـرِ

* * *

تمضي القُـرون ولا نـزال جهـالـةً ... عبئًـا على الأدب القـديم الـدائـرِ
وتـراثُ آبـائـي عـظيـمٌ خـالـدٌ ... لكنني أهـوى الخلود لحـاضـري
والشعـر مـرآة الحيـاة، فـإن يكن ... مـرآة عصـرك كنت أعـظم ظـافـرِ
أولا فـلا يجـدي سهـادك راسمًـا ... لـلنَّـاس أشكـالاً لـعصـرٍ آخـر

عدن: ١٣٦٣هـ/١٩٤٤م

٢٤ ــ شــاعِــر

فتى عـاش مشبوب المشـاعر مؤلمًـا ... يثور على الدنيا، ويستعطف السمـا
حـزينًـا شقيًّـا، لم ينعَّم بـلذَّةٍ ... ومن كـان جلفًـا أو غبيًّـا تنعَّمـا
أصيب ولمـا يقض شـرخ شبـابـه ... بمـا لـو أصـاب المشمخرَّ تهـدَّمـا
فهـام غـريبًـا في الحيـاةِ مشـرَّدًا ... يـرى هـذه الـدنيـا ظـلامًـا مخيمًـا
ويحمـل قلبًـا بين جنبيـه مـوجعًـا ... ومن حمـل العضـو الأليم تـألمـا

* * *

فتى عـاش حرًّا لا يـذلُّ، وسيِّدًا ... يـرى الـذلَّ كفـرًا والكـرامـة مغنمـا
تـرى فيـه خـلًّا لا يـدين بسبَّـةٍ ... وسهمًـا إذا رمت الكفـاح مصممـا
وفيًـا ــ وإن عادى الـزمـان وأهله ــ ... صريحًا وإن قـاسى البلاء المحـطما
يفـوز الكـريمُ النفسِ منـه بجنَّـةٍ ... ويـرمق فيـه المجـرمـون جهنمـا

* * *

رأى الكون بحرًا هـائجًا فـارتمى به ... وحيدًا ــ ويا ويح الوحيـد إذا ارتمى
وقـاسى الدواهي من ثـوائـر مـوجـه ... ولاقى المنـايـا سـاخـرًا متبسمًـا
وأمضى حيـاةً بيـن بؤس وشـقـوة ... وبعـدٍ، وهمٍّ قـاتـلٍ يشعـل الـدَّمـا
قضيـة فنـانٍ. ومـأسـاة شـاعـرٍ ... تـدلَّى إلى هـذي الخليقـة ملهمـا

عـدن: ٤ محرم ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م

٢٥ ـ عِندَما أحبّ

أحبّ فأشعل الأفقَا بأنات أغانِيهِ
وبثّ الذُّعرِ والقلقَا بصيحات مآسِيهِ

* * *

أحبّ فشفّه الوصَبُ ومزَّقَ قلبه الألمُ
فلم يُوصل له سبب ولم يصدق له حُلُمُ

* * *

يبيتُ مسهَّدًا قلقًا يثير الليل أحزانًا
وينفث روحَهُ مِزقًا تقاطيعًا وألحانًا

* * *

فكم نجم أهاب به لعلَّ النجم ينجيهِ
يميل أسى بجانبه ويصغي ويعزِّيهِ

* * *

وكاد يريق دمعته حنانًا لمناجاتِهِ
ويُرْشِفُه أشعتَهُ لتطفىء نار آهاتِهِ

* * *

وكم من ليلةٍ طالَتْ ولم يهدأ له بالُ
وكم من عبرةٍ سَالتْ ولم يَصْفُ له حالُ

* * *

لـيـالـيـه مـنـغَّـصـةٌ بـآلام أمـانـيـه
أمـانـيـه مـعـذبـةٌ بـسـاعـات لـيـالـيـه

* * *

إذا مـا طـلـع الـبـدرُ أثـار شـؤونـه فـشـكـى
وإن مـا أشـرق الـفـجـرُ أهـاج دمـوعـه فـبـكـى

* * *

هـو الـحـب؛ ولـيس الـ ـحـب إلاَّ روح بـركـانِ
حـنـيـن الـخـافـق الـمـجـروح ، دمـع الـمـغـرم الـعـانِـي

* * *

أحـبَّ فـخـانـه الـحـبُّ ولـم يـظفـر بـمـطلوبِ
كـذاك الـمـغـرم الـصَّـب يُـعَـذبُ أي تـعـذيـب

عـدن: ٧ محرم ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م

٢٦ ـ الغريب

كان في عشّه هَزارًا يغنّي ... بأناشيد حُبه وهواه
هادي النفس، واجم القلب لا همٌّ ... مثارٌ، ولا أسى يخشاه
كل ما في الوجود حُبٌّ وآمالٌ ... وشعرٌ يشجي الوجود غناه
آه. والآه لا تفيد ولا تجدي ... . . وهل ينفع الشقيّ بكاه
ما دهاه؟ لا لا . . دعوه لقد ... حارَ فلا تسألوه عما دهاه
كم سؤال يذكي الجوانح آلامًا ... وتطغى على القلوب لظاه

* * *

قدرٌ، أو مصيبةٌ أو شقاءٌ ... ليس يدري ماذا دهاه فهاما
ليس في وسعه الكلام . . ومن ... كان مصابًا لا يستطيع الكلاما
كل ما في لسانه أنه زاغ عن ... الأهل خشيةً أن يُضاما
نظر العشَّ فازدراه مع الذلّ ... . . . وولّى عنه يجوب الظلاما
يشربُ القيظ روحه في المفازات ... ويقتات الهول والآلاما
وفؤاد الأبيّ ينبو عن الضيمِ ... . . ولا تأسر الحياة الهماما

* * *

رام شيئًا، فلم يساعده دهرٌ ... لم يساعد من قبله عبقريا
فاجتوى كل نعمةٍ، وارتمى بين ... الأعاصير والخطوب فتيا
ينشد المبتغى غريبًا عن الأهل ... . . فهل يا ترى يصادف شيًّا؟
هل يفوز الغريب يومًا بما يهوى ... وإن لم يجد نصيرًا قويّا؟

تـلك أمنيَّـةٌ يجيش بهـا الـقـلب ويـحـيـا بـهـا طـروبًـا رضـيـا
شيمـةُ الـطفــل يستكين إلى الـوهم لـينسى بـه الـوجـود الـشـقـيـا

عـدن: ٩ محرم ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م

٢٧ ــ أَقْبَلَ اللَّيل

أقبل اللَّيل، فهيا يا حبيبي نفعم الكأسَ ونحسوها هناءَ
أقبل اللَّيل فلِم لا يا حياتي ننفد اللَّيل حديثًا وغناءً

* * *

أقبل اللَّيل، علينا سدفًا حجبت منا لهيبًا وضراما
نحن ما بين دياجيه هوى ثائرٌ بل مهجٌ تهفو غراما

* * *

أقبل اللَّيل فدعني يا حبيبي أترع القلب بمعسول رضابك
علَّه يطفىءُ ما ثار به من سعار قاتل بعد غيابك

* * *

أقبل اللَّيل وقد رام الرحيلا وتولى سحره عنَّا قليلا
ها هي الأنجم حسري ضُلَّعٌ تبعث النور، حنينًا وعويلا

* * *

آه هذا الفجر ينساب إلينا مثلما تنساب أفعى في الظلام
فتعالى نودع اللَّيل السّرورا والأماني، وتباريح الهيام

* * *

ولْنُلَمْلِمْ ما تبقَّى من غَرامْ ونواري إثمهُ في قبلتَيْنْ
فيهما كلُّ تباريح الهيامْ.. والتَّصابي وجنون العاشِقَيْنْ

عدن: ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م

٢٨ ــ إنسان

شعورٌ بآلامه نازفُ وعقلٌ بأوهامه واجف
وطرفٌ بما يرتئي حائرٌ يعذِّبه العالمُ الكاسف
وفكرٌ بأحلامه شاردٌ وقلبٌ بأنَّاته ذارف
خطوبٌ ينوء بها شاعرٌ عن الذلِّ منكبُه حائف

* * *

يعيش وحيدًا كنجم السَّما بعيدًا يفيضُ بأنواره
يراه الأنام فيخشونَهُ يَعوذُون بالله من ناره
تَمُرُّ فترقُبُه شُزَّبًا حواسر أحداق نُظَّاره
كأنَّ جلال السما مشرقٌ على وجهِهِ وبأنظاره

* * *

تطوف الخيالات في رأسِهِ تهاويل يُبْدعُها حسُّهُ
وتجري دماء شرايينِهِ رسيسًا تُسَعِّرُه نفسُهُ
عُصَارة آماله دمعُهُ ومنبع أحلامه بؤسُهُ
ومصباحُه في ظلام الشَّقا أساهُ، ورائدُه نحسُهُ

* * *

تَفَلَّتَ من قبضةِ الباطلِ ومن ربقة العالمِ الخاسر
وحَلَّق في ملأٍ لا يُرى وغاب عن الفكر والنَّاظر
سما بحقائق إدراكه عن النَّاس، والملأ البَائر

فـمـا إن لـه فـيـهـم مَـأرَبٌ سـوى رحمة الشَّـاعـر الحـائـر

* * *

وقـد يُـقلقُ الـنجـمَ ـ في أفـقِـهِ إذا مـا تـغـنَّـى بـأشـعـارِهِ
وأودعـهـا أنَّـةً مُـرَّةً تـتـرجـمُ بـالـوخـز عـن نـارِهِ
وقـد يُـخجـلُ الـبـدْرَ في أفـقِـه إذا قصَّ رائـع أسـرارِهِ
وأفـشى مـعـاركـه الحـاسـمـات بـيـنَ نـهـاه وأوطـارِهِ

* * *

رأى الـنَّـاس غـرقي بـأوهـامـهم سُـكـارى بـخـمـرِ شَـقَـاواتِـهِـمْ
قـطـيـعٌ بـلا حـارس مـاهـر يـسيـرُ بـهـم نـحـو مـنـجـاتِـهِـمْ
ولـيس لـهـم أمـلٌ يُـرْتـجـى سـوى مـوبـقـات خـرافـاتِـهِـمْ
يَـرودُونَ وادي الـشَـقـا ظـلَّـعًـا حـيـارى أسـارى جـهـالاتِـهِـمْ

* * *

فـكـم بسمةٍ لمعَتْ كـالـسـنـا فـيـخـطفـهـا الـقـدرُ الـقـاهِـرُ
وأمـنـيـة خَـطرت حـيَّـةً فـأودى بـهـا الـزَّمـن الـغـادِرُ
وكـم زورق قـد سـمـا لـلخـلا صِ فـأركـسـه حـظُّه الـعـاثِـرُ
فـيـا بـؤسَـهُ مـلأ بـائـرٌ؛ أسـيـرُ الـتـعـاسَـةِ، والآسِـرُ

عـدن: ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م

٢٩ ــ كَم أُقاسي العُمر

هان بالحبّ وخابا ... وجنَى منه العذابا
شاعرٌ لم يلْقَ من دنـ ... ـيا الورى إلاَّ التبايا
أجهدتهُ لذَّة العيـ ... ـش كفاحًا وطلابا
ودعاه الحُبُّ جبّـ ... ـارًا فلَبَّى وأجابا
جرع الكأس ولا يد ... ري أصابا أم شرابا

* * *

كم أقاسي العمْر إتـ ... ـعابًا، وهمًّا، واغترابا
أنظر الكون ظلامًا ... وأرى النَّاسَ ذئابا
حَسْرَةً أبكي أمانيَّ ... وأحلامي العِذابا
أسفًا أندبُ آمالي ... . . وما زلت شبابا

عدن: ٢ ربيع الأول ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م

٣٠ ــ محمد رسول الله ﷺ

[أنشدها الشاعر في حفلة الذكرى للمولد النبوي الكريم بعدن ١٢ ربيع الأول سنة ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م]:

نورٌ تألَّق في الوجود سناه ... غمر الْمَمَالِك والشعوب ضياهُ
مسحَتْ به الصَّحرا كرى وأهامها ... ومحا بِه الكون الشقيّ دُجاهُ
في يوم مطلع فجره ولد الهدى ... وانبثَّ بين العالمين شذاهُ
يفشي صفات «محمد» خير الورى ... وأجلَّ من تشدو به الأفواهُ

* * *

كم موقفٍ والليل داجٍ والورى ... غافٍ تمتَّع بالكرى عيناهُ
وقف النبي بها وحيدًا حائرًا ... النجم سامره الذي يرعاهُ
الغارُ معبده البعيد عن الورى ... والكائنات صلاته ودعاهُ
والبيد مسبح فكره وخياله ... والقفر روض شعوره ورُباهُ
والوحيُ منبعه الزَّكيّ: فؤاده ... ينبوعه، ولسانه مجراهُ
مسترسل النظرات يطلب ملجأً ... يأوي إليه فقد قلى دنياهُ
حينًا يفكِّر في السمآء وربّها ... والكون والملك الذي سوَّاهُ
يرنو إلى هذا الوجود فيرتئي ... ما لا يُسيغُ ويرتضي مرآهُ
ظلمٌ، وإلحادٌ، وجهلٌ مطبقٌ ... وتناحرٌ، وتخاصم، وسفَاهُ

* * *

هو ثورة العصر الجديد تأججت ... لهبًا تُدمدم في العقول لظاهُ

تـودي بعصـر المـوبقـات وتبتني ... عهـدًا يـرى فيـه الـوجـود شفـاهُ
كيف الـركـون إلى الحيـاة وكـونهـا ... قـد أظـلمَتْ أصقـاعـه وسمـاهُ
أربـابـه أصنـامُـهُ، وحمـاتـه ... أجـلافـه، والمـوبقـات حجـاهُ
والمـوت شاعـره البليغ تـروقـه ... كـلمـاتـه، ويـهـزُّه مـعنـاه
والشـرّ حاديـه الـذكي يسـوقـه ... أيَّـان شـاء، ويستجيـد حـداهُ

* * *

يـا منـقـذ الإنسـان من آلامـه ... بـالخيـر والحق الـذي يـهـواهُ
أُرسِلْتَ والكـون الفسيح معـذبٌ ... هـاجَتْ نـوائبـه وثـارَ شـقَـاهُ
أفقٌ تضـلّ بـه الـعقـول ومسلكٌ ... تَـاهـتْ معـاركـه وطـال مـداهُ
كنتَ المحلّق قشعمًـا في جـوّه ... ودليـل حـائـره، وكـنـت سنـاهُ
أوذيتَ لمـا قمت تـدعـو صابـرًا ... لله مـحـتـسبًـا تـريـد رضـاهُ
ودهتـك أوبـاش الحيـاة بكـلّ مـا ... يـشقي ويضـني بـؤسـه وضنـاهُ
فصبـرتَ لم تعبـأ بنفثـة مـجـرم ... وحـديـث جلفٍ جـهـلُه مـولاهُ
وثبـتّ كـالـطود الأشـمّ وهكـذا ... الـرجـل العـظيم ثبـاتُـه سيمـاهُ
وصبـرتَ في وجه الحـوادث باسمًـا ... والصبـر تحمـد في الـورى عقبـاهُ
وخـرجتَ مضـطرًا تـودع «مكـة» ... وأعـزّ مـا يـبكـي الـفتـى مـأواهُ
هـاجـرت محتسبًـا لـربّـك صابـرًا ... تـطوي الـفـلا ورمـالـه ولـظاهُ
كنتَ الـطريـد العبقـري! وهكـذا ... يـلقى الـعـظيم مـن الأنـام جـزاهُ

* * *

لـولا ثبـات «محـمـد» وصمـودُهُ ... مـا نـال مـا يـبـغـي ولا واتـاهُ
الشمسُ.. ليس الشمس أنقى صفحًا ... مـنـه، وأيـن فـخـارُه وهداهُ؟
والبحـرُ.. ليس البحرُ أعـظم همـةً ... مـنـه، وأيـن شـعـوره ونـداهُ؟
قـد جـاء بـالقـرآن حقًـا معجـزًا ... الله هـديًـا لـلورى أوحـاهُ

صوتٌ يرنُّ على المدى، وحقيقةٌ ... غرَّاء تخرس عندها الأفواهُ
سجدتْ له الأقلام خاشعةً كما ... سجدت لخالقها نهًى وجباهُ
كلماته نورٌ يشعّ: ولفظُه ... زهرٌ يروقك حسنه وشذاهُ
في كل سطر من سطور بيانه ... روحٌ تهزُّ الكائنات قواهُ
ما الشعر؟ ما إبداعُه وخيالُه؟ ... ما السحرُ؟ ما تأثيره ورقاهُ؟
وحيٌ تُقدِّسه العقول، وتستقي ... من نبعه، وتَعَلُّ من ريَّاهُ
يحيا به الكونُ الكبير مفكِّرًا ... فكأنما هو قلبه وحجاهُ. !

* * *

صفحًا رسول الله، إنا معشر ... حادوا عن الحقّ القويم وتاهُوا
لو قمت راعتْك الحياة وظلمها ... والأرض والعيش الذي تحياهُ
زنديقها السَّامي بكلِّ فضيلةٍ ... وسفيهها المتعبدُ الأوَّاهُ!
وجهولها اللبق الذكي، ولصها ... الحامي الأمين، وناسها الأشباهُ!

* * *

كنَّا هُداة العالمين شعارنا الحق ... الصراح وهديُه وسناهُ
واليوم.. لو بعث النبي لراعه ... أنَّا أضعنا دينه وعلاهُ

عدن: ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م

٣١ ــ المَعَرِّي

عاشَ في هذه الحياة غريبًا ثائر الهمِّ والفؤاد كئيبًا
يلمحُ الأرض والسماء بقلب عبقري، فيسْتَشِفُّ الغيوبا
خفقَ الكونُ فيه فالنازح النازح عنْه أضحى قريبًا قريبا
كرَّمَ الله طرفَهُ لم يشِمْ شينًا ولا منظرًا شويهًا مُريبا
ما جنينا من العيون بهذا الكون شيئًا، إلَّا البلاء الرَّهيبا
كل يوم نرى المآسيَ ألْوانًا ونستعرض الشقاء ضروبا

* * *

أيُّها العبقري نَمْ مطمئن النَّفْسِ واترك لنا الأسى والريوبا
أو لا تستعيد ذكرى حياةٍ كنْتَ فيها معذَّبًا مكروبا
كنت تُزْجي للنَّاس لحنًا فلا تسمَعُ منهم إلَّا زئيرًا مهيبا
هكذا نحنُ أسوةً بك نلقى كلَّ ما يجرح النهي والقلوبا

* * *

عالم الشرّ لا يزال كما تَعْرِف بل زاد وحشةً وخطوبا
والقويّ الغشوم يصرع من كان ضعيفًا، ويسحق المغلوبا.
والحضارات لم تهذِّب لأهل الأرض إلَّا المؤكولَ.. والمشروبا..

* * *

كنتَ تدعو إلى العدالةِ والنَّا س حيارى يُمجِّدون العيوبا
لا يُطيقون الحكم غير امتهان ويُسيغُون العسْفَ والتخريبا

وتـراهـم يـقـبِّـلون أكـفّـا ... لُـطِّخَتْ من دمـائِـهِمْ تـعـذيـبـا
ويـوالُـونَ مـن يـصـبُّ عـليـهـم ... سـوط أطمـاعـه عـذابًـا رهيبـا
ويقـولـون، حكـمـة الله شـاءَتْ ... وقـضَـتْ أَنْ يُصَـلَّبـوا تـصـليـبـا.
ويـمـوتـون فـي سـبـيـل وُلاة ... أرهقـوهم، وعذبـوهم ضـروبـا..!

* * *

أزعجت راحـة «القياصـر» آيـات ... بـيـان أتـقـنـتـهـا تـرتـيـبـا
كُنْتَ فيهـا تُفَنِّد الـظلم والجهـل ... وقـومًـا يـستـعبـدون الـشعـوبـا
والـذي يَشـرب المـدامـةَ لـيـلاً ... وصبـاحًـا يُحَـرِّم الـمشـروبـا!
وعُـصـاة يـسْـتـقـطِرون دم الأمَّـةِ ... خـمـرًا، ويعـشـقـون الـذنـوبـا
أنْتَ لـو لم تكنْ ضـريـرًا لأعْـدِمـ ... ـت قتيـلاً بـالسَّيف أو مصلوبًـا
لـم تُـحـرِّك لـدرهَـمٍ كـفَّ ذلٍّ! ... لـمْ تُبَـلْ تـرغـيبًـا ولا تـرهـيـبـا
عِشْتَ حـرًّا في «المحبِسَيْنِ» تُبَكّي ... عـالمًـا بـائسًـا، ودهـرًا عصيبًـا

عدن: ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م

٣٢ - في سبيل التَّعليم

[قيلت بمناسبة افتتاح إحدى المدارس بعدن ١٣٦٤هـ]:

موكبٌ يملأ الوجود جلالاً ... وجمالاً. ويبعث الآمالا
زمرٌ من عواطفٍ وقلوب ... للمعالي هتافها يتعالى
نجتلي عالم السعادة فيها ... ونرى نور هديها يتلالا

* * *

قل لمن ينشد السلام ويهوى ... أن يرى الأرض جنَّة وظلالا
رُمْتَ شيئًا إدًّا وحاولت أمرًا ... ربما عدَّه الأنام محالا
أنا لو كنتُ للوجود طبيبًا ... لأداوي داء الأنام العضالا
لنشرتُ الحنانَ والخيرَ فيهم ... ولهذَّبتُ منْهمُ الأطفالا؛
صفحات بيضاء يُطبعُ فيها ... كُلُّ ما صوَّر المربّي وقالا

* * *

يا بناة العقول والأنفس الحـ ... ـرَّةِ دمتم تمزِّقون الضلالا
تخلقون الحياة خلقًا جديدًا ... أريحيًّا، وتنجبون الرجالا
أيقظوا فيهمُ المروءة والنبلَ ... وواروا الخمول والإهمالا
وأميتوا نوازع الشرِّ في ... كل فؤادٍ وبدَّدوا الأوجالا
جملوا للفتى الحياة، وصونوا ... قلبه أن يصارع الأهوالا
قبل أن يعرف الكفاح ويدري ... أن فيه حياته والكمالا

كم عيونٍ شقيةٍ رسم البؤسُ عليها شقاءَه أشكالا

* * *

راعها حين فتَّحت أن رأت كونًا قبيحًا ولم تُصَادف جمالا
رضي اللَّهُ عن أناسٍ أشادوا للعلوم الأركان والأمثالا
بذلوا في سبيلها كل غالٍ النهى، والنفوس والأموالا
في حمى هذه «البنيَةِ» ينمـ ـو الرَّأي حرًّا يحطِّم الأغلالا
فابتنوها عواطفًا وقلوبًا لا حجارًا تفنى ولا صلصالا
مصنعًا للعقول ينتج أفكارًا صحاحًا، وينجب الأبطالا

* * *

أيها المنشىء العقول تبصَّر أنت تبني الأوطان والأجيالا
أنت إن لم تكن رسول سلامٍ كنت حربًا على الورى ووبالاً
ليس أدهى من المعلِّم إن كانْ ـ ولا كان ـ فاسدًا محتالاً

* * *

أنا أسدي إليكم النصح لا أرجو ثوابًا، أو مدحة، أو نوالا
أرسلُ الشعر عابرًا ليس فيه كلفةٌ تورث الرُّؤوس خبالا
وأجلُّ القريض ما جاء عفوًا نغمًا صادق الهوى سَلْسَالا
يلمسُ القلبَ ليِّنًا مثلما يلمـ ـس قطرُ الندى الرُّبا والتلالا
أو عنيفًا كزفرة الشوق إذ تقدح في الروح لوعةً واشتعالاً

عدن: ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م

٣٣ ــ اعتراف

[ألقاها صاحب الديوان بعد رجوعه من عدن أمام الإمام أحمد حميد الدين في ١٠ جمادى الأولى ١٣٦٤هـ الموافق ٢٢/٤/١٩٤٥م، بتعز، قبل ارتقائه العرش]:

خلّه يخلب النهي بسبيانِه ... ويناجي آماله بلِسانِه
دعهُ يبكي أحلامه بدموع ... عُصِرتْ من شعوره وجنانِه
ويغنّي كما يشاء، ويسقي ... ثمرات الأوهام من ألحانه
يرسل الصوت مظلمًا كَمنَتْ... فيه.. وفي لَفظه هموم جنانه
كالشعور الجريح، كالأمل الخا ... ئب، كالطير ضَلَّ عن أفنانه

* * *

دَعه. دعهُ فإنَّه الشاعر الصَّا ... دق في شعره وفي إيمانه
عرف الناس والحياة وجلّا ... ها بأنوار فكره وبيانه
ما رأى غير أوجهٍ كالحات ... وقلوب كاللَّيل في طغيانه
تبعث الشر من دخائلها السود، ... كصخر ينفضّ عن بركانه

* * *

أنا كالعابد الذي هجر الكون ... وأمدى ولج في نسيانه
أثخنت قلبه الجراح فتيًا ... وغرور الشباب في عنفوانه
كم صروفٍ قاسيتها، كم ظروفٍ ... كنت فيها كالميت في أكفانه
كالذي يغسل الظلام عن الأرض... بدمع يسيل من أجفانه

أو كمن يعلن الكفاح، ولا ... يملك من قوَّةٍ سوى إعلانه
أحرقت روحي الهموم، وما ... شكواي إلاَّ بقية من دخانه

* * *

كيف أنشي قصائدي؟ كيف أشدو؟ ... غرق الطير في شجى ألحانه!
شاقه روضه فعاد إليه ... وارتقى ذاهلاً على أفنانه
أيغنّي؟ أم يرسل الدمع؟ أم ماذا؟ ... لقد ظلَّ حائرًا في مكانه!
المعاني التي جفتهُ زمانًا ... أقبلت ملء قلبه ولسانه
والمغاني التي جفاها زمانًا ... عادها نادمًا على هجرانه
كيف يرضى الجفاء والبعد صبٌّ؟ ... كيف ينبو الهمام عن أوطانه
كيف لا يستقرّ في غابه الليث ... وفي غابه فخامةُ شانه

* * *

ليت بعض الأنام يعرف ما ... أعرف أو يهتدي إلى عرفانه
قد عرفنا ما كان يخفى علينا ... ودرسنا الكتاب من عنوانه
وعرفنا بأنك الأمل المرجوّ ... في عدله وفي إحسانه
وعلمنا بأنك الحاكم الذَّائد ... عن قطره وعن سُكانه
نظرة منك تهتك المضمر ... المخفّى في خاطر الفتى وجنانه
ليس من يأخذ الكلام عن ... الناس كمن يَسْتمد من ديّانه

* * *

ملك كالملاك، في قلبه الحاني، ... وفي طهره وفي إيمانه
مَنْهلٌ للقلوب تشفي صداها ... وتعبُّ الحياة من فيضانه
منحتهُ آمالها وأمانيها ... ففازت بالجمّ من تحنانه
مشفق بالأنام يحنُو كما يحـ ... ـنو أبٌ مشفق على صبيانه
تشهد العُربُ أنه (ناصر ... الدين) ومشكاته، وليثُ عوانه

خلَّدت ذكـره الـوقـائـع في التـ ـاريخ فهـو الـوحيـد في سلطانـه
كـوكـب يـبهـر الـزَّمـان سنـاه جـدَّ حتى سمـا عـلى أقـرانـه
رمْتُ تصـويـره فـطاش شعـوري ويَـراعي لم يـمض طـوع بنـانـه
أيـن فنيّ؟ وأيـن سـحـر بيـاني وقـريـضي والـفَـذّ مـن أوزانـه؟
غـرقت في أنـواره كسفـين البحـ ـر بيـن الأهـوال مـن طـوفـانـه
أيـهـا الـراكب الـخضـمّ تَمـهَّـل هـل علمت البعيـد من شـطآنـه

* * *

قـد لجأنـا إليك من كـل مـا نخشى ومـن لـؤم دَهـرنـا وامـتـهـانِـه
وعـرفـنـاك قـائـدًا وزعـيـمًـا وغـمـامًـا نَـعَـلُّ مـن هـتَّـانـه
وإمـامًـا يحمي الحقيقيـة، والقـرآن والـديـن ذائـدًا عـن كـيـانـه
وكـريمًـا كـأنمـا صـاغـه الـرحمن مـن جـوده ومـن إحـسـانـه
دمـت للشَّـعـب حـافـظًا وأمـينًـا نَـتـفَـيّـا بـوارفـات أمـانـه

تعز: ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م

في مسرح الحياة

مُقدّمة

تعتبر هذه المحاورة الشعرية أول محاولة من نوعها في تاريخ الأدب اليمني الحديث، وحين كتب الشاعر مقدمتها سنة ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م قال:

«في مسرح الحياة قصة شعرية يرويها أبطال الحياة، تُحلِّلُ»

«ما في الكون من مشاكل ومذاهب، وتعبِّر عن أفكار الناس»

«ونزعاتهم. ولقد تصور الشاعر هؤلاء الأبطال وجمع بينهم رغم»

«تنافر وجهات أنظَارِهم، واختلاف عقلياتهم وأهوائهم. وظل معهم»

«ساعات غير قصيرة يستمع إلى ما ينطقون به من حق وباطل،»

«ولكلّ رأيٌ ومذهبٌ، و «الأكوان عداد العقول» كما يقول»

«الرافعي العظيم»

«ولم يفت الشاعر أن يرسم ويسجل كل ما سمعه، ويعرضه»

«في هذه الصفحات».

أشخاص الرواية:

١ ــ «علي»، شيخ فيلسوف حنَّكَتْهُ التجارب والأيام، غزير العلم، جمّ الأدب، حكيم الرأي، قرأ كثيرًا، واستوعب جلَّ ما أنتجه الفكر البشري من آداب وفلسفة، شغوف بالحقيقة والعلم والمعرفة.

* * *

٢ ــ «أحمد»، شاعر رقيق الإحساس مشبوب العاطفة، واسع الخيال، يميل إلى

المجـون ويحب اللَّهو، ولكنَّـه في الوقتِ نفسِهِ عميق الإيمـان، خجـول الـطبع، يحبّ معالي الأمور.

* * *

٣ ــ «فؤاد»، شاب ذكيّ، نشأ في بيئةٍ دينيَّة متزمتة، لكنه تمرَّد عـلى بيئتِه، وإذا بِهِ ملحدٌ عنيد، لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر، ولا بوحيٍ ولا أنبيـاء.. ولا حتّى بأيِّ مثالٍ من مُثل الحياةِ العليا.

* * *

٤ ــ «محمـد»، كهلٌ وقـور، تربّـى تـربيةً خُلقيـة سليمة، فنشـأ محـافظًا عـلى الصلوات، مقيمًا للشعائر، متفقِّهًا في الدين، غيورًا على محارمـه داعيًا إلى الحقِّ، آمـرًا بالمعروف، ناهيًا عن المنكر.

* * *

٥ ــ «يحيـى»، شاب نشأ نشأة مدلَّلة، وفي محيطٍ متحلِّل، وأسرة غنية مترفـة، فأغرق في اقتراف الآثام، وسـاعدتْـهُ الجِدَةُ وجـرأة الطبـع ورقَّة المـزاج، واندفـع وراء الشهـوات، لا يتقيد بقـانون، ولا يؤمن بشريعـةٍ ولا خلق، بل هـو إبـاحي مُستهـترٌ، وخليعٌ فاجر.

* * *

٦ ــ «محبـوب»، شاب متفقـه في الدين، يقضي معـظم ليله ونهاره في المسجـد والعبـادة والدرس، يلبس أخشن الثيـاب النظيفـة، ويستقبل كـل شيء بثغـر بـاسم، لا يُمد نظره إلى دَنيةٍ، ولا تهفو نفسه إلى لَهْوٍ.. إلى خلق، وسجاحة ضمير.

* * *

٧ ــ «قاسم»، شاب أديب، اشتغـل بالسيـاسة، ومـارسها بـدهاء وتَقلد عـدة مناصب حتى أصبح رجلاً مرموقًا بين قومه، يعلقون عليه الآمال. وكان طموحًـا بعيد الأمـاني، لـه مقـدرة فـائقـة عـلى اكتسـاب النـاس، ويعـرف من أين تغـزى العقـول والقلوب.

* * *

٨ ــ «حمود»، شابٌّ انخَرَط في سلك الجندية، ورأى فيها كل ما يمجده في الحياة، شجاع مقدام يقدس القوَّة، والطاعة، والنظام.

* * *

٩ ــ «حسن»، فلاح ساذج، طيب القلب، لا يقرأ ولا يكتب، يقطع سحابة نهاره عاملاً في الحقل، ولا يعرف للحياة معنى، غير العمل والإنتاج، والصبر والإيمان.

٣٤ ــ الـرِّوايـة...

[يُكشف الستارُ عن غرفة واسعة مؤثثة على الطريقة اليمنية المعروفة، وتضم الأصدقاء التسعة. والشيخ الفيلسوف «علي» يخاطبهم بقوله]:

نحن قد جئنا إلى هذا الفناءِ ... حيثُ نحيا، في صفاء وهناءِ
وتركنا الناس في دنياهُمُ ... بين كد، وخصام، وعَناءِ
فلنعش نائين عنهم ساعَةً ... دون زُورٍ، وخداع، أو هُراءِ
وليقل كل فتى ما يرتئي ... دون أن يرهب سلطان الجزاءِ
فَهُنَا حرية الرأي، ولن ... يخضع الرأيُ لنير الأقوياءِ
أيها القوم، إلى كم نحن في ... هذه الدنيا على غير السواءِ
كلنا يهتفُ بالحق كما ... يهتف الصب بحِبٍّ عنه نائي
وأرانا في اختلافٍ دائمٍ ... وصراع، ونزاع، وشقاءِ
ولكلٍ منهجٌ يسلكه ... مُستنيرًا، بشعاع من ذكاءِ
ولكل غاية يسعى لها ... ويُناجيها بألحانِ الرَّجاءِ
خَبِّروني لِمَن الحقُّ؟ ومَنْ ... منكم أحرْى وأجدَى بالثَّنَاءِ
ومَنِ العاقل؟ هل ذو فِطنةٍ ... نَهْجُه في العيش نهج الحكماءِ
أم جهولٌ مسرفٌ في أمره ... ضلَّ لا يدري ظلامًا من ضياءِ؟
أم غوى، ربُّه شهوتُهُ ... تاه في عالم خمر ونساءِ؟
أم غشومٌ قد تعدَّى وطغى ... مُستهينًا بحقوقِ الضعفاءِ
أم ضعيفٌ مستضامٌ مالَهُ ... من مَلاذٍ غير رَحْمَن السَّماءِ

كيف جئنَا؟ وإلى أيْنَ؟ وما شأننا قَبْلُ! ومن بعد الفناءِ

وكان ينشد الشيخ الفيلسوف «علي» هذه الأبيات في هدوء ووقار، ثم سكت واقترب من الشاعر «أحمد» خطوتين وقال:

أنت يا شاعر نَبْضٌ من شُعاع الأنبياءْ
لك رُوحٌ قُدُسيٌّ يرتقي أيَّان شاءْ
لا يصدُّنك سِتْرٌ أو بناءٌ، أو فضاءْ
ولك العينُ التي تهتك أستارَ الخفاءْ

* * *

هَاتِ حَدِّثْنَا عن الكو نِ وألغازِ البقاءْ
وعنِ الأرض وسرٍّ الخَلْقِ فيهم، والفناءْ
وعن الناس، نَشَاوَى، وحيارَى أشقياءْ

وتمر فترةُ صمت قصيرة، ويتجه الجميع نحو الشاعر متطلعين، فينشدهم بصوت حائر:

هكذا صوَّر لي الشـ ـعرُ وجودًا زاهرا
رَبَّةُ الحكمةِ تشدو فيه لحنًا ساحرا
يَنْشرُ الفَنَّ على الأُفقِ جمالاً باهرا
ويُذيبُ الحُسْنَ والفتنة بحرًا زاخرا
يتعالى الموجُ كالنُّو رِ شُعاعًا طاهرا
يَنْثَنِي طورًا إلى القَعْرِ ويعلو آخِرا
ويذوبُ الكونُ فيه يتلاشى حائرا
ليس يِدْري لِمَ؟ أو كيفَ أتى؟ أو أينَ ولَّى؟

* * *

قد سألتُ الناسَ عن.. أصلي ومن أين أتيتْ

وسألتُ النَّجْمَ من أيِّ مكان قد هَويْتْ؟
وسألتُ الروض هَل يبقى طَرِيًّا ما حَوَيْتْ!
وسألت البيدَ، هل أرتـ ـاحُ لَوْ فيها ثويتْ؟
وسألتُ البحر، هل عمقُك يرْضِي من طويْتْ!
كلُّها صدَّت، ولم تبدِ جَوابًا فانثَنَيْتْ!
حائرًا أبكي، وأستفـ ـهم صوتي أين ولَّى؟

* * *

قد تولى زمن كنتُ به طفلاً صغيرا
أنظر الدنيا بشوشًا لا أرى فيها نكيرا
راضيًا بالعيش، لا أقلو غنيًّا أو فقيرا
وأحبُّ الناس أصنافًا عظيمًا وحقيرا
أسفي لما أتى اليوم عبوسًا قَمطَرِيرا
فعرفتُ الخيرَ، والشرَّ نعيمًا وسعيرا
وعرفت الشاةَ لَمَّا صادَها الذئبُ وولَّى؟

* * *

ليت شعري، هل يضمُّ الشاةَ والذِّئبَ مكانْ
يلتقي فيه جليلٌ مُسْتَعِزٌّ ومُهانْ
وظلوم لا يبالي ليس يدري ما الحنانْ؟
وذليل عاش مقتولَ المُنَى دامي الجنانْ
ولهيق، وغشوم ومَديـن، ومُدانْ
كيف يأتي ذلك اليوم؟ وفي أيِّ زمانْ
أيكون الكون كونًا أم سرابٌ قد تولَّى!

* * *

هـل سيلقي العبـدُ من ... مـالِكـه مـا كـان يلْقَى؟
ويـرى المأمـورُ من سَيـدِه ... جَـوْرًا وسـحْـقـا
أم جـزاءً عـادلاً يُـنْصِـف ... مـن يَضْـنَى ويَـشْـقَـى؟
أم هي الأوهـام نَبْنِيـهـا ... عُـلالاتٍ لـنَـبْـقَـى؟
ليت شعـري لِمَنِ الفَـوزُ ... غـدًا حـظًّا وحـقًّـا؟
أِلـمَـغـبـونٍ ضـعـيـفٍ ... أم لـجـبَّـارٍ تَـرَقَّـى؟
أم لـمـن عـاش كئـيـبَ ... القلبِ هيـمـانَ.. وولَّى؟

* * *

الـذي يـعـلم لا يـدري ... مِـن الـمـعـلومِ شَـيًّـا
وترى الجاهـلَ كالعـالمِ ... مَـحْـرومًـا شـقِـيًّـا
كـلُّهـم يَـجْـهـل مـا كـانَ ... ومـا يـأتِـي سَـويًّـا
كـم تـولَّى الأرضَ جَـبَّـار ... بِـهَـا عـاثَ عَـتِـيًّـا
ولـكـم تـعـرفُ مَـجْـنـونًـا ... وصـبًّـا، وغَـويًّـا
ولـكـم مَـرَّ فـقـيـرٌ ... ودَّ لـو يُـمْـسِـي غَـنِـيًّـا
أَفَـتَـدْري أنـت مـن ولَّـى ... إلـى أيـن تـولَّـى؟

* * *

أأنـا الشـاعـر؟ أم شعـريَ ... صـوتٌ وصـدَى!
كـان يـطوي الأفـق ... لا يـعـرف أمسًـا أو غـدا
صـارخًـا في عـالم الأرواح ... مـن غـيـر مَـدى
حينمـا أُخـرجتُ أستهـدي ... مـن الـنـور الـهُـدى
ذاب فـي قـلبي، وفـي ... روحـي، شُـعـاعًـا ونَـدى
آه لَـوْ لَـمْ يَـسْـقِـنـي ... كـأسَ الأمـانـي سـرمـدا
مـا الـذي كـان سيبـقى ... من كيـانـي لـو تـولَّى؟

ويصمت قليلاً ثم ينشد:

حـيـاتـي كـلـهـا بـؤسٌ، وأحـزانُ
وآهـاتٌ وآلا م، وأشـجـانُ

* * *

رَأيْـت الـنـاسَ لا يُـصْـغُـونُ لـلشَّـاكـي
رأيْـتُ الـدهـر لا يـحـنـو عـلى الـبـاكـي

* * *

وكـل فـتـى ورغـبـ ـتُـه قَـرِيـنـانِ
تـسـاوى الـبـر والـفـاجـر، والـمَـجْـنِـيُّ والـجـانـي

* * *

هـو الـكـون أكـا ذيـبٌ، وأوهـامُ
أبـاطـيـلٌ مُـزَ وَّرَةٌ وأحـلامُ

* * *

عـرفـتُ الـنـاس، كـلّهُـم مـسـاكـيـنُ
هُـمُ فـي هُـوَّةِ الـبـؤسِ مـسـاجـيـنُ

* * *

ومـالـي فـي الـورى هَـمٌّ سـوى سِـرِّي
ولا خـلٌّ ولا كـأس ولا وطـنٌ سـوى شـعـري

* * *

ولـن أمْـقُـتَ مـخـلوقًـا، ولـن أكـره إنـسـانـا
ولـن أعـشـق إلاَّ الـحـسْـ ـنَ إسْـرارًا، وإعـلانـا

وهنا يسكت الشاعر، ويخاطبه «الفيلسوف»:

لَـمْ تـزدنـا أيُّهـا الـشـا عـر إلاَّ مـشـكـلاتْ
لِـمَ، لَـمْ تـكـشِـفْ لـنـا بـالـشعـر أسـرار الـحيـاةْ

فيجيب الشاعر:

أيـن أيـنَ الـسـرّ مِـنِّـي أنـا لا أدري فـدعـنـي؟؟
أنـا حسبي مـن حيـاتـي ووجـودي أن أغـنـي

ويمتلك الوجوم والحيرة المجلس لحظة وجيزة، فإذا بصوتٍ عال ينبعث من أقصى المجلس هو صوت «فؤاد» الملحد الشاب قائلاً:

ضَـلَّ مـن قـال بـأنّ الـكـون قـد أنشـاه فَـرْدُ
قـادرٌ إن رام أو قـدَّر شـيئًـا لا يُـرَدُّ[1]
أنـا لا يُـعـرف لـي بـدْءٌ، ولا يُـعْـرف قَـصْـدُ
أنـا حُـرٌّ فـي الـمـلذّات، ولـلأطـمـاع عـبْـدُ
أنـا لا يـرهـبـنـي جـورٌ، ولا هـجـرٌ وصَـدُّ
وأنـا الـخيـر الـذي يُـطـ ـلبُ، والـشـر الـمـعَـدُّ
كـيـفـمـا شئـتُ فـإنـي كـائـنٌ، والـجـدُّ جَـدُّ
قـد تـسـاوى الخلقُ، إنسـ ـانٌ لـه عـقـلٌ وقِـرْدُ
كـل مـا فـي الـكـون يـفـنـى ومـحـالٌ يُـسْـتَـرَدُّ
لـيس فـي الأكـوان أسـرا رٌ، ولا نـحسٌ وسـعـدُ
الـسَّـنـا نـورٌ يُـرَجَّـى هـديـه، والصَّخـدُ صَخْـدُ

(١) من القضايا المسلمة قولهم: حاكي الكفر ليس بكافر. ومما يعجبني وأرى السياق مناسبًا لإثباته قول بعض المفكرين:
«إن القارىء الذكي الفسيح الأفق له أن يقرأ كل مكتوب دون أن يخشى على بنائه الأخلاقي هدمًا أو تصدعًا، أما أولئك الذين تنقصهم روح «الفكاهة»، كما يعوزهم الذكاء، فهم كذلك في مأمن من أمثال هذه الآثار التي تصور أخلاق المجتمع على حقيقتها، لأنهم لن يقرأوا أدبًا، وإن قرأوه فلن يفهموه».

مـالـنـا قـبـلٌ، ومـا لـلأرض فيما بَعْـدُ، بعـدُ
غـلبَ الـغَـوغـاء وهـمٌ، وخـرافـات وخُـلدُ
يُـفـزِع الـمـأفـون، إن غـادر هـذي الأرض لحـدُ!
سـيـرى فـيـه كـمـا قـالـوا، بـلايـا لا تُـعَـدُّ
وتـهـاويـل، وأشـبـا حًـا، وآلامًـا تَـهُـدُّ
ويـرى الـجـنَّـة والـنَّـار ويـحـيـا، ويُـرَدُّ
تـلك أوهـام أنـاس بـالـخـرافـات اسـتـبـدُّوا

ولم يكد يصل «فؤاد» في بيانه إلى هذا الحدّ، حتى ينتفض «محمَّد» المؤمن المتدين ويثور كالبركان، ويرسل عينيه نحو السماء كأنما يستنجد بقوةٍ أعدَّها لمثل هذه المواقف ويقول:

أيـن أنـت الـيـوم يـا ربـي؛ بـمـاذا سـتـجـيـبُ؟
أيـنَ قُـوَّاتـك؟ أيـن الـنـارُ والـمـوت الـرهـيـبُ؟
فـلقـد سـاءَ مـقـالاً فـيـك كَـفَّـارٌ كـذوبُ
زعـم الـحـشـرَ مُـحـالاً وبـأنّـا لا نَـؤوبُ
أفـلا يـعـرف، أنَّ الـرُّ وحَ حـيٌّ لا يـذوبُ
فـي رحـابٍ لا تـراهـا العـ ـيـن مـوجـودٌ مَـثُـوبُ
بـاسـمٌ إن أحـسـنَ الـصُّـنـ ـعَ، وإلَّا فـكئـيـبُ

ثم يلتفت إلى «علي» الفيلسوف قائلاً:

أيهـا الفيلسـوف قـد هـالني مـا قـال هـذا الـمـضـلِّل الـمـغـرورُ
أنتَ تَـدري بـأن مـا قـال هُجْـرًا وضـلالاً، فـأنـت نـدبٌ خَـبِـيـرٌ
ألـنـا مـرجـعٌ نَـؤوبُ إلـيـهِ؟ ألـنـا خـالـقٌ مـجـيـدٌ قـديـرُ
أصحيحٌ ما قاله الرُّسْلُ؟ أمْ مَا قـالَ هـذا إفـكٌ مـبـيـنٌ وزورُ؟
قـلْ، أبِنْ، أيُّهـا الصـديق فـقـد هـاج فؤادي، والغيظُ فيه يـفـوزُ

وأنا المؤمنُ الموجِّـدُ والـدَّيـ ـنُ لـقـلبي إرادةٌ، وشـعـورُ
كيف أَسْطِيع أن أرى مـن يَسـ ـبُّ الدِّينَ؟ والدينُ للخليقةِ نورُ

فيبتسم الفيلسوف ابتسامة خاطفة ويقول:

أيـهـا الـصـاحـبُ مـهـلاً لا تَـثُـر لا تـتـعـجـلْ
اِسـمـعِ الـدعـوى وفـنِّـد هـا فـنـونًـا، وتـمـهَّـلْ
لا يـنـال الـفـضـلَ إلاَّ مـن على الـحـكـمـةِ عـوّلْ
دعـه يـهـذي مـا عـلـيـنَـا إن تـحـدَّى أو تَـقَـوَّلْ
حَـسْـبُـه ربـك وادْفَـعْ بـالَّـتي، والـحَـقُّ أَمْـثَـلْ
إن هـذا سـوف يـفـنـى ويـرى الـهـول الـمؤجَّـلْ
هـات حـدثـنـا عن الـدِّين وقـل مـا شِئْـتْ واسْـأَلْ

يَتَلاشى غضبُ المؤمن ويتنفسُ الصعداء ويقول:

صـدق الله وخَـابَـتْ تُـرَّهَـات الـمـلـحـديـنْ
إنـمـا روحِـيَ فـي جسمِيَ مسجـونٌ غـبـيـنْ
سـوف أفـنـى وأوارى بـيـن طـيَّـات الـسـنـيـنْ
فـإذا مـا صُـرِعَ الـكـو نُ وغـالـتْـهُ الـمـنـونْ
وأراد الـلَّهُ أمـرًا بـالـورى سـوف يـكـونْ
فـسـأحـيـا.. ويـعـودُ الـروحُ لـلجسم الـمـهـيـنْ

* * *

أنـا لا أرضـى سـوى الإيـمـان خِـلاًّ وحـبـيـبـا
هـو إن أدْلـجْـتُ نـورٌ يُـؤْنِسُ الـلَّـيـلَ الـرَّهـيـبَـا
وإذا أوذيـتُ سَـلوى تـمسـحُ الـقـلب الـكئيـبـا
وإذا أرهـقـنـي الـدَّا ءُ الـعَـيَـا كَـان الـطَّبيـبـا
وبـه أعـرف مـا كـا نَ مِـنَ الأمـرِ غـريـبـا

وبـه أرجـو مـن الـلَّهِ غـدا؛ عـيـشًـا رَغـيـبـا

وأرى..

ولكن الشيطان لا يسمح بالاسترسال، إذ يصيح فيه الإباحي «يحيى»:

مـا تـرى؟ يـا أيهـا الشيـخُ فـقـد طـال الـكـلامُ
هـذه الأرض لـك الـيـو مَ وفـيـهـا مـا يُـرامُ
ولـمـاذا تـتـرك الـدُّنـيـا؟ أيـجـديـك الـجِـمَـامُ!
إنـه المـوت، ومـا المـوتُ هُـجـوعٌ أو مـنـامُ
إنـه سـكـتـة دَهْـرٍ إنـه الـصـمـتُ الـعُـقـامُ

* * *

أنـا حـسـبـي، أنَّ آمـال فـؤادي لا تـضـامُ
لا أرجِّـي الـغـد، فَـالـكَـوْ نُ اتـصـالٌ وانـفـصـامُ
فـتـمـتـع لا يَـصُـدَّ نْـكَ حـلالٌ أو حـرامُ
كـل شـيء مـا خـلا الـلذ ةِ إفـكٌ وأثـامُ
إنـهـا دنـيـاي، خـمـرٌ ونـشـيـدٌ وغـرامُ
وتـهـاويـل سـرور ومـلذاتٌ تُـسـامُ
فـإذا أسـفـر يَـوْمـي عـن غـدٍ وهـو جـهـامُ
لـم أُودعْـهـا حَـزِيـنًـا فـلقـد طـابَ الـمـقـامُ
كـيـف لا أشْـفـي صـبـابـا تـي؟ وفـي قَـلْـبـي هُـيـامُ
كـيـف لا أهـفـو إلـى الـكـأ س؟ وفـي صـدري أوامُ
وإذا كـنـتَ تُـرَجِّـي لـذةً حـيـن تَـنَـامُ
فـهـو حُـلـمٌ وخـيـالٌ لَـمْ يـصـدِّقْـه الـهـمـامُ
الـدعـاوي فـارغـاتٌ مـا لـهـا عـنـدي مـقـامُ

ويُصوِّب نظره نحو الزاهد «محبوب» ويخاطبه ساخرًا:

أيـهـا الـزاهـد الَّـذي ... هـام بـالضَّـائـعِ المُحَـالْ
وتـقـضَّـى زمـانـه ... فـي همـومٍ، وفـي جـدالْ
يَـمْقُتُ النـاسَ والـحيـاةَ ... ويـدعُـو إلـى الـوَبَـالْ
وإلـى الـفـقـر والـضَّـنَى ... وإلـى الـبـؤس والـنـكـالْ

* * *

أنـت في كـهفـكَ الـكئيـبِ ... تـرى غـيـر مـا نَـرَى
صَـدَمَـتْـكَ الـحـيـاةُ ... حـتَّـى تـنـكَّـرتَ لـلورى
لـو عـرفـت الـحـيـاةَ لـم ... تُـنفـدِ الـعُمَـر في الـهُـرا
ولـمـا عـشـت سـاخـطًا ... تـحسـب الـبشْـر منـكـرا

* * *

عش خـلـيًّـا عـن الـهـمـو ... م بـعـيـدًا عـن الـنِّـضـالْ
لا تـكـن مـلحـدًا ولا ... واهـمًـا يـعـبـدُ الـخـيـالْ
واشـرب الـراح واتَّـخـذْ ... لـك ربًّـا مـن الـجـمـالْ
وتـمـتـعْ، فـإنـمـا ... عُـرْضَـةٌ أنـتَ لـلزوالْ

وما يكاد «الإباحي» يصمت حتى تُصَوِّب الأنظار نحو الزاهد مستفهمة، فيندهشون حين لا يظفرون منه إلاَّ بالصمت، وحين يرونه مطرقًا مفكرًا كأنما يتأمل أمرًا رهيبًا ويقطع الصمت الشيخ الفيلسوف قائلاً:

أيهـا الـزاهـد مـاذا قـد دهـاكَ؟ ... أيُّ خـطبٍ يا صـديقي قد عـراكـا؟
قـد سمعـنـا عجبًـا من مُـتْـرَفٍ ... تَـخِـذ الـلذة ربًّـا، ومَـلاكـا
أنـتَ نـحـريـرٌ، ومـن حـاورتَـه ... قـد رمى الزهـدَ، وبالجهـل رماكـا
فـتـكـلـمْ وَادْلِ بـالـرأي فـمـا ... لـلتقى من نـاصـر فَـذٍّ سـواكـا

هنا يتحرك لسان «محبوب» الزاهد بعد أن تشرغ عيناه بالدمع ويقول:

آه، ما أجهل عُبَّاد الحياهْ ... هَمُّهم في هذه الدنيا السَّفاهْ
جهلوا اللب، وعاشوا هَمَلاً ... ضُيَّعًا شيمة من ضَلَّ وتَاهْ
لو دروا ما يكتم الغيبُ لَما ... رشفوا الخَمْرَ، ولا ريقَ الشفاهْ
إنما الدنيا التي غَنُّوا بها ... حلمُ الخابط في وادي كراهْ

* * *

أنا إن عشت حزينًا، فأنا ... من يرى لذته عين أساهْ
أنظر الدنيا بعينيْ حاذقٍ ... عرف الناس وأوْهام الحياهْ
لست بالزاري، ولا مَنْ دأْبه ... دَأْبُ من يَقْفو بلا علمٍ هواهْ
ليس نصحي أسهمًا، لكنه ... حَزَنٌ مرّ، وآلامٌ، وآهْ
أندب الإنسان في أوزاره ... وأبكّي معشر القوم الطغاهْ
وأحب الخير روحًا، وسنًا ... وعطاءً، وجهادًا، وصلاهْ
لا فجورًا، ومجونًا، ومُنَى ... شهواتٍ، وضَلالاً، وسفاهْ
أنا لا أعبد دينارًا ولا ... أبتغي مجدًا، ولا أطلب جاهْ
أنا حسبي جرعة أشفي بها ... ظمئي أو كِسْرَة مما أراه

ثم التفت إلى «يحيى» الإباحي وقال:

أنت يا جاهل مغ ... رور بدنيا زائفهْ
إنما الشهوة يا ... مغرورُ نارٌ لاهفَهْ
وخيال يتلاشى ... وظُنونٌ تالفهْ
ما الذي أعددتَ للقبرِ وَيَومِ الآزِفَهْ؟
أمذاب الكأس؟ أم ... دمعة عين ذارفهْ؟
أحطام الحب؟ أم ... نغمة لهو عازفهْ!
أأماني الصبِّ؟ أم ... بسمة وصلٍ خاطفهْ

سـوف يُـودي بـكَ يـومٌ ما لـه مـن عـاطـفـهْ
سـوفَ تَـلْقَـى أيـهـا الـزنـديـقُ مـنـه عـاصِـفَـهْ
تـنـسـف الـلذةَ والـعـمـرَ غَـضُـوبًـا قـاصـفـهْ

وَيَتَأثر السامعون ببيان «الزاهد»، فَتُقَطَّبُ الوجوه، وتحملق العيون، ويكاد المجلس أن يرفض لولا أن «علي» الفيلسوف يقول:

قـف تـمـهـل أيـهـا الـزا هـدُ قـد آن الـسـكـوتُ
كـلـنـا يـعـرف، أن الـكـ ـون هـذا سـيـمـوتُ
وبـأن الـعـمـر كـالـفـكـرة تـأتِـي وتَـفُـوتُ
يـشـغـل الـنـاسَ جـمـيـعًـا فـي الـورى مـاءٌ وقـوتُ

* * *

أفـلا تـدرون أنّـا قـد صَـحِـبـنـا آمـرا
يحكم النـاس، مـطاعَ الـقـ ـولِ فـيـهـمْ قَـاهـرا
فـاسـألـوه: كـيـف يـحـيـا حَـاكِـمًـا مـسـتـأثِـرا
ألـه حسٌّ؟ ألا يـحـمـ ـل قـلبًـا طـاهـرا؟

فَيَلْتفت الأصدقاء نحو «قاسم»، ويصرخ فيه الشاعر «أحمد» قائلاً:

أنـت يـا صـاحـب مـحـرو مٌ مـلـذات الـحـيـاهْ
أنـت لا تـحـمـل إلاَّ جَـشَـع الـقـومِ الـطـغـاهْ
تـطلب الـجـاهَ ولا تـعـ ـبـدُ فـي الـدنـيـا سـواهْ
أيـن أنـتَ الـيـومَ مـن صـ ـبٍّ يـرى الـحُـبَّ مـنـاهْ
وإبـاحـيٍّ تـقـضَّـى عُـمْـرُه فـيـمـا اشـتـهـاهْ
وقـنـوعٍ يـزدري الـدنـيـا ولا يـعـصـي الإلَـهْ
وكـفـورٍ ملحـدٍ يـتـبـع فـي الـدنـيـا هـواهْ
كـلـهـم أجـمـل نـفـسًـا مـنـك، يـا رأس الـعـصـاهْ

يستمع السياسي «قاسم» لبيان الشاعر فلا يثور ولا يحنق، ولكنه يقول بهدوء:

دعـوا الـضجيـجَ والـهـرا ء والـسبـابَ الـمؤلـمـا
فـقـد أتيـنـا هـا هُـنَـا جـمـهـرة لـنـفـهـمـا
نُـحَـلِّل الـكـونَ الـفـسـيـحَ والـنـهـى والأمـمـا
ونـسـلك الـحـق، ولا نـبـغـي سـواه سـلَّمـا

* * *

أنـا الـسـيـاسـي الـذي بِـمَـجْـدِه تَـنَـعَّـمَـا
أنـا الـذي طـاول، لـمـا كـسب الـنـصـرَ الـسَّـمـا
أنـظِّمُ الـحـيـاة كـالـشـ ـاعـر يـبـنـي الـكَـلِمَـا
أُعـاقـبُ الـعَـاصـي وأو لـي مـن أطـاعَ الـنِّـعَـمَـا
وأجـعـل الـنـاس لـقـا نـون الـحـيـاةِ خـدمـا
وقـد أثـور كـالـجـحـيـم مُـسْـتَـهـيـنًـا بـالـدمـا
وقـد أمـزِّق الـسـلا م هـادمًـا مـحـطـمـا
وأمـلأُ الـقـلوبَ إن شئـتُ أسـىً وأَلـمـا
وأجـعـل الـوجـود فـي عـيـن الأنـامِ مـظلمـا
نـعـم.. ولا أرحـم طـفـ ـلًا، أو عـجـوزًا هـرمـا
إذا عـلمـت.. أن ظـلـ ـمي واعـتـدائي أحـزمـا

* * *

خـلقـت قـانـونًـا يُـنـ ـير لـلأنَـام الأمَـمَـا
خـلقـت كـي يـسـعـد بـي شـعبي، وأحـرس الـحمى

ويقترب من الشاعر الثائر قائلاً:

ظـلمتـنـي يـا شـاعـري ظـلْمَ غـضـوبٍ ثـائـرِ
مـاذا جـنـيـت يـا صـديـ ـقي فجـرحت خـاطـري؟

أحسناتي كلها ... يا شاعري جَرائري؟
أنا الذي أحمى حما ... ك من عدوٍّ غادرِ
أدفع عنكَ صولةَ الـ ... بَاغي وظلم الجائرِ
أسهر كي تنام.. فار ... فق بالنصيرِ الساهرِ
لولاي ما كنت هنا ... تحيا حياةَ شاعرِ
مفندًا لي بالسبا ... ب جارحًا مشاعري
ولا عرفتَ في الوجود ... غير نِيْر القاهرِ
أيُّهما أجدى أبِنْ ... واحكم بحكم طاهرِ
أقسوةُ النظام، أمْ ... فوضى فسادٍ غامرِ

* * *

أنا السياسي نظا ... مي حكمةُ المقادرِ
ما بين رحمة البيا ... ن وفرند الباتِرِ
أحيا وأبني للورى ... حياة عيش زاهرِ

ويرى الجندي «حمود» بجانبه فيقول:

قم، وتحدثْ أيها القمقام ... فأنت أنت الرجل الهمامِ
أنت حسامٌ في الحروب باترٌ ... وأنت في يوم الوغى ضرغامِ

فيتأثر «حمود» بهذا الإطراء، وتنتفخ أوداجه ويصرخ منشدًا:

أنا.. ما أنا؟ أنا ثورة البركان ... ليثُ الوغى، ومحطم الشجعانِ
قلبي مجال الحادثات، وهمتي ... جبلٌ، وعزمي قُدَّ من صَوَّانِ
تتزلزل الدنيا، وركني ثابت ... سامٍ يطاول شامخَ البنيانِ
في ذمةَ التاريخ ما أُوليه مِنْ ... مجدٍ، ومن نبل، ومن إيمانِ
تُبْنَى الممالكُ من دمي ومشاعري ... وتُشاد من روحي ومن وجداني
لولاي لم يرفع لها علمٌ ولم ... تَشْعر بغير الذل والخسرانِ

عـمـري كـفـاح كـلـه، وكـوارث بين الخُـطوب السـودِ، والـنيـرانِ
لا أرهب المـوت الـزؤام، ومـرحبًـا بـالمـوت أستفـدي بـه أوطـاني
المـوت أشهى من بـقـاءٍ مـوسم بـالـذل تحت كـلاكِـلِ العـدوانِ

* * *

تعسًـا لقـوم ضيعـوا أعمـارهـم فـي الـلهـو والأحـلام والألـحـانِ
المجـد «للجنـدي» وليس لغيـره مجـدٌ، ولا شـأن مـدى الأزمـان
كم بين من يفنى بجـانب عِـرْسِـهِ وفتى يسف المـوت في الميـدانِ؟

ويصمت الجندي ويحاول زعيمه السياسي أن يتكلم، ولكن الشاعر لا يترك له الفرصة، إذ يصرخ في وجه الجندي البطل:

خُـدِعْـتَ بـالأوهـامِ يـا حـامـلَ الـحُـسَـامِ
مـاذا سـتجـنـي إن رمـا كَ الـدهـرُ بـالـحمـامِ؟
أنـتَ سِـلاح الـبَـطْشِ أنـت قـوةُ الإجـرامِ
تَـعْـبَـثُ بـالـحـيـاةِ؛ والآمـال، والأحـلامِ
وتـسـفـك الـدمـاء كـي تـفـوز بـالـوسـامِ
وتـذبـح الإنـسـانَ ذبـ ـحَ الـشـاءِ والأغـنـامِ
كـيـمـا تـزيـد الـظلمَ إقـ ـدَامًـا عـلى إقـدامِ
تـمـوت في الـمَـيْـدان يـا لـلجَـوْرِ والأثـامِ؟؟
وقـد أبـدت أنـفـسًـا بـالـنـار والـحـسـامِ
هـل أنـت إنـسـان أمـا أَنـت مـن الأنـامِ.؟

ثم يتصفح أوجه القوم كأنما يبحث عن ضائع، حتى يرى «حسن» الفلاح فيشير نحوه قائلاً:

هـذا هـو الـفـلاح ربُّ الـحَـقـل والأغـنـامِ
ركـن الـحـيـاةِ، بـطل الإ يـمـان والـسَّـلامِ

ويقترب الفلاح الرث الثياب الخشن الملمس، من الشاعر «أحمد» منشدًا بصوت مُتهدِّج:

إنـي أَنـا الـفـلاح أحـيـا ... مثـل مـا تحيـا الـطيـورْ
لا أعـبـد الـدنـيـا ولا ... عـلى بني الـدنيـا أجـورْ
ولا أعـيش بـالـخـيـال ... أو بـبـهـتـان وزورْ
لا الـشـعـر يُـطْرِبـني، ولا ... أَهـوى الخلاعـةَ والفجورْ
والـفن: إن الـفن أغـنـامي ... وحـقـلي، والـزهـورْ
والمجـدُ، مجـدي عـزلتي ... وسـذاجة القلب الـطهـورْ
والـديـن؟ لست بـسـاخـر ... لـبقٍ، ومـا أنـا بـالـكفـورْ
الله لـي أمـلٌ، وسـلطانٌ ... ومـعـبـودٌ ونـور
عـمـري كـفـاح خـالـد ... تحت المناجم والصخـور

* * *

بين الـمـزارع، والمـرابـع ... فـي المـسـاء وفي البكـورْ
عـزمـي، رفيـقي، لا أثُـورُ ... عـلى الـحـيـاةِ ولا أخـورْ
أحمي السنـابـل والبـلابـل ... والـفـواكـه والـطيـورْ
وأصارع الـريـح العنيفـةَ ... والـديـاجـي والـدهـورْ
ولـقـد أُقضِّي الـوقـتَ فـي ... صـمتٍ رهـيـبٍ كـالـقبـورْ
صَمتُ السـذَاجـةِ، والـطهـا ... رةِ والـبـراءةِ، والـشـعـورْ
وأنـا الـمـبـرَّأ مـن عـيـوب ... الـنَّـاس في كـلِّ العصـورْ

مـا يكـاد «حسن» الفـلاح يسكت، حتى يسـود المجلس صمت مخيف، وحـيرة رهيبة، وكأن كل أحد يستعرض ما سمعه وما قاله، ويُسـائل نفسـه ماذا استفـاد ومَاذا استزاد؟ الحيرة هي هي، والشكُّ لا يزال، ثُم يتبدد الصمت بصوت الشاعر منشدًا:

أيهـا الفيلسـوف قـد عِيـل صبـري ... لـسـت أدري؟ وكـيـف بـالله أدري
أنـا قد جئت حـائرًا وسـأبقى ... حـائـرًا لم أقف على أي سـرِّ

قـد سلكنـا البيـانَ شتى، وهِمْنـا وضـربنـا في كـل واد وبـحـرِ
مـا جنينـا يـا أيهـا الصَّحب غيـر الشـكِ شيئًـا وذاكَ أعـظمُ خُسْـرِ
فـأَبِـنْ لي يـا «فيـلسـوف» ومـن غَيْرُك يُشْفى قلبي، ويشرح صدري

ويتجمهر الجميع حول الشيخ الفيلسوف، وبصوت متزن وقور يقول: رحم الله القائل:

لـو أنَّ كـل نفـوس النـاس رائيَـةٌ كـرأي نفسي تَنَاهَتْ عن خـطايـاهـا
وعـطَّلوا هـذه الـدنيـا فمـا ولـدوا ولا اقْتَنَـوْا، واستراحـوا من رزايـاهـا

أتريدونَ بيانًا بعد هذا؟

فيجيب القوم: نعم..

فيفكر لحظة ثم يقول بصوت باك:

كلمـا فكـرتُ في هـذي الحيـاه أُبْتُ بـالهمِّ، وبـالحـزنِ الشَّديـدْ
مـا الـذي يَجْني المعنَّى من هـواهْ؟ أين مَثْـوَى البؤسِ والفكـرِ الشـريـدْ

* * *

مـا مصير النـاس في هذا الـوجـودْ؟ أين يمضي بـالـورى ركبُ السنينْ؟
آه هـل للكـون هـذا من حـدودْ؟ آه مَنْ يـدري مصيـر العـالمينْ!

* * *

قـد بكينـا وضحكنـا، لَـمْ نجـدْ فـرحًـا يبقى، ولا حـزنًـا يـدومْ
الـشَّـقَـا غـايـة مـغـرور سعـدْ والـفنـا سـاحـل مكـدود يعـومْ

* * *

إنَّ عُـرْسًـا أنـت فـيـه بـاسـمٌ مـأتم يُصْمِيـكَ بـالـحـزنِ غـدا
فـرحـة الـقـلب عـنـاءٌ واهـم كـل شيء مـا عـدا الموتِ سُـدى

* * *

أنت للبؤسِ وللحزنِ خلقتَ أنت حوضٌ مفعَمٌ بالألمِ
سترى الأحزانَ أيَّان ذهبتَ إنما الراحةُ بابَ العَدَمِ

* * *

فاقطع الشوطَ رضيًا هادئًا إنما عمرك ملهاةُ القَدَرْ
كيفما كنت حديثًا طارئًا أو قديمًا إنما أنتَ بَشَرْ

* * *

كان خيرًا لكَ لو لم تولَدِ أو هجرتَ الأرض في عهدِ الصبا
آه ماذَا سَتُرَجّي في غد وبماذا سترُدّ العَطَبا؟

* * *

ابنة الأيكِ التي تسمعها سوفَ تَفْنَى بين أنيابِ الأبدْ
جرعةً واحدةً تجرعها تَنْقعُ الروح، وتودِي بالجَسَدْ

* * *

طَالِبُ الحِكْمةِ يفني حائرًا تائهًا بين رشادٍ وضلالْ
أجهد الفكرَ، وأضني الناظِرا ثم ولَّى، وتلاشى في الرمالْ

* * *

آه يا للموت ما أروعه يسحق الكونَ هباءً يَنْتَثِرْ
فَمُهُ المَقْرُومُ ما أوسعَهْ وحشاه كاللهيبِ المستعر

* * *

نحن نحو القبر في الدنيا نسيرْ يتلاشى الجسم، والروحُ يطير
نُسلم الجسمَ إلى الدُّودِ الحقيرْ ويهيم الروحُ في بحر الأثير

ويصمت قليلاً، ويُشدَهُ شُدُوهًا غريبًا، ثم يرسل أنَّةً حزينة، وتمر كفه المرتعشة على جبينِه، وينشد بصوت أقرب إلى الشهيق منه إلى الترجيع:

ضـلَلتُـم يـا أيُّـهـا الـنـاسُ وغـرَّكُـمْ وَهْـمٌ وبَـرْقٌ خَـلُوبْ
الـعـلم لا يـجـدي ولا يـأسـو والجهـلُ ينبوعُ الأسى والكـروبْ
والأمـل الـمـرجـوّ والـيـأسُ ونـزوةُ العقـلِ، ونجـوى القلوبْ
والـحـب والـخَـمْـرةُ والـكـأسُ يسحقُها الغَيْبُ الرَّهيب الغشـوبْ

* * *

يـهـمـاءُ لا يُـرْجـى لـهـا آخـر ومـا لـهـا عـنـدكُـم أوَّلْ
رهـيـبـةٌ إعـصـارهـا ثـائِـرُ والـريـحُ في أنحـائِـهـا تُـعْـولْ
والـلـيـلُ نَـهَّـاءٌ بـهـا آمـرُ والـوحشُ من وَحْشتِهـا يَـثْـمَـلْ
ضـلَلْتُم فـيـهـا، فـلا نـاظـرُ يـرى ولا نـورٌ بـهـا مـشـعـلْ

* * *

إن ضـجَّ غِـرٌّ خـانَـهُ صـوتُـهُ وراعـه رَجْـعُ صـداه الـكَئِـيـبْ
أو أنَّ مـحـزونٌ فـأنّـاتُـهُ مَنْكُـوبَـةٌ، مـا إن لهـا من مجيبْ
راحـةُ مـن ضـاقَ بـهـا مـوتُـهُ وظـن من يـأمـل فـيهـا يـخـيـبْ
وحَظُّ مـن يـعـبـدُهـا قـوتُـهُ وجُهـد من ثـار عـليهـا الـنحيبْ

* * *

فـيـا لَـهُ مـن مـسـرح رائِـع ويـا لـهـا من قـصـةٍ مؤلِـمَـهْ
ويـا لـه مـن مـبـدعٍ بـارعِ بـديـعـة آيـاتُـهُ مـحـكـمـهْ

ويأخذُ عصاه، ويلتحف رداءه، ويتَّجه نحو الباب منشدًا:

تـفـرَّقـوا عـنـي فـقـلبـي حـزيـنْ ومـدمعي جارٍ، وفكـري شـريـدْ
خلُّوا سبيلي، فـأنـا كـالـسجين وافـرجـوا عنِّي.. فهمِّي شـديـدْ

ويمضي في سبيله، ويتفرق القوم، وَكُلٌّ ينشد:

قد عرفنا كلَّ شيءٍ نحن في الدنيا هَبَاءْ
مسرحٌ نلعب فيه سوف يطويه الفناءْ

ويُسدل الستار

تعز: ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م

٣٥ ــ أيـن أنـت اليـوم؟

[في رثـاء القاضي العـالم الأديب عبد الله العزب الذي تـوفي بتعز في شهر جمادى الأولى سنة ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م]:

الـفـؤاد الـطّاهـر الأهـواء ذاب ... والشهـابُ السَّـاطـع الأضـواء غـابْ
فَـالـسَّمـا تـبحثُ عن كـوكـبهـا ... والهـوى يبكي على القلب المـذابْ
تـلك روحٌ وثـبَـتْ مِـن سـجنـهـا ... وتـعـالَتْ عـن جـراثيـم الـتـرابْ
يـا لـهـا جـوهـرة مـا سـطعَت ... بـالسَّنـا في تـاج سلطانٍ مُجـابْ
أطـبـق الـدَّهـر عـلـيـهـا فـمـه ... وفـم الـدهـرِ فـنـاءٌ وتـبـابْ

* * *

جـمـح الـدَّمـع بعـيـنـي فـرقًـا ... وهـفـا النُّـور ذهـولاً واضـطرابْ
وانـطوى قـلبي عـلى حـسـرتِـهِ ... يـتلوَّى تـحت أنـيـاب الـمـصـابْ
يـا لـه مـن نـبـأٍ كـان عـلى ... مسمعي أعنف من طعـن الحـرابْ
مـاتَ «عـبـد الله» مَـنْ كـان لـه ... مـقـولٌ فـذٌّ؛ إذا قـال أصـابْ
ويـراع جـمـع الـفـن بـه ... منـطق الحرّ إلى فصـل الخـطابْ
وفـؤادٌ يـسـع الـدنـيـا فـمـا ... ضـاق إلّا بـالخـطايـا والكـذابْ
أيـن أنـت الـيـوم؟ بـالله أجـبْ ... إن يكن في وسعـك اليـوم الجـوابْ
قـد عهـدنـاك حكـيمًـا بـارعًـا ... طـاهـر المنـطق عن مَيْنٍ وعـابْ
هـات حـدِّثـنـا عن الـرُّوح ومـا ... حـالهـا إن غـادرت دنيـا الـتـرابْ؟
أهي في الـجسـم سجـينٌ.. فـإذا ... وثَـبت راق لـهـا العـيش وطـابْ؟

مـا وراء المـوت؟ مـا عـالمـه؟ أنـعـيـمٌ.؟ أم شـقـاء وعـذابْ؟
صف لنـا الخلد وصف جنـاتـهـا وصِفِ النَّـار وأحـوال الـعـقـابْ
«الـمـعـرِّي» لـم تـكـن أوصـافـه وحي حقّ؛ بـل خيـال وارتيـابْ
فـإذا كـنـت سـمـيـعًـا فـأجبْ آه يـا ليتـك تسـطيـع الجـوابْ

* * *

ويـح نفسي.. كيف لم تلق الـردى مهجتي بـعـدك حـزنًـا واكتئـابْ
أسـفًـا أبكـيـك بـالشعـر كَمَـا ينـدب الشيـخ ملذّات الـشبـابْ
كـنت «عـبـد الله» فـي عـالـمـنـا بلبـلاً؛ بـل كنت للشعـر ربـابْ
تـرسـل الشعـر فتشجينـا بـه وتـغـنّـيـنَـا الأنـاشـيـدَ الـعـذَابْ
كـنْتَ إن فـاجـأك الـدهـر بـمـا يفقـد الـرُّشـد ويـودي بـالصـوابْ
تـتـلقّـاه بـقـلب ثـابـتٍ صـادق العـزم جـريءٍ لا يهـابْ

* * *

لـيـت شـعـري أيّ سـرٍّ شـاقَـه فـهـفـا شَـوقًـا إلـيـه وأنـابْ
تـرك الأرض احـتـقـارًا وارتـقـى طـاهـر الـذيـل حميـدًا لا يُعـابْ

تعز: ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م

٣٦ ــ وداع صديق

[اجتمع الشاعر ذات ليلة من ليالي رجب سنة ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م، مع زمرة من الأصدقاء بتعز لوداع السيد الأديب الشاعر عبد الله بن يحيى الديلمي، فقال الشاعر مداعبًا: «سر على طائر السّعود»؛ وأجاب الشاعر إبراهيم الحضراني: «وعسى الله أن تعود»، وما زال الشاعران يتبادران اللفظة تلو اللفظة، والبيت بعد البيت حتى تمت هذه القصيدة]:

سِر على طائر السعودْ ... وعسى الله أن تعودْ
ونرى ما يسرُّنا ... منك يا زينة الوجودْ
زَورة تذهب الأسى ... ويُدَاوى بها الصدودْ
سترى في «ذمار» ما ... يجلب الأنْسَ والسعودْ
وغزالاً مهفهفًا ... ناعم اللَّمْس والخدودْ
فاهْتَصِرْ غصن قدِّه ... وارتَشِفْ ثغره البَرودْ
كُنْ هَزَارًا مُغَرِّدًا ... فوق رُمَّانة النهودْ
والتمسْ في جمالِهِ ... نغمة الفنّ والخلودْ
وأديبًا مثقَّفًا.. ... هو باق على العهودْ
تنتشي من حديثه ... نشوة المغرم الودودْ
ما أحَيْلى صفاته ... لا حقودٌ، ولا لدودْ

* * *

يا صديقي إذا وصَلْتَ «ذمارًا» ... بعافيَهْ

فـاذكـرن عهـدنـا الـذي ... قـد حـمـدنـا لـيـالـيَـهْ
حـيـن كـنّـا جـمـاعـةً ... مـن أديـبٍ وراويـهْ[1]
وصـديـق تـروقـنـا ... نـكـتـةٌ مـنـه غـالـيَـهْ[2]
وطـبـيـب، بـنـانُـهُ ... لـلمـصـابـيـن شـافـيَـهْ[3]
وخـطـيـبٍ، وشـاعـر ... مـبـدع كـلّ قـافـيَـهْ[4]
وكـريـم سـحـابـه ... لـذوي البؤس هـاميَـهْ[5]
ومـحـبٍّ مُـتَـيَّـمٍ ... بـيـن جَـنـبـيْـه هـاويَـهْ
وضـلـوعٍ حَـنـتْ عـلى ... كـبـدٍ مـنـه دامـيَـهْ
إنَّ حَـفْـلا يَـضُـمُّـهـمْ ... خـيـر حفـل «اليـمـانـيَـهْ»
فـلْـتَـعُـدْ نـحـوهـم لـكـي ... تـرسـل الـصـوتَ ثـانـيَـهْ

* * *

فـالـوداع الـودع يـا ... خـيـر من رجَّـع الـنـشـيـدْ
كـنـت فـيـنـا مـغـرِّدًا ... تـودع السحـر في القصيـدْ
كـل يـومٍ يـروقـنـا ... خلقـك الـزاهـر الـوحيـدْ
ولـقـد كـنـت بـلـبـلًا ... تـتـغـنـى بـمـا نـريـدْ
طـائـرًا صـادق الـهـوى ... هـو في عصـره «فـريـدْ»
كـل قـلبٍ مـن الـنـوى ... بـعـدَهُ مكـمَـدٌ عـمـيـد
إيـه لا تَـنْسَ ودَّنـا ... لـك أو عـهـدنـا العـهـيـدْ

---

(١) المقصود: القاضي الحافظ أحمد الحضراني.
(٢) القاضي أحمد الجبري.
(٣) الطبيب حسن الخَمِيسي.
(٤) الخطيب هو الصفي أحمد البابلي، والشاعر هو أحمد عبد الله السالمي.
(٥) المقصود السيد أحمد بن يحيى الهجوه.

وابـلغَـنْ كـل شـاعـرٍ صـادقٍ، ودَّنـا الأكـيـدْ
نـحـن إخـوان كـل ذي فـطنـة شـاعـرٍ مـجـيـدْ
جـمـعَـتْـنـا عـواطـفٌ ألَّـفَـتْ شـللنَـا البـديـدْ

تعز: ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م

٣٧ ــ الشيخ العيزري

[في شهر رمضان الكريم سنة ١٣٦٤هـ توفي الشيخ العالم الجليل القاضي عبد الله العيزري ــ رحمه الله ــ بذمار، وكان قد جاوز التسعين أو كاد]:

كلّ يوم مصائبٌ تتوالى ... فإلى كم نُصارع الأهوالا؟
محنةٌ إثر محنةٍ إثر أخرى ... عَظُمَتْ نقمةً وشدتْ نكالا
هكذا الموت، يصرع الشيخَ والطفـ ... ـلَ، ويطوي الرعاع والأبطالا
لا يراعى أبًا رحيمًا، ولا أمًّا رؤ ... ومًا، أو عائلاً، أو عيالا
لا ولا عالمًا به تهتدي الأمة ... أو جاهلاً يبث الضلالا
أو زعيمًا يسدي إلى الناس خيرًا ... أو غشومًا يحطِّم الآمالا
كلهم في شريعة الموت أكفاءٌ ... يذوقون كأسه أرسالا
سنة الله كم طَوتْ من عصورٍ ... ولكم ألحقَتْ بها أجيالا

* * *

ولقد راعني؛ وشرَّد لبي ... وأراني وجه الأسى أشكالا
وسقاني من الفجيعة كأسًا ... نشرتْ في فؤادي الأوجالا
نبأ من «ذمار» ينذر أنَّ الشَّيـ ... ـخ قد فارق الحياة وزالا
وبأنَّ الخضَمّ قد غاض، والكو ... كب قد غاب، والمثقَّف مالا
وبأنَّ الغريد قد هجر الرو ... ض فجفَّتْ زهوره إجفالا
وبأنَّ الخطيب قد ترك المنـ ... ـبر يبكي خطيبه القوّالا

وبـأن الـتقيَّ قـد ودَّع الـمحـرا ... ب حـيـران يـرقـب الإهـمـالا
وبـأنَّ الأنـــام يبكـون «عبد الـ ... ـلَّـه» والـعلم والـتقى والكـمالا

* * *

فـلتضـجّ الأفـواه بـعـدك يـا من ... كـان فـذًا نـدبًـا يجيـد المقـالا
وَلْتسحّ العيـون بـالـدمـع . . يـا من ... كـان فـيـهـا وسـامـةً وجـمـالا
كم ضعيفٍ آزرتـه، كـم جهـولٍ ... بـالهـدى قـد سقيتَـه سلسـالا
كم غشـومٍ عـرَّفتـه الحق فـانـ ... ـصاع وقد كـان فـاسـدًا محتالا
ولـكم مـن نصـائـح لـك لا تـكـ ... ـتُم حـقـدًا، ولا تـضـمُّ جـدالا

* * *

يـا فقيـد العلوم قـد كـنت أزكـى ... رجـل ظـلَّ لـلثـبـات مـثـالا
صـقـل الـدهـر عـقـله وحبـاه ... مـن تـجـاريـب سيـره الأمـثـالا
هـذَّبَ الـديـن روحَـهُ لا يبـالـي ... صـادف العيش نـعمـةً أو نـكـالا
إن قـلبًـا تـضـمُّـه خيـر قـلـبٍ ... طـاهـرٍ فـاضَ عـزَّةً وجـلالا
لا يـداجـي، ولا يـمـاري، ولا ... يـحـمـل زورًا، ولا يـقـرُّ وبـالا
«ولـتسعين حجـة» خيـر أستـاذٍ ... تـعـالـيـمـهُ تـزيـن الـرجـالا
تسبك الترب جوهـرًا، وتحيـل الـ ... ـجسم روحًـا إلى السمـا يتعـالى
قـطعـةٌ مـن حـقـائـقٍ وخـطوبٍ ... لـو تخـطَّتْ صخـرًا غـدا أوصـالا
عَبَـرَتْ قلبـك الـكبيـر فلم يـخـ ... ـضَعْ ولا هـاب صولـةً أو نضـالا
وتـدرَّعـتَ لـلحـواث بـالـصبـر ... زمـانًـا فـنلت مـا لـن يُـنـالا
وعـرفت الحيـاة لم يسبـك الـخـ ... ـلَّبُ فـيـهـا ولا سـرابٌ تـلالا
كـنت فـيهـا «ابـن الحـقـيـقـة» لا ... تعبـد جاهًـا، ولا تقـدس مـالا
إيه «عبد الإلـه» حسبك أن قـد عشـ ... ـت حُـرًّا لا يـرهَـبُ الأغـلالا
واثـقًـا بـالإلـه تـخشـاه في الـغيـ ... ـب، وتـرضـيـهِ مـطلبًـا وفعـالا

لم تجـد في الحيـاة خيـرًا، ومـا صـادفتَ إلَّا كـوارثًـا تـتـوالـى
وكـذاك العـظيم يحيـا مـع النَّـا س غـريبًـا عنهم هـوى وخـلالا
لا يـرى فـي وجـودهـم غـيـر غـ ـش وضـلالٍ، ومـا يشينُ الـرجـالا
سـوف تلقى جـزاء أعمـالـك الكبـ ـرى لَـدُنْ مـن يـقـدِّر الأعـمـالا
في جنـان النعيم، في جنَّـة الفـردو س، فـي رحـمـة الإلَـه تـعـالـى

صنعا: ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م

٣٨ ــ ذِكْرَى وحنين

أين صنعا؟ وأينَ أيام صنعا؟ هل لماضي عهودها اليوم رُجعى
ذاب قلبي تلهفًا وحنينًا وتلاشَتْ نفسي أنينًا ودمعا
كلما لاح بارقٌ وجف القلبُ وطارت روحي مع البرق لمعا
وإذا ناح طائر ناحت الذكـ ـرى فتدمي طرفًا وتجرح سمعا
الأماني معذَّبات وآمالي مجروحة الخواطر. . صَرْعى
سوف أبكي بالشِّعر عهدًا تقضّى كان للقلب والمشاعر مرعى
ولقد مَلَّتِ القوافي أنيني وسئمت الحياة دمعًا وسجعا
آه لو أستطيع صبرًا على البـ ـعد، ولو أستطيع للشوق دفعا

تعز: من قصيدة قِيلت سنة ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م.

٣٩ ــ مُناجاة إلى اللّه

هل عذُر من يطلبُ الغفران مقبول ... أم حَظُّهُ اليوم ترويعٌ وتنكيلُ؟
هو الغَريق الذي طمَّت جرائره ... عليه؛ والشط ناء عنه مجهولُ
والرِّيحُ تعصِفُ والأمواج غاضبةٌ ... لها ضجيجٌ وتهديد، وتهويلُ
فمن له اليوم؟ مأوى؛ لا يلوذ به ... كلا ولا حبله بالناس موصولُ
وكل ما حولَهُ بالشرِّ ينذره ... كأنَّما كونهُ من وحشةٍ غِيلُ
كأنما هو، والأوجال تقلقُه ... طفل قد اختطفته في الدُّجى غولُ
إن أظلم اللَّيلُ خانتْهُ عزيمته ... وبات والقلب بالأوهام مخبولُ
كأنما هو في ديجوره أملٌ ... باليأس من رحمة الأقدار مقتولُ
وإن أتى الصبح راعته حقائقُهُ ... فالنفس جازعةٌ والقلب متبولُ
كأنما هو في ضوضائه تعِسٌ ... خانتهُ من دهره القاسي الأباطيلُ
فالفكر مرتبكٌ والروح مضطربٌ ... والظنّ مفتضحٌ، والوعد ممطولُ

* * *

فحزن «آدم» لمَّا عقَّ خالقَهُ ... كحزنِه، فهو دامي القلب مثكولُ
ورعب «يونس» في الأعماق يمثل في ... عينيه للنَّاس لو أجداه تمثيلُ
يشكو ويبكي فلا يصغي له أحدٌ ... كلٌّ بأعبائِه في الكون مشغولُ
وكلُّ غاشيةٍ دارت بظُلمتِها ... عليه، واستَبقَتْ فيه الأقاويلُ
وبات ليس له من بعد نكبتِهِ ... سواك يا بارىء الأكوان مأمولُ

* * *

يـا خيـر من طمعتْ في فضله ثقـةً ... وخيـر من وثقت فيـه البـهـالـيـلُ
ربّـاه خذ بيـدي قبـل انقـطاع يـدي ... وارحم فعبـدك منكـوب ومخـذولُ
قـد اقتـرفتُ ذنـوبًـا لا أعـدِّدهـا؛ ... نـدامـة؛ ذِكْـرهـا وخْـزٌ وتنكيـلُ
فـإن أخـذتَ؛ فعـدل لا أضـام بـه ... وإن عفـوت فـإحسـانٌ وتنـويـلُ

صنعا: ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م

٤٠ ـ هَجرُ ليلة

أيــن أنـت الـيـوم يـا زهـ ـرة آمـالـي وأُنْـسـي
كـيـف أمـسـي دون أن يـر ـعـاك طـرفي؟ كيف أُمْسي؟
دون أن أرشـف مـن ثـغـ ـرك.. مـا ليس بكأسي..!
دون أن أسكـب فـي حـضـ ـنـك أفـراحي وبؤسي..!
وأغـنّـي ويـغـنّـي لـك وجـدانـي وحـسـي..

* * *

آه لـو تـعـرف يـومـي أيـهـا الـعـارف أمـسـي
نـضـبـتْ بـهـجـة قـلبي وذوت زهـرة نـفـسـي
وانـطوت آمـالي الـزَّهـراء فـي ظـلمـة يـأسـي
فـكـأنـي مـن وجـودي شـبـحُ زُج بـرمس
آه مـا لـي عـنـك فـي الـدنـيـا سبيـلٌ للتـأسّي

صنعا: ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م

٤١ ــ قانون خَير الخَلق

[قرظ الشاعر بهذه القصيدة كتاب «الإلمام» للسيد العلامة المؤرخ محمد بن محمد زبارة رحمه الله، وقد صدر سنة ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م]:

قَبسٌ من الذكر الحكيم ... يهدي إلى النَّهج القويمِ
أنوارُهُ قدسيةٌ ... شقت دُجَى الليلِ البهيمِ
من قلب «مكة» شع ... وضّاءً ومن أفُقِ الحطيمِ
هو كوكبٌ للحقّ، والإ ... يمان، والخُلُقِ الكريمِ
أضواء «عيسى» من أشِعَّـ ... ـتِهِ وأنوار «الكليمِ»
دستور دين لا جفيّ ... بالحياة ولا عقيمِ
نفخ الحياة بأمةٍ ... كانَتْ رميمًا في رميمِ
يُسْرٌ وحُب كلّه ... وهدي ونورٌ للحيكمِ
يحنو على الدنيا حنـ ... ـوَّ المرضعات على الفطيمِ
بلغت به «بنْتُ العرو ... به» غاية الشرف المرومِ
وسَمَتْ به أوجًا يعزُّ ... على القشاعم والنجومِ
صَفَعَتْ به التضليل ... وارتشفتْ معتقة العلومِ
هو ثورة العصر الجديد ... على أباطيل القديمِ
عصفَتْ بدستور الطُّغاة ... وشرعة الشرك الأثيمِ
هو وحي جبّار السَّما ... ء ومبدعِ الكون العظيمِ
نَفَثَتْهُ مهجة «أحمد» ... حامي حِمَى الحق الْهَضيمِ

الـطَّاهـر المبعـوث لـلأكـ ـوان بـالـخيـر الـعَمِيـمِ

* * *

«أمـحـمـد» لـلَّهِ مـا.. أوتـيـتَ مـن ذوقٍ سليـمِ
أوضـحْـتَ بـ «الإلـمـام» منهج حكمة الدين القويم
قـانـون خيـر الخلق، لا قـانـون مـلكٍ أو زعـيـمِ
قـد قـمت فيـه بـواجبٍ لـلعلم والـوطـن الحـميـمِ
ولأنتَ وحدك حامل المصـ ـباح في الليـل البهيـمِ
تهدي به الجيل الجديـد إلـى صـراطٍ مستـقـيـمِ
ولأنـت وحـدك للحقيقـة والـحـمـى أوفى خـديـمِ
مـا كـان قـلبـك للفضيلة بـالـعـدو ولا الـخَصيـمِ
هـذا وكـم لـك مـن يـد في العلم خـالـدة النَّعيمِ
قـدمتها للمجـدِ قُربـانًـا عـن الـشـعب الـيـتـيـمِ
«النِّيـلُ» فـي التـاريـخ نِيـ ـل فاض في حقل العلومِ[1]
تـجـري على صـفـحـاتـه سفُنُ الحوادث كـالـرسومِ
و «الـنشـرُ» مـن نفـحـاتـه تنجابُ غـاشيـةُ الهمـومِ[2]
أرَجُ الـزُّهـور الـرّاقصـات عـلى أهـازيـج النسـيـمِ
أودعـت فـيـه خـلائـق الـنُّبـلاء والـصيـد الـقُـرُوم

* * *

«أمحـمـد» يـا ابـن الـفـخـار الـفـذ والـحَسَبِ الـصـميـمِ
يـا صـاحب الخلق النبيـل، وحـامـل الـقلب الـكـريمِ
يكفيـك أنـكَ مـا خَضَعْـ ـتَ لـذل نيـر أو شكـيـمِ

(١) «نَيْل الوطر»، من مؤلفات العلامة زبارة.
(٢) «نشر العَرْف» في نبلاء اليمن بعد الألف، من مؤلفات العلامة السيد محمد بن محمد زبارة.

وبـأن نـفسـك مـا صَـبَـتْ يـومًـا إلـى خـلق ذمـيـمِ
أفـنيـتَ عـمـرَكَ فـي سـبيـ ـلِ العلم والمجـد الجسيمِ
لا فـي عـبـادة درهـمٍ أو دجـل مـجتـمـع سقـيمِ
والنـاس حـولـك يـرتعـو ن صغـائـر المْرعى الـوخيمِ
يتهـافتـون على الـحُـطَامِ ويـزحـفـون إلى الـجحيمِ
فَـاقبـلْ تـحيَّـةَ مـعـجـبٍ قـد زفهـا لـك في النَّظيمِ
هـي نـزوة الحِس الـكـظيم ونـفـثَـةُ الـقـلب الـكـليـمِ

صنعا: ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م

٤٢ ــ بَعد الفراق

[عاد صاحب الديوان من «صَنْعا» إلى تعز في ٥ ذي القعدة ١٣٦٤هـ وألقى أمام الإمام أحمد هذه القصيدة، قبل ارتقائه العرش]:

ودعتُ تلك الربوع حيرانا ... يفيض قلبي أسى وأشجانا
وقَفتُ في ساحها أخاطبها ... بالدمع لا أستطيع تبيانا
تحيَّر اللفظ في فمي حزنًا ... يعثر بين الشفاه حسرانا
أنظرها خاشعًا، وقد ملأت ... صدري هموم الفراق نيرانا
يا ويح نفسي؛ أكلما نعمت ... بالوصل لاقَتْ نوى وهجرانا!
وودَّعت صفوها وراحتها ... وصادفت جفوة وحرمانا
وصادمتها الخطوب قاسيةً ... تسومها بالعذاب ألوانا
كم أذرع الأرض ذاهلاً وجلاً ... وكم أجوب البلاد هيمانا
ولم أجد موطنًا أقيم به ... منعَّمًا بالحياة جذلانا
كشاردٍ يأسه يطارده ... يريه أيَّان سار أحزانا
فليتني ما شهدت شارقةً ... وليتني ما عرفت إنسانا
وصاحب من عشيرتي لبقٍ ... قلت له حين حان مسرانا
يا صاح جدّ المسير إن لنا ... شأنًا وأعظم بمثله شانا
قال: وما شأننا؟ وكيف بنا ... إذا رحلنا؟ وأين مأوانا؟
وهل لنا في الوجود من وزرٍ؟ ... وهل سنلقى هناك سلونا؟
قلت: تمهل.. فقال كيف؟ وهل ... يسلو ويرتاح مغرم بانا؟

ومن لنا والنَّوى تعذبنا ... والشوق يذكي القلوب نيرانا؟
قلت: لقد روَّعتك أخيلةٌ ... تملأ وجه الوجود أشجانا
وأنت من لم يضق به بلدٌ ... ولم يسْر في البلاد أسيانا
ولم يودِّع من قبل أيكته ... مفارقًا جيرةً وخلانا

* * *

دعنا نسِرْ يا أخي إلى ملكٍ ... به ازدهى ديننا ودنيانا
هناك حيث النهى مكرَّمةٌ ... هناك حيث القلوب تهوانا
نحيا فلا فاسد ينال بنا ... ما يبتغي إذ يقول بُهتانا
فقال: والأهل؟ قلت: حَسْبُهُم ... رَبّ يعم الأنام إحسانا
قال: ومن؟ قلت: والمؤمَّل في ... الضَّراء، حامي البلاد مولانا
(أحمد) من في فؤاده قبسٌ ... يمحو به باطلاً وخسرانا
قال: إذن فالزمان مبتسمٌ ... لنا وعين الإله ترعانا
مولاي لولا سناك يؤنسني ... لعشت بين الأنام غضبانا
مولاي لولا نداك يمطرني ... قضيتُ دامي الجنان ظمآنا
مولاي لولا هداك يرشدني ... قطعت شوط الحياة حيرانا
أنت الذي في ظلال نعمته ... تَخذْت لي مرتعًا وبستانا
أمرح لا أرْهب الزَّمان ولا ... أخاف ممن يخافُ عدوانا
إن كاد لي كائدٌ بمفسدةٍ ... آبَ ذليل الجناب حسرانا
ما دمت في حصنك الحصين فلنْ ... أخشى من الحادثات طغيانا
وقدْ عرفت الأنام قاطبة ... وكان بعد الفراق ما كانا
لولا حنان منحتنيه لما ... صادفت ممن وجدت تحنانا
وربما توهب الحياة لذي ... يأسٍ لأحكام دهره دانا
ومن تكن عينه بصيرته ... يرى أطِّلاب البقاء خسرانا

والمـوت عنـد الحكيم مـعـرفـةٌ ... يـطلبـهـا كي يـنـام جـذلانـا
فـلا تُبَلْ بـالخـطوب إن عصفَتْ ... وكـن غـليظ الـفـؤاد أحـيـانـا
ولا تـضق بـالـحيـاة إن عـبسَتْ ... فـقـد يـجـر الـسـرور أحـزانـا
وانـظر تـر الأرض في مشـاكلهـا ... قـد طفحت بـالشـرور أفـنـانـا
وانـظر تـر النـاس في نقـائصهم ... غـرْقى. ولا يـطلبـون غفـرانـا
والـنـاس لا يـستـوون مـعـرفـة ... كـالـنـاس لا يـسـتـوون ألـوانـا
تـبـاينـوا منـبعًـا، وحـاشيـة ... وغـايـة تـرتـجـى، وأديـانـا

* * *

يـا من سمت في الفخـار دولتـه ... وعـزَّ بـيـن الأنـام سـلطانـا
ونـال مـن ربِّـه مـؤمَّـلهُ ... مـكـارمًـا جـمـةً، ورضـوانـا
وبـزَّ أقـرانـه هـدى ونـدى ... وهـمـةً فـذَّةً وعـرفـانـا
الـشـعـب لا يـرتـجي سـواك ولا ... يـرضى مليكًـا سـواك إنسـانـا
كـم لـي مـن آيـةٍ شـدوت بـهـا ... فـمـادَ قـلب الـزَّمـان نـشـوانـا
شـعـرٌ تـهـزُّ الـقـلوب نـغـمـتـه ... كـمـا تـهـزُّ الـنـسـيـم أغـصـانـا
يـروق مـن كـان نـاقـدًا لـبـقًـا ... وشـاعـرًا بـارعًـا وفـنـانـا
والـشـعـر فـن يـزيـن صـاحـبـه ... كـمـا تـزين الفصـوص تـيجـانـا

* * *

بكيت في شـعـري الـوجـود ومن ... فيـه وصُغْتُ الـدمـوع ألحـانـا
والشعر يبكي الحياة مـذ وجدتْ ... والشعـر يبكي الـوجـود مـذكـانـا
بكى «امـرؤ القيس» دمنـة درست ... كـمـا بكـى «البـحتـري» إيـوانـا
والشيـخ «ذو المحبسين» مـات أسى ... وعـاش «كـابن الحسين» حيـرانـا
وهـكـذا كـلـمـا أتـى رَجُـلٌ ... بـكـى صـروف الـحيـاة ألـوانـا
مـشـكـلة مـا تـزال غـامـضـةً ... كـم أجـهـدت ألـسُـنًـا وأذهـانـا

تضيع فيها العقول خاسئة ... إذ لا ترى حجة وبرهانا
وليس كالدين راحة؛ فإذا ... ما ضقت صادفت فيه سلوانا
تحيا به ناعمًا فإن نضُبَتْ ... روحك لاقَت رضا «ورضوانا»

* * *

يا من إذا خاطبته ألسنا ... تعثَّرت هيبةً وإذعانا
وأذهلت لا تجيد، قافية ... وأخجلت لا تطيق شكرانا
وكيف تقوى وأنت معجزةٌ ... تجسَّمتْ للعيون إنسانا؟
فتى تهاب القروم سطوته ... وترتجي من نداه إحسانا
فؤاده مزنةٌ مطهَّرةٌ ... صيغَتْ لعطف السماء عنوانا
تحزَّبَت حوله القلوب؛ فلا ... ترى له في الأنام أقرانا
تكاد من حبه تقدسه ... مخلصةً لا تضم شنآنا
لا زلت يا ناصر الشريعة ... تهدينا بأنوارها وترعانا

تعز: ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م

٤٣ ــ وَحْـي العِـيـد

[ألقاها الشاعر في حفلة الجيش بميدان عرضي تعز أمام الإمام أحمد (قبل ارتقائه العرش)، وذلك في ١٢ ذي الحجة ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م]:

هو العيد في أثوابه يتجددُ ... يطلُّ علينا كل عام فنسعدُ
يفيض على أرواحنا من جماله ... فتندى وتحظى بالنعيم وترشدُ
تطير زرافات بجنات بشره ... ترجّع أنغام الصفاء وتنشدُ
يجيء بما تهوى النفوس كأنّما ... به عن معاني نقصها تتجرَّدُ
ويبعث في الدنيا حياة جميلةً ... سلام وحبٌّ كلها وتودُّدُ
تسود على الناس الطفولة؛ لا ترى ... سوى مهج في طهرها تَتَعبَّدُ

* * *

هو العيد؛ يرضاه السعيد بأهله ... ولا يرتضيه نازحٌ أو مشردُ
يثير الأسى في قلب كل مُتَيَّمٍ ... نأى عنه أحباب كرام وأبعدوا
إذا نلت ما تهواه فالكون مشرقٌ ... وإلاَّ فوجه الأرض في العين أسودُ

* * *

وما العيد إلاَّ منحة الله؛ ما لها ... سوى الشعر ظرف في الزمان مخلَّدُ
ولولا قوافي الشعر تظهر سره ... لظلَّ خفيًّا سحبُه تتلبَّدُ
ولولا سناها في الدجى ترشد النُّهى ... لضلَّتْ بلا هاد تغور وتنجدُ
وما الشعر إلاَّ فيلسوف مثقفٌ ... يصور للنَّاس الحياة وينقدُ

أمولاي؛ والأرواح حولك حشَّدُ ... تعظِّمُ روحًا طاهرًا وتمجِّدُ
هو العيد نورٌ من جبينك مشرقٌ ... لروعته تعنو القوافي وتسجدُ
وما أنت إلاَّ وحيها وشعاعها ... وما أنت إلاَّ عيدها المُتَجَدِّدُ
سموتَ فلا وهمٌ إليك ببالغ ... فمجدك مجدٌ معجزٌ متفرِّدُ
وفكرك للإصلاح والعلم منبع ... وقلبك للخيرات والنبل معبدُ
نطيعكَ لا خوفًا ولا دفع نقمة ... ولكن لأنّا تحت حكمك نسعدُ
فما أنت جبّارٌ تعالى بملكه ... ولكنك الملك الرحيم الموحِّدُ
وصوتك صوت الحق يخرس من طغى ... وسلطانك الثبت العزيز المؤيدُ

* * *

وإنّا لقوم من «قريش» و «حمير» ... نمانا إلى العلياء مجدٌ وسؤددُ
مناهجنا في الحكم أسمى مناهج ... وأفعالنا بالنبل والعدل تشهدُ
وقانوننا وحيٌ من الله عادلٌ ... تساوى لديه خاضِعٌ ومسوِّدُ
ملكنا فلم نظلم، وسدنا فلم نجر ... وحزنا فلم نمنع، ولا خاب مقصدُ
وكانت لنا في كل صقع معالم ... من الحق تهدي من يضل وترشدُ
بناء بنتهُ أمةٌ عبقريَّةٌ ... علاها على رغم الزمان مخلَّدُ
أهاب بها هادٍ إلى النور مصلح ... تعاليمه للحق والخير موردُ
وأرسله صوتًا قويًّا دويُّه ... صدى في صماخ الخافقين مُرَدَّدُ
فأنجبت الفصحى أباةً أعزَّةً ... لهم في بناء المجد ركن موطَّدُ
فمنهم زعيمٌ عادلٌ، ومثقفٌ ... حكيم، وفنان، وطب، ومرشدُ
وكان لنا منهم «علي» و «خالد» ... وكان لنا منهم «حبيب» و «معبدُ»
وجاء على آثارهم قوم اهتدوا ... بهم فبنوا ملكًا عريضًا وشيدوا
ولكن أناس مترفون تعجرفوا ... ضلالاً، وعاثوا في البلاد وأفسدوا
فهانوا، وهانتْ أمةٌ بهوانهم ... وباتوا وهُم للغرب شاء وأعبدُ

وتلك لعمر الحقِّ أدهى مصيبة ... جناها علينا دهرنا المترصِّدُ

* * *

وما أنت إلَّا عبقريٌّ مهذَّبٌ ... غذاه وربَّاه النبيُّ «محمَّدُ»
تعاليمه استوعبتها بلباقةٍ ... وأحييتها فينا؛ فأنت المجدِّدُ
فطر في سماء المجد؛ إنا قشاعم ... لنا منك هاد ألمعي مسددُ
ونحن جنود طائعون شعارنا ... شعارك؛ لا نخشى ولا نتردد
وما المجدُ إلَّا للقويِّ، وإنَّما ... يحوز العلا من في يديه المهنَّدُ

* * *

أهنيك بالعيد الذي أنت عيدُه ... وتهنئتي زهرٌ ودر منضدُ
وما أنا إلَّا شاعرٌ صادق الهوى ... بمجدك أشدو في الورى وأغرِّدُ
حياتي حياة البحر آمال مهجتي ... كأمواجه في كل آن تجدَّدُ
ولي من إبائي عاصف إن تجهمت ... له حالة يرغي عليها ويزبد
وأعماق قلبي تهضم الكون كلَّه ... بما فيه غابات وبيد وجلمد
أظل وفيًّا مخلصًا؛ لا بشاشتي ... سراب، ولا حبي خداع فيفسدُ
وكم شاعرٍ والشعر عنه بمعزل ... وما شعره إلَّا حروف تُرَدَّدُ
وأنت خبير بالقوافي تجيدها ... وتنظمها نظم الحكيم وتنقدُ
ودمت «ولي العهد» فينا مظفرًا ... عدوك مخذول وشانيك مبعدُ
ولا زال «بدر الملك» نجلك سيدًا ... بأفق العُلا والمجد يسمو ويصعدُ

تعز: ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م

٤٤ ــ المــرأة...

عينٌ سمــاويَّةٌ بــاللطف تـرعــانــا ومهجــةٌ وهبتنــا العــطف ألــوانــا
ونجمــةٌ تـرســل الأنـوار ســاحـرةً تهــدي أشعتهـا من كــان حيـرانــا
لــولا حنــان سمــاوي تـفيض بــه على الـوجود لمـا صادفت جـذلانـا
حــوريـة خُلقتْ سلوى ومــرحمــة يعـلُّ من حسنهـا المحـروم تحنـانـا
لــولا عـواطفهــا، لـولا مــراشفهـا تـمــزِّق الكــون آلامًــا وأحــزانــا

* * *

هنــا الـطبيعــة فيهـا من مفــاتنهــا مـا يـدهش اللبَّ إتقـانـاً وإحســانـا
هنــا السمـاء بمــا فيهــا تلوح لنــا وهـا هنـا البيــد غـزلانًــا وكثبانــا
وهــا هــنــا روضــة غنــاء زاهيــةٌ تعـطيـك مـا تشتهي زهـرًا ورمــانـا
والنَّار إن هجرت، والغصن إن خطرتْ وإن رنت فعبــاب البحـر غضبــانـا
لغزٌ مدى الـدهر نلقى من طـلاسمه مـا يعجـزُ الشعـر إعـرابًــا وتبيـانــا
تـرى العظيم وقـد خـارت قـواه فلم يـذكـر إذا أقبلت جــاهًـا وسلطانــا
وتنــظر الفــاتــح الجبـار مــرتعشًــا أمـامهـا فـاقـد الأعصــاب لهفـانــا

* * *

أضــاع في قبلة منهــا عــزيمتــه ومجـده راضيًـا بـالحظ، فـرحــانـا
معبــودة تـرفــع الـدنيــا وتخفضهـا كمــا تشـاء. وتبلو النــاس ألـوانــا
كم مغـرم مـات من هجـرانهـا دنفًـا وكم محبٍّ قضى شـوقًـا وأشجــانـا
ورب جـلفٍ غـبيٍّ نــال بـغيــتــه وليس يحمـل إحسـاسًـا ووجـدانــا

تعز: ١٤ ذي الحجة ١٣٦٤هـ / ١٤٥٠م

٤٥ ــ يـوم الغـديـر

[ليوم ١٨ ذي الحجة شأن كبير في البلاد اليمنية؛ تقام فيه الحفلات وتلقى الخطب؛ ذكرى لليوم الذي قام فيه النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم «بغدير خم» منوِّهًا بالإمام علي بن أبي طالب، كرَّم الله وجهه، قائلاً: «من كنت مولاه فعلي مولاه»، وقد أُنشدت هذه القصيدة في حفل كبير رأسه الإمام أحمد، بصالة تعز، في ١٨ ذي الحجة ١٣٦٤هـ (قبل ارتقائه العرش)]:

قم فهذا اليوم يوم الذكريات ... يوم وحي الشعر، يوم المعجزاتِ
هات ما عندك من سحرٍ، ومن ... أدب فذ، وآي بيناتِ
واسكب الدمع إذا شئت فقد ... يستدر الدمع ذكر المكرماتِ
أو ترنِّم ساخرًا أو باسمًا ... ربَّما تضحك أدهى الأزماتِ
وإذا شئت فثر محتدمًا ... بالقوافي كالرعود القاصفاتِ
والمح التاريخ واقرأ صفحة ... هي أغلى ما حوى من صفحاتِ
وهي أزهى درَّةٍ في تاجه ... وهي أبهى ما له من حسناتِ
وهي أنقى سيرة خالدة ... عرف الناس بها أسمى الصفاتِ
سيرة ناموسها الحق وفي ... هديه سارت بعزمٍ وثباتِ
لم تزعزع بالأباطيل، ولم ... تصغ يومًا لفضول الترهاتِ
تجعل الحق منارًا هاديًا ... طاهر الأنوار قدسيّ السماتِ
يا يراعي قف قليلاً واتئِد ... فالبطولات مجال العثراتِ
ذلك التاريخ في ساحته ... وقفتْ للخلد أبطال الحياةِ

فتأمَّل هل ترى فيهم فتًى ... «كعَلي» عبقري العزماتِ
عرف الحقَّ صغيرًا فاهتدى ... والورى من حوله في ظلماتِ
حين نادى «المصطفى» في قومه ... فأجابوه بأقسى الكلماتِ
لم يجد غير «علي» ناصرًا ... طاهر المنطق حلو النبراتِ
سخر القوم، وقالوا يافع ... غرَّه صاحبه بالترهاتِ!
ومضوا في غيِّهم. وانقلبوا ... والهدي يسلقهم باللعناتِ
لو دروا ما يكتم الغيب لما ... قنعوا يومئذٍ بالبسماتِ!
ومضى الدَّهر بطيئًا، والفتى ... في سبيل الله ثبت الخطواتِ
صابرًا لا البؤس يُضويه، ولا ... يتداعى صبره للأزماتِ
ولكم مرتْ عليه محنة ... فتلقَّاها عزيز العبرات

* * *

آه كم يخفق قلبي رهبة ... كلما راجعت تاريخ السُّراةِ
كل يوم ولفكري عندهم ... وقفات ـ عظمتْ من وقفاتِ
و «علي» كم وعى الدهر له ... من صفاتٍ وأيادٍ خالداتِ
كبُرتْ فيه صفاتٌ جمَّةٌ ... لم أطق تصويرها في كلماتي
يوم ولى «المصطفى» عن داره ... ثائر اللوعة جم الحسراتِ
و «قريش» تتلظى حنقًا ... طفحت أنفسها بالنقماتِ
بات في مضجعه والشر من ... حوله ينذره بالهلكاتِ
يا له من شرف ما حازه ... بطل غير «علي المكرمات»
«وببدرٍ» ظهر الحقّ به ... فسقى أعداءه كأس الممات
وبيوم الروع و «الأحزاب» إذ ... وردَت كالسيل من كل الجهاتِ
قادة الحرب، وأبطال الوغى ... والصناديد، وأفذاذ الغزاةِ
أقبلوا والشرُّ يحدوهم إلى ... «يثرب» مأوى النجوم النيراتِ
قسمًا لولا «علي» لطغَتْ ... أمةُ الشرك على جندِ «الصَّلاةِ»

وبيوم «الفتح» والصفح ويوم «حنين» وجميع «الغزواتِ»
تشهد الهيجاء حقًّا أنَّهُ علم النصر وربُّ المعجزاتِ

* * *

ها هُنا مشكلةُ الدَّهر فقد ثارت الفتنةُ من بعد السُّباتِ
ما الذي ضر بني الإسلام لو قلَّدوا أمرهم خير الهداةِ
لو تولى أمرهم لانتصرتْ لغةُ الضادِ على كل اللغاتِ
ولَعَمَّ الدينُ أصقاع الدنا ورعى الحق جميع الكائناتِ

* * *

«يا ابن هند» أنت قد هيَّجْتَها فتنةً عمياء طاحت بالمئاتِ
قمت تهذي باسم «عثمان» وما تبتغي إلَّا انتقامًا للتراةِ
قد خدعت النَّاس بالمكر ولن تخدع التاريخ نقّاد الرُّواةِ
ما جنى منك بنو العرب سوى ذلةٍ أخنت عليهم وشتاتِ

* * *

«يوم خُمٍّ» أنتَ يوم رائعٌ بين أيام العصور الخالياتِ
«يوم خم» بك قام «المصطفى» يرشد الناس إلى نهج النجاةِ
قال: من كنت له مولى ومن رام أن يحظى بأوفى البركاتِ
«فَعَليٌّ» هو مولاه الذي بسناه يُهتدى في الظلماتِ
فانصر اللهم من ينصره وأذق أعداءه ذلّ الحياةِ

* * *

أيها القوم دعوني لحظةً أتغنَّى بالمعاني الرائعاتِ
تاه فكري في رحابٍ واسع ضمَّ أبطال السنين الماضياتِ
وتصفَّحت وجوهًا كرمتْ من وجوه «العلويين» الدعاةِ
شهب المجد، وأنصار الهدى وصناديد الخطوب الثَّائراتِ

يـا لأبـنـاء «عـلـيّ» عـصـفَـتْ بهمُ هـوج الـدواهي العـاصفـاتِ
حشَّـد الـبغي عـليهـم جنـده ورمـاهم بـالـرزايـا المـاحقـاتِ
«فبنـوا مـروان» خـانـوا واعتـدوا و «بنـو العباس» عـاثـوا بـالصِّـلاتِ
كـل يـومٍ ولـهـم مـن بـطشهـم وقـعـات؛ تَـعِسَـتْ مـن وقـعـاتِ
لا يـرقّـون لـدمـع ذائـب مـن قلوب الأمـهـات الثـاكـلاتِ
أو لأطـفـال يـتـامـى شـردوا في فيـافي الفلوات الشـاسـعـاتِ
الـسمـا تـبكـي عـليهـم رحـمـةً ووحـوش البيد تـأسى في الفـلاةِ
«وبـنـو مـروان» فـي لـذّاتـهـم يتسـاقـون كـؤوس الـشهـواتِ؟
كيف لا تعصف بـالأرض السمـا؟ كيف لا تنهـار شم الـراسيّـاتِ؟

* * *

«يـا أخـا المختـار» إني شـاعـرٌ مـن بنيـك الأريحيين الـكـمـاةِ
قمتُ أشدو باسمك العالي كما تصدح الطيـر بأشجى النغمـاتِ
في بني قـومي البهـاليـل الأُلَى تـخـذوا آلـك سُـفـنًـا لـلنجـاةِ
فـاستنـاروا بـهـداهم، واهـتـدوا بسناهم في الـديـاجي المعتماتِ
حسب قومي «أحمد» أسمى الورى شيمًـا ربُّ الـسيـوف الـبـاتـراتِ
ابـنـك الـذائـد عـن أوطـانـنـا ومـجلًّى كـربـنـا فـي الأزمـاتِ
دمـت يـا مـولاي تـرعـانـا ولا فـازَ من يشنوك يـا خير الـرعـاةِ
أنت كـالمولى «عليّ» في الـوغى صـادق الحملة ثبتَ العـزمـاتِ
وإذا قـمـت خـطيبًـا.. جئتنـا «كعلي» بـالـعـظات البـالـغـاتِ
وإذا جـدت فـمـا مـاء الـسمـا إنـه يـعجـزُ عـن تـلك الـهـبـاتِ
ولـك الـقـلب الـذي فـي طيِّـه جُمِعَتْ أزكى وأسمى العـاطفـاتِ
دمت يـا مـولاي فـردًا في العـلا فـي سبيـل الله ثبت الـخُـطُواتِ

تعز: ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م

٤٦ ـ الشعر والشعراء (ابن قتيبة)

إذا سئمت نفسي الحياة وظلمها
وما ضُمِّنتْ من باطلٍ وشقاءِ
رجَعْتُ بنفسي واستعَضْتُ عن الورى
وآلامه «بالشعرِ والشعراءِ»
أمتِّع فكري في رياض بيانه
وأقطف منه حكمة الحكماءِ

شرعب: ١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م

٤٧ ــ يوم الاستقبال

[أنشدها الشاعر في حفلة الاستقبال التي أقيمت بتعز في ٨ جمادى الآخرة ١٣٦٥هـ، بمناسبة عودة الإمام أحمد من «عدن»، قبل ارتقائه العرش]:

طلَعت أجلَّ من نور الصباح ... فأهلاً با ابن سادات البطاحِ
وما أشرقتَ حتى اهتزَّ شعب ... تسير به مع الحقِّ الصراحِ
وفاضَتْ بالسرور قلوب قوم ... تحوطك في الغدو وفي الرواحِ
رأتك طلعت فاشتعلت حماسًا ... كنارٍ بين معترك الرياحِ
وكانت قبل عودك في عناء ... وشوق دونه وخز الرماحِ
تشابه صبحها والليل حتى ... كأن الليل دام بلا صباحِ
تطير مع الخيال كأن كفًّا ... تطاردها إلى الأجل المتاحِ
وتخبط في الظلام كمستهامٍ ... تعيس القلب منكوء الجراحِ
وتهفو غير حالمةٍ برشد ... كطير بات مقصوص الجناحِ
ولما أن طلعت طلعت نورًا ... لكل دجنَّةٍ في الشعب ماحي

* * *

بني وطني؛ سماعًا؛ ما عليكم ... إذا رتَّلت شعري من جناحِ
سأشدو اليوم مزهوًّا وأزجي ... ثنائي «لابن يحيى» وامتداحي
مليك لو تحدته الليالي ... دهاها الويل من كل النواحي
تضيق بهمه الدنيا وتسري ... بصادع أمره هوج الرياحِ
تكاد الشامخات تخرُّ طوعًا ... له، ويطيعه وحش البطاحِ

«ولي العهد» كم لك من أيادِ ... سمَتْ عن قدرة القوم الشحاحِ
وكم لك من صفات رائعات ... ستبقى هَدْيَ رُوّاد الصلاحِ
لكل فتى بهذي الأرض هم ... وهمك في السمو وفي الطماحِ
ذهبتَ مجاهدًا، والحقُّ يحدو ... ركابك في المساء وفي الصباحِ
وروح الشعب والآمال تهفو ... عليك بكل ناحية وساحِ
سيعلم كل ختارٍ جهول ... لكلِّ حقيقةٍ بالجهل لاحي
بأنك «سيف دولتنا» وحامي ... حمانا، والدليل إلى النجاحِ
وأنك ذلك الليث السَّبنتى ... وغابك ليس بالغاب المباحِ

* * *

رأيتك باسمًا فصحا فؤادي ... وكان على فراقك غير صاحِ
وبت مجنَّح الآمال يطغى ... على حزني سروري وارتياحي
وما في خاطري إلّاك شيء ... تصور فيه رمزًا للفلاحِ
سأشدو باسمك الغالي وأطفي ... بذكرك نار وجدي والتياحي
وأرأبُ ما تصدَّع من فؤادي ... وأشفي ما تمزع من جراحي
وقبلك كان معقودًا لساني ... أكاد أغص بالماء القراحِ
أرى الآفاق مظلمة فأشكو ... وأمعن في الشكاية والنواحِ
وتلك قصائدي ترفض دمعًا ... وتنبض بالكآبة والتلاحي
أهبتم بالورى يا «آل يحيى» ... إلى نهج السَّعادةِ والصلاحِ
ألستم في سنيّ الجدب سحب ... وآساد الشرى يوم الكفاحِ؟
وما إن منكم إلّا نجيب ... نمته الصيد أرباب السماحِ
سلالة «هاشم» وبنو «علي» ... وأبطال الصفائح والرماحِ
عنت لكم العروبة واستجارت ... بكم من دهرها الجشع الوقاحِ
فدم للعدل والإيمان نورًا ... لكل دجنةٍ في الشعب ماحي

تعز: ١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م

٤٨ ــ مُضنى العُلا

مضْنَى العلا صعقت جهودُه فهوى؛ ونكبتهُ تؤودُهُ
عبث الزمان به وطوَّ حَ قبل أن يزوِّر عودُهُ
فانهار تحت حطامه ما كان من أمل يشيدهُ
والدهر لا تنفك قابضة سواعدنا قيودُهُ
تلك الليالي المظلمات وتلك أنجمها جنودهُ
هيهات.. لا يقوى الفتى للدهر يمنع ما يريدهُ
ما جهد مقصوص الجناح إذا استشاط وما جهودهُ؟
أكروبه ودموعه وجروح لوعته تفيدهُ؟
ماذا يكون مصيره؟ وشعور خيبته يبيدهُ؟
أيموت يأسًا؟ أم يُمَزَّق في أظافرِه وريدهُ؟
أم يستكين وينحني بالذل كاهله وجيدهُ؟
ما بين مجهولين يحيا المرء مبهمةً حدودُهُ
الأمس؛ في سجن الفنا ء تئنُّ باكيةً عهودُهُ
وغد؛ ببطن الغيب ينبض غير مرتسم وجودهُ
يمشي مع الأيام وهي إلى نهايته تقودهُ
ولقد علمت من الزَّمان بأنَّ جاهِلَه سعيدهُ
وبأنَّ حكم الشرِّ في الدنيا مؤيدةٌ بنودهُ
الخير ليس له حمى ويموت مضطهدًا عميدهُ
والحق لفظ في الشفا ه تمرُّ كاذبةً وعودُهُ

وعلمت أنَّ هوى النفو ... س محكَّمٌ فيما تريدهُ
يمضي ويقضي ما يشا ... ء وما الورى إلاَّ عبيدُهُ

صنعا: ١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م

٤٩ ــ وَقْـفـة...

وقفت كـالطيف إذا مـا سـرى ... فـي وهـم حـيـرانِ
ظمآن أستسقي غمام الكـرى ... بـقـدس ألـحـانـي
أرى؛ ويـا بؤسيَ مِمَّـا أرى ... أشـبـاح أحـزانـي
تصول حولي كـأسود الشـرى ... صـيـال عـدوانِ
كـيـف بـوجـدانـي ... إذا تصبتـه ذنـوب الـورى؟

* * *

هنـاك تلهيـه مـلاهي الحيـاه ... بـالـزهـر والـخـمـرِ
هنـاك لا تصـدفـه عن هـواه ... قـوارع الـزجـرِ
يمضي ويسترسل فيما اشتهاه ... فـي الـخـيـر والـشـرِ
نشـوته الكبـرى رحيق الشفاه ... وخـمـرة الـشَّـعـيـرِ
يـا لـيـتـه يـدري ... أن المنـايـا راصـداتٌ خـطاهِ

* * *

دنيـاك يا شـاعـر دنيـا الـزَّوالْ ... دنـيـا الأسـاطـيـرِ
خوتْ بها من ظلمات الخيالْ ... كـفّ الـمـقـاديـرِ
وصـورتها من رُفَـاتِ المحالْ ... أبـدع تـصـويـرِ
وقدَّرت فيها الهـدى والضلال ... أيـة تـقـديـرِ
وكـالأعـاصـيـر ... تثـور فيهـا شهـوات الـرجـالْ

صنعا: ١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م

٥٠ ـ شَكْوى الغريب

[وردت إلى الشاعر قصيدة من صديقه شاعر «عدن» السيد محمد عبده غانم، فأرسل إليه هذه القصيدة في سنة ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م جوابًا]:

رفقًا بصب مغرم معذَّب متيمِ
رفقًا بصبّ مثقل بالحسرات مؤلمِ
أحرقه الحُبّ بنيران الأسى والندمِ
كأنه مما يقاسي زُخَّ في جهَنَّمِ

* * *

رفقًا بصب جاحم اللوعة ثائر الدَّمِ
يبيت مذعور الفؤادِ تحت جنح النظُّلمِ
يُسائل الأفلاك عن غرامه المحطَّمِ
وعن رفات حُبهِ الممزَّق المهدَّمِ
يبثُّها شجونه شكوى الغريب المغرمِ
تكاد رُوحه تذوب في غضون الكلمِ
والكون مأخوذٌ بما يبعثهُ من نَغَمِ
يُصْغي كما تُصْغِي القفار لضجيج العدَمِ
والليل مفتونٌ بسِحْرِ لحنِه المقسَّمِ
جَثا حزينًا عنده كالأبد المطَلْسَمِ

كـأنـمـا يَـعْـبُـد مـا يُـزْجـى بـه مـن حِـكَـمِ
والـنـجـم يـبـكـيـهِ ويـرعـاهُ بـطرفٍ مُـكْـلَـمِ
يـضـيـق مـن آهـاتـه ودمـعـه الـمـنْـسَـجِـمِ
يـحـذر مـن شـرار نـار قـلبِـه الـمـضـطَرِمِ
يـخـافُ أن يُـقْـضَـى عـلى الـكـونِ بِـزَفـرَة الـفَـمِ
يـا ويـحَـهُ كـم ذا يُـقـا سـي مـن ضـروب الألـمِ
كـم يـتـلَقَّـى قـلبُـهُ مـن أَسَـلٍ وأسـهُـمِ
وكـم يُـعـانـي روحـهُ مـن كُـرَبٍ ونِـقَـمِ
وكـم يَـظَلُّ كـالـسـجـيـن فـي وثَـاق الـوَهـمِ

* * *

يـا مـرسِـلَ الألـحـان تَـشْـفِـي غُـلَّةَ الـمـتَـيَّـمِ
وتـغـتـذي بـهـا الـنـهـى وتـنـقَـعُ الـروح الـظمِـي
وتـقـطـفُ الـحـيـاةُ مـنـهـا بـسـمـاتِ الـنَّـغَـم
أشـكـو إلـيـك مـن زمـا ن كـالـفـنـاء مُـظلِمِ
كـأنَّـمـا أيـامُـه ذنـوب قـلبٍ مـجـرمِ
ومـا شَـكـاتـي لافْـتـقـارٍ أو لـعَـسْـفٍ نَـهِـمِ
لـكـنَّـه الـحُـب الـذي أحـرق عـظمـي ودمـي
أجَّـج فـي قـلبي جـحـيـمًـا مـن جـوى ونـدمِ
وبـثَّ فـي روحـي رسـيـسًـا مـن لـهـيـب مـضـرمِ
وصَـبَّ فـي كـأس حـيـاتـي جَـرَعـات الـعَـلْقَـمِ

* * *

يـا شـاعـر الـوادي تـرنَّمْ بـالـبـيـان الـمـحْـكـمِ
كـفـكِـفْ دمـوعـي بـالـقـوافـي الـسَّـاحـراتِ الـنَّـغَـمِ

وارأبْ صُـدُوعَ الـحـبِّ فـي قـلبي ، وبـدِّدْ ألـمـي
واستَـلْهـمِ الأشعـار مـن «شمـسـان» عـالي الـقِـمَـمِ
مـن الـقـفـار الـشـاسـعـات، والإكـام الـجُـثَّـمِ
ومـن مـجـالـي «صِـيْـرَةٍ» ومـن جـلال الـعَـيْـلَمِ
مـن مـوجِـه الـصـاخـب مـن تـيَّـاره الـمُـلْتَـطِمِ
مـن كـل مـا حـولـك مِـنْ مـبـاهـجٍ وظُـلَـمِ
مـن «الـجـواري» الـسـابـحـات و «الـنـسـور» الـحـوَّمِ
مـن الـمـعـاني الـثـائـراتِ فـي الـعـيـون الـنـومِ
مـن كـلِّ ثـغـر بـاردِ الـظُّلْمِ رقـيـق الـمـبـسَـمِ
من كـل مـا في الكـون من مـصـائـب ونـعَـمَ
من دمعـة الـمحـزون، مـن خـواطـر الْـمـتَـيَّـمِ
من بسـمـة المـفتـون؛ مـن يـأس الـفـقـيـر الـمـعـدمِ
مـن نـسـمـة الـروض الأنـيـق، والـغـبـار الأقـتـمِ
فـأنـتَ.. أنـت الـشـاعـرُ الـفَـذُّ الـنـزيـه الـقـلـمِ
أصبحت في دنيـا البيـا نِ مـفـردًا كـالـعـلـمِ
تـعـنـو لـه الأفـكـار مـن مـهـابـةٍ.. وعِـظَـمِ

صنعا: ١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م

٥١ ــ النفس الأوَّل

[قرَّظ بها أوَّل دواوين شعره «النفس الأوَّل»]:

هو قلبٌ أذبتُهُ لـلهوى قد وهبتُهُ
كان وهمًا إذا اتَّبَعْـ ـتُ ضلالي عبدتُهُ
وخيالاً إذا نسيـ ـتُ وجودي وهِمْتُهُ

* * *

رب ليلٍ بأدمعي وهمومي لقيتُهُ
ذاب في مهجتي وفكـ ـري دجاهُ وصمتُهُ
فزع النجم فيه لما بطرفي رمقتهُ
ورماني بنوره وبوجدي رميتهُ
وشكاني إلى السما وإليها شكوتُهُ
وانثنى يمقُتُ الظلا م كما قد مقتهُ
بثَّني شجوه، وبا ح بِسَرٍّ أبحتُهُ

* * *

نَفَسٌ من قرار روحي المعنّى بعثتهُ
في تضاعيفه طويـ ـتُ وجودي، وصنتُهُ
أودعت فيه مهجتي ما بها قد كنزتُهُ
ذكريات ألفتُها لزمان فقدتهُ
ورفاتٌ مبددٌ لغرامٍ أبدتهُ

وشظايا عزيمةٍ لشبابٍ هدمتهُ
وقرابين صبوةٍ لهوى ما سلوتهُ
وبقايا ندامةٍ لأثامٍ جنيتُهُ
وأباطيل عالم ليتني ما عرفتهُ
ها هنا ثورتي على عالم قد سئمتُهُ
ها هنا دمعتي على أمل قد أضعتهُ
(جنةٌ) من قطوفها أجْتني ما اشتهيتهُ
كلما جفَّ زهرها بدموعي سقيتهُ
كم مثال لفنها للورى قد نصبتهُ
من ضميري، ومن شعوري، وقلبي نحتهُ

* * *

(وجحيمٍ) سعيرها من فؤادي نفثتهُ
للهوى في قرارها مستقر أقمتهُ
يصطلي حرّ نارها من إليها حشرتهُ

* * *

هو دمعي؛ وليتني في جفوني حَبَسْتُهُ
وابتسامي؛ وليتني في فؤادي دفنته
لو تبينت منتهى مهيعي ما مشيتهُ

صنعا: ١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م

٥٢ ـ اليمن تكرِّم لبنان

[قيلت في حفلة التكريم التي أقامتها هيئة المعارف اليمنية للبعثة الثقافية اللبنانية بصنعا في ٦ رمضان ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م]:

عصف القريضُ بفكرتي وجناني ... وأثار سحر يراعتي ولساني
فطفقتُ أشدو بالقوافي ذاهلاً ... عمَّا يساورني من الأشجانِ
وكذلك الغرِّيد يصدح لاهيًا ... عن يقظة الأقدار بالألحانِ
وذهبت في تيه الخيال منقِّبًا ... عن غامضات حقائق الإنسانِ
أتصفح التاريخ معتبرًا بما ... فيه من الحسنات والطغيانِ
أجلو الروائع من محاسنه، ولا ... أغضي عن الشنآنِ والنقصانِ
وكأنما هو عابد كشفتْ له ... حجب الحقيقة، وانجلت لعيانِ
فغدا يصورها بسحر بيانه ... للناس يلفتهم إلى البرهانِ
مترفقًا بشعورهم متلمسًا ... أهواءهم ببديعة الفتَّانِ
يا للجلال.. إذا تأمل شاعرٌ ... في سره المكنون في الأكوانِ
وأطل من عليائه مستعرضًا ... لقوافل الأجيال والأزمانِ
ورأى العروبة في مطارف مجدها ... مزهوَّةً تختال كالنشوانِ
والناس حول فخارها في روعةٍ ... يمضي الجلال بهم إلى الإذعانِ
يتخاوصون بأعينٍ مشدوهةٍ ... ويتمتمون بمنطقٍ حيرانِ
وبنو العروبة في مسالك مجدهم ... يمشون دون تكاسل وتواني
مدت يدُ العليا إليهم كفَّها ... فتصافحا أخوين يبتدرانِ
وتعاهدا في عزةٍ ومناعةٍ ... وتعانقا في لهفةٍ وحنانِ

قـوم أثـارهـم النبي «مـحـمـدٌ» وأنـارهـم بـالـحـقِّ والـقـرآنِ
ظهـروا على الـدنيـا غـزاة قـادة بـالعـدل، والعـرفـان، والإيمـانِ
فهـوت عروش الـظالمين وحُـطِّمَتْ تـيجـانـهـم، ومـعـاقـل الأوثـانِ

* * *

هـذا هـو المـاضي البعيـد لأمـة من نسـل عـدنـانٍ ومن قحـطانِ
لم يبق منـه لنا سـوى الذكـرى وهل نجني من الـذكرى سـوى الأحزانِ؟

* * *

أبني العـروبـة؛ والعـروبـة أمـةٌ قـد وحـدتهـا طـاعـة الـرحمنِ
لا فـرق بين «يمـانهـا» و «شـآمهـا» و «عـراقهـا»، والشُّمّ من «لبنـانِ»
و «لمصر» أخت و «الحجاز» يضمنا لـغـةٌ، ودين، واتـحـاد أمـاني
إنَّـا نـريـد بـأن نـنـال مكـانـة عـظمى تسامت فـوق كـل مكـانِ
ونـنـصُّ رايتنـا بـأسمى مـوضـع يـرنـو إلى عـليـائـه الـثـقـلانِ
ونـطير أشبـاحًـا إلى أوج العُـلا أو لا فـأرواحًـا إلـى «رضـوانِ»
فـلنسـع أرسـالاً إلى غـايـاتنـا متضـافـرين تضـافـر الـبنيـانِ
ولنبْنِ للشـرق الـكـريم حـضـارة لـلخيـر، لا لـلشـرِّ والـعـدوانِ
فـالغـرب قـد شـاء الحضـارة نقمـةً هجمتْ معـاولهـا على الـعمـرانِ

* * *

أبنـاء شمّ «الأرز» عـفـوًا إن كبـا قلمي، وأحصـر بـالبيـان لسـاني
فخـواطـري جيّـاشـةٌ قـد سـابقت كلمي، وبـذَّت بـالشعـور بيـاني
أنّى لـمثلي أن يـقـوم بـواجـب لـكُـمُ ـ وأنـتـم قـادة الـعـرفـانِ
«لبنـان» ينبـوع الـنبـوغ وروضـه وكـنـانـة الأبـطال والـشـجـعـانِ
كم دافعـوا الإفـرنـج عن أوطـانهم وتـرفَّـعـوا عـن ذلـةٍ وهـوانِ
بـذلـوا الـدمـاء عـزيـزةً وتبـرعـوا لـلمـوت بـالأرواح والأبـدانِ

حتى استقلّوا ظافرين أعزَّةً ... ووداده‍م يربو بكل جنانِ

* * *

سترون في «اليمن السعيدة» موطنًا ... لكم، وروضًا وارف الأفنانِ

صنعاء «زحلة» في الجمال، وأهلها ... لكم غداة البين كالإخوانِ

فتنسَّموا من سحرها، وتفيأوا ... في ظلِّها. في عزَّةٍ وأمانِ

أنتم ضيوف بني أبيكم «يعرب» ... ومناخه‍م لكم مناخٌ ثاني

صنعا: ١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م

٥٣ ـ عيد استقلال لبنان

[قيلت بمناسبة حفلة ذكرى عيد استقلال لبنان، التي أقامتها البعثة الثقافية اللبنانية بصنعا في ٢٨ ذي الحجة ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م]:

للعلا أم ليومه المشهودِ؟ أم لثواره أباةِ القيودِ؟
أصرخ اليوم بالقوافي، وأشدو خاشع الفكرِ ممنعًا في السجودِ
ناطقًا للورى بأسمى بيان شافهتني به لسان الخلودِ
باعثًا ثورة القلوب، مثيرًا ما غفا من تحفزات الجهودِ
راسمًا للشباب ذكرىٰ جهاد خالد هدّ شامخات الجحودِ
أسد لبنان جنده يترامو ن برایاتهم ترامي الأسودِ
أطبقوا كالظلام هولاً، وكالأمواج عزمًا، وصولة كالرعودِ
كل ليث مكشّر النّاب عن قد س حماه يذود كل صيودِ
إيه يا ثورة أفاقت على الد نيا بأحلام ليلها الموءودِ
نهضت من جمودها نهضَة الـ ـفجر؛ وشبتْ كالنار ذات الوقودِ
وأطلّت على الوجود شعاعًا وجحيمًا على طغاة الوجودِ
بعثت سَوْرةَ الحياة بشعبٍ كان في قبضة الفناء المبيدِ
فإذا الأرض بهجةً تحلَمُ الأر واح فيها بكل عيش رغيدِ
وإذا كل بلبل ساحر الأنغا م يشدو بكل معنى فريدِ
باكيًا أمسه الكئيب بأشجى نغم، ذاب من فؤادٍ عميدِ
حين كانت أنغامُهُ في فم القيـ ـد تقاسي آلام رقٍّ لدودِ

كلمـا همَّ بـالنشيـد طغى الأسـ ـر على لحنـه الكـظيم الحـريـدِ

* * *

إن يكن مشعـل العـدالـة قـد أذ كتـهُ «باريس» منـد عهـدٍ بعيـدِ
فـبنـوهـا هُـمُ الألَى حَـطَّمـوا الـ ـعدل، وساموا الأحرار سوم العبيدِ
أيـن «رسُّـو» وأيـن مـا حـررتـهُ كـفُّـه من مـبـادىء و «عـقـودِ»
أنكـرتها «بـاريس» في سفح «بيـرو ت» وعـاثت بهـا؛ فيـا للجحـودِ

* * *

كـان «لبنـان» قبـل أن يـوقظ الـ ـنـور بنيـه في ظلمـةٍ وجمـودِ
يـطأ الـذلُّ مـجـدَه ويـعـانـي صلف الـرّق والعنـاء الشـديـدِ
زمـن كـان لـيـله يخـنـق الـنُّـو رَ، ويـودي شقـاؤه بـالسعـودِ
يعقـد الهـول مقـولي كلمـا حـا ولـت وصفًـا لـعهـدِه المـنكـودِ
ينعَـمُ اللصُّ بـالـمتـاع ويُـمـني ربَّـه بـالـعـذاب والـتـشـريـدِ
ذاك في شـرعهم حـلالٌ يسيمـو ن بـه كـل جـاهـل أو بـليـدِ

* * *

هـو «لبنـان» هيكـل الفن والمجـ ـد، وروض الهـوى الشذيّ الـورودِ
درج الـحـب فـي ثـراه صبـيًّـا واغتـذى من جـمـالـه المعبـودِ
وسيبقى في أفقـه يـحـرس الأحـ ـلام حتى تـطوى حياة الـوجـودِ

صنعا: ١٣٦٥هـ / ١٩٤٥م

٥٤ ــ نَشيد النَّوى

[أُنشدت أمام الإمام أحمد بمنتزه صالة في ٨ ربيع الأول ١٣٦٦هـ، قبل ارتقائه العرش]:

أضعتُ في وهمي الأماني ... وهِمتُ بالحُسْنِ والحسانْ
أفنيتُ في صبوتي زماني ... حتّى أذاقتني الهوانْ
ولم تزل مهجتي تعاني ... ما يذهل اللّب والجنانْ
إذا دجى اللّيل ضاق شأني ... وضقت بالكون والزمانْ
أهيم في مهمه الهوى ... وأذكر الدار والحبيبْ
وأشتم الهجر والنوى ... والشوق إذ يشعل اللهيبْ
وكلّ ما مَرَّتِ الثواني ... مَشَت على الروح في توانْ
وحركت ميت المعاني ... وأشعلت خامدَ البيانْ

* * *

يا من بها طال شجو قلبي ... قد ضقتُ ذرعًا من الفراقْ
ما قد مضى من نواك حسبي ... العيش بالبعد لا يطاقْ
أوّاه لو تعلمين حبّي ... وأنني منه في وثاقْ
لما تمنَّيت غير قربي ... وجُدتِ بالوصل والتلاقْ
فقد وهَتْ مني القوى ... وصرت في الناس كالغريبْ
وكلما لج بي النَّوى ... ونحت لم ألقَ من مجيبْ
وكم أقاسي وكم أعاني ... في الحُبِّ ما يهدم الكيانْ

وأبعث السحـر في الأغـاني أبـكي بـهـا قلبـي الـمهـانْ

* * *

أشكو جوى الحُبِّ واضطرامَهْ في قلبـي المـوجـع الخفـوقْ
إليـك يـا صـاحب الـزَّعـامَـهْ و (نـاصـر الـدين) والحقـوقْ
ومفخـر الـملك والإمـامَـهْ وبـاني المحتـد السمـوقْ
من جـوده للورى غـمـامَـهْ وعـزمـه الـرعـد والبـروقْ
أدرك فـؤادي فـقـد ذوى وخـارَ من شِـدَّةِ الـوجيـبْ
وأنـت مـن يـعـرف الـدوا ولـيس إلَّا لقـا الـحبيـبْ[1]
وكيف يـرضيـك مـا دهـاني وأنـت مستـودع الحنـان؟
يـا مـرتجى قـطرنـا اليمـاني أبقـاك ربِّـي مـدى الـزَّمـانْ

تعز: ١٣٦٦هـ / ١٩٤٧م

(١) طلب الشاعر بهذه القصيدة من الإمام أحمد الرخصة لـه بزيـارة أهله بصنعا، وكـان حين ذاك يشتغل في ديوانه بتعز.

٥٥ ــ نَشيد يوم يتيم

[من قصيدة قِيلت في ثورة الدستور عام ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م، وضاعت يوم مات الدستور في جمادى الأولى سنة ١٣٤٧هـ / مارس ١٩٤٨م]:

في موكب الحقِّ والآمال تختلجُ ... والأفق منبلجٌ والشعب مبتهجُ
والدهر في غمرة الأقدار منتفضٌ ... والكون في لُجج الأخبار يمتزجُ،
والناس في الضجَّة الكبرى قد انذهلوا ... حتى كأنهم للبعث قد خرجوا..
وقفتُ في رهبةٍ طمَّت مشاعرها ... شُلَّ البيانُ لها، وانتابَهُ الرَّتَجُ!

* * *

من أين للشعر في يومٍ طوالعُهُ ... غرَّاء ساطعةٌ بالسَّعد تنبلجُ..
أن يستجيد القوافي أو يحبِّرها ... عميدُها الفذُّ، أو خرِّيتُها اللهِجُ
لقد تكلمتِ الأقدارُ فانتفضتْ ... فرائص الشعر، وانهارت له الحججُ
ودمدم العدل في شعرٍ قوارعه ... بالحق؛ لا بالهوى والحقد تنفرجُ
حتى إذا دانتِ الأهواء وانهمرت ... ولم يشبْ صفوها بغيٌّ ولا لججُ
سحَّتْ على الناس إحسانًا ومرحمةً ... مثل الغمامة بالخيرات تنبثجُ
وادكَّرتْ نهجَ «طٰه» في عشيرته؛ ... لسنَّةِ العدل والإحسان تنتهجُ

* * *

الحقُّ والعدل في «صنعاء» قد مُزِجا ... كالروح والجسم في الإنسان تمتزجُ
والناس في الفرحة الكبرى قلوبهمُ ... تهتز بشرًا، وبالآمال تختلجُ

تكـاد تقفـز شـوقًـا من صــدورهم، وفي وجــوههِمُ من عـزمهــا وهَــجُ
والحبُّ طـاقته الكبـرى تـذوب لهـا قـوى الوجـود فـلا هـولٌ ولا حـرجُ
ســرٌّ من الله في الإنسـان أودعــه، وفـي مشــاعــره تـهـفــو وتـعـتـلجُ

صنعا: ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م

٥٦ ــ نشيد الأحرار

بالأمَّة نُقسم والجمهورْ،
والعزة، والقدر المقدورْ،
وبما في مصحفنا مسطورْ،
أن نطلب لليمن الدستورْ

* * *

سنحارب كي نحيا سعدا،
ونضحي بالأرواح فِدا.
بدماء الأحرار الشهدا،
سنحقِّق لليمن «الدستورْ»

* * *

الظالم قد تبَّت يدُهُ،
وهوى ما كانَ يشيِّدُهُ،
والباطل ذلّ مؤيدُهُ،
والحقُّ تمجَّد و «الدستور».

* * *

وشباب «الشورى» و «الميثاقْ»[1]

---

(١) الميثاق الوطني المقدس لثورة سنة ١٩٤٨م وقد كتبه الشاعر بخطهِ ووقعه علماء وأدباء وأحرار =

مـلأت أصـواتـهـمُ الآفـاقْ،
كـلٌّ يـشـدو جـذلاً مـشـتـاقْ
تـحـيـا الـحـرِّيـة و «الـدسـتـورْ».

سجن نافع: سنة ١٩٤٨م.

= اليمن حين ذاك. وانظر قصة الميثاق في مذكرات صاحب الديوان الجزء الأول من كتاب: «رياح التغيير في اليمن».

٥٧ ــ ليلة عيد في سجن نافع

أشعلت نار الجوى يا ليلة العيدِ،
فبتُّ أزفرُ في همٍّ وتسهيد
ذكرتُ سالف أيامي التي قَنَصَتْ
شباب روحي في حُبٍّ وتغريدِ
ذكرتُ ماضيَ أعيادي التي أنِسَتْ
نفسي بها، في رُبَا الغيدِ الأماليدِ
ذكرتُ «صنعا» وكم بلَّغتُ من أربٍ
في «سفحها» دون تنغيَّصٍ وتنكيدِ
ذكرتُ عهدًا غمسنا فيه أنفسنا
في لجةِ اللَّهو بين الزَّهر والخودِ
ذكرتُ مجدًا عظيمًا كنتُ غرَّته
بينَ المروءةِ والإقدام والجودِ!
ذكرتُ معبود أحلامي فكاد دمي
يغلي، وأصبحتُ موجودًا كمفقودِ!

* * *

لهفي؛ ولهف الهوى كم بتُّ منتشيًا
بقربها. . غافلاً عن كل موجودِ
معانقًا غادة الآمال؛ مرتشفًا

من ثغر فاتنتي رشف العناقيدِ

* * *

واليوم . . لا نغمة الأفراح أسمعها
ولا صدى سحرها يُجْزى بترديدِ
تمضي الشهور، وآمالي معذَّبةٌ
تُسْقى الخيال، وتغذى بالمواعيدِ
ورغبةُ الحبِّ لا يَشْفِي تَلهفها
المحموم إلَّا وصالٌ غير محدود

* * *

في «السجن» تزحف أيامي مكبَّلة
بلا حساب، وتمضي دون تعديد
في سجن «نافع» حيث الحقُّ مضطهد
والنَّاس ما بين موثوقٍ ومشدود
وحيث يُحشَدُ «أهل الرأي» في هُزُءٍ
مع اللصوص، وأَصناف المناكيد!
وحيث لا حُرْمَةٌ تُرعى لصاحبها
بل يألفُ «النَّاس» فيه عيشة «الدودِ»
أَشاده الظلم تأييدًا لدولتِهِ
والظُّلْم ــ بالظُّلمِ ــ قد يحظى، بتأييدِ!!
تَبًّا لَهُ، ولبانيهِ، ولا هطَلتْ
على ثراه غمام الخير والجود!

* * *

يا عيدُ لولا بقايا مهجةٍ ذَبُلَت

وذكريات ودادٍ غير مجحودِ
لقلت:
لا كنتَ من يوم
ولا رجعت بك الشهورُ
ولا بورِكْتَ من عيدِ

حجة: ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م

٥٨ ــ في ساعة عتاب

من عذيرِي للأمةِ «اليمنيَّهْ»
وهُم في الوجود أَشقى البريَّهْ
خلقوا للأغلال، والسوط، والجلاد
لا للدستورِ، والحريَّهْ!
يتبارون في «مجاملة» الظلمِ
وتقديس الجهل. والهمجيَّهْ!
ويُوالون من يسومهم خَسْفًا
ويَقْضي على النفوس الأَبيهْ
قد عرضنا «صحوًا» عليهم؛ فقالوا:
قد أَلِفْنا الغيبوبةَ الأَبديَّهْ
كلَّما جئناهم بعلم وفنٍّ
أقبلوا «بالزَّوامل» القبليَّهْ
وإذا رتَّلنا عليهم بيانًا
أعرضوا، يُنشِدون «يا دَوْدَحِيَّهْ»!
وإذا قدَّمنا «علاجًا» «لمسلولٍ»
أَبَوْهُ واسْتبدَلوهُ «بكَيَّهْ»!
وإذا لوَّحْنا لهمْ بكتابٍ
لوَّحوا بالعَسِيبِ، و «البُنْدقيهْ»!
شُوِّهت في عقولهم صورُ الإسلام

فهي «الخضوع» و «الطائفيَّهْ»!
وهي «تفريق» النّاس «مذهبُ» هذا
«شافعيٌّ»، وذا من «الزيديَّهْ»!
هُمْ
على حالهمْ
ضلالاً، وغيًّا
واختلافًا
كأمَّةٍ.. وثنيَّهْ!

سجن نافع: ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م

٥٩ ــ بَسمة أَسير..!

ما تبسمت غبطةً أو نزوعًا إلى ابتسامْ
أو مروقًا عن الأسى وعلى رأسي الحِمامْ
إنها برق مزنةٍ لاح في حندس الظلامْ
الرَّزايا تحوطه من وراءٍ ومن أمامْ
إنها تاج سيِّدٍ صرعتْه يدُ اللئامْ
لامعًا فوقه وَقدْ مزَّقتْ قلبه السهامْ
زهرة فوق جثة حملوها إلى الرُّغامْ
نبتَتْ في فؤادها وتغذَّت من العظامْ
ورمادٌ لجذوة في الحنايا لها ضرامْ
من خطوبٍ تأججتْ في سهول وفي إكامْ
المبادي وقودها وقرابينها الكرامْ

* * *

كيف أسلو وما ظفر ت بشأوٍ ولا مرامْ؟
والأماني دفنتها وهي لم تبلغ الفطامْ
أين صَحْبي وإخوتي ذروة المجد والسنامْ؟
أي..؟ لا أين بعدما كان ما كان في الظلامْ؟
ومضوا؛ بين باسل لم يرُعْهُ شبا الحسامْ
عانقَ الموت باسمًا واحتسى كأسه الزُّؤامْ

وطـعـيـنٍ بـخـنـجـرٍ وصـريـع مـن الـسُّـقـامْ
طـاب ورد الـرَّدى إذا سـاد أحـرارهـا الـطغـامْ

* * *

وأخ لـي مـشـرَّد مـلٌّ في أرضـه المقـامْ[1]
بـلبـل طـاردتـه عـن عـشِّـه الـبـوم والـهـوامْ

* * *

بـسـمـة قـد نـزَفـتـهـا وهـي تـبكـي مـن الـهـيـامْ
سـتَـرَتْ مـا وراءهـا مـن دمـوع ومـن أوامْ
بـسمـة الـمـوثق الـغـريب جـفـا طـرفـه الـمـنـامْ
لـم يـزل فـي حـيـاتـه مـن فـراقٍ.. إلى خِـصـامْ
مـن كـفـاح، إلـى أَسـى وحـطامٍ إلـى حـطامْ

سجن نافع: ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م

(١) المقصود هو الشاعر عبد الوهاب بن محمد الشامي شقيق صاحب الديوان.

٦٠ ــ شُــهــداء

[من قصيدة طويلة في شهـداء سنة ١٣٦٧هـ (ثـورة سنة ١٩٤٨م)، قالها الشـاعر في «سجن نـافع»، وقـد ضاعت ولم يبق منهـا غير هـذه الأبيات]:

إلى روضة الغفران، في جنةِ الخلدِ
مضى وفدهم، بين التهاليلِ والحمدِ
بهاليل تُسْتَسْقَى السَّما بوجوهِهِم
لهم قصبات السبق في الفضل والمجد
يُسَاقون نحو الموتِ تدمى ظهورهم
وأعناقهم من وطأة الغلِّ والجلْدِ
يودّونه. إذ هم به قد تحرَّروا
من الخوف، والسجّان، والسجن، والقيدِ
تولّوا وأبقوا للأحبَّةِ بعدهُمْ
بلاءً من الذكرى الأليمةِ والسُّهدِ
يقضّون ساعات الحياة رهيبةً
قد اهترأتْ كاللحم في ضرم الوقدِ
يجرّونهم كالشاء للذَّبح جهرةً
وصوت «نفير» الرُّعْب يُنْذِر بالفقْدِ

* * *

بنفسي «زيدٌ»[1] حين لم يتركوا لَهُ
ــ وقد ساءلوه ــ فرصة الأَخذ والردِّ
يزمجرُ كاللَّيث الهصور مدافعًا
عن «الشرع»؛ والجلادُ كالصخرة الصلدِ!
يقول لهم؛ لا تظلموا «الشرع» إنَّهُ
ملاذٌ لكم من كل ذي نزوةٍ وغدِ
إذا ما قتلتم نفس حرٍّ سفاهَةً
بدون قضاءٍ من «ذوي الحل والعقد»
ستنهضُ يومًا غضبةٌ لا يردُّها
بكاءٌ، ولا يغني دفاع ولا يجدي
سيندم «سفاحٌ»؛ ويبكي «خليفةٌ»
وتُقطع أَسباب الموالاةِ والودِّ
وقد حاوروه بالسيوف تنوشُه
إلى أن قضى ثبت الوفا؛ صادق العهدِ
ولهفي «لعبد الله»[2] يُقْطَعُ رأسهُ
على مشهدٍ من أهلِه بيدِ «العبد»!
يرتل آيات الكتاب كأَنَّهُ
هصورٌ، ولكن في السلاسلِ والقِدِّ
وقد كان «عبد الله» «ركن» مروَّة
و «كعبة» إيمانٍ وموئل مستجدي
رأى الظلم والطغيان قد جاوز المدى

---

(١) السيد زيد بن علي الموشكي.
(٢) الإمام عبد الله بن أحمد الوزير.

فثارَ، «استنادًا» للشَّريعةِ و «الحد»[1]
ونحن أُناسٌ لا ندين لظالمٍ
ولكنَّنا «نَعْدُو» عليه و «نَسْتَعْدي»!
وكم مسلمٍ قد عذَّبوه وقاحَةً
وكم سلَّطوا من ذي غباءٍ ومن وغدِ
تعدُّوا حُدود الشرع، والخُلْقِ، والحيا
وجاءوا بما لم يأته قبلُ من «فرد»
وعاثوا غرورًا بالبلاد وأهلها
كأَنهُم قد «مُلِّكوا» جنَّة «الخُلْدِ»
سيعلَمُ من قد يَسْتَنِيمُ لشرهِمْ
بأنهُم والشعب ــ يومًا ــ على وَعْدٍ!

* * *

ومنها:
عصابة شرٍّ دُربتْ لاقترافِهِ
وأُرْضعت الطغيان في زمن المهدِ!
إذا استبقَتْ يومًا لدَعوةِ منكرٍ
تيمَّمَتِ الشَّر الصراحَ على عمدِ
تهبُّ إلى الآثام حين تسوقها
إليه دواعي البغض والنهب والحقدِ
شريعة «طه» عند مالك أمرها
وسيلة كسبٍ، واحتيالٌ إلى مجد
ونحن بوادي الموت ترقص حولنا

(١) حدُّ الحاكم الظالم عند «الزيدية» ــ إذا لم يتب، أو ينعزل ــ القتل.

سيوف المنايا، والمكاره، والجندِ
نموت جميعًا حين يُدعى لذبحِهِ
ونحن أُسارى حولَه ــ أيُّما فردِ
وليس لَنا إلاَّ ارتعاد فرائصٍ
وإلاَّ ابتهالٌ، أو مراقبة الوَأدِ
نحاذرُ ضوء الفجر كلَّ عشيةٍ
ونخشى ظلامَ اللَّيل. . في وضح الرَّأدِ

سجن نافع: ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م

٦١ ــ خَمسة وعشرون عامًا

مرت حياتي ولمَّا يُقضَ لي وطرٌ ... وليس لي غير نيل المجد من وطرِ
«خمسٌ وعشرون عامًا» ما ظفرتُ بها ... من الحياة بغير الهمِّ والكدَرِ
إمَّا غريبًا أقاسي كلَّ نائبةٍ ... أو موثقًا بين سمع الموت والبصرِ

* * *

لولا بقية آمال تهدهدها ... في قلبي المتعنّي رحمةُ القدرِ
فارقت دنيا الورى بالهمِّ منتحرًا ... إمَّا إلى جنَّة الفردوس أو سقرِ

حجة، سجن نافع: ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م

٦٢ ــ نَفْثة سجين

نفسٌ يردِّده السجينْ ... من قلبه المضنى الحزينْ
في غمرة الظلمات يلـ ... ـفِظ لوعة الألم الدَّفينْ
ويُشيِّعُ الماضي الكئيـ ... ـب بذائب الدمع السَّخينْ
ويراه كالشَّبح المحطـ ... ـم بين أوحال السنينْ
تنتاشه كالدُّود آثام ... الطغاة المجرمينْ

* * *

تلك «السعيدة» مجدها ... بالأمس وضاح الجبينْ
والملك في سَبَأٍ و «حمـ ... ـير» والأشاوس من معينْ
ومطامح الأذواء تنـ ... ـتظم العوالم أجمعينْ
كانت حضارتهم حضا ... رة قادرين موفقينْ
والنَّاس في ظلِّ السَّعا ... دةِ والكرامة يمرحونْ
لا يشتكون قساوة الـ ... أمرا، ولا يتظلمونْ
والعدل إن عَمَّ الملا ... زهت السهولة والحزونْ
ومشى جلال المجد في ... ظل الحضارة والفنونْ

* * *

واليوم لا تلقى بها ... إلَّا دموع البائسينْ
ومشانق المتجبرين ... وذلة المتضرِّعينْ
دِيسَ العرين وشُدَّ بالـ ... أغلال آساد العرينْ

والأفقُ يفهقُ بالأسى ... والأرض تزخر بالسجونْ
والعدل يبكي ثاكلاً ... ويؤبِّن الحق المبينْ
ومدامع الأيتام تسْـ ... ـتَذري المشاعر والعيونْ

* * *

يا أيها المحزون مَا ... ذا إن تَمُتْ كمدًا يكونْ
كفكف دموعك لا تبَلْ ... بمصائب الدهر الخؤونْ
تلك الحياة نعيمها ... وهمٌ وشقوتها ظنونْ
مذ كانت الدنيا؛ وأهـ ... ـل الشر فيها يعبثونْ
اليأس يعتنق المنى ... والجدّ يُغْرِقُه المجونْ
والنور والظلمات والـ ... ـعقل المفكر، والجنونْ

* * *

من لم يعش حر الضمي ... ـر يعش بِخستِهِ مهينْ
من لم يمتْ بالحق حرًا ... مات عبدًا مستكينْ
من باع أمته يبعْ ... بالبخْس جوهره الثمينْ
يحيا حقيرًا سافلاً ... ويموت مقبوحًا لعينْ
ومن استبدَّ بأمره ... وعتا عتوَّ المفسدينْ
وأهان كل فضيلة ... وأباح حرمة كل دينْ
فأنذرْهُ بالشرِّ العظي ... ـم وتلك عُقبى الظالمينْ
واتركْه للتاريخ فالتاريخ خير الحاكمين

حجة، سجن نافع: ١٣٦٨هـ / ١٩٤٩م

٦٣ ــ نحن... والعنصريّون!

[من قصيدة طويلة قيلت في معتقل «نافع» بعد فشل ثورة «الدستور» واعتقال واستشهاد علمائها وأحرارها وكان معظمهم من السادة و «الزيود»، وكانت نعرات «القحطانية» والتعصب العنصري قد بدأ ينفث سمومها بعض السجناء، وذلك سنة ١٩٤٩م/١٣٦٨هـ، وقد ضاعت ولم يبق منها غير هذه الأبيات]:

خلّوا التغابن والتحامل والمِرى؛ ... إن المبادىء لا تُباعُ وتُشترى؛
نحن الأُولى أسماؤهم خَلَدَتْ بلا ... تاجٍ، ولا قصرٍ، ولا قَبْرٍ يُرى،
أشلاؤهم نهب الطيور، ونِعْم ما ... تُغْذَى الذئاب به، وآساد الشَّرى،
وسلِ «الوصيُّ» ونجلَه وحفيده ... واسأل أخاه بيوم «مؤْتةَ» «جعفرا»،

* * *

نحن الأولى للَّهِ نثأر إن عتا ... عاتٍ، ونزجر من طغى، وتجبَّرا،
و «الأمر بالمعروف» مبدؤنا الذي ... لا نستطيع به نُعايش منكرًا؛
و «العدل والتوحيد» رايتنا التي ... «عمّار» كفَّنا بها و «الأشترا»؛

* * *

نرضى بما يجري إذا لم نستطعْ ... دفعًا، ولا نأسى لشيءٍ قد جرى
ونُصابِر الأقدار لا نشكو لها ... شرّاً؛ ونشكر كلَّ خيرٍ قُدِّرا
ولنا الوفاء شريعةٌ إن لم يكن ... طبعًا قد اصطنع الإلٰه وصوَّرا.
ونُعِينُ من عثرتْ به أخطاؤه ... إن جاء ينتهج السبيلَ الأنورا
ونصون ما صان الكتابُ، ونقتفي ... سنن الرسول «محمدٍ» خير الورى

وإذا دُعينا لِلْكَريهةِ لم نكنْ ... ممَّن تقاعسَ أو وَهَى وتقَهْقَرَا
وإذا ابتُلينا بالكوارث لم تزغْ ... منا القلوبُ تثبّتًا وتصبّرا.
وإذا انتَخَيْنا: هَلْ يُسَاجِلُ مُدَّعٍ ... للفضل«يحيى بن الحسين»و«حيدرا»؟؟
والمتَّقين؛ ولا نَعَزّ بجاهلٍ ... منا؛ ومن ظلم الورى وتجبَّرا..
أَوْلَى الورى بمحمدٍ من سار سيرته، وعاش بها صدوقًا خيِّرا
وأحبُّ في الله الأنام تسامحًا ... وتحنُّنًا، وبما يدين مبشرا
لا من يفاخر بالمقابر: «تبَّع» ... أو «هاشم» أو من يقدس «حِمْيرا»!
أو من تراه إذا ذكرنا «أحمدًا» ... نسيَ الإلَهَ وصار يحمَدُ «يُعفِرا»!

سجن نافع: ١٣٦٨هـ / ١٩٤٩م

٦٤ ــ ضَراعة سَجين

[كان الشاعر ضمن من سيقوا سنة ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م، إلى سجن نافع بحجة، وفي شعبان سنة ١٣٦٨هـ أرسل هذه القصيدة إلى الإمام أحمد مستعطفًا]:

كيف السلوُّ وأنتَ عانٍ موثقُ ... وحشاك ملتهب، وقلبك محرقُ
في مستقرِّ الهمِّ نفسك قد ثوتْ ... وبأسهم الآلام جسمك يُرشقُ
وكلا كل الأحزان قد جثمت على ... فكرٍ تدفُّ به، وطرف يرمقُ
ونوازل الأيام أوهَتْ مقولاً ... لكَ، فاغتدى متلجلجًا لا ينطقُ
لم يبق منك الدهرُ إلاَّ زفرةً ... أو حسرةً، أو دمعة تترقرقُ
ورجاء مبتهل يؤمل فرجةً ... ممن إليه في الشدائد نفرقُ
الكاشف الظلمات وهي كثيفة ... والخائض الغمرات إذ تتدفَّقُ
والمنقذ الهلكى إذا ما أبلسوا ... وتمزَّقت آمالهم وتمزَّقوا
والهازم الأبطال في ساح الوغى ... والموت يخطر والمصائب تحدق
والمنصف المظلوم إن عبثت به ... يدُ ظالم أو نابه ما يرهقُ

* * *

يا «ناصر الدين الحنيف» ترفقًا ... فلقد أضرَّ بي البلاء المطبقُ
إني لأعتنق الخطوب؛ وفي فمي ... من اسمك المحبوب نور مشرقُ
أشدو به فتهون كل مصيبةٍ ... ويطأطىء الخطب الأصمِّ ويطرقُ
وتكاد تنحطم القيود مهابةً ... وأكاد حرًّا من قيودي أطلقُ
علمًا بأنك ذلك الملك الذي ... يوسي جراح المدنفين ويشفقُ

وبأن قلبك للحنان شريعة ... للظامئين، وكوثر لا يرنقُ
وبأنك الملك الذي حسناته ... كالنور خالدة السنا تتألقُ
جاوزت في العلياء حدًّا عنده ... تقف القرائح خشعًا لا تنطقُ
تفنى البلاغة في لسان عميدها ... وتطيح مقدرة البيان وتصعقُ
ولأنت معنًى في النفوس مقدس ... تهفو الأماني حوله وتحلقُ
ولأنت في حرم القلوب حقيقة ... كالشمس تسطع في الشعور وتونقُ
ولأنت في الأفكار معنى قائم ... مستحكم، متجدد، لا يَخْلَقُ
تستشعر الأرواح هيبته كما ... يستشعر المعنى البليغ المفلقُ
وكأنما هو في القلوب إرادة ... جبّارة وعزيمة لا تُمْحقُ

* * *

مولاي: ما لي في البيان وسيلة ... إلاّ منى قلبٍ بحبك يخفقُ
وشعور مسجونٍ توزّعه الأسى ... فشعوره بيد الأسى متفرّقُ
وحنين محزون وهت كلماته ... فيكاد يشهق بالكلام ويصعقُ
ودموع مَفْؤود تقرح جفنه ... فيكاد يُخنَقُ بالدموع ويَشْرقُ
وهموم موْءُود بقية روحه ... في حلقِه نفس يذوبُ ويخفقُ
ورجاء مكدود تكاد لحاله ... صمُّ الحجارة رحمةً تتشقّقُ
من سجن «نافع» يستغيث «بأحمد» الـ ... ـمنصور من غاياته لا تسبقُ

* * *

مولاي: ما لي من شفيع يرتجى ... إلاّ ابنك الفذُّ الغيور المشفقُ
ركن البلاد. وملتقى آمالها ... ومنى النفوس و (بدرها) المتألق
فبه ألوذ ولا أريغ بغيره ... أملاً، ونجلك بالشفاعة أليقُ

* * *

مولاي: تلك ضراعة مقروحة ... أفضي إليك بها الفؤاد المرهقُ

في كل حرفٍ دمعة مهراقةٌ ... وبكل سطرٍ زفرة تتحرقُ

أودعتها شكواي لا أرجو بها ... إلاَّ رضاك.. وليتني أتوفقُ

ولئن قضيت ولم أنل ما أبتغي ... فسيطمئنُّ المجرمُ المتملِّقُ

(ماذا يضرك لو مننت وربما ... منَّ الفتى وهو المغيظ المحنق)

ولأنت قلب للعروبة نابضٌ ... بل أنت تاج للخلافة يونقُ

لك في القلوب محبة ومهابةٌ ... بهما تفوز إذا تضايقَ مخنقُ

وكأن حبك في النفوس عقيدةٌ ... وكأنَّما هو في الضمائر موثقُ

فاسلم، ودم، واصفح، وسدْ متفضِّلاً ... والدهر عبدٌ، والإلٰه موفقُ

حجة، سجن نافع: ١٣٦٨هـ / ١٩٤٩م

٦٥ ـ رُباعيَّات [١]

يـا عـابـد المـال لقـد أقصَـرتْ نفسـك عن شـأو الأبـيِّ الهـمـامْ
الـمـال لا يـبـقـى، ولـذاتـه تـفْـنَـى، ويـبـقى وزره والآثـامْ

* * *

مـن غـرَّه الـدَّهـر ولـم يـعـتـبـر بمـا جـرى في الكـون منـذ القِـدَمْ
ضـاعَـتْ لـيـالـيـه وأيَّـامـهُ سـدى، ولم يُـحْظَ بغيـر النـدمْ

* * *

كـنـت طـلـيـق الـجـسـم لـكـنَّـنـي كـنـت سـجـيـنًـا فـي خـطـيـئـاتـي
والـيـوم في السِّجـن عـلى أنـنـي بـالـرُّوح فـي أفـق الـسـمـاواتِ

* * *

ومـن يتـهْ فـي ظلمـات الـخيـال في الشعر، والحب، وشرب المدامْ
يُفِقْ مـع الصبـح بـوادي الـزوال فـريسـة البؤس ومثـوى السقـامْ

* * *

أغـرمـتُ بـالآداب والـفـلسـفَـهْ مفتشًـا عن خيـر مـا في الـحيـاهْ
فـلم أجـد لـلخيـر إلَّا الـصـفَـهْ يصـوغهـا العقـل وتهـذي الشفـاهْ

* * *

الـمثـلُ الـعُـلْيـا الـتي حـولَـهَـا حـام رجـال الـديـن والفـلسـفَـهْ
مـحـبَّـةُ الـحـقِّ، ونـبـذ الـهـوى والعـدل، والـرحمـة، والمعـرفَـهْ

* * *

إن شئتَ أن تحيا سعيدًا فلا تطلق لسلطان هواك الزمامْ
وراقب الله ودع كلَّ ما يفضي إلى مقتك بين الأنامْ

* * *

من طوى كشحَه عن الشهواتِ ولوى رأسه عن المنكراتِ
عاش في جنة الضمير سعيدًا ساخرًا بالخطوب والأزماتِ

* * *

جاهد النفس فهي أعدى عدو يتحدَّاك بكرة وعشيًّا
لا تعنْها بالشك، والهم، والأط ـماع، وانهج بها الصراط السويًّا

* * *

الإمام الذي يقود إلى الخـ ـير ويهدي إلى الصراطِ القويمْ
هو عقل مجرب يستمد النـ ـور من فطرة الشعور الكريمْ

* * *

أنا بين القيود راض سعيد ليقيني بعدل رب السماءِ
رحمة الله قد أفاضت على قلـ ـبي نورًا محا ظلام الشقاءِ

حجة: ١٣٦٨هـ / ١٩٤٩م

٦٦ ــ إمـامُ الطـغـام

كم مرَّ عامٌ، وجاء عامُ
ونحن في أَرضنا نُضامُ
«شريعة» الظلم في حمانا
«قُضاتها» السادةُ الكرامُ
العلم في عرفهم ضلال
والنورُ في دينهم ظلامُ:
«إمامنا» كان «مصطفانا»
واليوم.. يختاره «الطغامُ»!

حجة، سجن نافع: ٢٩ صفر ١٣٦٩هـ
٩ ديسمبر ١٩٤٩م

٦٧ ــ تَحت صُورة

أثرت يا صورة المحبوب أشجاني ... وهِجْتِ كامِنَ آلامي وأحزاني
رآك طرفي فهب القلب مضطربًا ... وكاد يقفز من أحداق أجفاني
ولو تمكَّن قلبي من مفارقتي ... لذابَ فيكِ وخلاني وجثماني
تمثَّلت فيك آمالي وعاطفتي ... ومهجتي، وصباباتي، ووجداني
كأنَّما أنتِ حدّ عنده وقفَتْ ... لذّات قلبي المعنَّىٰ المغرم العاني
لما رأيتك لم أسْطِع مُصَابرةً ... للوجد، بل طفحت نفسي بأشجاني
وأسبل الطرف دمعًا كالرصاص على ... خدّي، كأنَّ جفوني جوف بركانِ
وتهتُ في عالم ضَلَّت مسالِكُهُ ... كأنني خاطرٌ في رأس نشوانِ
هناك دلَّهني شوقي؛ فلا خلدي ... باقٍ ولا أنا موجود ولا فاني

حجة، سجن نافع: ١٣٦٩هـ / ١٩٤٩م

٦٨ ــ رُباعيات [٢]

[نظم الشاعر وهو نزيل سجن حجَّة ما بين سنتي ١٣٦٧هـ و ١٣٧١هـ/١٩٤٨ ــ ١٩٥٢م مئات «الرباعيات»؛ لكن معظمها ضاع ولم يبقَ غير ما سبق نشره في ديوانه «النفس الأول» وما لا يزال بين «الموؤدات»، ومنها]:

أنا لا أشتكي قساوة دهرٍ قد رماني بكل رزءٍ شديدِ
إنَّ ما ليس منه بدٌّ سيأتي رغم خوفي، وعدتي، وعديدي.

* * *

لا تلمني إذا انعزلتُ عن الناس؛ فإني أدرى بطرق نجاتي
في حنايا نفسي وجدتُ الذي أنشده في الوجود والكائنات.

* * *

لو رأيتَ الذي أراهُ لدارت بك دنياك واعترتك الشكوكُ
قد تساوى الجميع عنديَ فالناس سواء؛ أوباشُهم والملوكُ؟

* * *

يا أيُّها الباكي إلام البُكى أقصر؛ فما في الخلق من راحمِ
كم قبل شكواك بئيسٌ شكا فَصُمَّ عنه مسمعُ العالمِ؟

٦٩ ــ لـولا المـروَّة...

لـولا المروَّة قلت قـد مـات الهـدى ... لــم يــبــق إلَّا الإفــك والآثــامُ
هي فترةٌ.. قد صيح في حجراتهـا ... نهبًــا؛ وكـان شعــارهــا الإســلامُ
لمــا قضى من أخلصـوا لشعــارهـا ... صـعــد الـمـنــابــرَ وارثٌ وغــلامُ
فـإذا الشريعـة لا صـراط لحكمهـا؛ ... وابـن الــطريــد خـليــفــةٌ وإمــامُ

قاهرة حجَّة: ١٣٧١هـ / ١٩٥٢م

٧٠ ـ تَحيَّة سَجين

[عند قدوم الأخ إبراهيم بن علي الوزير إلى قاهرة حجة، سجينًا]:

أأشكر الدهرَ رغم الهَم والألم ... وهل أبَشُّ بقلبٍ غير مبتسمِ
وهل يليقُ بمثلي أن أسرَّ بما ... قد كنتُ أحسبه ضربًا من الألمِ
وما جزاء وصالٍ حُفَّ موردُه ... بالشوك إلَّا بكاءٌ غير منفصمِ
لكنه الدهر قد جَمَّتْ غرائبه ... حتى قنعنا من الموجود بالعدمِ

* * *

لَمَّا طلَعْتَ علينا أشرقَتْ مهجٌ ... كانَتْ تَخبَّطُ في بيد من الظُّلمِ
وعانقَتْ أملاً كم طاف مزدهرًا ... كالضوء أو كَعْروس الطيف في الحُلمِ
واذّكَّرَتْ عهدها الماضي فأيقظها ... إلى الحياة حياة المجد والكرَمِ
تجسَّمَتْ فيك آمالٌ تهيم بها ... قلوبنا، يا ابن خير الناس كلِّهمِ
فرفْرفَتْ حولكَ الأرواحُ وانتعَشَتْ ... بك الأماني ودبَّ البرء في السَّقمِ

* * *

يا كعبة المجد أنَّى للقريض بأن ... يفضي بودّي وودّي غير منكتمِ
وليس ذاك لما أرجوه من نَشَبٍ ... كلا؛ ولكن لما أرعاه من ذِمَمِ
إنَّ الوفاء لعَهْدٌ لا يُضَيِّعُهُ ... إلَّا لئيمٌ؛ وليس اللؤمُ من شِيَمِي

سجن قاهرة حجة: ١٣٧٠هـ / ١٩٥١م

٧١ ــ عَـروس تُـزَفُّ إلـى قـبـرهـا

[عزّى بها السيد إبراهيم بن علي الوزير في أخته التي ماتت بالحديدة سنة ١٩٥١م وهي في ميعة الصبا، وكان زميلاً للشاعر في «حجة» وأخًا عظيمًا وصديقًا حميمًا]:

هــو المــوتُ تــريــاق داءِ الحيــاةِ ... وبـلْسـمُ آلامـهـا الـمـوجـعـاتِ
وراحـةُ مـن لـم يـجـد راحـةً ... بـدنيـا المـآثـم والـمـوبـقـاتِ
ومـأوى شـريـدٍ تـهـاوت بـه ... أكـفُّ المـآسـي ببيـدِ الشتـاتِ
هــو الـمــوتُ كـأسٌ أُذِيبَـتْ بِـهِ ... شكـاوى قلوب المنى الضَّائعـاتِ
إذا ظـمـىء الـرُّوح لـم يـشـفِـهِ ... سـوى راح لـذَّاتهـا الخـالـداتِ
هــو الموت غـايـة كـل امـرىء ... وإن غشَّـهُ الـدهـر بـالمغـريـاتِ
وغـالـطَهُ ظـنـه واقـتـفـى ... بـه إثـر أوهـامـه الـكـاذِبـاتِ
ومـا الـمـرء إلَّا خيـال الـفَـنـا ... تـجـسَّـمَ مـوعـظةً لـلحـيـاةِ
يـعـيش بـآمـالـه ذرَّةً ... ويُـطْوَى بـهـا رِمَّـةً فـي فـلاةِ
ويـنـفـدُ أيـامَـهُ غـافـلاً ... عن السـرِّ مستغرقًـا في السُّبـاتِ

* * *

عـزاءً فَتى الصبـر؛ مـا لـلأسـى ... سـبـيـلٌ إلـى خـافـق ذي ثـبـاتِ
عـزاءً؛ وإن كـانَ مـا قـد جـرى ... من الـدَّهـر يَفـري ذُرَا الشـامخـاتِ
لـقـد خـطَفَ المـوتُ يـاقـوتَـةً ... زَهتْ كنجـوم السَّمـا السَّـاطعـاتِ
غـذتهـا السَّمـاءُ بقـدس السَّنـا ... فـعـاشَـت مـطهَّـرةً كـالـصَّـلاةِ
وطـافـتْ على الأرض مـثـل الشـ ... ـعّـاع أو كـطيـور المنى الحـائمـاتِ

ورَفَّتْ بآفاقِها كالشَّذى ... على زهرات الهوى الزاكياتِ
ومرَّتْ مرور النَّسيم العليـ ... ـل يشفي أسى المهج الثَّاكلاتِ
فَما كانَ أقسى فؤاد السَّقامِ ... لم تصْغِ قسوتُهُ للشَّكاتِ
ولم يرحم الدَّمع يجري دمًا ... مشوبًا بأدمعها الذّائباتِ
ولا نفسًا خافتًا مثقلاً ... بأوهاق أنَّاتها الموثقاتِ
ولا مهجًا وقفَتْ حولها ... تُصَلِّي وتدعو عظيم الهِباتِ
ولكن دهاها ـ وتبًّا لَه ـ ... بكُلِّ بلاءٍ على الجسم عاتي
فظَلَّتْ، وظلَّ بها عالقًا ... يجرِّعها غُصص الموجعاتِ
إلى أن شفى الله أدواءها ... وأذهب آلامها بالممات
فَزُفَّتْ عروسًا إلى قبرها ... ومنه إلى غُرَفِ القانتاتِ

* * *

ولَلموتُ أجمل من عيشة ... تنوء بأعبائها المرهقاتِ
وما المرء فيه سريع الفنا ... وما قد مضى من زمانٍ كآتي
فَقِفْ ثابتًا رغم أنف التَّوى ... بعزم الأسود وصَبْرِ الأُباةِ
ولا تأسَ للخطب مهما قسا ... ولا تَبْكِ للنُّوبِ القاسياتِ
وهل ينفَعُ الحزن في ردِّ ما ... طواه الفنا في دياجي الفواتِ
وكن مثلاً كاملاً للتَّقى ... وللصبر، والمجد والمكرماتِ

* * *

فيا ربِّ آس بروح الرِّضا ... قلوبًا مقرَّحة داميات
تذوب حشاشاتها بالأسى ... ولا من دَواءٍ؛ ولا من أُساةِ
ويا رحمة الله جودي على ... ضريحٍ غريب شهيد الرُّفاتِ
يَضمُّ دُجى ليله دُرَّةً ... سناها يفوق سنا النيراتِ

قاهرة حجة: ١٣٧٠هـ / ١٩٥١م

٧٢ ــ دُموع الصَّداقة

[في ذكرى الشهيد زيد الموشكي الثالثة]:

ما بالُه لمَّا يفقْ من كَرْبِهِ ... وإلامَ يبقى غارقًا في نَحْبِهِ؟
قَد مَرَّ عامٌ، ثم صُرمَ بَعْدَه ... عامانِ، وهو مقيَّدٌ في خطبهِ
لم تخمدِ الأيامُ جذوة حزنهِ ... كلا، وما إن كفكفَتْ من غربهِ
أبدًا يقلِّبُ كفهُ، ودموعه ... تهمي، ومهجتُه تذوب بجنبهِ
يا بؤس قلبٍ في ضلوعي لم يزلْ ... ندمان يُفْجع في أعزَّةِ صحبِهِ

* * *

أسفي على من كان لي فيه الغِنى ... عن كل ما يُرجى، وما يُعْنى بهِ
سأظلُّ أبكي ذلك الملكَ الذي ... في السِّجْنِ خلَّفني ولاذَ بربِّهِ
يا «زَيْد» ما صاحبتُ بعدك صاحبًا ... إلاَّ وضقتُ ببعدِه وبقُربهِ
حينًا يجرِّعني السموم بعذلِه ... القاسي، وآونةً أغصُّ بعتبِهِ
وإذا رأيتَ من الصَّديق زرايةً ... فاعلم بأنك مزدرًى في قلبِهِ
فاجمع ذيولكَ وانصرفْ مُتسللاً ... واندُبْ إذا ما شِئْتَ سالِفَ حبهِ
إنَّ الصداقَةَ نعمةٌ قدسيةٌ ... وسعادةٌ، ما إن لها مِن مُشْبِهِ
يُطْفي بها المحزونُ لوعةَ حزنِه ... ويُلطِّفُ المكروبُ ثورةَ كربهِ
فإذا دعاك إلى الكريهةِ صاحبٌ ... يرجوك عونًا فاستعدّ ولبِّهِ

* * *

إن أنْسَ لا أنسى وقوفَكَ والدجى ... أعمى، قد انطفأتْ مشاعِل شهبهِ

حيران تَسْتَقْري السبيل؛ محاذرًا ... ما انبث من كيدِ العدو ورعبهِ
حتى إذا التَبَستْ معالمها ولمْ ... يجْدِ الدليل، ولا فطانة ركبهِ
نامت جفونك تحت لحظي آمنًا ... ووثقْتَ بالحامي الأمين وذبِّهِ
عَصَفَ الزَّمان بنا فلم نذعنْ له، ... كلا ولم نخضَعْ لصولةِ خطبِهِ
نقتات بالآمالِ في بيد الشَّقا ... ونَعلُّ من وهم الخيال، وريبهِ
والحُرُّ تَصْهَرُهُ الخطوبُ فينْثني ... كالتبرِ، صفِّيَ من حثالَةِ تُرْبهِ

* * *

أو أنسَ؛ لا أنسى وقوفك ذاهِلاً ... كالطفل قد طارت فراشَةُ لبِّهِ
وأنا طريحٌ في الفِراشِ كهَيكَل ... بال يَغَصُّ بأكلِهِ وبشربهِ
نكِرَتْهُ زمرَةُ صحبِهِ، وتفرَّقَتْ ... عنه وغال اليأسُ حِكمة طِبِّهِ
لم يَبْقَ لي إلَّا حنانك؛ أستقي ... منه الحياةَ، وأشتفي من عذبهِ
أواه كم يبكي، وكم يشكو النوى ... طير تخلَّفَ موثقًا عن سِربِهِ!
يرنُو إلى الأفق البعيد بمقلة ... شكراء تكشف ما اخْتَفى من حجْبِهِ
قد أثخنتْهُ جراحُه، فجناحه ... واه يضيق به الفضاء برُحْبِه

* * *

قالوا جريء قلتُ وصفَ غضنفَرٍ ... لا يغتذي إلَّا فريسَةَ كسْبِهِ
ذاق الحقيقةَ حلْوَها ومريرها ... وابتزَّ جد زمانِه من لعبهِ
لن يُنْقِصوا من قدره بجحودهم ... مهما غَلَوا في ثلبهِ أوسبِّهِ
نعم الصديق الألمعي مُبَرَّأً ... من وصمةِ الطبع اللئيم وعيبهِ
حلو الفكاهةِ بشره في وجهِهِ ... وجميل مشهدِهِ كحُرْمَة غُيبهِ
لبق خفيف الروح إن حدثتَهُ ... أصغى إليك بسمعه وبقلبهِ
ليس الخيانة من وسائل عيشه ... كلا، ولا ثَلُب الورى من دأبهِ
وإذا تَصَبَّتْه الحياة بجاهها ... وبمالها وجمالها، لم تُصبهِ

ثَبْت العـزيمـةِ رأيـه كـفـرنـدِهِ ... مـاضٍ ومقـولُـهُ البليـغ كعضْبِـهِ
يستَقْبِـلُ الـخـطبَ الأصمَّ بـهمَّـة ... جبـارةٍ لا تـستـكيـن لِـصَـعْبِـهِ
ولـرُبَّ مـفـتـون إذا فـاخَـرْتَـهُ ... لـم يفـتخِـرْ إلَّا بـكـاذب عجْبـهِ
والـدهـرُ لا يَلْقى الغبِيَّ بسِلْمـه ... إلَّا لِـيَـبْـتـلي الـهُـمَـامَ بـحَـرْبِـهِ

* * *

ربَّـاه فـاحـفظْ لي بـقيَّـة خـافـق ... قـدْ ذابَ معـظمـهُ بلوعـةِ حبِّـهِ
فـي زمـرة أصْـفـى مـودَّتـه لـهـم ... هم في المجال الضَّنْكِ خيرة صحْبِه
وأخٍ وراء البحـر مـا اكْتَحَلَتْ بـه ... عـيـنـاي إلَّا مـن ثـنـايـا كـتْـبِـهِ
حُلُمٌ يـطوف بخـاطـري، وعُـلالـةٌ ... أبكي بهـا زمنًـا وثِـقْتُ بـكـذبِـهِ
مـا زال في بيْـد الحيـاة مُـشـرَّدًا ... هيمـان في شـرقِ الـوجـود وغـربـهِ
يـا ليْتَ شعـري أينَ يُلْقى رَحـلهُ؟ ... ومتى؟.. وكيفَ أذوقُ منهل قربـهِ؟
ومتى يـوافينـا الـزمـان ببشـره؟ ... ومتى يُـكفِّـر دهـرُنـا عـن ذنبـه؟

سجن حجة: ١٣٧٠هـ / ١٩٥١م

٧٣ ــ مسكين

مسكين ذاب هوى وذاب صبابة
في حُبِّ من لا يستجيب لصوته
الباكي ولا يحنو عليه، ولا يرقُّ
لذائب الدمع السَّخينْ.

* * *

في الحُبِّ ضيَّعَ عُمْرَه
يجري وراء فراشة الحُلمِ الغريرْ
ثم استفاق على فحيح اليأس
وهو بهوة البلوى سجينْ

* * *

مسكين؛ غرته الأماني.. فارتمى
في بحرها الطامي العميق
فهوى غريقًا في قرارته
يغصُّ بلوعة الألم الدفينْ

* * *

بالأمسِ حلَّق في سماء الحُبِّ
طيرًا، شاديًا، غردًا
يردِّد أقدس الألحان شعرًا

يغمر الأرواح بالسحر المبينْ

* * *

واليوم؛ ها هو في مهبِّ الريح
مضطرب الجناح؛ يطيح في
لجج العواصفِ موثق الأنغام
مجروح الأنينْ

* * *

مسكين، كان بحبه؛ مَلَكًا
يرفرف في جِنان البشر قدسيّ الضمير
يجثو على أعتاب آسره
حسير الطرف حانٍ للجبينْ

* * *

واليوم.. أصبح في صحارى الهَمِّ
يخبط خائبًا.. تاهت أمانيه
وشرَّد ذلك الأمل الحبيب
وبات مطرودًا مهينْ

* * *

مسكين؛ أين يَفِرُّ من آلامه؟
أيموتُ هَمًّا؟
آه لو يَسْطِيع أن ينسى الهوى
ويعيش حُرا
بالمحبَّة لا يدينْ

سجن قاهرة حجة: ٤ جمادى الآخرة ١٣٧٠هـ
١٢ مارس ١٩٥١م

٧٤ ــ نَــدَم..!

لا قد رجعتُ إلى الصواب
وتلك غضبة ثائرِ
نزقَتْ عواطفه فهاجت ثورةً
عمياء طائشة كبُرْكَان غضوبْ

* * *

يا ويحَهَا
لم ترع حرمةَ ذلك الحُبِّ الطهورْ
فطغَتْ، وآذتْ قدس حرمته
وعاثت بالمشاعر والقلوبْ

* * *

يا للجنون.. أأحمقٌ أنا..؟
كيف طارَ بي الخيال..؟
الجامح المجنون.. بل كيف استفزّ خواطري
وطغى بي الوهم الكذوبْ

* * *

يا للجهالةِ.. في مجالٍ مظلمِ
أرسلت أفكاري وهمتُ وراءها
أعدو.. ولا أدري المصير
وهل بما أهوى أأوب؟

* * *

رحماك
وارِ خطيئتي
بحنانك الفياض
واقبل توبتي
وارحم فؤادًا في الجحيم
يَعبُّ من ندم الذُّنوبْ

* * *

رحماك . . فاغفر زلةً
للحُبِّ، وارحم آبقًا
قد آب مرتعش الضمير
ندامةً يبكي
ومهجتُه بلوعتها تذوبْ

* * *

رحماك . . . يا من في دمي
يجري هواه
رحماك . . يا من في فمي
يهفو صداه
رحماك . . يا من حبه
خمرٌ ألـذُّ بروْحِها
وأعبُّ نشوتها البليغة
في الشروق وفي الغروبْ

حجة: ٩ جمادى الآخرة ١٣٧٠هـ
١٧ مارس ١٩٥١م

٧٥ ـ تَحِيَّة

[قِيلت في العدد الأول من مجلة «النَدوة الأدبية»، وكان يتناقلها في سجن حجة مخطوطة جهرةً من أدباء اليمن سنة ١٣٧٠هـ/١٩٥١م]:

عن جلال الدُّجى، ووحي النجومِ ... وجمال السما وروح النسيمِ
قمتُ أستلهم القصيد كأني ... راهبٌ يجتلي خيال النعيمِ
وكأن الظلام روح حزينٌ ... يشتكي قسوة العذاب الأليمِ
والدجى خافض الجناحين يصغي ... لنشيد الأسى، ولحن الهمومِ
وكأن النجوم آمال حُبٍّ ... تتشظَّى في قلب صبٍّ سقيمِ

* * *

هو صوتٌ أودعتُهُ شجو قلبٍ ... موجع الحسِّ مثخنٌ بالكلومِ
غمر الكون رهبةً وجلالاً ... واقشعرَّتْ منه عذارى النجومِ
شقَّ صدر الدجى وأوغل فيهِ ... وسرى في عروقه كالحميمِ
وتحرَّى هياكل الفنِّ يذري ... عندها دمع حُبِّه المحرومِ

* * *

هو صوتٌ بعثتُه من وراء الـ ... ـليل وسط الظلام تحت التخومِ
صعَّدته نفسٌ تجرَّعت الهمَّ ... كؤوسًا مشوبةً بالسمومِ
طاف في عالم السموات كالبر ... ق ودوَّى في أفقها كالهزيمِ
مفضيًا عن شعور كل حزينٍ ... ناطقًا عن ضمير كل كظيمِ

عن وجومِ الأسى، عن الليل، عن ثكل الوحيدات، عن دموع اليتيمِ
باركتها السماء والأرض من صفـ ـحة حقٍّ دعَتْ لنهجٍ قويمِ
صفحة للآداب شَعَّتْ كمصبا حٍ منيرٍ في جنح ليلٍ بهيمِ
نظمت قادة الهدى والمعالي ورجال المنشور والمنظومِ
يا حماة البيان في «اليمن الخضرا ء» أنتم هداية للحلومِ
فاندبوا الشعب للفضيلة حتى يرتقي قمة الفخار الصميمِ
واخلقوا للعلياء جيلاً جديدًا «بابليّ القوى» شديد الشكيمِ
لا يبالي أخاض بحر دماءٍ للمعالي، أم جاز روض نعيمِ
ثم شيدوا على القديم جديدًا من فنونٍ، وحكمةٍ، وعلومِ
ليس سحر الجديد يُنسي الألبا ء ـ وهيهات ـ عن جلال القديمِ
ذكريات الماضي ألذُّ على النفـ ـس وأشهى من أغنيات النديمِ

* * *

يا حماة النهي سلام محب مخلص ما وداده بسقيمِ
حبكم في ضميره عهد إيمان وبر ومبدأ مستقيمِ
أنا لا أستطيع وصفًا لآمالي ولو كنت «مالك بن حريم»
حسب مثلي إشارة، وقليل الـ ـقول مغنٍ لكل ندب حليمِ

* * *

قد وهبتُ الخطار قلبي وأسـ ـلمت قيادي لكل أمر جسيمِ
العلا والقريض والحب والإخـ ـلاص للحق في الحياة همومي
لم أُفِد من تجارب الدهر إلَّا أن يأس الإنسان أدهى الخصومِ
وبأن الثبات أوفى صديق وبأن الإيمان خير حميمِ
والأسى بئس طابع يطبع النفـ ـس على المقتِ والشعور الذَّميمِ
وابتسام الإيمان في ساعة المو ت وسامٌ يجزاه كل عظيمِ

وإذا استحكمت عرا الخطب فاصبرْ ... وادرع باليقين والتسليمِ
وحياة الفتى سجلٌّ وما يأ ... تيه يبقى ليومه المعلومِ
إن ذرّات جسمه لشهودٌ ... سوف تفضي بسره المكتومِ
يوم لا يرتجي السلامة إلاّ ... من أتى ربَّه بقلبٍ سليمِ
وضمير الإنسان محكمة كبـ ... ـرى تجازي عن كل فعلٍ شتيمِ

* * *

غرِّدي يا بلابل الشعر فالأفـ ... ـكار عطشى لكل صوتٍ رخيمِ
واسكبي في مسامع الكون لحن الـ ... ـحُب والحق والشعور الكريمِ
وأذيبي سحر الطبيعة أنغا ... مًا، وطيري بنا وراء السديمِ
في رياض الآداب، في جنة العر ... فان والفن، في ظلال النعيمِ

حجة: ١٣٧٠هـ / ١٩٥١م

٧٦ ـ نَـغَـمـات التَّـهـانـي

[فـازت بـالدرجـة الأولى في مسـابقـة شعـريـة في ٢٤ ذي الحجـة ١٣٧١هـ/١٩٥٢م، أُجريت في سجن حجة بمناسبة زواج القاضي الأديب الشاعر محمد بن عقيل الإرياني]:

نـغمـات أفـراحٍ، ولـحن سـرورِ ... رقَصَتْ عليهـا مهجتي وشعـوري
عـزفـت ولا وتـرٌ يُـجَسُّ ولا فـمٌ ... يشدو، وماجت كالصدى المسحـورِ
تسـري مـع النسمـات عـطرًا فـائـرًا ... يـذكي الشـذى في روح كـل عبيـرِ
وتجوب صمت الليل، صـوتًا هـائمًا ... ينشي سـرائـر لحنـه المـهجـورِ
أحسستهـا نغمًـا مـذابًـا في دمي ... وعـواطفًـا سُكِبَتْ سنـا بضميـري
ومنًى تـطيـر مـع الخيـال كـأنهـا ... أسـراب طيـرٍ أو عـرائس حـورِ
حـاولت أمسكها بشعـري؛ فارتمت ... في الجوِّ مثل الـطائـر المـذعـورِ
أتبعتهـا نـظري، فغـابت وانـطوت ... وتـغلَّفَتْ بـالـعـالـم الـمـغـمـورِ
ظلَّت مـع الأفلاك تسبحُ في الفضا ... وتغـوصُ في صبـح وفي ديـجـورِ
تستفهـم الأفـلاك عن وطـن النـهى ... والـشعـر والألـحـان والتـصـويـرِ
حيث الهـوى العذري يصـدح نـايـه ... بـأرق أنغـام الهـوى المصـهـورِ
حـيث الـطبيـعـة غـادةٌ فـتّـانـةٌ ... عـذراء تـحضـنـهـا أكـفُّ الـنُّـورِ
مـا بـيـن مـاءٍ دافـقٍ أو غـابـةٍ ... أو شـاهـقٍ مـتـوشـح بـزهـورِ
«إريـان» مـدرسـة البيـان وكعبـة الـ ... ـعـرفـان والإحسـان منـذ عصـورِ
حتّى إذا اهتـدت السبيـل وحَـوَّمَتْ ... مـنهـا بـسفـح شـواهـق وقصـورِ
هـطعَتْ لهـا شم الجبـال وأنصتت ... إنصـات مـوسى يـوم دك الـطورِ

هبطت تفتشِ عن فؤاد طاهرٍ ... حر أبيّ ليس بالمأسورِ
وفؤاد طاهرة الإزارِ كأنما ... خُلِقَتْ وصيغَتْ من سنا وعطورِ
وهناك ذابت بهجة وسعادةً ... ومحبَّةً في لذةٍ وسرورِ
تترشف الأنداء والأنوار من ... زهر الهوى المنظوم والمنثورِ
وتزفّ باقات الحبور تهانئًا ... زهراء صيغَتْ من مذاب النورِ

* * *

يا بلبل الوادي السعيد تحيَّةً ... تنبيك عن حبّي وعن تقديري
حدثْ عن السِّحر الحلال وفعله ... ما سرٌّ ما فيه من التأثيرِ؟
من أين يستسقي المتيم لحنه ... من أيِّ ما فيضٍ؟ وأي نميرِ؟
ما الحبُّ؟ ما سرُّ التجاذب؟ ما مدى ... تأثيره في الجسم والتفكيرِ؟
ماذا يكون الكون لو لم ينتعش ... بالحبِّ قلب مجرِّبٍ وغريرِ؟
سرُّ الطبيعةِ لا يبوح بكنهه ... إلَّا يراع الشاعر المفطورِ
فانعش بفنِّكَ مومياتِ جمالها ... وابعث مفاتن حسنها المطمورِ
وارسل خيالك في مجالي سحرها ... واسبح به في بحرها المسجورِ
واغمسْ يراعك في مظاهر فنها ... واشرح جلال جمالها المغمورِ
ما بين روضٍ ضاحكٍ بزهوره ... فرشته كف ربيعه بحريرِ
والسحب في لجج الأصيل سفائنٌ ... صفراء تمرح في مياه غديرِ

* * *

في البرق، في الرعدِ المزمجر، في الأسى ... في البشر في الإشراقِ والديجورِ
في الحقل ترقص كالملاح غصونه ... في زغردات الناي والشحرورِ
حكمٌ وأسرارٌ إذا استنطقتها ... ناجتك نجوى العاشق المحرورِ
حدث فأنت بها خبير شاعرٌ ... جزل البيان موفَّق التعبيرِ
واهنأ بعرسٍ مثل خلقِك باسمٍ ... سيظل رونقه بلا تكديرِ

وانعم بصفو سعوده وسروره ... وحبوره، ونعيمه الموفورِ
واستقبل الدنيا بثغر ضاحك ... وبنظرةٍ تفضي إلى التدبيرِ
واعلم بأن العصر عصر معارف ... لا عصر تخريفٍ ولا تزويرِ
لا يخلبنَّك زخرفٌ من باطلٍ ... جسم الأفاعي ناعمٌ كحريرِ
والحقُّ أقوى ما يصول به الفتى ... إن لم يُصَبْ من عزمه بفتورِ
فانهض به، واسأل ضميرك دائمًا ... لا خير في شخصٍ بغير ضميرِ
واجعل لنفسك غايةً تسعى لها ... بفؤاد جبَّارٍ، وعقل خبيرِ
واقبل تحيَّة معجَبٍ متفائل ... مستبشر؛ بعلاك جدُّ فخورِ

قاهرة حجة: ١٣٧١هـ / ١٩٥٢م

٧٧ ـ فَلسفة الرِّضا

[أصل المعنى في أوراق الورد]:

كفكف دموعك واصبر لا تمت جزعًا
فالحزن لم يجد محزونًا ولا نفعا
ويا رواجف صدري؛ أي فائدةٍ
تُرجَى، وقد صنع المقدور ما صنعا؟
وإنَّما حاجتي ألا أكون بما
قد انصدعتُ به ـ من قبل ـ منصدعا
وأي معجزة تَسْطِيعُ قدرتها
دفع الذي كان أو منع الذي وقعا

حجة: ١٣٧١هـ / ١٩٥٢م

٧٨ ــ يا شمس

يا شمس؛ يا أم الحياة وداعا
هجم الظلام على الضياء فضاعا
وإلى الصباح دعي المصفَّد في الدجى
يبكي الحياةَ معذَّبًا ملتاعا
ويراقب الفجر الكمين بمقلةٍ
حمراء تنفث في الظلام شعاعا
ويسائل الأفلاك عن أسرارها
من أين تكتسب السَّنا اللماعا؟
ومتى؟ وأين قرارها ومراحها؟
طال الطريق؛ ضلالةً وصراعا!
سأغَصّ بالظلماء حتى تشرقي
يا شمس يا أم الحياة وداعا

حجة: ١٣٧١هـ / ١٩٥٢م

٧٩ ــ قـوَّة الـرُّوح

قـوَّة الـروح «طـاقـة ذريَّـهْ»
تـتـجـلَّى فـيـهـا الـقـوى الأزلـيـهْ
قـبسٌ مـن شـعـاعـه انـبـثـق الـكـو
ن ودبَّـتْ فـي جـسـمـه الـحـيـويَّـهْ
فـي خـلايـا جـلالـهـا يـكـمـن الـمـا
ضـي وتـسـجـو فـي سـرهـا الأبـديـهْ
قـوة الـروح سـرٌّ مـا فـي الـبـرايـا
مـن عـلوم، وحـكـمـة عـبـقـريـهْ
إنـمـا الـكـونُ نـبض فـكـر، وإحـسـا
س شـعـورٍ، وخـفـقـةٌ روحـيـهْ

حجة: ١٣٧١هـ / ١٩٥٢م

٨٠ ـ العاطفة الخالدة

[من مقالة يصوِّر فيها الشاعر زيارة أمه له في سجن حَجة]:

فيا له من موقفٍ رائع ... ويا لها؛ من ساعةٍ خالدَهْ
«ابنٌ» براه الهم في سجنه ... و «امٌّ» تفانَتْ في ابنها شاردَهْ
قدِّر أن يجتمعا لحظةً ... بعد ظنون في اللقا جاحدَهْ
رأته فارتابت بإحساسها ... وصدقت أوهامها البائدَهْ
لم تدر لمَّا أن رأت شخصه ... أفي منامٍ هي أم شاهدَهْ
وهو طريحٌ بين أحضانها ... كالطفل، بل كالجثَّةِ الهامدَهْ
تكاد أن تخمد أنفاسه ... على جوى أنفاسها الخامدَهْ
فيا لها من صورة فذَّة ... للحبِّ تذكي المهج الهامدَهْ
لو يستطيع الفن إبرازها ... لمثَّل «العاطفة الخالدَهْ»

حجة: ١٣٧١هـ / ١٩٥٢م

٨١ ــ منافق يتلو القرآن

ومنافق لا يستجيبُ ضميره ... إلاَّ لصوت الإثْمِ والبهتانِ
متفيهقٌ بكلامه، متشدِّقٌ ... ببيانه، متعدِّد الألوانِ
وتراه يظهر للورى متبتِّلاً ... متعبدًا بتلاوة القرآنِ
لصٌّ يُصلِّي في الظلام وفكره ... يصطادُ من حضن الكرى بأمانِ

* * *

لو جاء عيسى والكَلِيمُ وأحمدُ ... لفراهُمُ بخناجر العدوانِ
يا عابد الطغيان حسبك خِسَّةً ... علمي بأنك عابد الطغيانِ
فاترك كلام الله لا تعبث به ... واغرف بيانك من فم الشيطانِ

قاهرة حجة: ١٣٧١هـ / ١٩٥٢م

٨٢ ــ خـلـيـفـه..!

إن كـان ربّي قـد بـرانـي كـي أكـون لـه «خـلـيـفَـهْ»!
هـلاَّ حبـاني «الـخلد» كـي أقـوى على عِبْءِ الـوظيفَـهْ؟
مـا دمـتُ أخشى المـوت سـوف تُـذلِّني فكـرٌ سـخيفـه
كـيف «الـخـلافـةُ» تستقيم؛ وروح «نـائبهـا» ضـعـيفَـهْ؟

قاهرة حجة: ١٣٧١هـ / ١٩٥٢م

٨٣ ــ المصلي المرائي..!

من يصلّي يدخل «الجنة» من دون انتقادْ
هكذا قالوا؛ ولو عاث فسادًا في البلادْ!
أبعدوا الصادقَ، والمتقِنَ ذا الرأي السدادْ
وأباحوا «جنة الله» لأرباب الفسادْ!

قاهرة حجة: ١٣٧١هـ / ١٩٥٢م

٨٤ ــ الجيل الجديد

هذِّبوه؛ جيلاً نشيطًا فتيًّا «يمنيًّا» لا ماردًا أجنبيًّا
حصِّنوه بكل خُلق كريمٍ إن أردتم له مكانًا عليًّا

* * *

لا تظنّوا أنَّ التقدُّم أنْ نُنْكر دينًا، أو عادةً، أو نبيًّا
أو تظنّوا أن المعارف تقليدُ ذميم يميت ما كان حيًّا
إنَّما العلم والتقدُّم أن تكسِبَ عقلاً حرًّا، وخُلقًا رضيًّا
علِّموا النشأ كلَّ ما ينفع النشأ. . وسيروا به الصراط السويًّا. .

* * *

آه ما لي أرى الشبيبة لا يدرون عن شعبهم وماضيه شيًّا
«جغرفوا» الكون غير أرضٍ نمتْهُمْ وسقتهم ماء الحياة نديًّا

معتقل القاهرة بحجة: ١٣٧١هـ / ١٩٥٢م

٨٥ ــ دُمُوع سجين

[في رثاء السيد العالم الجليل علي بن حسين الشامي رحمه الله، صفر ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م]:

تزلزل المجد، وانهارتْ قواعدُه ... لمّا هوى «بجمال الدين» لاحدُهُ
وقطَّبَت قسمات الخير وارتعشَتْ ... قوائم الدين واهتزت معابدُهُ
وأطبق الهول كالأمواج مفترسًا ... مُنَى القلوب، وقد فَحَّتْ أساودُهُ
وأَيقظ الرعبُ أرواحًا مخدَّرةً ... بالحزن قد فنيتْ مِمَّا تكابدُهُ
فساقَها نحو وادي الموت ذاهلةً ... مذعورةً قلقًا ممَّا تشاهدُهُ
هناك أفضت بشكواها لخالقها ... وفنَّدت عالمًا طمَّتْ مفاسدُهُ
الخيرُ في قفره ضحلٌ مرنَّقَة ... أمواهه، والشقا تطغى روافدُهُ
مشىٰ إلى السجن ناعيهِ ومِقْولُهُ ... مبلبل اللفظ قد طاشَتْ مقاصدهُ
فَجئتُهُ في ظلام الليل أسأله ... عن المصاب فأنكتني فوائدهُ
ما كان سمعي وحيدًا في مصيبتهِ ... لكنَّ قلبي فريد الحزن واحدُهُ
تجسمت لي حَياةً ظلَّ مغتربًا ... بها أقاربه فيها أباعدُهُ
تصطكُّ أنفاسه في صدره حممًا ... كأنَّما هي أعداءٌ تطاردُهُ
حينًا تحيط به كالنار ضاريةً ... وإن وَهَتْ فهي إمهالٌ يُعاودُه
حتَّى قضَى تحت عين الطبِّ مختنقًا ... والطبُّ مضطرب التقدير فاقدُهُ

* * *

مهما قَسا الخطب فالقلب الكبير له ... من صبره قوةٌ كبرى تجالدُهُ

والـرُّوح طاقـةُ خلدٍ سرُّ جـوهـرهـا لغـز الـوجـود فـلا تُـدْرى أوابـدهُ
يفنَى الـزَّمـان ويـطوى في مقـابـرِهِ ونـورهـا أبـديُّ اللَّمـح خـالـدُهُ
في النجم في الصَّخر في الإنسان في . . . نبضات الزَّهرِ من سِرها فَيض نشاهدُه
والموتُ جسر انتقال الرُّوح من مـلأ فـان إلـى مـلأ تبـقى مـحـامـدُهُ
والمـرءُ من جسمِهِ في قيـد رغبتِـه يعـانـدُ الـروح فيهـا أو تعـانـدهُ

* * *

يا من على البعد؛ لم أجهـل محبَّته شعـري إذا مـا بـه غنَّاه نـاشـدهُ
أبكيك بالشعر محزونًـا قد انتحرتْ أوزانـه وقـضَتْ هَـمًّـا قصـائـدهُ
قـد لُذْتُ بـالدمـع أستسقي غمامتـه والقلبُ ترجف في صدري رواعـدُهُ
فـلم أجـدْ غيـر نيـران مُسَعَّـرة يـا ويح دمعي لقـد جَفَّت مـواردُهُ
أنا الذي لم يدع لي الدَّهر من أملٍ حـيٌّ أحـنُّ إلـيـه أو أُراودُهُ

* * *

كيف السبيـل إلى تلك الربـوع وفي طـريقها المـوت قَـدْ بُثَّتْ مصـايـدُهُ
أريـد أسكب شعـري في منـازلهـا دمـعًـا أذوِّب فيـه مـا أكـابـدُهُ
أريـد أنفض همـي في مـرابـعهـا حيث الشباب نما واهتـز مـائـدُهُ
هنـاك أبكي «أبًـا» كـانَتْ إرادتـه تصـارع الـدَّهـر إن ثـارت شـدائـدُهُ
أخـلاقُـه روضـة تـزهـو نضـارتهـا وفـكـره أفـقٌ تـزهـو فـراقـدُهُ
في فتيـة من بني عـمي شعـارهم في الـرَّوع صبرٌ وإيمـانٌ يُسانـدهُ
أوَّاه لـم يـبق لـي مـمَّـا أَمُتُّ بـه إليهـم غيـر دمـع ذاب جـامـدُهُ
وتمتمـات قـريض في مـذابحـه أحـرقت عمـري وأَنَّـاتي مـواقـدُهُ

* * *

يـا من قضى نحبـه؛ والـدار نـائيـةٌ والشوق في المشْيِ والإصباح رائـدُهُ
ودَّعت دنيـاك لم تـأسف لفـرقتهـا فقـد سئمت بهـا ممـا تشـاهـدهُ

ماذا سوى دمعة في جفن مكتئب ... أو زفرةٍ لبئيس شلَّ ساعدُهُ
أو أنَّة ذُبِلَتْ في صوت ثاكلة ... أو آهة ليتيم مات والدُهُ
أو بسمة صاغها الشيطان ساخرةً ... أو نظرة من لئيم خاب قاصدُهُ
غاض الوفا؛ فقلوب الخلق مجدبة ... منه وآثامهم فيها تطاردهُ
ومات كلُّ جميلٍ من خلائقهم ... والخير ــ يا ويلتا ــ شاهت مشاهدهُ
وأصبح المرء من دنياه في نفق ... الخوف رائده والجبن قائدهُ
يا رحمة الله زوري «القبرَ» وانتشري ... عليه مزنة رضوان تُعاودهُ

حجة، سجن القاهرة: ١٣٧٢هـ / ١٩٥٣م

٨٦ ــ ثـورة مـصـر

[عنـدما هبَّت «الثـورة» المصرية التي أطـاحت بالملك فـاروق، كـان «الشـاعـر» وزمـلاؤه ــ وفي طليعتهم «عبـد الـرحمن الإريـاني» ــ لا يزالون في مُعْتقل «حجَّة»، فقال يحيّيها ضِمنَ قصائد أُخرى لم تنشر حتى الآن]:

أيُّ صوتٍ! دوَّى فهزَّ الوجودا!
وأنابتْ لَهُ العقول سجودا!؟
أيُّ صوتٍ!.
تفزَّعَت خيفةً منه «عروشٌ»
وأوشكَتْ.. أن تميدا؟.
أيُّ صوتٍ! عَلَتْ به صرخة الحقِّ،
تشقُّ الدُّجَى، وتفري «البِيدَا»؟
أيُّ صوتٍ! أصغَتْ إليه «الأَماني»،
تستقي منه «حُلْمَهَا» المنشودا؟

* * *

هو.. صوتُ الإيمان، والأمل المنشود
قد.. مزَّق الليالي السُّودا،
فجَّرتهُ السماءُ «ينبوع» حقٍّ،
سوف يبقى مقدَّسًا موروداً!
هو: لحن الخلود يَسْجُو لَه الكونُ..

ويَحْسُوهُ مُعْجَبًا . . «مستعيدا»!
وقَّعتهُ «أظافرُ» الغضب العاري
نشيدًا «مقدسًا»، معبودا!
هو صَمتُ «الشُّعوبِ»
طالَ بِهِ «الكَبْتُ»
فدوَّى في العالمين حقودا!
«زهرٌ» نافحُ الأَريجِ زكيٌّ
هَصَرتْهُ يَدُ «الغَشوم» وقودا،
فَهَوى
في «دخان» غضبته الكبرى؛
عليهِ . . «صواعقًا» و «رعودا»!

* * *

أَطرقي يا سماء
هذا «انْتِقامُ الشَّعبِ»
هدَّ «الأسوار» جاز «الحدودا»!
هَا هُوَ «الشِّعر» طيرُ فنٍّ جديدٍ
يعزف اللحن عبقريًا جديدا! .
فانثري في أجوائهِ بسمات «الوحي»
آسًا، ونرجسًا، ووردا.
وأَذيبـي في «صوتِه» خمرة «الخلدِ»
نشيدًا، وبهجةً، وقصيدا؛
واسكبـي، في أوتار قيثاره الشادي،
رُقى السِّحر تَسْتَذيبُ الحديدا؛

وأَريقي في عطرِ أنسامِه العذْرا
شذى الخلد يستفزُّ «الوجودا»:
واصدحي، وامرحي، وميدي انتعاشًا،
واعزفي، وارقصي، وذوبـي نشيدا!
وانشري في «كِنانة» الله
أعلام التهاني
وزخرفي الدهرَ «عيدا»!
فلقد ودَّعت «ضحى السبت» في «تمّوز»
من كان «بالحقوق» كنودا.
«ملكٌ» هام في عبادة «جون بول»،
وأَودى في حبِّه.. معمودا!
طبعتْهُ أطماعه فتوارى
تحتَها، ينفث الأوار المبيدا؛
ويحلُّ العُرى، ويعبث بالدستور،
والدين، ساخرًا.. عربيدا
يصطفي من عناكب الشرِّ حكامًا
قُسَاةً.. وقادةً، وجنودا!
يَنْسجونَ الفنا شباكًا
ويصطادون من كان مُخلصًا، أو رشيدا؛
قُلْ «لفاروق».. وهو في لججِ اليَمِّ
شريدٌ.. يرودُ مأوى شريدا!
كم رشفت الرَّحيق من دمع حرٍّ
ماتَ عن أرضه غريبًا طريدا
كم سمعتَ النواحَ يومًا فلم تأبَهْ

جنونًا، وخِلْتَهُ تغريدا

* * *

يا «آبنَةَ النِّيل»؛ كم تذوقتِ،
في دنياك مرًّا؛ وكم جرعتِ صديدا؛
لم تزل «حيَّة» السياسةِ تستغويكِ
مكرًا.. وحيلةً.. وجحودا،
سرَّحت في ربا ثراكِ أفاعيها
تبثُّ الفساد سمًّا مبيدا
ورمَتْ رجسها على ذلك الطُّهرِ،
وأرخت على سناه البرودا؛
وأولو الأمر من بنيكِ حيارى
يتفانون خشيةً وجمودا،
يا لها من سمات بؤسٍ وذلٍّ
كيف أضحى الأحرار ــ بغيًا ــ عبيدا!؟

* * *

لم تزل «مصر» في الظلام تعاني،
وتُقاسي الهوان والتهديدا
في عراك مرٍّ يصارعُ فيه الحقُّ
نارًا مشبوبةً.. وحديدا.
وترى «الأعزل» الشجاعَ
يلاقي الخصمَ يختال في السلاحِ حريدا!.
يرشف الموت باسمًا
وهوى الأوطان ينساب نغمةً ونشيدا؛

كلَّما هبَّ مجدها يغسلُ العارَ
فيُقصي العدا. ويُحيـي التليدا
خدَّروها بعهد مكرٍ تلوَّى
في رقاب الأحرار غُلًّا عتيدا،
كمنَتْ شهوة المطامع فيه
تأكل الحقَّ والمنى، والعهودا
فهوتْ في مغاورِ الظلم تبكي
بدم القلب يومها المشهودا

* * *

إيه يا «ثورةً» أطلَّت على الدنيا
فكانَتْ أشعَّةً، و «وقودا»!.
أرسلي.. من لهيبكِ الحرِّ لَفْحًا
نحو «شعبٍ» قد عافَ عيشًا زهيدًا،
وابْعثيه على الطغاةِ شواظًا
جامحًا يجعلُ الجبال صعيدا!
ها هنا أمةٌ تئنُّ. وشعبٌ،
يقطع العمر! موثقًا مصفودا
وثبتْ «أمس» نحو تنّينها الجبّار
تبتزُّ حقَّها المجحودا
فتمادى في غيِّهِ فَسَقَتْهُ
كأْس طغيانه، فحزَّ الوريدا،
وأفاق «الأحرار» يقتلعون الشرَّ
منها.. ويحطِّمون القيودا
وتغنّوا بالعدل والحقِّ و «الدستور»

شيخًا، ويافعًا، ووليدا!
وإذا.. بالزَّوابع السود تستيقظ
والأُفق يكفرُّ.. حريدا!
وإذا «بالفاروق» يزأر نكرًا
وإذا «بالشريف» يهذي «وعيدا»
وإذا بالأحرارِ،
في لهوات الموتِ
صرعى يعانقون الحديدا!
كم «طعينٍ» بخنجر الظلم لاقى
حتفَه طاهر الدماء، شهيدا
و «سجينٍ» هوى على الترب
يستفُّ المنايا مصفَّدًا مشدودا!
و «شريد» جاب المهامه كالمشدوه
يَبكي سراجه المفقودا..!
و «قتيلٍ» بالسيفِ فارق دنياه
سعيدًا، واستلَّ منها الخلودا،
أَنقذوا أُمةً تلاشتْ، وأَرواحًا
تفانتْ، وأوشكتْ أن تبيدا،
رحم «الدين» و «العروبة» يُؤوينا
ويدني ما كان منا بعيدا!

* * *

يا حماة الحمى. لقد نشر الله
عليكم من الجلالِ برودا
في «فلسطين» قد سفكتم دماء

سجِّلَتْ في «الثرى» لكم تمجيدا
وأَعادت ذكرى فروسية «المصري»
إن كرَّ في الوغى صنديدا!

* * *

آه لولا «ثعالبُ» المكرِ ما كنتم
تركْتمْ في «تلْئبيبَ» اليهودا
سحبوا جيشهم وأبقوكم تصلون
نار العدوِّ ــ جيشًا وحيدًا!
و «السلاح المغشوش» عانيتموه،
«ساعة الصفر» رهبةً، وصمودا!
وإذا كانت القيادة عمياء،
فقد قادتِ الهزائم سُودا!
غلطة؟ أم «خيانة»، أنا لا أعلم،
إلاَّ الوعيدَ.. والتهديدا!
وتهاويل «قادة» خنقوا في
«ساعة الصفر» النَّصرَ والتأييدا
و «مليك» البلاد يرشف كأسًا
نخب لذّاتِه، ويقرع «عودا»!
و «الوزير» الرهيب يستعبد الأحرار
من قومِه فخورًا.. كنودا!

* * *

وقف الدهر خاشعًا «لنجيب»[1]،

(١) الرئيس محمد نجيب، قائد ثورة مصر.

وهو يحدو إلى الخلود الأسودا،
وينادي «المليكَ»
أن يخلع «التاج»
وأن يهجر «البلاد».. طريدا!
قبل أن يحطم الرصاص ضلوعًا
حبست تحتها فؤادًا بليدا!
فاستطار «المليك» ذعرًا وأَمضى
ذلك «الصكّ»، واجفًا؛ رعديدا
وعيون الأقدار ترمق كفًا
كان سلطانها رهيبًا شديدا
يا لها همة سمت «بنجيب»،
وحبتهُ حُبَّ البلاد أكيدا،
جسَّمته إرادة الله للحقِّ،
زعيمًا وقائدًا صنديدا.

* * *

يا «نجيب» الأبطال لا تنسَ خبًّا،
كان بالأَمسِ للضَّلالِ عميدا
نصبتْهُ إرادةُ «الشِّركِ» للإسلام
«فخًّا».. ليَصْرعَ التَّوْحيدا
فتمطَّى على العقول ظلامًا،
وتعدَّى على المحارم «سِيدا»
وتحدِّي إرادةَ الشعبِ والدينِ،
وغلّ النُّهى، وأَدمى الجلودا
وتلوَّي في أفق «مصر» ضبابًا

يغمر السهل والرُّبا، والنجودا
يلعنُ «الشرقُ» فيه آثامَ «غرب»
أَنسَتِ «الشرقَ» حُلمه المنشودا!
كان للإنكليز في «مصر» عبدًا
ومُريدًا، وكان ركنًا وطيدا،
هو «عبد الهادي» الخؤون فمزَّقْهُ
فقد مزَّقَ الكتاب المجيدا،
حسبه وزرُ قتله «المرشد العام»
شنارًا، لا يستمدُّ مزيدا!

* * *

يا راعي . . أصِخْ لذكرى «إمام»[1]
عاش مستبسلاً وماتَ شهيدا!
خنقتهُ كفُّ الضلالةِ غدرًا،
فمضى سافر الجلال حميدا
حول جثمانه، ملائكة الرحمة
تبكي إحسانَه المجحودا!
وقلوب «الأيتام» تهفو عليه
حسرةً تندب السَّنا الموءودا
وخطى «الشيخ» ذاهلات
وعيناه تريقان قلبه المفؤودا!
ناظرًا «نعش» ابنه في أكف الظُّلمِ

---

(١) الإمام حسن البنّا.

يُدمي مشاعرًا وكبودا
وارتقى فكره على معْبرِ الآلام
يسمو نحو السماء صعودا!
حطَّمتْ خِسَّةُ الطواغيتِ سيفًا
كان في مهجة الخنا مغمودا!
وأراقتْ دمًا زكيًّا، وأَبلَتْ
مقولاً صارمًا، ورأيًا سديدا
أَيُّها الظَّالمون قد مات عهد الظُّلمِ،
فاستبدلوا «شعارًا» جديدا
شرعة «القيد» لم تعد ترهب النَّاس،
ولكن، يُبْلونها تفنيدا
و «القويّ» الجبار لم يبق ربًّا
مبدئًا في رقيقهِ ومُعيدا!
والسلالات قد خوت بالمساواةِ
وأضحى الورى عليها شهودا
إنَّها حكمة «الشريعة» تأبى
أن ترى «الناس» سيدًا ومسودا!
فاهبطوا من عروشكم، واسكبوا الماضي
دموعًا، وحسرةً، وسجودا!
واجرعوا «الذلَّ» من كؤوس عصرتْمْ
خمرها مَرَّةً.. وموتوا عبيدا!
لكمُ في «الفاروق» عبرة جانٍ
ضلَّ في أَمرِهِ ضلالاً بعيدا
أَسلمتهُ «الحظوظ» للملكِ طفلاً،

فاجْتَنى غصنَهُ الرطيب وليدا
وتوالت أيامُه ولياليهِ
«عرايا» يُردْنَهُ أن يريدا!
لا يبالي الحياة.. إلاَّ نعيمًا
وسرورًا، ولذَّةً، وسعودا
و «الجماهير» حوله يتفانون
هتافًا في حبِّه، وقصيدا!
والألبَّاء يشعلون الدَّمَ الغالي
لهيبًا.. فيحرقون الوجودا
و «الملايين» من بني «الشعب» في
ضنكٍ يُقاسونَ البؤس والتنْكيدا!
أيُّها الفجر، صغ سناك زهورًا
عطرات الشذى، ودرًا نضِيدا،
واسكبِ النور في ثرى مصر عطرًا،
ورحيقًا، وبهجةً، وجُدُودا!
أيقظِ الأعينَ الَّتي أسبل اللَّيلُ
عليها جِلبابه الممدودا
وتبسَّم على القلوب التعيساتِ
وبدِّد ظلامها.. المعقودا
واهدِ عنّا إلى «النجيب» التحيّات
ولاءً محضًا! وعهدًا عهيدا
قل له: أُمةُ «العروبَة» حيرى
تقتل العمر.. غفلةً، وجمودا
رعَّشتْ خطوها الخطوب الثقيلات

فأَحنَتْ لها جبينًا . . وجيدا!
فاشف آلامها
وسدِّد خطاها
واحْدُ آمالها
رشيدًا . . حميدا!

معتقل قاهرة «حجة»: ١٤ ذي القعدة ١٣٧١هـ
١٤ أغسطس ١٩٥٢م

٨٧ ــ مأساة شهيد

[مأساة القاضي محمد بن محمد الإرياني الذي مات بداء السل بعد عذاب طويل، في قاهرة حجة (٢٥ ربيع الأول سنة ١٣٧٢هـ) أواخر عام ١٩٥٢م، ونُشرت في «فتاة الجزيرة» بتوقيع مجهول]:

أمل تبدد كالسراب ... وطوته أحشاءُ الترابْ
وتخطفته مخالبُ الظلـ ... ـمات في فجر الشبابْ
نزعته كف الموت وهو يئن في حضن العذابْ
والحق يشهد فيه. كيف تمزِّق الخير الذئابْ؟

* * *

قف يا يَراعي خاشعًا ... في موكب النور الشهيدْ
وانضحْ بدمعك ضوءه ... المسفوك، كالشفق البديدْ
وانظم زهور أساك ... في نغم من الشكوى جديدْ
كفِّن به زور الحياة ... ولؤم سادتها العبيدْ

* * *

غُص في ظلام السِّجْنِ وانبش قبر تاريخ رهيبْ
وابعث هياكل قصَّة ... خرساء تجهش بالنحيبْ
لم يروها قلم ولم ... يُلْهَمْ مصارعها أديبْ
هي قصة الحقِّ الصر ... يع، ونكبة الحرِّ الغريبْ

* * *

جـاءوا بـه في القيـد مـظلو ... م المشـاعر، من (زبيـدْ)..!
وإلـى متـالـف (نـافـع) ... قـذفـوه يعتنق الـحـديـدْ
فـهـوى وفي شـفتيـه بسـ ... ـمـة مـؤمـن حـر عـنيـدْ
وكـأنـمـا هـو زهـرة ... في كـف إعـصـار مـبـيـدْ

* * *

كـم لـيـلة قـاسـى بـهـا ... الأهـوال، من وخـز الجـراحْ
وكـأن حـشـو فـراشـه ... نـار تـؤجـجـهـا الـريـاحْ
والـنـجـم ضـلَّ طـريـقـه ... والليـل مخنـوق الصبـاحْ
والـقـيـد في رجـليـه يـنـ ... ـهش حـرمـة الحق المبـاحْ

* * *

كـم أنـة نـاجـى بـهـا ... من سجنـه قلب (الخليفـة)
فـأهـانـهـا وازورَّ عـنـهـا ... سمع حضرتـه (الشريفـة)..!
وتـهـالـكـت في ركـن سـؤ ... دده وعـزتـه الـمـنـيـفـة
وتـعـسَّـف الـجـبـروتِ لا ... يحنـو على المهج الضعيفة

* * *

لمـا تمـرَّد عـزمُـه العـاتي ... عـلى الـظلم الـغـضـوبْ
دبَّـت إلـيـه عـقـارب الـسـل الأكـولـة لـلقـلوبْ
وإذا بـقـوتـه تـهـي ... وإذا بـأعـظمـه تـذوبْ
وإذا بـهـيـكـله يـحـطم ... تـحت مـطرقـة الـخـطوبْ

* * *

ظـلت قـواه فـريـسـةً ... لـلسـل عـامًـا بعـد عـامْ
يـمتص مـاء حـيـاتـهـا ... ويـذيقهـا جـرَع الـحِمـامْ
وإذا اشتكى ألـمًـا خـوت ... شكـواه في وحـل الأثـامْ

لا القيـد يـرحمـه ولا الـزَّ مـن الكنـود ولا (الإمـامْ)!

* * *

حتى إذا هـجـم السقـام عـليـه، وانـحـطت قـواهْ
لـم يـرتشـف كـأس المنيـ ـة قبـل أن يصـم الـطغـاهْ
دوى بـلعـنـتـه عـلى دنيـا الجبـابـرة العـتـاهْ
وثـوى قـريـر العين يسـ ـخـر من أبـاطيـل الحيـاهْ

* * *

وبسفح وادي الموت.. مجَّ ثـمـالـة الـنفسِ الأخيـرْ
ومضى ــ ووَدَّع جسمـه البا لي ــ إلى الـمـلأ النضيـرْ
حـيـث الـسـعـادة كـونـهـا زاه، ومـنـبـعـهـا نـمـيـرْ
في عـالم الرحمـات تحت رعـايـة الـرب الـقـديـرْ

* * *

وهـنـاك يـشـكـو بـثَّـه وهـنـاك ينفـث بـالـحـزَنْ
وهنـاك يجـأر بـالمصـائب والـنـوائـب والـمـحـنْ
وهنـاك ينـشـر بين أيـدي الـعـدل آفـات (الـيـمـنْ)
الـظلم، والفقـر، المـدمـر والـجـهـالـة، والـفـتـنْ

* * *

الـنـاس فـي أوطـانـهـم سـعـداء لا يـتـبـرمـونْ
وشبـاب (يعـرب) في مـرا بـع أرضـهـم يـتـضـورونْ
يـتـأرجـحـون شـقـاوةً بين الـمشـانـق والسجـونْ
أو فـوق أجـنـحـةِ الـعـوا صف والمخاوف يكدحونْ

* * *

فـي مـوكب الـشـهـداء مشـهـدُ مـصـرع الـظلم الـكـفـورْ

وأرى الغـد الـدامي يحيـ ـط بفجـره رعب الـدثـورْ!
والـصبـح يـلتهـم الـدجى والخيـر يكتسـح الشـرورْ
ومـآربُ الأحـرارِ يـطرد (جـيـشـهـا) مُـلْكَ الـقـبـورْ. . !

* * *

لـم يـبـقَ لـلمسكـينِ مـن دنـيـاه إلاَّ دمـعـتـانْ
حـبتـا عـلى خـديـه يستحـيـان مـن فـقـد الحـنـانْ
وتـمـثـلان الـكـبـت إذ يـطغى، وتنعقـد الـلسـانْ
يـا للجـلال، هنـا اليـراع يـخـر مـصـعـوق الـبـيـانْ

* * *

طـف يـا بيـانـي مـزنـةً وطفـا على القبـر الغـريبْ
واسكـب عـلـيـهِ حـزنـك المسفوح في الدمع السكيبْ
وانـقـل روايـتـه إلى الـتـا ريـخ فـي شـعـر كئـيـبْ
تـبكـي لـه ظـلمُ الـلـيـالـي في دُجى الـزمـن الـرهـيـبْ

حجة: ١٣٧٢هـ / ١٩٥٣م

٨٨ ــ حنانًا أمير المؤمنين

[أُرسلت من معتقل القاهرة بحجة، إلى الإمام أحمد في ٨ جمادى الآخرة ١٣٧٢هـ / ١٩٥٣م]:

دعاني؛ وحزني في محاريب عزلتي ... فقد سئمت روحي حياة البريَّةِ
عشقتُ الأسى من طول ماشفني الأسى ... وهمتُ بآلامي لسرمد شقوتي
فلا تطلبا عندي رُقى السحر والمنى ... ولكن خذا عنِّي صدى كل خيبةِ
فقد هَرِمَت أيام لهوى وبهجتي ... وماتت ليالي صبوتي وشبيبتي
وأمسيتُ في أكفان سقمي ونكبتي ... أراقب بعثي وانتعاشي ويقظتي
وما أنا بالحيِّ الذي طاب عيشه ... ولكنني في السجن حيٌّ كميِّتِ
ولم يبق في كأس الشقاء ثمالةٌ ... لغيري.. فقد أفرغتُه نخب حيرتي
أعانقُ طغيان المخاوف مطبقًا ... جفوني على أشباح يأسي وذلَّتي
وخلف الدياجي يجثم النور موثقًا ... ينوء بأعباء الليالي الثقيلةِ
أسارقه اللمح المفزع خائفًا ... كأني رجاء في فؤاد فريسةِ

* * *

لَعًا لك؛ يا عمري؛ إذا رمت منقذًا ... فأزجِ الأماني نحو حامي الحقيقةِ
إلى «ناصر الدين» الذي تحت عرشه ... ترفرف آمال البلاد «السعيدةِ»
أعزَّ مليك من سلالة «هاشم» ... وخير إمامٍ من حماة الشريعةِ
توسَّلْ إليه بالبيان؛ فإنَّه ... يرق لأنَّات البيان الذبيحةِ

* * *

بني «يَعْرُب» هذي شريعة أحمدٍ ... وهذي قوانين الهدي والنبوَّةِ
ففيئوا إليها تحت راية «أحمدٍ» ... فقد طالما مُزِّقتُم بالتشتُّتِ
مليك حياة الشعب غاية همِّهِ ... ورغبته في الخير أقدس رغبةِ
عرفت نداه والطفولة في فمي ... نشيد سرورٍ أو أغاريد لعبةِ
فنُشِّئتُ مفطورًا على حبِّ مجده ... أراه مثالاً للعلا والفضيلةِ
وهأنا في كفِّ الكهولة دمعةٌ ... تبكي ملذَّات العهود الدفينةِ
وقلبي مطبوع على حبِّه، وما ... أكنُّ له ألاَّ مُصاص المحبَّةِ
وما بطشه بي غير إرشاد والدٍ ... رأى ابنه قد ضلَّ نهج المحجَّةِ
وقد طال تدليلي؛ فجُرْت فدمدمت ... عليَّ أعاصير الخطوب الرهيبَةِ
ولم تغن عنِّي توبة لو توزَّعَتْ ... على الكون لم تترك خيالاً لزلةِ
بلى.. أنا في أغلال ذنبي مصفَّدٌ ... تمزقني أنياب يأسي وحسرتي
ولكنَّ ذنبي قد تلاشى بتوبتي ... وهول جزائي قد مضى بجريرتي

* * *

حنانًا أمير المؤمنين؛ فإن في ... حنانك ما يشفي عضال الرزيَّةِ
ودعني أبادر حظ عمري من المنى ... قبيل احتباسي في شباك المنيةِ
فقد عجَمتْ عودي الكوارث فانثنى ... مهيضًا يلاقي الموت في كل خطوةِ
وغلَّتْ صروف الدَّهر كف عزيمتي ... وفلَّت شبا جدي، وأبلت عزيمتي
ولم تُبْقِ لي خلاًّ ولا ذا قرابةٍ ... يصيخ لقربي، أو يفي لمودةِ

* * *

تأس أمير المؤمنين «بأحمد» ... أبيك «رسول الله» خير البريةِ
لقد قام في «البيت العتيق» وحوله ... رؤوس الأعادي من صناديد «مكةِ»
فقال: ألا تدرون ما أنا صانعٌ ... بكم ولقد كنتم عداءً لدعوتي؟
وأخرجتموني من بلادي مشرَّدًا ... وجرعتموني بالأذى كلَّ غُصَّةِ

وهـا أنتُم في قبضتي، ورؤوسكم ... تطأطىء إذعانًا لصادق صولتي
فقالوا؛ أخ لا يقطن الحقد قلبه ... سيضفي علينا كل عطفٍ ورحمةِ
فيا لجلال الوحي؛ ها هو صوته ... تهزُّ مثانيه كيان «الجزيرةِ»
يخاطب من كانوا قذى في جفونه ... ومن هتكوا هزوءا به كل حرمةِ
ومن ناصبوه الشرَّ ظلمًا؛ وألَّبوا ... عليه جنود البغي من كل وجهة
عفا الله عنكم؛ فاذهبوا أين شئتُم ... جزاؤكم صفحي، ودفعي بالَّتِي
«وكعبٌ» أتاه خائفًا فأجاره ... وبايَع «هندًا» بل وقاتل «حمزة»؟!
فكيف بنا والدين يجمعنا، وقد ... لقينا جزاء الطيش كل مصيبةِ
ونحن الرعايا المخلصون، وواجبٌ ... عليك بأن ترعى حقوق الرعيَّةِ
حنانًا أمير المؤمنين ورحمةً ... أغث شجني وارحم شبابي وعلَّتي
وتلك الَّتي في صدرها شعلة الأسى ... وفي قلبها قد خيَّمت كل زفرةِ
وتلك التي لم تلق غيرك ملجأ ... تناجيك بالصمت البليغ المفتَّتِ
وطيرًا غريبَ الدَّار يرقب أوبةً ... إلى وكره بعد انتعاش بقيَّتي
أغثنا «أمير المؤمنين» وكن لنا ... ملاذًا فقد همنا ببيد التشتتِ
وأنت الذي لا يحصر الوصف مجده ... ولو صاغ فيه كل شعر ونغمةِ
سموت فلم تترك أمامك غايةً ... إلى سؤددٍ أو مسلكًا لفضيلةِ
وجاوزتَ جهد الآدميةِ في العُلا ... وكشَّفت أسرار المعاني الرفيعةِ
أياديك في جيد الزَّمان قلائد ... نباهي بها الأبطال في كلِّ أمَّةِ
وفضلك في صدر الحياة تميمة ... تدافع عنا كل شر وأزمةِ
ورأيك في داجي الكوارث ثاقب ... يبدِّد أوهام الظنون الضريرةِ
وحلمك لا يشقى به يأسُ مذنبٍ ... إليك ولو نيطَتْ به كل تهمةِ
عرفناك بحرًا زاخرًا وسحابةً ... تفيض على الدنيا شآبيب رحمةِ
شديد القوى لا ينثني لرزيَّة ... منيع الذرا لا يستنيم لبغتةِ
فراسته ميزان حقٍّ موفقٍ ... وخاطره مصباح رأيٍ وحكمةِ

واسمـــك يجـري في لســـان محبِّـه ... كسلسـال عذبٍ في تعـاشيب روضةِ
رحيق الحجـا في كلِّ نـادٍ ومحفـلٍ ... وسمِّ العـدا في كـل سـاحٍ وحـومـةِ

* * *

أيـا شاعـر الأحـزانِ لا تبـك حسـرة ... على ما مضى وامسك بحبل السكينةِ
علام البكا؟ لا الدمع يطفىء حرقـةً ... ولا مـــاؤه يـشفـي غـليـــل الـبـلـيَّـــةِ
فصُنْ دمعك الدَّامي وكفكف شؤونه ... فـــدهـــرك قـــاسٍ لا يـــرقُّ لعبـــرةِ
وثـق بـــأميـــر الـمـؤمـنـيـن فـــإنَّـــه ... سيؤويـك من جور الخـطوب العتيَّـةِ

* * *

أمـــولاي بـــرِّد نـــار هـمي بـلفـتـــة ... ونـــظرة عـــطفٍ، واغتفـــر لي زلَّتي
دعوتك لا أبغي سوى الصفح والرضا ... أقـــدم في شعـري قـــرابين تـــوبتي
وهـــا هي أشعـاري تبثُّـك لـــوعتِي ... نـظمت بهـا أشـلاء روحي ومهجتي
إذا زدتني بعـــد ابتهـــالي وتـــوبـتي ... نـكـــالاً فقـــد أسـلمتـني لـمنيَّـتي

سجن حجة: ١٣٧٢هـ / ١٩٥٣م

٨٩ ـ إلى مَفخَرة العرب

[بعد أن بعث الشاعر التائية الأولى بعشرة أيام لم ينتظر الرد من الإمام أحمد، بل أردفها بهذه الطويلة على الروي والوزن أنفسهما، وذلك في ١٩ جمادى الآخرة ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م.. وقد أمر الإمام بإطلاق سراح الشاعر، حين فرغ من قراءتها للاستشفاء بالحديدة رهن الحراسة والإقامة الجبرية فيها]:

رضاك مُنى نفسي، وغاية رغبتي ... وحبُّك وجداني ولُبُّ حقيقتي
إليك يولي القلب وجه رجائه ... لأنَّك للآمال أقدس كعبةِ
ونحوك يهفو شوقه وحنينهُ ... لأنك في الدنيا سحابة رحمةِ
وعندك يرجو خيرَهُ ونعيمه ... لأنَّك قد أوليتَه كل نعمةِ
وفيك يرى آماله الغرُّ تلتقي ... لأنك مأوى كل همّ ومنيةِ
ملكت النَّواصي بالرغائب والقرى ... وصرَّفتها طوعًا إلى كل وجهةِ
ودانَتْ لك الأهواء سرًّا وجهرةً ... فغذَّيتها حُبَّ العلا والفضيلةِ
وهامَت بك الأرواح إذ أنت كوكبٌ ... يد الله أورته بنور النبوةِ
تكاد ترى فيك النعيم؛ وإنَّما ... تجسدت برهانًا لصدق الشريعةِ
ولو كنتَ في عصر النبوة ظاهرًا ... لأثنى عليك الله في كل سورةِ
ولو كان في الوحي الكريم بقيَّةٌ ... لكنت شعار الوحي في كل لحظةِ
وحسبك ما خلَّدتَه من مآثرٍ ... سيجلو بها التاريخ أروع صفحةِ
أفيقوا؛ أفيقوا يا بني الشرق واسمعوا ... صدى قصةٍ تحكي مزايا البطولةِ
خذوا عن فمي تاريخ مجدٍ مؤثَّلٍ ... وعُوا من يراعي وصف أفخم سيرةِ

حيـاة إمـامٍ أظهـر الله بـاسـمِـهِ ... مـعـالـم ديـنٍ سِيْـمَ كـلَّ بـليَّـةِ
نمتْـهُ سيـوف الله من «آل هـاشم» ... فشبَّ شـديد البـأس ثبت العـزيمـةِ
تمـرَّس بـالآفـات حتى أقـامَهـا ... على بـابـه رهن القيـودِ الـعتيَّـةِ
وداس على الأشواك والجمر وامتطى ... ظهـور المنـايـا والخـطوب المبيـدةِ
سلوا عنه «خولان الطيال» و «حاشدًا» ... و «سِفيان» واستفتوا مشاهد «صعدَةِ»
وتـلك رمـال البيـد تشـهـد أنـه ... أعـزُّ فتًى لم يخش طغيـان محنـةِ
أقـام على حرب «الـزرانيق» صابـرًا ... إلى أن عنت في أسـره واستـذلتِ
ومـا عـرفـوه غير حـامـل رايـةٍ ... لنشـر هـدى، أو قـائـدًا لكتيبـةِ
إذا افتـرع الأعـواد جلجـل صـوتـه ... كصـوت «عليّ» في جلالٍ وحكمـةِ
وإن شـعَّ في طـرس شعـاع بيـانـه ... هفا العقل مـأخوذًا بسحـر الصحيفةِ
وإن صـال فـالـدنيـا مخـالبُ أغلب ... وإن جـالِ فـالـدُّنيـا لهـاةٌ منيَّـةِ
وإن صاح في جندٍ مشوا تحت صوته ... مسـاعيـر حـربٍ، أو بـراكين ثـورةِ
وآراؤه مـن جنَّـةِ الـوحـي نبـعهـا ... وأفعـالـه من نهـج خيـر البـريَّـةِ

* * *

وكم ليلةٍ أقعى بهـا الهـول، وارتمى ... بهـا الشرُّ أعمى من ضـلال ورهبـةِ
تَضِـلُّ النجوم الـزُّهرُ فيهـا طـريقهـا ... فتخبط في يهمـاءَ خـوفٍ وحيـرةِ
ويـزورُّ عنهـا الأفقُ رعبًـا فينـطوِي ... بـأعمـاق بحرٍ من ظـلامٍ ووحشـةِ
أضـاء دجـاهـا بـأسـه فـأحـالهـا ... نهـارًا وأذكى فجـرهـا بـالعـزيمـةِ
وطـارَ إلى مـا يبتغي فـوق هـولِهـا ... وكـانـت لـه ميـدان لـهـوٍ وسلوةِ

* * *

وربَّـه قفـرٍ مجـدب الـدَّو خـاضَـه ... وصـارمُـه مصبـاحُـه في الـدجنَّـةِ
تفـرُّ الضـواري حين تسمـع خـطوه ... ويـرجفُ ذعرًا كـل صخـرٍ وصخـرةِ
وتـطوى له طـوعًـا مجـاهـلُ بيـدهـا ... وتـذعن إذعـان الـرقـاب الـذليلةِ

ونـــال منـــاه.. والمكـــاره حـــولَـــهُ تضَـرَّبُ صرعى كـالسخال الـذبيحةِ

* * *

وكم مـوقفٍ كـانتْ مخـالِبُ عـزمِـهِ مفـاتيـح نصـر في أكف المـنيَّـةِ
كـأنَّ ضجيج الحـرب يـوم انتصـاره أنـاشيـد غـولٍ أو تهـاويم جنَّـةِ
إذا شـامَتِ العقبـان بـرق سيـوفـه تـوالتْ على الأشلاء من كـل وجهةِ
هو الموت؛ أَوتأوي إلى رشدها النُّهى هو الخوف أو تُرعى حقوق الشـريعةِ

* * *

كـفَفْـنـا بـه لؤم الـزَّمـان وشـرَّه وذدنـا بـه عـدوان كـل رزيَّـةِ
وصـانَتْ به العليـا قـداسـة طهـرهـا وألبسـهـا من مـجـده تـاج عـزَّةِ
إذا كـان شعـري لا يحـد صفـاتـه فحسبيَ تصـويري لـرسم الحقيقـة
وإن كنت لم أقصـر بيـاني لمـدحـه فليس لغمط؛ بـل لخـائـب غفـلةِ
ومـا كـلُّ ذي لُبٍّ بعيـدٌ عن التَّـوى ولو كان.. مـا احتاج الـورى للنبوَّةِ
برى الله هذا الخلقَ؛ والنقصُ عنصرٌ يـذكِّـر من يهفـو بضعفِ الخليقـةِ
و «آدم» وهـو الأصـل مـال بـطبعـهِ هـوى ضعفِـه فـاجتـره للبلـيَّـةِ
عصى ربَّـهُ ثم ارعـوى فـأقـالَـهُ وتـاب عـليـه غـافـرًا كـل زلَّـةِ
و «ذو النون» لَبَّى صوته وهو يـائسٌ وفـرَّجَ عنـه كـل هَـمٍّ وظـلمـةِ
و (أيُّـوب) آواه وداوى حـراجَـهُ وكشَّفَ عنـه كـل ضيـقٍ وكـربـةِ
خـذوا سنَّةَ القـرآن للخلق فـالهـدى بسـالكهـا يفضي إلى خيـر شـرعـةِ
يَـعُمُّ بـطامـي عفـوِه كـل تـائـبٍ وتـلك لـعـمـر الله أجـمـل سنَّـةِ

* * *

إلى مَنْ أبثُّ الشجـو؟ قلبـي موجـع ونفسي في نيـران يـأسي وخيبـتي
قـطعت حياتي تـائهًـا أجـرع الأسى ضـروبًا وأشقى في منـامي ويقـظتي
وأنـفـدُ أيَّـامـي بـكـاءً ولـوعـةً وأسكبهـا في شعـر بؤسي وشقـوتي

وأجري وراء الوهم حيران أستقي ... كؤوس الفنا من كف تيهي وحيرتي
وأغذي مرارات الخطوب وأشتوي ... على جاحمٍ من نار حزني وحسرتي
ولا صاحب إلاَّ الدموع؛ أذيلها ... وإلاَّ بقايا زفرةٍ طيّ مهجتي
وأشلاء روحٍ مزقتها همومُها ... وأنقاض نفسٍ حُطِّمَتْ بالتَّشَتُّتِ
إلى من أبثّ الشجو؟ لم يشفني البكا ... ولم تغن آهاتي، ولم تجد زفرتي
ولا عصمتْني من زماني سماحتي ... ولا نفعَتْني في حياتي جرأتي
خُلقتُ شقيًّا مزَّق اليتمُ خافقي ... صغيرًا وأبلى الحُبُّ رسمَ شبيبتي
وألوتْ بي الأسفار شرقًا ومغربًا ... ولم ترعني في أسرتي وأحبَّتي

* * *

إليك أمير المؤمنين أبثه ... وأرويه دمعًا عن سلاسل نكبتي
عسى أن يثير الدمعُ عطفَك أو يرى ... حنانك، أو يطفي تَلَهُّب غُلَّتي
وقد تنفع الشكوى إذا هبطت على ... سجاحة حِلمٍ، أو سماحة رحمة
ولم يُشْفِ بي يأسي إلى كبت أدمعي ... وإخماد أنفاسي، وتحطيم رغبتي
ولولا رجائي فيك ما ذاب مقولي ... بشكوى، ولا سحَّت جفوني بعبرةِ
قصَرتُ قريضي في مديحك واقِفًا ... بباني على تلك الأيادي الكريمةِ
فلن ترني حتى أوسدَ في الثرى ... أحبِّر إلاَّ فيك وصفي ومدحتي
ولا أرتجي إلاَّ رضاك؛ وليتني ... أفوز به قبل اندثار بقيَّتي

* * *

توقَّ أحاديث الوشاةِ فإنها ... أباطيل مكرٍ، أو أحابيل خدعةِ
أرادوا بها جمع الحطام؛ ونكَّبوا ... عن الحقِّ فيها والهدى والفضيلةِ
ولم يكسبوا منها سوى الإثم والخنا ... وإهدار ذمَّات الحقوق المصونةِ
لقد نحتوا صخر القداسة جرأةً ... على الدين وابتاعوا التقى بالرذيلة
وكم بائسٍ أودوا به في شباكهم ... وكم تعسٍ أَلْقوه في قَعْرِ هوَّةِ

وليس ببدع شأنهم «فمحَمَّد» أبوك تلقَّى منهم كل طعنَةِ
وحذِّر منهم قومَه، ورماهُمُ نكالاً وتحذيرًا بأخلد لعنةِ
فويلٌ لمن يجني الحياةَ ذميمةً وقد دنَّستهَا موبقات النَّميمةِ
وويلٌ لمن يؤذي ضمير إمامِهِ بوسواس شرٍّ أو ببهتان فريةِ
وقد حَمَّلوني كلَّ وزر، وطوَّحوا بدنياي، واجتاحوا تُرَاثي وأسرتي
فأنقذْ حياتي من أحابيل مكرهم فإني فيها موثق كالقنيصَةِ
وجرِّب فتًى قد طهَّر السجن قلبه ولم يبق فيه غير صدق المحبَّةِ
فإن كفَّ عَمَّا لا تحبُّ أعنتَهُ وإن طاش فامحقْ طيشه بالعقوبةِ

* * *

حنانًا أمير المؤمنين، ورحمةً أغث دمع ربَّات الصَّلات الوشيجةِ
أغث كبدًا مصدوعةً لكئيبة تضَرَّبُ في فخ الأسى كالفريسةِ
تذوب وتفنى لحظةً بعد لحظةٍ وتسفك أيام الحياةِ الشقيَّةِ
دموعًا، وأنَّات، وأحلام خيبةٍ، وذكرى مخافاتٍ، وأشباح نكبةِ
وفي دمها نارٌ تؤجِّج، وقلبُها يفور على آهاتِ وجد كظيمةِ
تناجيك في اللَّيل البهيم كأنها وآمالها تهوى حطام شهيدةِ
إذا كنتَ قد آخذتني بجريرتي فحسبي «خَمسٌ من سنين» رهيبةِ
حملتُ بها الأثقال في السجن صابرًا وقاسيتُ فيها كل هولٍ ووحشةِ
وإن كان تأديبًا، فقد جاوز المدى وحاشاك أن تصْغَى لداعي السَّخيمَةِ
وأنت أمير المؤمنين وإنَّما يُرَجِّي الرعايا الخير عند الخليفةِ
رجوتُك في الأمس القريب بزفرةٍ من الشعر قد أودعت فيها حقيقتي
وهأنا في شعري الذبيح مجسدٌ قد اصْطَبَغَتْ أوزانه بسريرتي
أهزُّ بها قلبًا برى الله ذاتَهُ ملاذًا ومأوى للصِّفات الجميلةِ
فرفقًا به يا «ناصر الدين» إنَّهُ ثمالة وجدانٍ، وآخر زفرةِ

سجن حجة: ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م

٩٠ ــ دَمعة وابتسامة.. أو: (فرحة الإطلاق)

[في ٢ رجب ١٣٧٢هـ أَمَر الإمام أحمد بإطلاق صاحب الديوان من معتقل «قاهرة حجة» وبانتقاله إلى «الحديدة»، فكانت نعمة كبرى تلقَّاها الشاعر بالشكر، وكان أن لبَّى الإمام أحمد دعوة «شركة الملح» في الصليف في ٧ شعبان سنة ١٣٧٢هـ. ثم عرَّج على الحديدة فعبَّر الشاعر بهذه القصيدة عن آثار كل ذلك في نفسه وقدَّمها إلى الإمام في ١٣ شعبان ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م]:

عَطِّر قصيدك بالنَّسيبِ ... وانْضَحْ به حرق القلوبِ
واسكبهُ خمرًا في كؤو ... س الفنِّ، خالدة الطيوبِ
واسبكْهُ زهرًا أبدعتْـ ... ـهُ يراعة الوحي الخصيبِ
ريَّاه سحر الحُبِّ مصـ ... ـبوغًا بأخيلة الأديبِ
واقْبَسْهُ من ألق الصبا ... ح ــ سنًا ــ ومن شفق المغيبِ
من بسمةِ الفجر الوليـ ... ـد ونفحة الروض القشيبِ
من كل ما في الكونِ من ... حسنٍ وأفراحٍ وطيبِ
شعرٌ تزفُّ به الحيا ... ةُ عرائسَ الفنِّ العجيبِ
أوزانه رعشات سحـ ... ـر في مزاهر عندليبِ
ونشيده سبحات وحـ ... ـيٍ في مخيَّلةٍ خلوبِ
ورُقاه آمالٌ تدا ... عب بالمنى شغَف القلوبِ

* * *

قد طال شجوك يا «نشيـ ... ـدي» وانصدعتَ من النحيبِ

وأرقْـت روحـك حـسـرةً ... في ذائب الـدمـع الخضيبِ
وبـكيـت بؤس الـكـون في ... نغم مـن الشـكـوى مـذيبِ
بـالأمس كـنـتَ أسـيـر هـ ... ـمٍّ بين أنـيـاب الـكـروبِ
جثمتْ عليـك كـلاكـل الـ ... ـبلوى، وأثقـال الـخـطوبِ
فـرفعت طـرفـك بـالـرجـا ... ء وطيـر صـدرك في وجيبِ
ودعـوتَ «أحمـد» نـاصـر الـ ... إسـلام ذا الحسَبِ الحسيبِ
فـأغـاث روحـك وهـو في ... شنَّـاقـة اليـأس الغضـوبِ
وتـكشَّـفَت سـحب الـمـخـا ... وف وانجلَت ظُلَمُ الـريـوبِ
فـامسحْ بفـرحتك الجـديـ ... ـدة دمعـة المـاضي الكئيبِ
واستقبـلِ الـدنيـا وطِـرْ ... في أفق بهجتهـا الـرحـيبِ

* * *

مـا كـنـت آمـل أن أرى ... وجـه (الخليفـة) من قـريبِ
إلاَّ وقـلبي فـي يـدي ... جـرحٌ تـمـزَّع بـالـنـدوبِ
صـرخـاتـه تبكي الحيـاة ... بـدمـع خيبتهـا السَّكيبِ
وكـأنَّـمـا أنـا جـثَّـة ... خـرساء في كفن الـذنـوبِ
فـرأيت وجـه المـجـد يـز ... هـو فـوق عـرشٍ من قلوبِ
تـاجُ الـعـروبـة يـزدهي ... فخـرًا بمفـرقـه المهيـبِ
فـكبتُّ أنـفـاس الـقـنـوط ... وقلت: يـا نفس اهـدئي بـي
هـذي الـجـلالـة لا تضيـ ... ـق بيـوم تـوبتـك الحزيبِ
أطـلِع بـشعـرك شـمـسَـه ... واهتـك بهـا حجب الـريـوبِ

* * *

تـالله لـن يـجـد الـزَّمـا ... ن لتـاج مجـدك من ضـريبِ
أحـيـيـت سـنـة «أحـمـد» ... في عصر فلسفة الخـطوبِ

وأقمتها بيضاء تجـ ـلو مجد غابرنا الذَّهيبِ
والشرق في بيد الظنو ن وفي دجى الشك المريبِ
فكأنَّ عصر «محمدٍ» قد شقَّ داجية الحقوبِ
وأطلَّ عهد الراشديـ ـن بثوب فطرته القشيبِ
فاسلك بنا نهج النجا ة فنحن في زمنٍ عصيبِ
وابشرْ فسوف ترى قريـ ـبًا آية الفتح القريبِ

* * *

سنرى قريبًا شعبنا الـ ـيمني مفخرة الشعوبِ
«فلكًا ترصَّعَ بالحكيـ ـم، وبالصناع، وبالطبيبِ»
شركاته الكبرى تفيـ ـض عليه بالعيش الخصيبِ
ورجالُه الأمناء قد وهبوه حَبَّات القلوبِ
يتدَرَّجون إلى المكا رم في الشمال وفي الجنوبِ
نمضي جميعًا تحت را ية قائد الوطن النجيبِ
أسد الجزيرة «ناصر الْ إسلام» ذو الحسب الحسيبِ
مولاي؛ هأنا في دمو عي كالغريق وفي وجيبي
أبليتُ ماضي العمر في جهل وفي حُلُمٍ كذوبِ
لم أكتسبْ إلَّا الندا مة والتلطُّخ بالعيوبِ
وقتلت أيَّام الصِّبا بين المخاوف والكروبِ
آليت أن أدع الحيا ة تمرُّ بي مَرَّ الغريبِ
لا أستنيم لسحر فتـ ـنتها ومنظرها الخلوبِ

* * *

مولاي خذ بيدي إلى حرم الأمان من الخطوبِ
قد طال تعذيبي، وكد تُ أذوب باليأس المذيبِ
فذبحتُ أنغامي على أشلاء أحلامي وكوبي

وجـرعـتُ حـسـرةَ نـادم ... ورشفْتُ إخـلاص الـمنيبِ
خـذنـي بـذنـبي إن أرد ... تَ فلن أكـابـر في ذنـوبـي
أو فـاغـتـفـرهـا رحـمـةً ... بـأسًى تجسَّم في شحوبـي
أنـت الحـليم؛ وصـدر حـلـ ... ـمك لا يضيق بوزر حـوبـي
جـاوزتَ حَدَّ الـوصف فـاعـ ... ـذر عـجـز أخـيـلة الأديـبِ
سـتـظلّ مـعـجـزة الـبـليـ ... ـغ الفـذ، واللسن الخـطيب

الحديدة: ١٣٧٢هـ / ١٩٥٣م

٩١ ـ تهامة في التاريخ

[قِيلت بمناسبة رحلة الإمام أحمد إلى «حمامات السخنة»، وقُدِّمت إليه حين عاد إلى «الحديدة في ٢١ شعبان سنة ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م]:

تنقَّلْ يا أمير المؤمنينَ تحوطك عينُ ربِّ العالمينَ
وأرواح الريعايا المخلصينَ وأَحْي قُلوبَ شعبكِ أَجمعينَ
فقد ملكُوا بكَ الكنْزَ الثَّمينَا

* * *

هبطتَ على تهَامَةَ غَيْثَ بِر وإحسانٍ وإفضالٍ ويُسْرِ
فبادَ بيُسْر عطفِكَ كل عُسْر وذابَ بخير جودك كلُّ شرِّ
وهبَّ الخلق نحوك شاكرينَا

* * *

تساءَلتِ القفارُ وَأَنْتَ فِيها أدار بها القَضَا وحَنا عليْهَا
فصَيَّر جَدبَها عَيشًا رَفِيهَا أم الفدروس قد أَهدت إليْها
مثالاً من نعيم الخالدينَ؟

* * *

أَتُفْنِي دَهْرَها قَيْضًا وجَدْبَا وتَطْوي عُمْرَها سَغَبًا وَرُعْبَا
ولا تزدانُ أزهارًا وعُشْبًا فَتطلَعُ فجأةً فتفيضُ خِصْبا
وتَجْمُلُ منظرًا وتَطيبُ طِينَا

* * *

بعثتَ اليومَ فيها العِلْمَ حيًّا وصيَّرتَ المُقَامَ بها هَنِيًّا
فنور «الكهربا» يزهو قويًّا وصافي مائها يجري نقيًّا
وإصلاحاتها تبدو فنونا

* * *

وقد حَصَدَتْ من التاريخ قَفْرا وإهمالاً وإعناتًا ونُكْرا
يعيث بها البِلى عَصْرًا فَعَصْرَا ولا مَلِكٌ بها قد شادَ فخرا
ولم تعرفْ سوى المتجبرين

* * *

مضى فيها الملوك «بنو زياد» وهَمُّهمُ الشموخُ على العبادِ
«وآل نجاح» ظَلُّوا في طرادِ وحُكِّم بعدَهُمْ أهلُ الفسادِ
فنكَّل «تورنشاه» بهم فُنُونا

* * *

وأضنى الخلقَ جُلُّ «بني رسول» وهل ترك «المجاهِدُ» من سبيلِ
لفضلٍ أو ليسْرٍ أو جميل وظلَّ الناس جيلاً إثر جيلِ
لغصَّات الشقا يتجرَّعُونَ

* * *

سل التاريخ كم نُثِرَتْ رؤوس وكم خُنقَتْ بكربتها نُفُوسُ
وكم في ليلِهِ قُبِرَتْ شموس أديبٌ أو حكيمٌ أو رئيسُ
وباتُوا بالمنون مصفَّدينَ

* * *

و «أهل البيت» في جزرٍ ومَدٍّ يذوقونَ العنَا في كل عهدِ
دماؤهم تسيل بكل نجْدِ وأنفسُهم تُبَاحُ لكل وغدِ
وهم بجِهَادِهِمْ متمسِّكينا

* * *

وأشـرق جـدُّك «المنصـور» بـدرًا فـأحـيـا نـورُه الأرواحَ طُـرًّا
وجـدَّد لـلهـدى والـحـقِّ ذكـرًا وطـال «أبـوكَ» طـودًا مشمـخـرًّا
وكـان بـشـعـبـه بـرًّا أمـيـنًـا

* * *

وحـين طـلعـتَ فـي الآفـاق نُـورا كسـوت معـالم الـدنيـا حُبـورا
وتـاه الـشعـب مـختـالاً فـخـورا وغـنّى بـهـجـةً، وزهـا سـرورا
وضـوَّعَ ذكـرُهُ في العـالـمينَ

* * *

وقُـدْتَ الشعب نحـو المجـد حرًّا تـشـقُّ أمـامـه مـا كـان وَعْـرا
وتـحـطم دونَـه الأهـوال قَـسـرا ولـولا أنـت تـحـرسُـه لـخـرَّا
صـريعًـا بين أيـدي الـطامعينَ

* * *

إذا شَـرَّفْـتَ صقعًـا تـاه مـجْـدا ونـوَّر أفـقـه فـرحًـا وسـعـدا
وكـبَّـر أهـلُهُ شـكـرًا وحـمـدًا وأصبـح اِسمـك المحبـوب وِرْدا
بـه يـتـرَّنـمـون ويـلهـجـونَ

* * *

وإن حَـلَّتْ ركـابُـكَ سـوحَ قـطر زهـا وافـتَـرَّ من نِـعَـمٍ وبـشـرِ
وحـال تـرابُـه قـبَـسَـات تِـبْـر يـشـعُّ، وصـخـرهُ مـاسـات دُرِّ
وَوَرْدًا كـالـثُّغـور ويـاسـمـيـنـا

* * *

ونـجلك يـقتـدي بـك غـيـر وانٍ ولا يـخـشى مـقـارعـة الـزمـانِ
وحـول حـيـاتـه تـثب الأمـانـي تَـراه رغبـة «الشعب اليـمـاني»
وآمـال الشبـاب الـطامحيـنـا

* * *

فَـدُمْ مـولاي تُمْنَـحُ مـا تـريـدُ وحـظُّك حَسْبمـا تَهْـوَى سَـعيـدُ
وعـمـرك كُـلُّه فـرحٌ وعـيـدُ يـذل لـطَوْلِ عـزتِـكَ الـعَنِيـدُ
ويعنـو الـدهـرُ رِقًّـا مستكينَـا

* * *

ودَامـت «يـا أميـر الـمؤمـنيـن» تـحـوطُـك عينُ ربِّ العـالـمينَ
وأرواح الـرعـايـا الـمخلصيـن تـطوف عـلى مـرابعـنـا أمينـا
وتهـدينـا الصـراط المستبينـا

الحديدة: ١٣٧٢هـ / ١٩٥٣م

٩٢ ــ ضـراعـة روح

[قُدِّمت إلى الإمام أحمد في ٢٧ شعبان ١٣٧٢هـ، بالحديدة]:

خذِ الناي، واصدحْ بالنشيد المطلسم ... وحرّك صبابات الغرامِ المكتّمِ
طحا بك شوقٌ في سمائم برحه ... تذوب حنايا كل قلبٍ متيّمِ
تبيت تداري السُّهد أو تنشد الكرى ... وتصبح في ليل من الهم مظلمِ
أحبًّا وقد ولى الشباب؟ وصبوة ... وقد صرتَ مثل الهيكل المتهدمِ
ولم تدع الأيام منك بقيةً ... لنزوة حُبّ وافتتان تتيّمِ
فؤادي شهيد الحُبّ؛ لا تطلبوا له ... غريمًا سوى ثغر الهوى المتبسّمِ
صبرتُ على هوج الخطوب ولم أطق ... على الحُبّ صبرًا وهو ينساب في دمِي
سقاني سعيرًا في رسيس لهيبه ... فناءً لعمري واحتراق لأعظمِي
ومن يُعْط قلبًا مثل قلبي يعش به ... يتيم الأماني للتعاسة ينتمِي
إلام التمادي في الهيام؛ وقد ذوتْ ... حياتك في لفح السقام المسممِ؟
فدعه ولُذْ بالروح من عطفِ «أحمدٍ» ... ملاذ المرجّى، بهجة المتألّمِ
هنا حيث أعلام الشريعةِ تزدهي ... هنا؛ حيث آمال العروبة تحتمِي
هنا حيثُ قلبُ الشرق ينبض بالعلا ... هنا؛ حيث عرضُ العرب غير مثلّمِ
هنا حيث تجلو رحمة الله رفقها ... ونعمتها للبائس المتَجَهَّمِ
مقام «أمير المؤمنين» وليتني ... أطوف به كالمستجير المسلّمِ
ألا.. لا تلومني إذا صحت جهرةً ... دعوني على أعتابه اليوم أرتمِي
ففي قدسها رفّت تمائم ميعتي ... وفيها عرفت العيش غير مذممِ

وكنت بهـا طيـرًا يـرقـرق لحنُـهُ ... على كل سمع خمرةَ الروح والـدَّمِ
وبتّ.. ولم أحرص على فضل خيرها ... فأصبحتُ في قفر الشقا والأسى عَمِي
خرجتُ طـريـدًا مثـل «آدم» بـاكيًـا ... لسـاني معقـودٌ يـتمـتم فـي فمِـي
وروحي تنـاجي حـظهـا وهـو مـوثقٌ ... بـأغـلالـه رهن الأسى والتنـدُّمِ
أمـولاي لا تكبتْ دمـوع تحسـري ... بنـظرةِ زجـرٍ، أو بلمـح تـجهّـمِ
فقـد طهَّـرتهـا حقبـةً نـارُ تـوبتي ... وفارتْ على يحموم قلبـي المحطّمِ
فلو رسمـتهـا ريـشـةُ الفـنّ مَثَّـلَتْ ... ضـراعـة روح المستهـام المتيَّمِ
ولو صُبّ منها ـ وهي تنساب ـ قطرةٌ ... على النّـار لم تقـدَحْ ولم تتضـرّمِ
ولـو طاف في الآفـاق ظـلُّ حميمهـا ... لهبَّتْ بجبّـار السـمـوات تحتمِـي
وجـدتـك بعـد اليـأس جنـة رحمـة ... فـفئتُ إلـيهـا مـن زفيـر جـهـنّـمِ
وشـاهـدتُ من بعـدٍ أسرةَ طلعـةٍ ... إلى سيّـد الخلق المكـرم تـنتمِي
فدارتْ بـي الدنيا،وطارت بـي المنى ... وعـاقـرتُ منهـا خمـرةً لم تحـرَّمِ
وأيقنت أني قـد ظـفـرت ببـغيـتي ... ونلتُ الـذي قد كـان محض تـوهّمِ

* * *

أأحـرم من حظ الحيـاة وخيـرهـا ... وحلمـك لا يشقى به ذنب مجـرمِ؟
أأشفق من جـور الـزمـان وبـطشِـه ... وقـد لذت بـالركن الـوثيق المعـظَّمِ
كفـاني وقد شـاهدت وجهـك نعمـةً ... تـدافـع عني كـل هـولٍ مـدمـدمِ
فخذ بيدي يا «ناصـر الدين» واكفني ... شـرور زمـانٍ سـامني كـلّ مؤلمِ
وسجّـل بعفوٍ منـك صـك سعـادتي ... وسـوف تـراني نـابـذًا كـل مـأثمِ
وأقـطع بـاقي العمـر وهـو ثمـالَـةٌ ... ببـابـك أشـدو طـاهـر القلب والفمِ
فـوالله مـا أبقى الـزّمـان بمهجتي ... سوى شخصك الغالي على كل مسلمِ
ونجلك؛ فهـو اليوم ذخـري وعدّتي ... مـحـبـتُـه ديـنٌ يـقـدسـه دمِـي

الحديدة: ١٣٧٢هـ / ١٩٥٣م

٩٣ ـ صـــلاة

أنا لا أنظم شعرًا؛
فلقد أنسيتُ أوزان القصيدْ
إنما أنثر أشواقًا ودمعًا؛
شوق قلب مغرم
وفؤادٍ مؤلم
ودموعًا عصرتها
لهفة الروح الحزين

* * *

عندما تلثم الشمسُ
بأكفان المغيب
وتضمّ الكون أستار الظلام
ويغنّي اللّيل لحن الموت
في سمع الوجود
أذكر الماضي وأنسى حاضري
معرضًا عما أراه من صراع
بين أشلاء الضياء
وجنود الظلمات

* * *

وأناجي حُلمًا طاف قديمًا
في جفوني ثم غاب
تاركًا أشباحه حولي تحوم
وتغنّيني أناشيد الوصال
وتناجيني بآمال اللّقا
وتبثّ الحزن في قلبي وروحي
آه أين النُّور؟
هل ولّى؟
ترى هل سيعود؟
ومتى أصقل روحي بسناه؟

* * *

عندما تنتحب السحبُ
وتشكو وتنوح،
يفزع البرقُ جناني
وأراه قادحًا عن كبدي!
نارها
يحطم الرعد كياني
وأراه موقظًا في مهجتي
ثارَها
ثم أنسى كل شيء،
لا سحاب؛ لا بروق؛ لا رعودْ
ليس إلاَّ ذلك الماضي الجميل
ينضح النفس بدمع الذكرياتْ

آه أين الدّار؟
بل. . أين الحبيب؟
أين من كان بقلبي أملاً؟
وبجفني حلمًا. . ؟
أمضى الدهر به؟
أم تراه سيعود؟
ومتى سوف أراه؟

* * *

عندما ينفلق الفجر
ويزهو بسناه
أرشف النُّور بروح موجع
جثم الليل عليه
ظلمات مطبقات
طالما صارع أهوال الظلام
دون جدوى

* * *

والسنا خلف الدياجي
موثق الخطو أسير
آه أين الفجر؟
هل مات النهار؟
أم تراه بعد أن ضلَّ الدليلْ
ضل عن نهج السبيل؟
أم بأوهاق العذاب.

وتباريج الشبابْ
صهر الروح وذاب
يا لروحي
يا لقلبي
يا لأحلامي العذابْ!

الحديدة: ١٣٧٢هـ / ١٩٥٣م

٩٤ ـ النور الشهيد

حطمتُ مصباحي
والليلُ يرزحُ تحت وطأتِه الوجودْ
وخنقتُ صوتي في فمي
وصهرت لحني في فمي
وكسرتُ قيثاري
والكونُ يصغى للنشيدْ
ونحرتُ أحلامي الجميلة
وارتميتُ على التّراب.

* * *

أبكي بلا دمع..!
وأنوح بالصمت البليغ
وأريقُ سؤرَ الروح
فوق حطام آمال الشبابْ
وأذيب لحنَ الثكل
فوقَ رُفاتِ أنغام الرَّبابْ

* * *

ودَّعت أفراحي
والشمسُ تدلف للغروبْ

والبحرُ ساجي الموج
يرهبُ ظلمةَ الليل العتيدْ
يهفو إلى النورِ الجريحْ
ويودّع الضوء الذبيحْ
والأفق في شفق الأصيلْ
نشوان كالحلم الجميل
وأنا المعذَّب بالدجى والنُّور
حيران لا أدري
ماذا وراء اللَّيل.؟

* * *

الفَجْرُ..؟
لا
الفجرُ مقتول السنا،
خنقتُه كف الهول
وهو بمهد فرحتِه وليدْ
يا دمعة الأفق الطريد
ذوبي على الفجر الشهيدْ

الحديدة: ٢٠ رمضان ١٣٧٢هـ / ١٩٥٣م

٩٥ ــ أَمـــل

في هوَّة اليأسِ . .
حيث الأفاعي السود تنفثُ بالسُّمومْ
وهياكل الآمال ترسفُ في الهمـومْ
والخيرُ يَجْأَرُ موثقَا
والشر يزأرُ محنقَا
أشعلت نبراسي
وجثوتُ . . أوقده بزيت عواطفي
وأصدُّ عنه مطبقات مخاوفي
والقلبُ يخفق حائرا
والروح يصرخ ثائرا
وكما يُطلُّ البدرُ من خلف السحابْ
ويداعبُ الأفقَ المصفّد بالضَّبابْ
طَلَعَتْ تباشيرُ الصباحْ
فَشفَتْ تباريحَ الجراحْ

* * *

أملٌ زَهَا؛
كالنجم يغمُرُه السَّنا
فقطفتُ من إشعاعه

قُبَلَ المُنَى
ورشفتُ من لمحاتِهِ
خمرَ الهنا
وتطلَّعتْ روحي إلى بسماتِهِ
وتحسَّسَتْ نفسي صدى نغماتِهِ
ونسيتُ ماضي شقوتي وتعاستي
وكأنَّما ذابَ الوجودْ
فلا حدود، ولا سدودْ
أنا كل ما في الكونِ
من مرحٍ ؛ ومن معنًى جميل
يا للجمال؛
الحبُّ يحلُم ناعمًا
والفنّ يرقصُ باسمًا
يا للجلال؛
دارتْ حياتي بـي على فلك السرورْ
فطفقْتُ مخمور الشعورْ
كالنُّور
أو كحفيفِ أوراق الزُّهورْ
فامرح فؤادي
وارتشِفْ كأس الحياة
ليسَتْ دموع اليائسينْ
بل نغمة المتفائلينْ
هي ؛ لذَّة كبرى تدور على قلوب
العاشقين

هي؛ بسمة سكرى تطوف على شفاه
الحالمين
فانعَمْ بها. . . قبل الوداعْ
واستفّها قبل الرحيلْ.

الحديدة: ٢٥ رمضان ١٣٧٢هـ / ١٩٥٣م

٩٦ ـ السيِّد عبد الله عبد الكريم

[كانت وفاته ـ رحمه الله ـ بتعز في رمضان سنة ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م، وأُرسلت عزاءً لابنه السيد العلَّامة عبد الله بن عبد الله عبد الكريم]:

جفَّ لهول الرَّزيَةِ القَلَمُ ... وكاد مِما عَرَاه ينحطمُ
وانسحقَت طاقَةُ البيان فما ... لها معان، وما لها كلِمُ
حزنًا على من هوت لمصرعه ... العلياء، والصالحات، والكرمُ
«فخر الهدي» أطهر الأنام هوى ... وسيرةً والمَبرَّأُ الفَهِمُ
رَمَى فؤادي النعيُّ فانتحبَتْ ... به الأماني، وحسَّها الألَمُ
وكان شعر الرثاء صاعقةً ... أمسى بها الصبر وهو منهدمُ
قرأته واللسان راعِشَةٌ ... والدَّمع يهمي، والقلب يضطرمُ
شعرٌ تذيب الضلوع لوعتُهُ ... بركانه في الرؤوس يحتدم
يرفَضُّ دمعًا وحسرةً وأسى ... كأنَّما فجَّرت به الدِّيَمُ
صوَّر لي هيكل الفقيد وقد ... أضناه ضعف الحياة والسقمُ
وطرفُهُ خاشعٌ لخالقه ... وروحه بالإلٰه معتصمُ
ونجلُهُ حولَهُ يذوب أسى ... «والنَّفس شجوى والقلبُ منكلمُ»
فقلت يا رحمة الإلٰه لَهُ ... تداركيه فخطبه عَمَمُ
لم يرحم الموت خفق مهجتِه ... وحزنها كالخِضمِّ يلتطِمُ
ولا رعى برَّه بوالده ... وهو الذي تنحني له القِمَمُ
هيهات ما للزُّؤام مرحمةٌ ... ولا حنو، وما له رَحِمُ
يخضد زرع الحياة منجله ... وجوفه للوجودِ يلتهمُ

والموتُ شَطُّ الحياة؛ صخرتُه ... بها حياة الأنام تنصدمُ
والمرءُ مهما تَطلْ إقامته ... تمشي به نحو قبره القدمُ
خرافةٌ عيشه، ومهزَلةٌ ... آماله، بل وجوده عدمُ
تَعزّ يا «زينة الشباب»، ولا ... تأس فما في الحياة مغتنمُ
وما الذي قد يفيده جزعٌ ... وما الذي قد يعيدهُ الألَمُ؟
أسوتنا بالنبيِّ تجبر ما ... يجرحُه دهرنا، وما يَصِمُ
والدك الصالح العظيم مَضَى ... وروحُه بالجلال يتسِمُ
عاش نقيَّ الضمير، مجتهدًا ... لِرَبِّه بيتُه له حَرَمُ
البرُّ والخيرُ، والسماحة، ... والإخلاص فيما أَتَى، لَهُ شِيَمُ
غايتُهُ أن يطيعَ خالقَهُ ... ويرتجي فضلَهُ ويلتزمُ
ومات بعد السقام مغتربا ... وشوقه في الضلوع يضطرمُ
حُقَّ لَهُ الأجر والشهادة ... بالموت غريبًا يؤوده الهرَمْ
رأيتُه قبل موته شبَحًا ... قد حَطَمتْهُ السنُون والسقَمُ
فارتعشَتْ في دمي الحياة أسىً ... وانتشرت في جفوني الظُّلَمُ
وكيف لا؟ والأصول تجمعنا ... ونجلُهُ لي أخ ومعتصَمُ
وكان أسمَى نَدى تجسَّمَ لي ... تخجل من فيض جوده الدِّيمُ
عِناية من «إمامنا» غمرتْ ... فقيدَنا والمنون تصطَلِمُ
و «ناصر الدين» فضلُهُ عَمَم ... وجوده الجم ليس ينكتمُ
حياته تكسب الحياة لنا ... سعيدةً لا تمسها النقَمُ
فقلبه كالسماء متَّسِع ... حنانه للشرور يلتهمُ
وعقلُه كالزَّمانِ متَّسِق ... لكل ما في الوجود ينتظمُ
ونفسه أنفس مُشعَّبة ... خيراتها؛ بل وشخصُه أممُ
لا برحَتْ «رحمة الإلَه» ولا ... زالت لقبر الفقيد تستلِمُ

الحديدة: ١٣٧٢هـ / ١٩٥٣م

٩٧ ــ ليلة العيد... عَلى شاطىء الحُدَيدة

[ألقاها صاحب الديوان ثاني يوم عيد الفطر ٢ شوال سنة ١٣٧٢هـ، في حفل يرأسه سيف الإسلام البدر، ولي العهد، وقُدِّمت إلى الإمام أحمد تهنئة بالعيد]:

(ذهبُ الأصيل على لجين الماء) تسبي مفاتنُه نُهى الشعراءِ
وشراع كل سفينةٍ يهفو به شوق النسيمِ، ولهفةُ الدأماءِ
والموج يعْبَثُ راقصًا ومصفِّقًا والشط يضحك بالثرى الوضَّاءِ
والأفق يغمره الجمال كأنما نسجتْ غلالتَه يد اللألاءِ
والشمسُ في شفق المغيب كأنَّها كبد الشجيّ تضرَّجت بدماءِ
حتى إذا التقمَ الخضمُّ شعاعها وطغَتْ على الدنيا دُجى الظلماءِ
نثرتْ على الأفق النجوم كأنَّها زَهر يميسُ بروضة غنَّاءِ
وتطلَّعت زُمُر البشائر تحتفي وتزفُّ حلم الليلة الغرّاءِ
هي ليلة العيد السعيد جمالُها أبدًا وسام الكون والآناءِ
هي بسمةٌ في كل قلبٍ وهيَ... للأرواح جنَّة بهجةٍ وضياءِ
والعيدُ خلف الفجر بين السحر والبسمات والأفراح والأضواءِ
يُزْجي البشائرَ للحياةِ كأنَّه مَلِكٌ يسوق الخير للبؤساءِ
أعلى الملوك يدًا وأسماهم أبًا وأعزُّ من يمشي على الغبراءِ
سند المكارم ملتقى حسناتها والحجَّة الكبرى على الزُّعماءِ
في الحلم، في بثِّ الهداية، في التُّقى في عزم تلك الهِمَّة القَعْساءِ

أبـدًا تسجِّـل معجـزات صفـاتـه ... عجـز البيـان، وخيبـة البلغـاءِ
وتُلَقِّن الـدنيـا بـلاغـة مجـدهـا ... بـالفعـل لا بـزخـارف الأسمـاءِ
هـو (ناصـر الدين) الحنيف؛ وإنَّمـا ... بجهـاده انتصـرتْ منى الـحنفـاءِ
تمجيـده شعـري، وصـدق ولائـه ... ديني، ونيـل رضـاه عين شفـائي
مـا زال حـزني منـذ فـارق سـوحـه ... حَـظي ينغِّص ضحـوتي ومسـائي

* * *

يـا ناصـر الإسلام حسبي حسـرتي ... بـله الـذي قـاسيـتُ مـن أرزاءِ
(بالبدر) نجلك عذتُ من شرِّ الورى ... وهـو المعـاذ لـمعشـر التعسـاءِ
سـر لمجـدك أودع الـرحمنُ فـي ... ذاك الـجبين الـمشـرق الـوضَّـاءِ
سـرٌّ تـألـق في جبيـن «محمـد» ... و «وصيـه» و «بنيـه» و «الـزهـراء»
مـا زال طِلَّسْمَ الـبـطولـةِ والعُـلا ... وتميمـة الـزعمـاء والـعـظمـاءِ
جحـدوه، أو كتموه، أو ضـاقـوا بـه ... سـيَـظلُّ وضَّـاءً كـنـور ذُكـاءِ
تقفُ العقـول على مـطالـع نـوره ... حَسـرى تصَـابـر خيبـة الأعيـاءِ
لا تستـطيـع تعمقًـا في وصفـه ... كُبـرتْ حقـائـقُـه على الـشعـراءِ
فـاعذرْ يَـراعي إن كبا، واعـذر لسـا ... ني إن هفـا، واعـذر قصـور ثنائي
حُبِّي لكم حَسْبي شفيـع تحـنُّن ... ينثني سـرائـر محنتي الخـرسـاءِ
ستُّـون شهـرًا عشتُ فيهـا ميِّتًـا ... لـولا رقـى أمـلي وروح رجـائـي
مـا حـدتُ فيهـا لحظةً عن ذكـركم ... نـدمـان أبكي نـكبتي وشقـائي
وإذا انتشيتُ بخـاطـرٍ عن مجـدكم ... هـان الـمـطاب ولم أُبَـلْ بـعنـاءِ
وإذا ذكـرتُ ندى «الخليفـة» بُـدِّدت ... سحب المخاوف وهي ملءُ سمائي
وإذا لـهـجتُ بـاسـمـه مـتـعـوِّذًا ... صُهِـرَتْ قيـودي واختفتْ أدوائي
حتَّى تـداركـني لـطيـف حنـانِـه ... فـأفـقتُ أرشـف نسـمـة الأحيـاءِ
وسرَتْ بـأعصـابـي الحيـاة لـذيـذةً ... وجـرت بتريـاق النشـاط دمـائي
سـأظـل أحمـدُ «أحمـدًا» متـرنمًـا ... بـعُـلاه في الإصبـاح والإمـسـاءِ

هـو روض آمـالي، وكنـز سعـادتي وشعـار إيمـاني، وسـرُّ بقـائي

* * *

يـا ليلة العيـد اغـربـي عنِّي فمـا في العيـد من أربٍ لـصبٍّ نـائي
النـاسُ في بسمـاتهم قـد أَغـرقـوا همَّ الحيـاة وكـربـة البـأسـاءِ
وعـواطفي في ذكـريـات تعـاستِي صـرعـى كـأشـلاءٍ عـلى أشـلاءِ
والـحبُّ يـغلي فـي دمي ويـؤجُّ في كـبـدي وتكـوي نـاره أحـشـائي
وكـأنَّما أنـا ـ والهموم تحـوطني ـ صـوت أحيط بـزعـزع هـوجـاءِ

* * *

عيـد الغـريب الـدمـع، والآهـات والـذكـرى فيـا شجـواه للغـربـاءِ
ويـح الغـريب بـه إذا عصفت بـه الـذكـرى فـبـات بـليـلة لـيـلاءِ
ورمى بنـظرتـه الـوجـود فلم يجـدْ سـلوى ولـم يـظفَـرْ بـأي عـزاءِ

* * *

مـولاي أنت العيـد؛ كـل مَسَـرَّةٍ لـولاك لـغـو خـرافـةٍ وهُـراءِ
فهـو الجـديـر بـأن يهنَّـأ إذ زهَتْ أفـراحـهُ بـسمـاتـك البيضـاءِ

الحديدة: ٢ شوال ١٣٧٣هـ / ١٩٥٣م

٩٨ ــ يا قوم بشرى فقد وافاكم الفرج

[في ٢٦ شوال سنة ١٣٧٢هـ شَبَّ في «الحديدة» حريق هائل أتلف نحوًا من ستمئة بيت، وفي اليوم التالي وصل الإمام أحمد على الطائرة، وحين وقف على أطلال البيوت المحترقة فاضت عيناه بالدمع، وأمر بعمارتها من جديد، وقد قُدِّمت إليه هذه القصيدة في ذلك اليوم]:

من المحلَّق تهفو نحوه المهجُ ... ومن أشعته الآفاق تنبلجُ؟
يجتاب شاسعة الأجواء مندفعًا ... لا عاصف الريح يلويه ولا الرَّهَجُ
أكوكب في الضحى؛ والشمس ساطعة ... أم رحمة الله بالآمال تنبثجُ؟
أم «الخليفة» أهدتهُ السماء لنا؟ ... يا قوم بشرى فقد وافاكم الفرجُ
هذي طوالعه الغرّاء سافرةً ... فكل قلبٍ بها ريَّان منثلجُ
ما كاد يظهر في الآفاق طائره ... حتى توثَّبت الأرواح والمهجُ
قالوا «الإمام» وهبُّوا نحو مهبطِهِ ... لا وقدة الرمل تُثنيهم ولا الوهجُ
والحبُّ طاقته الكبرى تذوب لها ... قوى الوجود فلا هولٌ ولا حرجُ
سرٌّ من الله في الإنسان أودعه ... لا منطق العقل يدريه ولا الحججُ
لقد شهدتُ وجوه الخلق مشرقةً ... شفاهُهُمْ بالدعاء والشكر تنفرجُ
يتمتمون باسمٍ ودَّ سامعه ... لو أنَّه لاهجٌ فيهم كما لهجوا
يا قسوة الهجر قد أُرضيت منك بما ... يُرضي القصيَّ؛ وحسبُ المدنِف الأرجُ
بالأمس شبَّت لظى النيران عارمة ... موَّارة اللفح بالأهوال تمتزجُ
ظلَّتْ تعيثُ بأعشاب الأنام ولم ... ترحم عجوزًا ولا طفلاً بها يلجُ

تمتدُّ سوداء أحيانًا، وآونةً صفراء بالشعل الحمراء تمتزجُ
بحرٌ من اللَّهب المسجور مضطربٌ من تحته لججٌ من فوقه لججُ

* * *

ما إن رأى (ناصر الإسلام) ما صنَعتْ بالناس حتى كوى إحساسه الوهجُ
بكى حنانًا وما أزكى الدموع إذا جفن (الإمام) بها يهمي ويختلجُ
وأصبح الناسُ في رَوحٍ وفي دعةٍ عطف «الإمام» لهم مأوى ومُبْتهجُ
دمع (الخليفة) أطفى ما تسعَّر في تلك النفوس وكانَتْ قبل تعتلجُ
هي الفضيلة في أسمى مظاهرها عَنا البيان لها وانتابه الرَّتجُ
لا غرو إن خانني شعري وأخرسني جلال من للهدي والحقُ ينتهجُ
فلم يدع غايةً يسمو لها بَطلٌ إلاَّ وحالفه في نيلها الفَلَجُ

الحديدة: ٢٦ شوال ١٣٧٢هـ / ١٩٥٣م

٩٩ ـ والتقينا...!

اشهدي يا نجوم؟ كم بتُّ في محـ
ـراب حبّي أشكو ليالي الفراقِ!
أقلق الليل بالأنين، وأبكي
وأناجي أطياف عهد التلاقي
لا أُبالي مرارة العيش في سجـ
ـني، ولا بالقيود تهصر ساقي
حبُّها قد طغى على كل شيء
فأنا منه في أشدِّ وثاقِ
والتقينا.. وشوقها مثل شوقي
ملء ما حولنا من الآفاقِ
ونسينا ما كان «في ساعة الوصـ
ـل» كأنّا لم ننفصم عن عناقِ
والتقينا.. لكن.. وكفكفت دمعي
وخنقت الآهات في أعماقي!

الحديدة: ١٣٧٢هـ / ١٩٥٣م

١٠٠ ـ الحُبُّ

فمن معين واحد أستقي
خمرَ شقائي وعذاب النَّعيمْ
إنَّ يدًا واحدةً؛ عندها
راحة عمري، وعذابي الأليمْ

* * *

وهكذا الحب خِضَمٌّ ولا
يعرف من قد خاضَه منتهاهْ
فألفَ موت كل يوم يرى
فيه وألفًا من ضروب الحياهْ

الحديدة: ١٣٧٢هـ / ١٩٥٣م

١٠١ ــ يـا رحـمـة الله

الصَّريعُ المضرَّجُ . . هو حُبّي
والطيورُ التي تحوم عليه
ذكرياتي .
والضريمُ المؤجَّجُ . . هو قلبي
والوقود الذي يُكبُّ إليهِ . .
رغباتي

* * *

كم تُميتُ الليالي
سرّ حُبّي الصريعْ
كم تثير الأماني
وجد قلبي الصديعْ
يـا لغـة الـوحي أفيضي على يـراعتي آيـاتـك الخـالـدَهْ
فـالحزن قـد أوقفها في يـدي صـامتـةً كـالجثَّـة الهـامـدَهْ

* * *

أي ماضٍ مُحَطَّمٍ . . لجناني ،
نَثَرْت حولَهُ العهود الخوالي . .
حَسَراتي ؟
أي ثُكْل مهدم . . لكياني

سَكبَتْ هَمَّهُ صُرُوف الليالي
في حياتي

* * *

كم تنوح الأماني
في جناني الصديعْ
كم تعيثُ الليالي
بكياني الصريعْ
يـا رحـمـة الله إلى رَشْـفَـة منـك تتـوق المُهَـجُ الـظامئـهْ
لَسْتِ محالاً . . أنت كنه الورى قـديمـة مـا أنت بـالـطارئـهْ

الحديدة: ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م

١٠٢ ــ دَمْـع.. وَدَمْـع

لـيس مـن يـرتـجـي وصـال حـبـيـبٍ
مـثـل مـن يـبْـتـغـي لـقـاء صـديـقِ
ذاك أنـكـى جـرحًـا وأدهـى، وهـذا
جـرحُـه فـي الـفـؤاد غـيـر عـمـيـقِ
وأخـفُّ الـدمـوع؛ دمـع رفـيـقِ
ذابَ يـبـكـي بـه فـراق رفـيـقِ
هـو أسـمـىٰ.. لـكـن دمـع أسـيـر الْـ
ـحبِّ يـغـلي في جـفـنِـه كـالـحـريـقِ

الحديدة: ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م

١٠٣ ــ أنـا ظـمـآن

هـجَـعَ الـلـيـل، ولـم تـهـجـع جـفـونـي
سـكـن الـكـون؛ ولـم يـسـكـن سـكـونـي
أنـا ظـمـآن إلـى كـأسِ الـهـوى
جـرعـةً تـغـتـال شـكـي ويـقـيـنـي
إنَّ آلامـي عـمـيـق جـرحـهـا
كـدتُ مـنـهـا أحـتـسـي كـأس الـمـنـونِ

الحديدة: ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م

١٠٤ ــ أهـل البـيـت

دَعْ ذكـر ليلاكَ واحـطِم كـأس «دارَينـا»
وعـدِّ عـن صبـوات الـمستهـامينـا
وخـلِّ بيت الهـوى في لَـغْـو فتنتِـه
ينـادم الشعـرا فيـه الـشيـاطينَـا
وارجـعْ إلى المثـل العُليـا وآس بهـا
كَـرْبَ الأبـاة، وبؤس المسْتَضَـامينـا
هنـاك في المـلأ الأعلى سَتُشْغَـل عن
لـؤم الأنـام بنبـل «الهـاشـميِّنـا»
«فسيِّـد» الـخلق فـي أنـوار سيـرتـه
يمحـو الضـلال ويهـدي الآدمـيينـا
وآلـه حـولـه تـزهـو مـفـارقـهـم
يـمثِّلون قـداسـات «الـنـبـيـينـا»
طـفـاوة الحق والإيـمـان مـحـدقـةٌ
بهم، وقـد سـطعـوا غـرًّا ميـامينـا
هـنـاك لا تُبـق إجـلالاً تـحسُّ بـه
إلاَّ ورَجِّـعـه تعـظيـمًـا، وتـأمـينـا
هُم البـهـاليـل مـن أبنـاء فـاطـمـة
طـابـوا فعـالاً، وأقـوالا، وتكـوينـا

وهبْتُهم مُهجتي لا لامتزاج دمي
بهم، ولكنَّني أحببتُهم دينا
مَن غير عترة «طه» حبُّهم شرفٌ
وقربةٌ وشعارٌ للمُصلِّينا
أكرمْ بمن وهبوا للحق أنفسَهُمْ
فصرَّعوا رغبةً فيه أفانينا
كانوا نجوم الهدى في كل داجية
وإن همو حَكَموا كانوا موازينا
الأوفياء.. وإن خان الزمان بهم
لا يقبلون لنقض العَهْدِ تزيينا
مكارم الخَلْق لم يَنْظم شمائلها
سوى «الأئمة» منهم والأبيينا
أسماؤهم في فم التاريخ دَمْدَمةٌ
على عروش الطواغيت «الفراعينا»

* * *

ليت القريض الذي يلهو الطغامُ به
لم يُعْنَ إلاَّ بمجد العبقريينا
وكان ميزان نقدٍ في انتفاضته
حكم العدالة يَهوي بالمضلِّينا
آليت أنفدُ شعري في الولاء لهُمْ
دمعًا، وحمدًا، وتاريخًا، وتلحينا

الحديدة: ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م

١٠٥ ــ تحيَّة العيد وعهد الولاء

[لم تحُزْ قصيدةٌ ــ في تاريخ الأدب اليمني الحديث ــ من الشيوع والاهتمام ما حازته هذه القصيدة، فقد تناقلها الناس، ونشرتها الصحف في عدن والقاهرة، وأذاعتها المحطات الأجنبية، ونشرتها مجلة «المشرق» بروما، وتُرجمت إلى اللغة الإيطالية، وجرت بعض أبياتها على الألسن مجرى الأحاديث العابرة والأمثال السائرة عند جميع طبقات الشعب اليمني. وقد ألقاها الشاعر في «حفلة الجيش» ثاني أيام عيد الفطر سنة ١٣٧٣هـ أمام صاحب السمو الملكي سيف الإسلام (البدر) وأعلن فيها مبايعة الشعب اليمني لسموّه، وأورد فيها من الحقائق ما لم يدر عام واحد حتى مثلت للعيون؛ وكانت عند قوم من الأماني الضائعة، والأساطير المزعومة]:

يَحِقُّ لِشِعْري اليومَ أن يتحكَّمَا ... فتصغي له الدنيا، وتحتفل السَّما
فقد طال ــ والأفواه تهرف ــ صمته ... وما استطاع قبل اليوم أن يتكلما
وما خانَه وحيُ البيان؛ وإنَّما ... يرى الصمت أحيانًا من النطق أحزما
إذا القول لم يَظفر بسمعٍ يذوقُه ... فنونًا فلا تُعدِد يراعا ولا فما
وخلِّ رياض الشعر نهبًا لبُومه ... تُجمجم صوتًا ناشز اللَّحن أعجما
فلا تتهادى كالحسان غصونها ... إذا ما شدا شحرورها أو ترنَّما
ولا تتناغى باللُّحون طيورها ... إذا سحَّ قطرٌ أو شعاعٌ تبسَّما
ودع أيكها يَظمَى وتظمى غصونها ... وأزهارها.. حتى تموت من الظَّما

* * *

وقلبيَ صبَّ الشعر ما زال مغرمًا ... به لم يَخُنْ عهدًا له أو تظَلَّما

عُرِفْتُ به طفلاً صغيرًا، ويافعًا ... ودمت له الصبَّ الوفيَّ المتيما
سقاني بكأسٍ لو سقى الدهر مثلها ... لما ضاق مخلوقٌ به أو تبرَّما
وفاض على الدنيا شآبيب رحمةٍ ... وخير ولم يترك بها متألما
هو الشِّعر نبراسي إذا الخطب أظلما ... وأُنسي إذا وجه الزَّمان تجَهَّما
وكم محنةٍ بالشعر أخضدُ شوكها ... وبالشعر أطفي جمرها المتضرِّما

* * *

زمانٌ مضَى ــ إن كان عذر تجنُّبي ... عن القول فيه ظاهرًا ليس مبهما
فقد حان هتك الصمت بالشعر صاخبًا ... وبالنَّثر في أفق البيان مدمدما
سأرسله من منبر الحق والهدى ... سهامًا وباقاتٍ، وزهرًا، وأنجما
وأفرى به قلب الحقيقةِ مخلصًا ... وأكشف عن سرِّ البطولة ملهما
وأنضَحُ عن عرش؛ إلى ذروةِ العُلا ... إذا ما نماه ناسبٌ عزَّ وانتمى
«محمدٌ المنصور» أرسى أصولَهُ و ... (يحيى) الذي أعلى، و (أحمد) تَمَّما
ثلاثة آسادٍ عنا الدهر خاضعًا ... لها واصطفاها الله للدين والحمى
توارثتِ النُّور الإلٰهي فاهتدى بها ... الخلق،وانشق الدُّجى ،وانجلى العمى
إلى من تُرى تفضي بسرٍّ جلالها؟ ... ومن يرث المعنى الفريد المطلسما
ومن صاحب الحق الذي دون نيله ... ستنحطم الأعناق مطلولة الدِّما
هو (البدر) من في فعله وصفاتِه ... وأقواله سرّ الكمال تجسَّما
عرفناه سبَّاقًا إلى كل غاية ... سوى (البدر) عنها ينثني متحطِّما
وما زال مذ أهدى لنا الله ظلَّه ... يطوِّق أعناق الرِّجال تكرما
ولم نَرهُ إلاَّ مع الحقِّ والهدى ... ولم يقترف جورًا ولم يأتِ مأْثما
يسهِّد في كسب المكارم جفنَه ... ولا يجتوي أتعابها متبرِّما
ويولي جميل الصنع طبعًا فلا ترى ... تكلُّفَ من يولي الجميل تعلُّما
إذا قاصدٌ وافى إلى باب فضلهِ ... تزوَّد ما يهوى وعاد مكرَّما

وإن ظـالِمٌ جـاشَتْ دوافـع بغيـهِ ... ثناها، وأعـدى من شكا أو تـظلمـا
أحبَّ العُـلا في قـولـه وفعـالِـه ... فعـاش بهـا صَبَّ الفـؤاد متيَّمـا
وجاوز جهد النَّاس في كسب مجدها ... ولم يـدَّخـر وفـرًا ولا غـلَّ مغنمـا
تـراه إذا وافـيـتَـهُ لـمـلمـةٍ ... بشـوش المحيَّـا مقبـلاً متبسِّمـا
ويصغي إلى الشكوى ويشفي جراحها ... ويكشف عن آلامـهـا مـا تـأزَّمـا
صدوق الهوى والرأي في كل موقفٍ ... فـلا تخش منـه بـاطِنًـا متجهِّمَـا

* * *

أمـولاي؛ أنت اليوم للشعب مـوئـلٌ ... يـدافـع عنـه كلَّمـا حـادثٌ طمـا
فـلا يـرتجي إلَّاك في الغـد منعمًـا ... ولا يـرتضي إلَّاك ملكًـا محكَّمـا
وحبـك كـالإيمـانِ في كـل مهجـةٍ ... تغلغل في الأعماق واستوطن الدَّمـا
تـبـايعـك الأرواح قـبـل أكفِّهـا ... وتفـديك إخـلاصًـا إذا الشرُّ خيَّمـا
بـأي لسـانٍ معجـز القـول يغتـدي ... بهـا الشعر وحيًـا لا كـلامًـا منظَّمـا
أصـوِّرُ طـوفـان الـشـعـور لأمـةٍ ... تبـايـع فيـك الألمعيَّ الغشمشمـا
أبـوك الـذي أحيـا مـوات كيـانهـا ... فكيف تجـازي فضله المتقـدِّمـا؟
أبـوك الذي أقصى عـداها وصـانهـا ... فكيف تـراعي حقَّـه المتحكمـا
أبوك الذي لما دجى الخطب خاضهُ ... بقلب شجـاع كلَّمـا هَـمَّ أقـدمـا
وصمَّم في إقـدامـه فـانحنَتْ لـه ... رؤوس الـورى والدهـر وافاه مسلمـا
ولم ينخـذلْ والهولُ يـزحفُ عاصفًـا ... ويجـرف ما يلْقَى ويـرغـو مـدمـدمـا
كـذاك ينـال المجـد كـل غضنفـرٍ ... إذا همَّ لم يخش الأعـادي وصمَّمـا

* * *

إذا لم تكن أنت «الخليفـة» بعـده ... وفـاءً وشكـرًا، بـل قضـاءً محتَّمـا
فـلا نبضَتْ للشعب روحٌ ولا عَلَت ... لـه رايـةٌ حتى يُكبَّ «جـهنَّمـا»
أعيـذ بـلادي أن تحيـد عن الـوفـا ... فتجحـد من أسدى الجميـل وأنعمـا

* * *

فخذه «ولي العهد» عهدًا مقدسًا مدى الدهر لن يبلي ولن يتصرَّما
(وهنِّئت بالعيد الذي أنت عيده) ودمت ملاذًا للشريعة والحمى

الحديدة: ٢ شوال ١٣٧٣هـ
٣ مايو ١٩٥٤م

من الديوان الغربي

١٠٦ ــ جُملة قلبي

وهل أستطيعُ أن أعربَ عنها؟
لا . . لا . . إنني لا أستطيع . .
وكيف أستطيع أن أُفصح . .
عن الجملة التي في قلبي . ؟
بأيَّة حروف؟ بل بأيِّ لغة؟
هي أسمى من كلِّ تعبير . . إنَّها فوق اللُّغاتْ . .
هذه الحروف . . أحسُّها ميِّتة . .
وجملة قلبي فيها حياتي . .
بل حياة جيلٍ كامل . ؟
«ولِّعْ» سيجارة . . أيها الحائرْ . .
واسترسل في عبِّ دخانها . .
آه لو تستطيعْ . .
أن «تولِّع» جملة قلبك . .
وتنفثها . . ولو دخانا .

الحديدة: ١٣ ذو الحجة ١٣٧٣هـ
١٢ أغسطس ١٩٥٤م

١٠٧ ــ هَـمْـهَـمَـهْ..

لن أتألَّم، ولن أثور.
سأصبرُ وأحايد.
وأشاهدُ من علٍ المعركة التي تدور.
أطفالٌ.. كلُّ أبطالِ المعركة. نعم أطفالٌ.. أطفال!
وهلْ أنتَ وحدك الرجل؟
كلاّ.. كلاّ..
إن الرجل لم يُخلق بعدُ
وفي رحِمِ الغيبِ تتحرك إرادة.
وفي الأعالي يُنْتَظر مولودٌ جديد.
والمثل العُليا تتخاوص متشوِّقة،
والطفيليّات ترتع في الحقل خرساء عابثة.
والقَدَر يُقهقه ويخطُّ سطرا..
هكذا هَمْهَمَتْ جملةُ قلبي.

الحديدة: ١٤/١٢/١٣٧٣هـ
١٣ أغسطس ١٩٥٤م

١٠٨ ــ لستَ وحدك الباكي

بَشِمَتْ الثعالبُ بالعناقيد..
والنواطير نائمة!
والصوتُ الخافت يرتدُّ عن الأسماع..
ثمَّ يتلاشى أنينًا حزينا!
آه يا «عزيزي». فالصَّوت الخافت يناجي «مخدَّرين»!
أنا لا أرهب «الخدر» يفتك بالأجسام..
بل «الخدر» الذي يصيب الأرواح.!
أبشعُ من أوجاع جسد الإنسان...
أطماعُه التي تفسد إنسانيةَ الإنسان.
هيّا بنا نجري وراء القطيع..
إنني أسمع من بُعْدٍ ثغاءً ورغاءا.
وأسمع أيضًا عواءا..
لكنه خافت متقطِّع لا يصدّ الذئاب..
أتبكي يا «عزيزي»؟ لا تأسفْ.. فأنا أبكي أيضًا.!
امزجْ دموعَكَ بدموعي إن شئت..
فلستَ وحدَكَ الباكي..
ولستَ وحدكَ الحزينْ.!

الحديدة: ١٤/١٢/١٣٧٣هـ
١٣ أغسطس ١٩٥٤م

١٠٩ ــ من ليالي «آب» على شاطىء الحديدة!

إنَّها ليلة باهتة. من ليالي «آب».
امتزجت حرارة الجو المختنق..
برطوبة البحر الراكد.. بأضواء القمر والنجوم.
ولا مُنفتح لنسمة عابرة..
واختنقت أنغام البلبل في جوفه. فصمت يرتعش.
وأشعة القمر تتساقط على صفحة البحر وتغني.
والسفينة الرابضة.. قد أضناها الانتظار.
وأغمض «العزيز» عينيه على طلائع حُلُم.
وأنا أطالع قصة.. ولا أرى أبطالاً..
المسرح فسيح.. ولكن أين الممثلون؟
والرواية رائعة.. ولكن أين الأبطال؟
والمأساة دامية.. لكن أبطالها أقزام.

الحديدة: ١٣٧٣/١٢/١٥هـ
١٤ أغسطس ١٩٥٤م

١١٠ ـ القـوَّة

أملٌ . . هل يتحققْ؟
أم تراه من أكاذيب الأحلام؟
مُسَكِّنٌ مؤقَّتٌ . . كلّ ما يهدّىء «العزيز» .
مصلٌ ساحِرٌ فتاكْ . جلَبَه «المتاجرون»؟
آه إلى متى يا «عزيزي»؟
هذا المخدّر هو الدَّاء الطويل العُمْر . . ؟
ماذا أصنع . . . ولا أطبّاء؟
وماذا يصنع «العزيز» المسكين؟
رحمتك يا رب؟
وأدرتُ مفتاح «الراديو» . .
فسمعتُ صوتًا رهيبًا :
«يا يَحيى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّة . .
وطارت روحي . . لا شعاعًا . . ولكن خشوعًا . .
وسبحتْ في آفاق مشرقة . .
واستغرقتُ في صلاة خاشعة . .
الماضي والحاضر والمستقبل . .
رأيتُها كلّها في جهةٍ واحدة .

في لحظةٍ واحدة..
في كلمةٍ واحدة.. «القوَّة».

الحديدة: ١٣٧٣/١٢/١٦هـ
١٥ أغسطس ١٩٥٤م

١١١ ــ الجدَّة القديمة

شاهدتُ شمس الأمس وهي تغيبُ.
فبكيتُ في أعماق نفسي.. وهي لا تدري.
ورأيت شمس اليوم طالعةً..
فتطلَّعت روحي إليها.. وهي لا تدري.
وتذكرتُ قولَ العربي القديم
«مَنَعَ البقاءَ تقلّبُ الشمسِ».
ما هي الفائدة؟
شمس تطلع بالحياة والجمال والنور.
وشمس تغيب فيسود السكون والظلام.
لا فائدة.. أيها العزيز..
تطلعُ شمسٌ أو تغيبْ.
ما دامت «الأميبا» تفتك بكيانك وكياني.
«الأميبا» الجدَّة القديمة..
تعبث بكلّ شيء وتجعل الحياة كلّها آلاما.
وقالوا: مرِض الدكتور..
و «عزيزي» مريض!
وأنا أيضًا مريض!
فكيف الخلاص؟

آه. . . العزيزُ، النائم يجرّ أنفاسًا طويلة.
أكادُ أحس لُزُوجةَ مصلِ «الخدر» في أنفاسه،
أنفاسه الثقيلة المتعثرة. .
هل تراه سيفتح عينيه ويرى جمال الحياة؟
لا بد. . لا بد. . أن يرتشف الصحو؛ و «يقذف» «الخدر».
لا بد أن تستيقظ روحه. .
والجرح العميق سيلتئم. .
والكبد المقروحة ستُشْفَى. .
و «الأميبا» ستبيد.
ونرشف كأس الحياة السعيدة. ، .
ونصحو طويلاً. . وطويلاً سنصحو.

الحديدة: ١٣٧٣/١٢/١٧هـ
١٦ أغسطس ١٩٥٤م

١١٢ ــ الجزَّار.. والجرَّاح

أغبياء؟ نعم أغبياء
أولئك «الفُضُولِيُّون»..
أولئك الذين يمسكون «المباضع»
ويجارحون «المُصابين» وهم لا يفقهون..
لا.. لا.. ليس المطلوب «مِبضع» الجرّاح.
ولا «المقصّ» و «المرهم»، و «الشاش» المعقّم.
وإنما المطلوب قبل كلّ شيء؛ خبرة الجرّاح..
وفن الجرَّاح وتجارب الجرَّاح.
تلك التي يعرِف بها كيف يجارح.. لا كيف يطعن.
تلك التي تفرِّق بين السكين في يد «الجزَّار»
و «المِبضع» في كفِّ الطَّبيب.
الخِبرة، والفنّ، والتجارب..
تميِّز المواضع السليمة من السقيمة.
فتعالجها دون ارتباك ولا ارتجاف.
الجزَّار يذبح فقط، والجرَّاح يعالج ليشفي.!
فما لكم و «مجارحة» المرضى..
أيها «الجزَّارون»؟ وأين أين الأطباء؟

الحديدة: ١٨/١٢/١٣٧٣هـ
١٧ أغسطس ١٩٥٤م

١١٣ ــ افهمني ولا تظلمني!

حياتي تتأرجح على حبال الأحلام. !
وأنتَ. . يا مَن قصَصْتُ عليه حُلمي. .
يا مَنْ ينظر إليَّ مشفقًا ساخرًا. . بأحلامي. .
أفهمني أولاً. . وقل لي. هل تحلم؟
ولا تظْلمني. . ثانيًا. وقل لي: لماذا لا تحلم؟
لا تقلْ إني خرافي. لأنَّني أحلم. !
وإذا كنت بواقعيَّتَكَ معتزًّا. ولا تحلم. !
فدعني للمعاني والأحلام. !

الحديدة: ١٨/١٢/١٣٧٣هـ
١٧ أغسطس ١٩٥٤م

١١٤ ــ مفتاح النور..

وعُدْتُ.. وتناولت «الصبوح»..
وقالت: هل تريد قهوة.؟
لا. لا. لا أريد الآن هكذا أجبت.
وماذا تريد؟ قالتها عاتبة!
يقولون لي... وما تبتغي؟
ما أبتغي.. جلّ أن يُسْمَى؟
تحطَّم مفتاح النُّور.
فتَّشْتُ طويلاً عن بديل..
وأخيرًا وجدتُه..
كنتُ أخشى إن نبيتَ في الظلامْ..
قبل أن نُحظى بمفتاح جديد؟
يجب أن نستعدّ دائمًا كعجائزنا؟
فالمفاتيح معرَّضة للكسر بأيدي الجهلة.!
أتريد مفتاحًا لا يتحطّم.. لِنورٍ لا ينطفي.؟
إنه في متناول يدك.. وأنت لا تدري.
هو بين جوانحك.. وأنت لا تعلم.؟
إنَّه بعيد عن أيدي الجهلة والأجلاف.!
مفتاح نور رائع أبدي.

فتِّش عنه في أعماقك.
واستغْنِ بهِ عن كل مفتاح.

الحديدة: ١٨/١٢/١٣٧٣هـ
١٧ أغسطس ١٩٥٤م

١١٥ ــ الثعلبُ.. وكبدي.

الثعلبُ الكبير.. يرقص في الحظيرة.
وعناقيد العنب صرعى حواليه؛
وموسيقى «النهاية» تعزف في رهبوت.
وكحشرجة «المحتَضِرْ» تبعث أنغامها.
وصغارُ الثَّعالب البَشِمة.. تتمايل وتصفِّق!
و «الخلية الأُولى» تتضاغى.
تريد أن تؤدِّي واجبها القديم:
نظام «المعدة» يجب أن يرتبك؛
«الهضم» عليه أن يسوء؛!
ودورة «الدم» يلزمها التكاسل،!
فيحار «المخ» ويضطرب «القلب»،
ويؤول كل شيء إلى الفساد...
خاضعين لسيطرة «الأميبا»!
الجدة القديمة..
تفتك بالكبد.. بالدم والأمعاء.
ثم ماذا.؟ لقد تحكَّمت «الجدة القديمة»..؟
سأولِّع سيجارة، وأعب دخانها بنَهم؛
وأَتيهُ مع خيالاتي..

أمِّي . أخي . عزيزي .
و «الأميبا» و «العزيز» أيضًا .
والجرح الدامي ، والكبد المحروقة .
آه . . أحسب أن كبدي تحترق . .
أشم رائحتها تمازج دخان «الدخينة» . !
ستنتهي هذه بين أصابعي وفمي في لحظات . .
ثم أرمي بعقبها بلا أسف ؛
لكن كبدي ستظل تشتَوي . .
وستبقى تحترق حتى . .
حتى . . أختنق بدخانها .
أين أنت أيها «العزيز»؟
أقبلْ . . أسرعْ . . أدركني .
فقد تستطيع أن تطفي لهيبَ كبدي . .
وأنتَ . أنتَ . . وحدَكَ الذي يستطيع !

الحديدة : ١٣٧٣/١٢/١٩هـ
١٨ أغسطس ١٩٥٤م

١١٦ ـ الحـرِّيَّـة

يريد القلم أن يفرّ من بين أصابعي.
ليتخلَّص من مناجاتي.! لِيَنْجوَ من محاباتي..!
يريدني أن أفصح بجملة قلبي.
وأن يخطَّهما بحروفٍ صريحة!
وكلَّما حاول.. وقفتْ أناملي به جامدًا..
خَورًا وضعفًا!؟ نعم.. بل وخوفًا ورعبًا.!
ماذا يريد «قلمي»؟
آلْحبّ؟ لا.. ليس وحدَه؟
آلْجمال؟ لا.. لا يكفي بلا حب!
آلْخير؟ لا.. ليس له طعم بلا جمال ولا حب.
هيَ.. ما هي.. التي يريد أن يكتبها؟
لست أدري.. فاخسأ أيها القلَم.

الحديدة: ١٣٧٣/١٢/١٩هـ
١٨ أغسطس ١٩٥٤م

١١٧ ــ فــرحــة!

ترنَّمي أيتها السماء.
وأنت يا أرض ارقصي.
فإنَّ فرحة قلبـي تشدو.
ونشوة روحي تصفِّق.
والدمعة.. سأجفِّفها.
والأنَّة.. سأخنقها.
وسأتوجَّه إلى «عزيزي» في صلاة خاشعة.
وأستمدُّ الغفران..
ترى هل سيرضى؟
وهل ستُقْبَلُ الصلاة؟

الحديدة: ١٣٧٣/١٢/٢٠هـ
١٩ أغسطس ١٩٥٤م

١١٨ ــ صن دموعك.. يا مسكين.!

انتهت مراسيم الصلاة.
صلاة من نوع جديد.
لا ركوع.. لا سجود.
لا دعاء.. لا نشيد.!
فقط.. تمتمات.. ودموع.
إنَّها عواطف تنتحب، ومشاعر تتضرع!
صنْ دموعَكَ أيها المسكين...
إنها ليس لها أصوات!
فلن تفيد.. ولن تُجدي.
إنك تبعثرها بين أقدام العتاه.
وأسماعهم لن تتفتَّح إلاَّ للصاخَّة!
إنهم لن يفيقوا إلاَّ على صوت القارعة،
ليشاهدوا «الفصل الأخير».
أهي فترة «تيه»؟
فالكفر بالواجبات الإنسانية صحراء.
والمجتمع التائه فيها مصيره الفناء.
لا عطشًا ولا إعياء بل.. وذلةً وهوانًا.!

الحديدة: ١٣٧٣/١٢/٢١هـ
٢٠ أغسطس ١٩٥٤م

١١٩ ــ قبر الحاج «محمد»!

أيَّتها الرياح التي تعْوِلُ من بعيد..
تعالي.. تعالي.
واحملي دموعي وأناتي..
إلى الشواطىء البعيدة..
وزِّعيها هناك حيث الشهداء.
وانثريها على الثاوين تحت التراب.
وثمة قبر مجهول لحاج كريم.
لا تضم أحشاؤه رفاتًا.. ولكن أملاً..!
إنه قبر أبـي.. الحاج «محمد»..
طوفي بباقةٍ من دموعي حوالَيْه.
وارفديه بحَفْنَةٍ من أنَّاتي الذابلة..
قولي له خاشعة:
هذه هي بقيةُ الإنسانية في أرضِ الحرمان.
وثُمالة الصدق في قلب إنسان..
وقولي.. وقولي.. ما شئْت أن تقولي.
قولي له: إن العهد باق..
وهُناك من يُخلِص للميثاقْ.!

الحديدة: ١٣٧٣/١٢/٢١هـ
٢٠ أغسطس ١٩٥٤م

١٢٠ ــ متى تندلع الشرارة؟

توشك السماء أن تحتجب بالغيوم.
إنها غيوم ثقيلة مظلمة.
ترى ماذا تحمل في جوفها؟
كأنِّي بالبرق النَّائم بين أحشائها..
وقد استيقظ شرِسًا مجنونًا..!
سيهبّ مذعورًا.! ويفرقع كلَّ ما يحيط به.
والرعد الواجمُ سيصخب. ويهدر هديرًا مرعبًا.
ولكنّ.. المطر لن يهطل ماءًا..
بل.. سيتحدَّر لهبًا وسعيرًا. وربَّما دماءًا!
آه.. الرعب يكمن في جوف السحابة «الشرقية».
إن الشرارة الكبيرة تتلظى في أحشائنا.
متى متى تندلعي؟
أيتها «الشرارة» الكبيرة؟

الحديدة: ١ محرم ١٣٧٤هـ
٣٠ أغسطس ١٩٥٤م

١٢١ ــ في ساعة ضيق!

رأيت اليوم عجبًا.
سربًا من البغال يأكل العشب بنَهم.
يزدرده بلذَّة.. ولا يبالي رداءة الماء الذي يشربه.
«البغل» لا يخاف الجراثيم.
هل لأنَّه لا يفكِّر فيها؟
أم أن جهازه الهضمي قوي جدًّا؟
لعلَّه يحوّل الجراثيم غذاءًا؟
إنه يجد في كلّ ما يتَقَمَّمه غذاءً لذيذًا.
ومِثله الكثير من الحيوانات..
هل لأنها لا تفكّر؟
أم لأن أجهزة هضمها قوية؟
ولكن لماذا أرى بعض البشر يتقمَّمون كالبغال؟؟
آه.. يا عزيزي..!
دولاب الساقية يدور ويُعْوِل.
و «الناعورة» تدور أيضًا «بقمَامها».
وتغترف الماء الملوَّث.. من «الحالي»[1]!

---

(١) بئر معروفة «في الحديدة» تسمَّى «الحالي».

ويُزيده «السقَّاؤون» تلويثًا.
آه.. إنني أهذي بما لا أدري.

الحديدة: ١٣٧٤/١/٦هـ
٤ سبتمبر ١٩٥٤م

١٢٢ ــ مــنــاجــاة...

[من رسالة إلى أخي عبد الوهاب الشامي]:

في هذه السَّاعة..
والكون هادىء ساكن،
واللَّيل مخيمٌ خاشعْ،
ولا يبدّد الصمت الرهيب.
إلاَّ عواء متقطِّع يأتي من بعيد.
ووَشْوَشة أمواج البحر.
ترقص على تمتماتها أشعة القمر.
التي تسّاقط عليه في بهاء وحنان.
في هذه الساعة أناجيك.
ولعلّ القمر والبحر يصغيان.
لقد سئمتُ من كل شيء..
وكل مجهوداتي تذهب سدى.!
لقد فسدتِ الطباعْ،
لم يعد الإنسان هو ذلك الذي عرفتُه..
قبل أن تكتسحني «العاصفة»..
وترمي بي في «قعر نافع»؟
ذلك الصَّدوق المخلص.

تحوَّلَ إلى متذمِّر شكوك..
وتلك «الغزالة» المطلَّة من وجه القمر.
ألَهَا قصَّة؟ ما هي؟ وهل عرفها أحد؟
و «الريحاني» حين قال:
«أنا الشرق عندي فلسفات وديانات،
من يبيعني بها طيَّارات»؟
هل كان موفَّقًا؟
وهل يوجد غربيٌّ يقول:
«وأنا الغرب عندي طيَّارات،
من يبيعني بها ديانات»؟
وما هي الغاية من كل ذلك؟
وذرة الرمل أتحسّ أنها تحتل مكانًا في الكون؟
وأسفاه؛ إن هذه الدنيا الرائعة..
ليست مائدة خلود..
فلماذا لماذا، لماذا كل هذا العناء؟
يا ربِّ. إنها كلمة كبيرة يندمج فيها الوجود.
هل الإنسان وحدَهُ هو الذي يعرفها؟
أم هو وحده الذي يستطيع أن يجحدها؟
وأنتَ وأنا من نكون؟
وكيف؟ ولماذا؟ وإلى أين؟
وحين تخلو الأرض من الإنسان.
من سيناجي القمر ويفكِّر في غزالته الجميلة؟
لقد قرأت أن الإنسان يفكر في الطلوع إلى القمر..
فهل تراهم يستطيعون؟

إن الإنسان إذا فكر في شيء . .
فإنه يستطيع أن يفعلَه .
أظنهم سيفعلون .
وأنهم إلى الكواكب سيطلعون .
ولكن ماذا سيكون . ؟
إن مجرَّد التفكير يرعبني . ؟
خذها يا أخي مناجاة . .
شاهِدَاها البحرُ والقمرُ .
أحسّ أنني أتنفس من ثقبٍ ضيِّق .
أتكلَّم من تحت الأنقاض .
لا أنقاض جدار هُدم . .
بل أنقاض روحي . .
أنا لم أعرف «أوروبا» .
لكن هذا الذي ينبض في صدري . .
أحسّ أنه أكبر من قارة «أوروبا» . !
والصِّماخ الذي في رأسي .
يضجّ ويدور . . وليس حول الشمس . .
بل حول منبثق الشموس . . !
هـل هذا عقل . ؟ أم جنون؟
لا . . لا . . يا أخي . .
لا تصدِّقني لعلَّ يراعي يهذي ويُخَرِّف . .
لعل الحقيقة تلعنه . !
فالقطعة التي تنبض في صدري . .
لا تكاد تحسّ بمكانها في حناياها .

إلاَّ إذا كانت ذرة الرَّمل . .
تشعر أنها تحتل مكانًا في الوجود .
وحقيقة صماخ رأسي بكماء . .
لا تدور إلاَّ حول تابوت فنائها .
والشرق ليس في حاجة إلى «طيارات» . .
والغرب لا تنقصه «الديانات» . .
والقوم لن يَنْفذُوا من أقطار السَّمـٰوات إلاَّ بسلطان!
ومشكلة الإنسان أينما كان . ومهما كان . .
جرعة واحدة من الإيمان .
أو رشفة واحدة من كأس الموت . ؟
لا . . لا . . قد رجعت عن هذا الرأي . .
الإنسان فقط في حاجة إلى «دخينةِ» تَأمُّل .
ينفث مع دخانها ما تراكم في صدره من حقد ،
وما تلبَّد في صماخه من خوْفٍ ،
كما أفعل الآن .
واللَّيلُ والبحرُ والقمرْ .
ووحدتي شهودي . !
إنني أتذوَّق بذلك الراحة الكبرى . .
إذا رفعت صوتك بكلماتي . .
فستسمع معها حيرتي . وحبِّـي !
وتعلم سر مناجاتي لك بهذا الهذيان .
وصلٍّ ــ إن شئتَ معي ــ بفكر خاشع .
وقل تلك الكلمة الكبيرة «يار ب سبحانَكْ» .
إنها تُغني عن كل فلسفة وعن كل هذيان .

آه يا أخي، إنَّني جدّ حزين..
إنَّني أتصوَّرُ العاصفة الكبرى.!
وأحزن حين لا أجد حولي من يفكِّر فيها.
بل حتى ولا يتخيَّلها..! وإنها لمأساة..!
إنهم سامدونْ.! سامدونَ لا يشعرون.

الحديدة: ١٤ جمادى الأولى ١٣٧٤هـ
٧ يناير ١٩٥٥م

١٢٣ ـ للتاريخ

[في شهر شعبان سنة ١٣٧٤هـ دُبِّر انقلاب عسكري في «تعز» كان إمامه سيف الإسلام عبد الله الذي أعلن تنازل أخيه الإمام أحمد عن العرش.. وحين بلغ سمو الأمير «البدر» ولي العهد النبأ وكان في «الحديدة» فحصَّنها ثم غادرها ومعه صاحب الديوان إلى «حجة»، حيث جهَّز الجيوش وعبَّأها للزحف على «تعز»، ولكن والده الإمام أحمد استطاع أن يفك عن نفسه الحصار، وقبض على من دبَّر الانقلاب، فقال الشاعر يحثّ الإمام أحمد على العفو عن المعتقلين، وهي آخر ما أنشأه من قصائد المدح]:

قف خاشع الطرف إجلالاً وإكبارًا ... واخفِض جبينك إذعانًا وإقرارا
واغمس يراعك في قلب البيان وصُغْ ... آياته الغرّ أنغامًا وأشعارا
واستلهم الفنّ، أعلى ما يضنّ به ... من المعاني، وما يطويه أسرارا
وحي مفخرة الدنيا وواحدها ... وأشرف الخلق أقوالاً وآثارا
حامي حمى الشعب باني صرح عزَّته ... وحارس الشعب ممن عاث أو جارا
«وناصر الدين» والهادي لشرعته ... ومن رمى كبد الطغيان فانهارا
ومن لأمَّته أصفى مودَّته ... فبادلته بها حُبًّا وإكبارا
وملكَتْهُ نواصيها.. يصرفها ... في منهج الحقّ أنَّى شاءَ واختارا
مولاي؛ لم تبق للعلياء من أرب ... ولا تركت لقلب المجد أوطارا
ولم تدع غايةً يسمو لها بطلٌ ... إلاَّ وجاوزتها جاهًا ومقدارا
وقد تمرسْتَ بالأقدار قاطبَةً ... حَرْبًا وسلمًا، وإعسارًا، وإيسارا

مواقفٌ لـك في التـاريـخ حـاسمـةٌ ... تشـع في صفحـات الخلد أنـوارا
لم تحو بغيًا، ولا ظلمًـا، ولا سَرفًـا ... ولا ضـلالاً، ولا غـدرًا، ولا عـارا
لكن جهـاد زعيم روحـه خَلُصَـتْ ... لـدعـوة الحق إعـلانًـا وإسـرارا
يَـطْوي ويفتـرش الغبـراء مغتبـطًا ... بـهـا ويقـتحـم الأشـواك والنَّـارا
والبيـد كم خبـر تـروي زوابعُهـا ... عنـه، وكم تنشـد الكثبـان أشعـارا
وكم لـه ذكـريـاتٌ في مفـاوزهـا ... تحكي صداها نجـوم اللَّيل أسمـارا
إذا دجا الخطب شق الهول صاعقـةً ... وصـافـح المـوت والأرزاء بتّـارا
ويصفَحُ الهـول إن لاقـاه مـرتجـزا ... (إن كنت ريحًا فقد صادفت إعصارا)
ولـم يـدع أمـلاً لـلشـر أو وطـرًا ... إلاَّ سقـاه بكـأس الـشـرّ تكـرارا
مـا زال من رامـه كيـدًا يكبّ بـه ... إلى الجحيم، ويلقى الخِـزيَ والعارا
حظٌّ مـن الله لا رأيٌ لـمـجتـهـد ... فيـه ولـكـن حبـاه الله إيـثـارا
لا ذو المحبَّـةِ يجلو سـرّ عصمتـه ... وجـاحد الفضـل لا يَسْطِيع إنكـارا

* * *

مـولاي أنت ملاك في حقـائقـه الـ ... ـعليـا تسـاميت همَّـات وأوطـارا
تُـطِلّ من مـلأ عـال عـلىٰ مـلأ ... يمـوج جهـلاً، وتضليـلاً، وأوزارا
فارحمه مولاي، وانعش قَلْبَ جاهله ... بـالعلم واهـدِ بـه من ضـلَّ أو حـارا
وتلك دعوتك الكبـرى صرخت بهـا ... فأصبح النَّاس في «الخضراء» أحرارا
واكْبت مـزاعِمَ من هَـانـوا بـأنفسهم ... على الصواب، وقلّم ظفر من جـارا
أنقـذت أمتك الكبـرى وقـد زحفـوا ... إلى الجحيم بهـا كيـدًا وإضـرارا
وقـفتَ وقـفـه ليـث أغلب وهـبَـتْ ... لأمـة الـعـرب أمجـادًا وأعـمـارا
علَّمت كـل زعيم كيف يـثبـتُ للـ ... ـطغيـان من كان بـالمعـروف أمَّـارا
ثبتّ وحـدك فـي الميـدان ممتـطيًـا ... عـزمًا لـو انهارت الأفـلاك ما انهـارا
وفـزت وحـدك لم تتـرك لمجتهـد ... مجالَ عون، ولا استنجـدت أنصارا

وكـانت الأرض قـد قـامت قيـامتهـا ودمــدم الأفــق أهــوالاً وأخــطارا
وأسـرع «البدر» بـالأجناد يحشـدهـا ويبعث الأســدَ من قحـطان ثــوّارا
وصاح في القوم صوتًا ساقهم قُدُمًا إلـيــك يقـتحـمــون الشــرَّ مــوّارا
و «البـدر» ليثٌ وغى إذْ أنـت والـده وكـنت أنـت الــذي ربــاه مغــوارا

* * *

فـدتـك نفسي التي أحيَيْتَهـا كـرمًــا وصُنْت عــزَّتهـا بــالجــود مــدرارا
تعفـود وتصفـح لا عجـزًا ولا حمقًـا لكن حنــانًـا وإكــرامًــا، وإعــذارا
وكم أحــاطتْ بـمغــرور جــرائــره فبــات في لهـوات اليــأس محتـارا
وذاب كــل رجــاءٍ فـي خــواطــره وشــاهــد المـوت ألـوانًـا وأطـوارا
وذاق كــل عــنــاءٍ مـن مـخــاوفــه وصــارع الهـول أسقــامًـا وأفكــارا
وكــاد يُلقي بقـايــا روحــه مِــزَقًــا يستفُّهــا اللَّيـل أحــزانًــا وأكــدارا
كشَّفت عنـه ظـلام اليـأس فـانبثقتْ من حــولـه الأرض آمــالاً وأنــوارا
وراح يقــطفُ حتى من مـصــائبــه وذكـريـات أسـاهـا الـزَّهـر والغــارا
فــاقبــلْ تحيــة قلب لا يخــالجــه إلاَّ ولاؤك إخــلاصًــا وإقـرارا

تعز: شعبان ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م

فهرست المجلد الأول

الموضوع	الصفحة
مقدمة الطبعة الثانية	٥
مقدمة الطبعة الأولى: بقلم قاسم بن علي الوزير	٢٧
مقدمة المقدمات	٥٧
النفس الأول	٦١
الإهداء.. إلى شعراء الشباب من أبناء وطني العزيز	٦٣
مقدمة الديوان: بقلم الشاعر الأديب إبراهيم بن أحمد الحضراني	٦٥
ديواني.. وشعراء اليمن، بقلم صاحب الديوان	٦٩
علالة المغترب	٧٣
الإهداء.. أحمد محمد الشامي	٧٥
مقدمة	٧٧
من اليمن	٨٣
الإهداء.. أحمد محمد الشامي	٨٥
مقدمة	٨٧
ألحان الشوق	٩١
فرتاش	٩٣
الموءودات	٩٧
سلسلة الأدب اليمني المعاصر ــ حصاد العمر	١٠١
وأحب أن أقول	١٠٣
لزوميات الشعر الجديد	١٠٥
الإهداء	١٠٧

الموضوع	الصفحة

مع الشعر في اليمن ١٠٩
بنات الخمسين ١٢٧
الإهداء ١٢٩
مقدمة ١٣١
ألف باء اللزوميات ١٣٥
الإهداء ١٣٧
مقدمة ١٣٩
مع العصافير في برومللي ١٥١
مقدمة ١٥٣
أطيـــاف ١٥٥
تقديم ١٥٧
ديوان الشامي: الآثار الكاملة ١٥٩
١ ــ السيد أحمد عبد الوهاب الوريث ١٦٣
٢ ــ إليها ١٦٥
٣ ــ ليت لي ١٦٦
٤ ــ الصدى ١٦٧
٥ ــ تحية العيد ١٦٩
٦ ــ عشرون عامًا ١٧١
٧ ــ تحية رمضان ١٧٢
٨ ــ علي الأمير ١٧٤
٩ ــ القاضي يحيى الإرياني ١٧٦
١٠ ــ تحية عام ١٣٦٣هـ ١٧٨
١١ ــ زنبقة في فلاة ١٨١
١٢ ــ دموع الغريب ١٨٣
١٣ ــ نظرة إلى الكون ١٨٥
١٤ ــ صور رائعة ١٨٧
١٥ ــ ردُّ التحية ١٨٩

الموضوع	الصفحة

١٦ ــ إحساس الشعب ١٩٠
١٧ ــ يا ليل ١٩٣
١٨ ــ بين الصخور ١٩٤
١٩ ــ نشيد المهاجر ١٩٥
٢٠ ــ زفرة ١٩٧
٢١ ــ استيقظ يا وطني ١٩٩
٢٢ ــ دمعة على الثعالبي ٢٠٣
٢٣ ــ الوتر المغمور ٢٠٦
٢٤ ــ شاعر ٢٠٨
٢٥ ــ عندما أحب ٢٠٩
٢٦ ــ الغريب ٢١١
٢٧ ــ أقبل الليل ٢١٣
٢٨ ــ إنسان ٢١٤
٢٩ ــ كم أقاسي العمر ٢١٦
٣٠ ــ محمد رسول الله ﷺ ٢١٧
٣١ ــ المعري ٢٢٠
٣٢ ــ في سبيل التعليم ٢٢٢
٣٣ ــ اعتراف ٢٢٤
في مسرح الحياة ٢٢٧
مقدمة ٢٢٩
أشخاص الرواية ٢٢٩
٣٤ ــ الرواية ٢٣٣
٣٥ ــ أين أنت اليوم ٢٥٣
٣٦ ــ وداع صديق ٢٥٥
٣٧ ــ الشيخ العيزري ٢٥٨
٣٨ ــ ذكرى وحنين ٢٦١

الموضوع	الصفحة

٣٩ ــ مناجاة إلىٰ الله ٢٦٢
٤٠ ــ هجر ليلة ٢٦٤
٤١ ــ قانون خير الخلق ٢٦٥
٤٢ ــ بعد الفراق ٢٦٨
٤٣ ــ وحي العيد ٢٧٢
٤٤ ــ المرأة ٢٧٥
٤٥ ــ يوم الغدير ٢٧٦
٤٦ ــ الشعر والشعراء (ابن قتيبة) ٢٨٠
٤٧ ــ يوم الاستقبال ٢٨١
٤٨ ــ مضىٰ العلا ٢٨٣
٤٩ ــ وقفة ٢٨٥
٥٠ ــ شكوى الغريب ٢٨٦
٥١ ــ النفس الأول ٢٨٩
٥٢ ــ اليمن تكرم لبنان ٢٩١
٥٣ ــ عيد استقلال لبنان ٢٩٤
٥٤ ــ نشيد النوى ٢٩٦
٥٥ ــ نشيد يوم يتيم ٢٩٨
٥٦ ــ نشيد الأحرار ٣٠٠
٥٧ ــ ليلة عيد في سجن نافع ٣٠٢
٥٨ ــ في ساعة عتاب ٣٠٥
٥٩ ــ بسمة أسير ٣٠٧
٦٠ ــ شهداء ٣٠٩
٦١ ــ خمسة وعشرون عامًا ٣١٣
٦٢ ــ نفثة سجين ٣١٤
٦٣ ــ نحن والعنصريّون ٣١٦
٦٤ ــ ضراعة سجين ٣١٨
٦٥ ــ رباعيات [١] ٣٢١

الموضوع	الصفحة

٦٦ ـ إمام الطغاة ٣٢٣
٦٧ ـ تحت صورة ٣٢٤
٦٨ ـ رباعيات [٢] ٣٢٥
٦٩ ـ لولا المروة ٣٢٦
٧٠ ـ تحية سجين ٣٢٧
٧١ ـ عروس تزف إلى قبرها ٣٢٨
٧٢ ـ دموع الصداقة ٣٣٠
٧٣ ـ مسكين ٣٣٣
٧٤ ـ ندم ٣٣٥
٧٥ ـ تحية ٣٣٧
٧٦ ـ نغمات التهاني ٣٤٠
٧٧ ـ فلسفة الرضا ٣٤٣
٧٨ ـ يا شمس ٣٤٤
٧٩ ـ قوة الروح ٣٤٥
٨٠ ـ العاطفة الخالدة ٣٤٦
٨١ ـ منافق يتلو القرآن ٣٤٧
٨٢ ـ خليفة ٣٤٨
٨٣ ـ المصلي المرائي ٣٤٩
٨٤ ـ الجيل الجديد ٣٥٠
٨٥ ـ دموع سجين ٣٥١
٨٦ ـ ثورة مصر ٣٥٤
٨٧ ـ مأساة شهيد ٣٦٦
٨٨ ـ حنانًا أمير المؤمنين ٣٧٠
٨٩ ـ إلى مفخرة العرب ٣٧٤
٩٠ ـ دمعة وابتسامة أو: (فرحة الإطلاق) ٣٧٩
٩١ ـ تهامة في التاريخ ٣٨٣
٩٢ ـ ضراعة روح ٣٨٧

الموضوع	الصفحة

٩٣ ـ صلاة ٣٨٩
٩٤ ـ النور الشهيد ٣٩٣
٩٥ ـ أمل ٣٩٥
٩٦ ـ السيد عبد الله عبد الكريم ٣٩٨
٩٧ ـ ليلة العيد.. على شاطىء الحديدة ٤٠٠
٩٨ ـ يا قوم بشرى فقد وافاكم الفرج ٤٠٣
٩٩ ـ والتقينا ٤٠٥
١٠٠ ـ الحب ٤٠٦
١٠١ ـ يا رحمة الله ٤٠٧
١٠٢ ـ دمع.. ودمع ٤٠٩
١٠٣ ـ أنا ظمآن ٤١٠
١٠٤ ـ أهل البيت ٤١١
١٠٥ ـ تحية العيد وعهد الولاء ٤١٣
ـ من الديوان الغربي ٤١٧
١٠٦ ـ جملة قلبي ٤١٩
١٠٧ ـ همهمة ٤٢٠
١٠٨ ـ لست وحدك الباكي ٤٢١
١٠٩ ـ من ليالي آب على شاطىء الحديدة ٤٢٢
١١٠ ـ القوّة ٤٢٣
١١١ ـ الجدة القديمة ٤٢٥
١١٢ ـ الجزّار.. والجرّاح ٤٢٧
١١٣ ـ افهمني ولا تظلمني ٤٢٨
١١٤ ـ مفتاح النور ٤٢٩
١١٥ ـ الثعلب.. وكبدي ٤٣١
١١٦ ـ الحرية ٤٣٣
١١٧ ـ فرحة ٤٣٤
١١٨ ـ صُن دموعك يا مسكين! ٤٣٥

الموضوع	الصفحة

١١٩ ـ قبر الحاج محمد! ٤٣٦
١٢٠ ـ متى تندلع الشرارة ٤٣٧
١٢١ ـ في ساعة ضيق..... ٤٣٨
١٢٢ ـ مناجاة ٤٤٠
١٢٣ ـ للتاريخ..... ٤٤٥
ـ الفهرست..... ٤٤٩

أحمد بن محمد السباعي

ديوان السباعي

الأعمال الكاملة

المجلد الثاني

الطبعة الثانية

الناشر

عبد المقصود محمد سعيد خوجه

جدة

الطبعة الثانية

حقوق الطبع محفوظة

١٤١٣هـ - ١٩٩٢م

ديوان الشابي

الأعمال الكاملة

المجلد الثاني

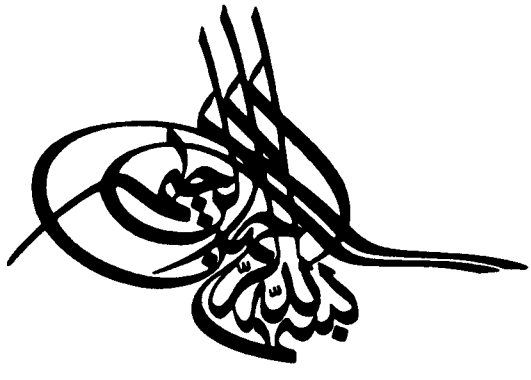

١٢٤ ــ لا أَنــام

أنــا لا أنــام وفي الــسمــا ... نـجـمٌ يُـتَـمْـتِـمُ بـالـضـيـاء
أنــا لا أنــام ولـلـهـوى ... حُـلمٌ يـنـاجـيـه الـمـسـاء

* * *

نم مِـلء جفنـك أنت واتـ ... ـرك لي سـهـادك يـا قَمرْ
عـنـدي سهـاد الـعـالمـيـ ... ـين وهـمّ أبـنـاء الـبـشـر

* * *

لا . . لـن أنـام، ولـن تـنـا ... م جـراح قـلبي الـداميـه
لا . . لـن أنـام وفـي فـؤا ... دي لـن تـنـام الـهـاويـه

* * *

أَيـنـام مـن فـي جـفـنـه ... حسك، وفي دمه ضـريم؟
أيـنـام مـن فـي جـوفـه ... تصـطُّك أنفـاس الجحيم؟

* * *

أنـا لـن أنـام ومـوطـنـي ... فـي قـبـضـة الـمـتـمـلِّقـيـنْ
وبـنـوه بـيـن مـضـلّلـيـ ... ـن وجـاهلين ، ونـائمين

* * *

وطـنـي يـنـادي لا تـنَـم ... والـصـوت يقـلقني صـداه
لـبَّيـك يـا وطـني ، حيـا ... تـك كـلّ شيء في الحيـاه

الحديدة: ٢٥ رجب ١٣٧٦هـ
٢٤ مارس ١٩٥٧م

١٢٥ ــ بــلا دمْــع

بـكيـت حــزنًــا، والـبُـكــا راحــةٌ ... لــو تــركـت لي نـكـبـتي أدمـعًــا
لكن دمـعي مـثــل قلبـي اشتــوى ... بــنــار آلامــي فــجــفّــا مــعًــا

روما: ١٣٧٦هـ / ١٩٥٧هـ

١٢٦ ــ زَهْـرَة في الـفـلا

[قِيلت في شابة تعمل مرشدة في بادية، «مديرية التحرير»]:

يـا شعـرهـا الأشقـر؛ إن الـذي ... سـوّاك قـد سـوَّى زهـور الأقـاحْ
يـا ثغـرهـا الـورديّ! إن الـذي ... صـاغـك قـد صـاغ ورودَ الصبـاحْ
يـا صـدرهـا النـاهـد! إن الـذي ... يـهـواك؛ قـد عـذَّبـه الالتيـاحْ
يـا خصـرهـا النـاحـل؛ إن الـذي ... يغشـاك: لا يخشى رؤوس الـرمـاحْ
لهْفي لهـا، والـلَّيـل قـد لَفَّهـا ... بـوحشـةِ البيـد ولـؤم الـبـطاحْ
قـد زرعـوهـا زهـرةً في الفَـلا ... ووقَّـعـوهـا نـغـمـةً لـلريـاحْ
وسكبـوا أيـامـهـا في الـثـرى ... دمـوع حـرمـانٍ وشكـوى كفـاحْ
شبـابهـا، عـزلـتهـا، حسنُهـا ... يـا قلب. . . مـا أبلغهـا من جـراحْ
في مَيْعَـةِ العمـر، وسحـر الصبـا ... يُبيـح منـه الفـقـر مـا لا يُبـاحْ

القاهرة: ١٣٧٧هـ / ١٩٥٨م

١٢٧ ــ النِّيل

النِّيل؛ كم ذابتْ على شطِّه ... أرواحُ عُشَّاق الأسى والغرامْ
ما ضاقَتِ الأرضُ على هائمٍ ... إلَّا وبَثَّ النِّيلَ سِرّ الهُيامْ
ولا قَسا الدهر على بائِس ... إلَّا وناجى موجَهُ في الظلامْ
النِّيل صِنْو الدهر منذ الصبا ... من قَبل أن يُعرف يوم وعامْ
أقصوصةُ الدنيا على طولها ... من أبؤسِ الحربِ ونُعْمى السلامْ
تُروى على أمواجه أدمعًا ... حينًا؛ وطورًا بهجة وابتسامْ
يا نيلُ هذا شاردٌ آخر ... قد غربَتْهُ شهوات «الإمامْ»
جاءكَ يبكي حَظَّه مثلما ... جاءك من قبلُ الأُباةُ الكِرامْ
ألا يزال الدوحُ مستشرفًا ... لِمثلِه؟ أم قد أفاق اللِّئامْ؟

القاهرة: ١٣٧٧هـ / ١٩٥٨م

١٢٨ــ أحمد شوقي

[ألقاها الشاعر في مهرجان أمير الشعراء أحمد شوقي، الذي أُقيم بالقاهرة سنة ١٣٧٧هـ / ١٩٥٨م]:

خُذْهُ من مهجتي، ومن آهاتي ... وارِوِهِ عن دمعي، وعن عبراتِي
خذْهُ شعرًا يبكي على الشِّعر مجرو ... حَ القوافي، مضرَّجَ الكلماتِ
«يومَ شوقي»؛ وانثر قصيدي عليه ... زهرات بالحُب منصهراتِ
ضمَّخَتْها روحي بأشواق روحي ... وحبَتْها ذاتي أحساسيس ذاتِي
باقة نضَّدت أزاهير قلبي ... واستشفَّتْ عِطْرًا أريجَ حياتِي

* * *

خُذْ تحيَّات الشِّعْر عن منبع الفُصْـ ... ـحى قديمًا، وموطن البيِّنَاتِ
عن مغاني «صنعا» وسحر رُباها ... ومجالي سفوحها النَّضراتِ
ولذكراك في حماها حنينٌ ... بصداه تَفَتَّحت كلماتِي
و «اليمانون»، حافظوا كل عهد ... للعلا، والقريض، والحسناتِ

* * *

ربة الشعْر في صباحك يا «شو ... قيَ» تبكي القصائد الثاكلاتِ
أخذتْها ارتعاشة الفنّ لما ... ذكرتْ إلفَ الفَنِّ والصبواتِ
والليالي القمراء تسْكبُ في النِّيـ ... ـل نجاوى العُشَّاقِ والنيِّراتِ
وعلى كلّ زورق تتلظَّى ... مهج المدنفين والمدنفاتِ
وشراعٌ يجري على لحن حُبّ ... ألفُ آهٍ فيه، وألف شكاةِ

تلتقي في أنغامه لهْفةُ «النيـ ـل» وأشواق «دجلة» و «الفراتِ»
لحنُ حب أفاضَ «شوقي» عليه كل ما في الضلوع من زفراتِ

* * *

شاعر الخلد، والثناء جميلٌ حين يزجيه الحيُّ للأمواتِ
كم تساءلْتَ في الحياةِ عن الـ ـموتِ؟ وما شأننا وراء الحياةِ؟
ليتَ شعري لأيِّ معنى قد استشـ ـرَفت شوقًا في آخر اللحظاتِ؟
أي سر شافهتَ، والموتُ يغشا كَ ويطوي أنفاسَكَ الأخرياتِ؟
أحنينًا إلى مفاتن دنياكَ وساعات لهوها الثملاتِ؟
والأغاني يصدحْنَ في كل ركن والغواني يمرحنَ في الغُرفاتِ
أم تمادى بك الذُّهول، وولَّى بك في موكب من الهمساتِ؟
فنسيتَ الماضي، وما خلَّفته فرص الحبّ فيه من صفحاتِ
كنت تشدو بها فتُصغي لك الدُّنـ ـيا، وتهفو الأيام مُنصعقاتِ
كم تمنَّتْ قلائد الغيدِ لو أنْـ ـنَك طورتها إلى كلماتِ
وتمنتْ أزاهر الروض لو أنْـ ـنَك حورتها إلى نغماتِ

* * *

أي شعر صداه في كل قطر ساحر الرجع صادق النبراتِ
تتغنَّى به الحياة وتبكي في ليالي الأفراح، والأزماتِ
ويُطلّ التاريخ منه بشيرًا ونذيرًا بأروع الذكرياتِ
عن «أبي الهول» تارة وعن «الحمـ ـراء» حينًا، وعن «عصورِ «الرُّعاةِ»
وعن «النيل» وهو يجرف أهوا ل المغيرين، والغزاة الطُّغاةِ
وعن «الشمس» وهي تحكي الأحاديـ ـث وتروي مآسي الكائناتِ
وعن البيد، كيف حوَّلها الإسـ ـلام روضًا مضَمَّخ الجنباتِ
حِكَمٌ ما سمَا إليها بيانٌ قبل «شوقي» ولن تكون لآتِي

* * *

قُم تَر الشرقَ ماردًا حطَّمَ الأغـ ـلال يمضي مفزّع الخطواتِ
نفض النوم عن جفون جفاها الصـ ـحوُ دهرًا، فاستغرقتْ في السُّباتِ
كنت «شوقي» تستنهض الصَّحو فيها بالرجا، بالأنين، بالدعواتِ
بالقوافي، تكاد ترفضُّ دمعًا بالأغاني تضجُّ، بالعبراتِ
وعلى صوتك الرهيب صحا «الوا دي» فكانت من أرهب الْيقظاتِ
وثب الليثُ للخلاص من الأسـ ـر جريحًا مفزع اللفتاتِ
وتوخى طرائق المجد يستسْـ ـهلُ فيها الصعاب والهلكاتِ

* * *

«بَرَدى» لم يَعُدْ يُصَفِّقُ بالسَّلْـ ـسَلِ بل بالقلوب مؤتلفاتِ
بالأماني العِذاب، بالحُبّ، بالإخـ ـلاص، بالنَّصر، بالعلا، بالحياةِ
ووراء الحدُود يجثم هولُ هو في الأرض لعنةُ اللعناتِ
يتلظَّى كالصِّلِّ والشرُّ في عيْنـ ـيه يرمي بالويل والنقماتِ
وحقوقٌ صريعةٌ، وضحايا حُرُمات تهيم في الفلواتِ
اليتيم المريض من دون مأوى والعجوز الثكلى بلا مشكاةِ
وبقايا الأبطال بين جراح الذُّلِّ تبكي أيامها التَّعِساتِ
تتهاداهُمُ الزوابع في الأر ض فمن عثرة إلى عثراتِ
ضيَّعوها شهيدة الجشع المغـ ـرُور في أنفسِ الطُّغاةِ البغاةِ
ضيَّعوها وفرصة النَّصر تَسْتَنْـ ـهضُ ما في القلوب من عزماتِ
حسبوها غُنْمًا وإرْثًا فخابوا ثم باءوا بالخزي واللَّعناتِ

* * *

دَعْ نجيّ الهموم في خلوة الذكـ ـرى يناجي أيامه السالفاتِ
للحبيبِ المفقود، والمنزل المهـ ـجور، أو للأطلال والعرَصاتِ
إن بكىٰ؛ لن يكون أول باكٍ ضاق ذرعًا بلؤم هذي الحياةِ

خجلي أنني أخاطب بالشِّعـ ـر مع العجز صاحبَ المعجزاتِ

* * *

وأناجي من عَلَّمَ الطير في الأحـ ـراش أشجى الألحان والنغماتِ
أيْقَظ النُّورَ في قلوب الحيارى والأماني في الأنفس القانطاتِ
فأطَلَّتْ على الحياة وفيها من معاني الإقدام ألْفُ حياةِ
فإذا بالظَّلام يَسْحَقُه النُّو رُ وباليأس ضائع الخطواتِ
إنه الشعر روح كلّ مثالٍ لِلْعُلا ، والجمال ، والخيراتِ
ما مضى مصلحٌ إلى المجد إلاَّ والقوافي دليله للنَّجاةِ
ولكم أمَّة براها يراعٌ بعد دهرٍ قاس من العثراتِ
ولكم ثورة شرارتها شِعْـ ـر أبيٍّ، أفضَى عن المأساةِ
رُبَّ بيتٍ يَصُدُّ جَحْفَلَ بغيٍ وبيانٍ يُغني عن الباتراتِ
و «لشوقي» مواقفٌ سَجَّلَتْ في صفحة الخلد أروع الذكرياتِ
حين كان الظلام يَلْتَهِمُ الأحْـ ـلامَ، والنُّورُ واهيَ اللمحاتِ
والدُّجى في فؤاد كلّ صريعٍ كحنين على بقايا رُفاتِ
والغدُ المرتجى يفيض عليه روح سلوى بليلة النسماتِ
تترامى به غواشي العوادي كشراعٍ محطَّم الجنباتِ

* * *

أيها الفجر وقفة خاشع النُّو رِ وبارك أرواحنا الْخاشعاتِ
واسكبِ النُّورَ في ثرى مصر عِطْرًا ورحيقًا مُؤرّجَ النَّفحاتِ
واهدِ «شوقي» في يوم ذكراه أزكى ما تجود الذكرى من الصلواتِ

مصر: ١٣٧٧هـ / ١٩٥٨م

١٢٩ ــ خَليل مُطران

[أُلقيت في مهرجان الشاعر خليل مطران، الذي أقيم بالقاهرة سنة ١٣٧٨هـ / ١٩٥٩م]:

قِفْ لَحْظَةً بالشعر حيرانا ... أبكَمَ، لا يَسْطِيعُ تبيانا
واسْتَوْحِ «مطران» بيانًا؛ إذا ... أردت إجلالاً «لمطْرانا»
إن كنتَ لم تُصْغِ إلى صوتِهِ ... يُزْجي فنون الشعر ألوانا
فقد تمرَّسْت بآدابه ... وعشتَهُ حرًّا، وفنانا

* * *

غنَّى بلَحْن ما تغنى به ... من قبله في دوحه طائرُ
فانتفضَ الفجرُ على لحنِهِ ... وقد شجاهُ صَوتُه السَّاحرُ
واستيقظ الوادي، وكم ليلةٍ ... مَرَّتْ، ولا شاد ولا سامرُ
إلَّا الأسى، والخوْفُ تبًّا لهُ ... والقيد، والظُّلمةُ، والآسرُ

* * *

هامَ وفي أحشائِه جَمْرَةٌ ... تنبض بالأنفاسِ نيرانا
وواثب الدهر وأرزاءه ... مفارقًا أهلًا وجيرانا
يثور كالبركان أحيانًا ... وتارةً يبسمُ جَذْلانا
وقد يدوّي صاخبًا مزبدًا ... يَخطُر لا يرهَبُ سلطانا

* * *

«سبعون» عامًا عاشها شاعرًا ... مرزّأً بين الأسى والجراحْ

كم بثَّ شكواه إلى «صخرةٍ» ... ينتابها الموج وهوج الرياحْ
والسَّقمُ في أعضائِهِ ناهش، ... والهمُّ في أحشائه كالرماحْ
فما وَعَى الصَّخر، ولا دهره ... رقّ، ولا ملّ الأسى والنواحْ

* * *

في صدره شيءٌ؛ وعن كُنْهِه ... قد قَفَلَ الرَّائد حيرانا
يرهبُ أن يُفْضي بأسراره ... وأن يقول الحق إعلانا
فيخلُقُ الرَّمزَ؛ على زعمِهِ ... ويَنْتَضي «نيرون» عِنوانا
ويدمغ الظُّلْمَ، ويُذكي النُّهى ... ويملأ الأنفس إيمانا

* * *

من وحي «لبنان» وجنّاته ... ومن صُوى آثارِهِ الشاهدَهْ
ومن ذُرا «الشام» وآلامها ... ومن ليالي غدها الشاردَهْ
و «النيل» إذ تزأر أمواجه ... في لهفة للوثبةِ الخالدَهْ
وحَّدَ «مطران» أحاسيسَهُ ... فهو شعار الأمة الواحدَهْ

* * *

«مطرانُ» ربُّ الشعر، كم وقفةٍ ... شاد بها للفنّ أركانا
يراعه محرابُ أحلامِه ... يَسْتنزل الحكمةَ ألحانا
يَسْحَرُ ما يَلْمَسُهُ فنهُ ... فَيُلبِسُ الألوانَ ألوانا
وتخلب اللبّ تهاويلُهُ ... فيرتَئِي في الكون أكوانا

* * *

كم حارَب «الفردَ» وآثامه ... والشرّ في حكم «السلاطينِ»
وأنكر الطغيان؛ «مستعمرًا» ... أو في تماثيل «الفراعينِ»
تُرَى أَيَدري أنَّنا لم نزل ... نَصْلى بأسواط «المجانينِ»
والمستبدون يسومونا ... سوم المواشِي والمساكِينِ

* * *

قـد كـان يلقي «صفحـة» حـرة ... ينـفـث فـيـهـا الـحـقّ تـبـيـانـا
ويـرشـد الـشـعـب إلى حـقّـه ... ولا يـبـالـي فـيـه عـدوانـا
والـيـوم؛ لـو عـاد بـه دهـرُه ... لـوَد أن الـكـون مـا كـانـا
فـالجـورُ لم يتـرك لـذي حكمـةٍ ... رأيًـا، ولا قـولاً، ولا شـانـا

مصر: ١٣٧٨هـ / ١٩٥٩م

١٣٠ ــ هـومـيروس

فـي «أثـيـنـا» بـيـن أطـلال قـصـورٍ داثـرهْ
وأسـاطـيـر مـلاهٍ وقـلاع قـاهـرهْ
وتـهـاويـل تـصـاويـر حـيـاةٍ وافـرهْ
وقفتْ نـفسي تنـاجي نفسهـا.. كـالـحـائـرهْ
أو كـطيفٍ ينـدب الـمـاضي ويـبكي حـاضـره

* * *

الألى عـاشوا هنـا.. كـانـوا يخـافـون الفنـاءْ
فـاستعـاذوا ينحتـون الصخـر رمـزًا للبـقـاءْ
أتـرى كـانـوا سـراةً؟ أم عـصـاةً أغـبـيـاءْ؟
مـا تـرى يجـدي الـذي يَفْنَى نحيبٌ أو دعـاءُ؟
أتـرى يُـخـزيـه قـدحٌ؟ أو سـينـجـيـهِ ثـنـاءْ؟

* * *

قـلْ لمَنْ أسـرف في العمـران نقشًـا وفخـامـهْ:
نـلتَ مـا تـهـواه، لـو أنـك فـي دار إقـامـهْ!
لم يُشـدْ «هـوميـر» قصـرًا، لا ولم يبْن دعـامـهْ
قـد حبا التـاريخ شعـرًا فـروى الـدهـر كـلامـه
وسـيبـقى صـوتـه حيًـا إلى «يـوم الـقـيـامـهْ»!

* * *

بعـد أن يـطوي البلى هـذي المبـاني والقصـورْ،
والأسـاطـيـر ستَـنْـهـار وأطـلال الـصـخـورْ
غـيـر مـا أودعـه «هـوميـر» فـي تلك الـسـطورْ
مـن بـيـانٍ وأمـانٍ، وخـيـالٍ وشـعـورْ
سـوف تبقى سلوة الإنسـان في كـل «الـعصـورْ»

أثينا: ٨ شوال ١٣٧٨هـ
١٦ أبريل ١٩٥٩م

١٣١ ــ لَعنـة المعـركـة

جريمةٌ . . يزحف نحوي وحشها الكئيبْ
في ليلة رهيبة، كاسفةِ النُّجوم
تبَرَّجَ الحِرمانُ للشباب
للبغض . . للشَّهوة . . للجمال
لطبعها العربيد . . لما يضجّ في دمي :
من شَغفِ الجنس اللَّعين .

* * *

واحتَدَمَتْ مَعركةٌ
الخوف، والشهوة، والحياة
وانتصَرَ الضَّعْفُ، وانكمش الوحش ونام
وخلَّدَتْها . . حَسْرَةٌ في قلبـي الكليم
ولَعْنَةٌ أبكي بها، للكأس والنديمْ
ولَعَنَةٌ على ملذَّاتي تحوم؛
تجلو مع الشَّمس، ولا تغفو مع النجوم

روما: ١٣٧٨هـ / ١٩٥٩م

١٣٢ ــ استعطاف ونصح

[قدَّمها الشاعر إلى الإمام أحمد في ٢٦ محرم سنة ١٣٧٩هـ، الموافق ١٩٥٩/٧/٣١م، وجلالته بروما مستشفيًا، وكان قد أوشيَ به عند الإمام بعض حسَّاده ونَقل عنه ما لم يقله]:

أمير المؤمنين فدتْكَ نفسي ... وإن كنت الذي أعطيتنيها
حياتي قد وهَبْتَ بغير مَنٍّ ... وزدت كرامتي فوهبْتَنيها
وما الدنيا لديَّ سوى حظُوظٍ ... وعطفك كُلّ ما أرجوه فيها
فثِقْ بي واكتَنِفْ عملي وقولي ... بنظرتكَ الَّتي عَوَّدْتَنيها
ولا تركن إلى أقوال قومٍ ... يعادون المبرّز، والنبيها
وإن قد أظهروا الإخلاص مكرًا ... ووازر منهم «الشيخُ» الفقيها
فهم لا يبطنون سوى فسادٍ، ... وقد بلغوا المدى بطرًا وتيها

روما

١٣٣ ـ حَيَاتي

مـا حـيـاتـي؟ دمـعٌ وشـوقٌ ووجـدُ
وتـهـاويـل تـسـتـحـيـل حُـطَامـا
أصـطليـهـا مـشـاعـرًا وأغـنِّـيـهـا
غـرامًـا، وأحـتـسـيـهـا مـدامـا
كـأسـهـا المـرُّ كـم عـكـفـت عـليـهِ
فـي الـلـيـالـي وحـدي أنـاجـي الـظلامـا
ودمـي مـارج يـضـجُّ اشـتـيـاقًـا
وفـؤادي جـرح يـؤجُّ هـيـامـا
كـل يـوم أرجـو غـدًا؛ فـإذا
شِـمْـتُ سـنـاه أحـاطَ بـي آلامـا
مـا سئِـمـتُ الـحـيـاة خـيـرًا وشـرا
بـل سئِـمـتُ الأحـلام والأوهـامـا

القاهرة: صفر ١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م

١٣٤ ــ رسالة وَداع

رُبما لن يكونَ آخر لَحْن ... تتغنّى به حَياتي الكئيبَهْ
رُبما، بل بداية لِعَذاب ... في فصولٍ من اللَّيالي رهيبَهْ

* * *

رُبما، لن يكون آخر سَطْر ... لِيرَاعى إليكِ يا كل حبّي
رُبما، بل نهاية لشبَاب ... عشتُ أحلامَهُ بقلبي ولُبِّي

* * *

فإذا لم يَجِدْ كلامي طريقًا ... نحو تلك المسامع المشتاقَهْ
فاذكريني بما مضى من قصيدي ... واذكري الحُبَّ في دموعي المراقهْ

* * *

واعلمي. يا حبيبة القلب أني ... ما مَلَلْتُ الحياةَ عندك دهرا
بَلْ تعذبْت باللَّيالي طوالاً ... كلَّما غبتُ عنكِ غَصبًا وقهرا

الحديدة: صفر ١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م

١٣٥ ــ حـريـة الـرأي..

[إلى الـزميل السيـد إحسان الجـابري، رئيس مجلس اتحـاد الدول العربية]:

«إحسـان»؛ هـل حقًـا رجعت إليهـا ... ووجــدت مـا تهــواه بين يـديهــا؟
وجنيتَ من روض المنـى زهــراتــه ... وقـطفت ورد الحسن من خـدَّيهـا!؟
فـاهنـأ بـوصـل خـالـدٍ لـك خيـره، ... وانعم بمــا نُــوِّلْتَ مـن شفـتيـهــا!

* * *

من ذا تــرى تعني بـأَنــك لم تـزل ... في أســرهـا ملقىً على قــدمَيهــا؟
أهيَ التي ظلَّت على طـول المـدى ... يسعى العــظام الخـالــدون إليهـا؟
تلك الحقيقـة؛ أنت مـالـك سـرهـا ... وعميــدهــا الحــاني وإبْنُ أبيــهــا
حــريــة الــرأي الـتي مـن أجلهــا ... تِهْنَــا نُجــاهِــدُ مشـفقـين عـليهــا

القاهرة: ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م

١٣٦ ــ عام جديد

في كل مطلع عام ... أبكي على الأيامِ
على الهوى والتَّصابي ... على شباب الغرامِ
على ليال تعرَّتْ ... للحُبِّ والأنغامِ
أبكي.. ويا ليت دمعي ... يُطفي ضريم أوامي
أبكي.. وقد جَف دمعي ... وجفَّ حُبّي، وجامي
وكل ما هو حولي ... يَبْكي معي في وئامِ
تعبتُ من كل شيء ... ومن جميع الأنامِ
فلا الزَّمانُ زماني ... ولا المُقام مقامي

روما: ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م

١٣٧ــ وَداعًا أيُّـهـا العـام

وَدَاعًـا أيُّـهـا الـعـامُ، الـطَّريـدُ ... وأهـلاً أيُّـهـا الـعـام الـجـديـدُ
كِـلا زمنيـك سـاعـاتُ نشـاوى ... تـداعـبـنـا وأيَّـامٌ تـعـودُ
ولـذَّاتٌ تـجـاذبـنـا، غـرورًا ... وأحـلامٌ وأوهـامٌ تـبـيـدُ
وقـد تـأتـي ولا نَـغَـمٌ يُـسَـلِّي ... ولا خـمـرٌ ولا جـامٌ يـجـودُ
فـنـبْـكي ثـم نـستـبـكي وَنَـنْـثي ... سـرائـرنـا فـيـهـتـز الـوجـودُ
تُـرَى هـل أستـطيب العيش يـومًـا ... ويـسْـعِـدُ بـالـمـنى زمـنٌ كـنـودُ
وسـاعـاتي التي أودعت فـيـهـا ... حيـاتي.. هـل تعـود بهـا العهـودُ
ومـا قـدسـتُـهُ مـن أمـنـيـاتـي ... تُـرَاهـا هـل تجـود بهـا الـوعـودُ
أم النسيـانُ غـولُ الـدهـر أخنى ... عليهـا، واستبـدَّ بـهـا الجـحـودُ

روما: ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م

١٣٨ ـ لحن غربي

يا حياتي . .
يا حبيبي . .
وأتَتْ نحوي تَسْعَى تتلوَّى كالأفعى
وتغنِّي . . يا حبيبي
وتلاقَتْ نظراتُ
وأفاقَتْ صبواتُ
وتَثنَّتْ عطفاتُ
وتعالَت آهاتُ
وتغنَّتُ . . يا حياتي

* * *

يا حلوهْ يا شقْرا
أفدى العين الخضرا
بهواي، وما أجرا
وشذاك؛ وما أغرى!
غنِّينا . .
يا حبيبي
قالت بعيوني
ودمي، وفنوني

وهواي وديني
أفديك، وغنت
يا حبيبي يا حياتي

بون: ١٣٧٩هـ / ١٢ فبراير ١٩٦٠م

١٣٩ ــ حــوَّاء

قبــل انبــلاج الــصُّبــح بــالأضــواء فــي غـبش الــسَّحَــرْ
والـفـجـر روحٌ يـسـتـشـفُّ العِـطْرَ من مهـجِ الـزَّهْـرِ
والليــل، جثـمــان تــرنــح بــيــن أحــضــانِ الــقــدَرْ

* * *

نــاجيتـهــا؛ يــا حُلْم عـمْـ ـري هــاكِ عن حُبي خبـرَ
لــمَّــا يــزل أقــصــوصــة تُــروى بــأنــديــة الــسمَــرْ
يـحـكـيـه مـفـتـون ومـحـ ـزونٌ، ومـن فقـدَ الـوطـرْ
ومــعــذَّب عــاف الــحــيــا ة ولـم يـجـدْ فـيـهـا مَـقَـرْ
ومــشــرَّد يــطأ الــثَّــرى هَـوْنًـا ويلتمس الـمـفَـرْ

* * *

خــبــرٌ رواه «آدمٌ» مـن قــبــل أن يـلدَ الـبَـشَـرْ
لــلريــح لـلغــابــات، لــلْـ أَنْسَـامِ تـمـرحُ، لـلنَّـهَـرْ
بــالـدمــع، والأنـات، بــالـ ـعـثـراتِ في تـلك الـحُـفَـرْ
أغــوتْــه «حــوّا» بــالـجـمـا ل؛ ونــوَّلــتــه مـن الــثَّــمـرْ
وجـنى «الـحـرام» ولم يُـفِقْ إلَّا عــلى صــوت الــقَــدَرْ
هــذي الـخـطيئـة لا يـطـ ـهِّـرُ إثـمـهـا إلَّا سَـقَـرْ
فــاهبطْ إلى الــدنيــا اللَّعيـ ـنـةِ وارتـشِفْ منهـا الأمَـرْ
من كــل مـا يُــذكي الحشــا من كــلِّ مـا يُــدمي البصَــرْ

عِشْ عبـدهـا المحـروم لا أربًـا قـضَـيـتَ ولا وطَـرْ

* * *

وأنـا ابـنُـه وحكـايـتـي هـي قـصَّـة الـقـوم الأخَـرْ
من عـاش مصطبـرًا، ومَنْ فـقـد العـزيـمـة وانتـحَـرْ
حُبًّـا.. ومن خَـلَع الـعِـذا ر، ومـن تـكـتَّـم واسـتـتـرْ
«حـوّا» غـوايـتـهـا تـطا ردني، تـرى أين الـمفـرْ؟

بون: ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م

١٤٠ ــ عَبْلة

لا تعبثي يا عبلُ، بي ... ولعٌ؛ ولي قلب مغامِرْ
بالنَّظْرةِ الأولى انْتَشَتْ ... روحي، وعرْبدت المشاعرْ
وتركتني نفسًا يذو ... بُ ومهجة في كفِّ طائرْ
وسألت مَنْ..؟ قالوا خيا ... لاً طاف في أحلام شاعرْ
والبسمةُ السكْرى..؟ شعا ... عُ الكأس في لهب المجامرْ!
والنظرةُ النشوى..؟ بقا ... يا يقظة في جفنِ ساهِرْ
قلتُ الجراح تصيحُ بي ... والشوق يهتف أن أقامِرْ
قالوا: الملامة والحيا ... قلتُ: الصبابَةُ لا تُصابرْ
هذا الجمال يُسام رُخْـ ... ـصا بين تجّار الجرائرْ
وهفوت نحوكِ شاخصًا ... وكأنما أنا طيف حائرْ
ورشفتُها.. لا قبلةً ... بل نظرةً من طرف ساخرْ
تحكي خيانة فاجِرٍ ... وذنوب خدّاعٍ وعاهِرْ
وتَقُصُّ آلام الضحا ... يا بين أنياب الضمائرْ
قلتُ: السلامةُ لِلْهوى ... والحسن من رجس الكبائرْ

بون: ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م

١٤١ ــ دُنـيـا

مَن أنتِ.. يا من كخنجَرٍ
دَخلتِ قلبـي؟
مَن أنت.. يا من لحسنِها
أخلصت حبّـي..؟
سُلالةَ الطينِ أنت.. أم من الجحيمْ؟
أم جئت من جنَّة النعيمْ
بالشِّعْرِ كالليل فاحمًا
والجيدِ كالمرمَرِ الكريم

* * *

من أنتِ..؟ يا فتنة الهوى؛
يا زهرةَ الحُبِّ والشَّبابْ
عنصُرُ قلبـي من الترابْ. وأنتِ نارْ،
يخافُ إن مَسَّهُ لَظاك.. من الدَّمارْ،
فابتعدي يا ابنة الأثير.. عن الكَليم
فليس يقوى على الضريم
وفي حناياه لم تَزَل.. جراحُ إخفاقه القديم
جنية أنتِ فاغربـي
فالنار لا تعشق التراب

* * *

الحُب، والحُسنُ، والشباب.. وصبوتي
قد عَبَدتْ فيك ربَّها.. وروحها!
والوجدُ، والشَّوقُ، والعذاب.. ونكبتي
أدميت.. يا لعنة السَّما.. جروحها.
وأنْتِ «دنيا» من الفُتُون،
والعبقريّات، والفنون،
من الصبابات، والشجون،
والشعر، والسحر، والجنون.

بون: ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م

١٤٢ ــ العُـروبـة

[أُلقيت في مهرجان الشعراء بدمشق سنة ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م]:

الصـريـعُ المضـرَّج الأشـلاء ... تتنـزَّى فيـه بقـايـا حيـاةِ
خلَّفتهـا معـارك الـهيـجـاء ... للسَّوافي والليل، والحسـراتِ
بسيـوف الأعـداء والـدخـلاء ... وانتفـاضـات البغي والثَّـاراتِ
وتـلاشي العـقيـدةِ الـغـرَّاء ... في ظـلام الأوهام والشبهـاتِ
وانصهـار العزيمـة الخرسـاء ... في ضجيج الأحلام والترَّهاتِ
وطـواغيت الحُكم والإفتـاء ... ودعـاة الإلحـادِ، والشبهـاتِ
حَطَّموهـا . . وبالكـلام الهراء ... والدعاوى والـزور. والإعناتِ
والشبـاب المـوزع الأهـواء ... الـرقيـع، المخلَّع العـطفـاتِ
يَتَـزَيَّى بـصبْـغـةٍ شـوهـاء ... ليس فيهـا لقومـه من سمـاتِ
تلك قـوميتي ، وذلـك دائي
في جمودي، في حيرتي، في شتاتي
والصـريع المضـرج الأشـلاء ... هو في ساحةِ المطامـعِ ذاتي

١٤٣ ــ صــوت

هــزَّنــي هــزة الأســيــر وســوط الْـ
ـحــارسِ الــفظِّ يــســتــحــثُّ خــطاهُ
هــزَّنــي هــزة الــمــحــب وقــد وا
فــاه وعــدٌ مــن شــادن يــهــواهُ
هــزَّنــي هــزة الــنَّــبي وقــد فــو
جــىء بــالــوحــي قــلبُــه وحــجــاهُ
لــسْــتُ أنــســاه، صــوتُــه وفــحــيــحٌ
لــحــديــد غــلَّتْ بــه قــدمــاهُ
صــوتــه والــظلام والــرعــب والــيــأ
س.. وشــيء تــخــيــفــنــي ذكــراهُ
حــيــن ســاروا بــه إلى حــيــث.. يــا لــلـ
ـقــدر الــتَّــعس مــا جــنــتْــهُ يــداهُ
قــال لــي: يــا أخــي وداعًــا وولِّــى
لــيــتــنــي مِــت قــبــله أو فــداهُ

القاهرة: ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م

١٤٤ ــ شاعر

عرفتُه صبّا وفنّانا ... وشاعرًا فذًّا وإنسانا
معذبًا في جوفه جمرة ... تنبض بالأنفاس نيرانا
الخوفُ قد أوثق أسرارَه ... والهمُّ قد يُلزمه الحانا!
يَعبُدُ في الحان زجاجاتِهِ ... ويحسِب السَّاقين أوثانا
مُوَحِّدٌ في صُبْحه مشرك ... في الليل؛ لا يعرف برهانا
وقد تراه مطرقًا خاشِعا ... كأنَّه يَطلبُ غفرانا
لو كان ما في الغيب من شأنه ... ما مَسَّ ريب الدهرِ فنانا
لا تظلموه، وارحموا دمْعَه ... ونولوه العطف.. إحسانا

القاهرة: ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م

١٤٥ ــ وَحـيـد

أخي، وحيدٌ أنا، في عالم شَرسٍ ... مدنَّس العيش، موبوء الديناتِ
زنديقُه بَطَلٌ فردٌ، وخائِنهُ ... مُبَرِّز الاسم، موفور الكراماتِ
والحرُّ فيه مذالُ العيش مُضْطَهَدٌ ... مُرَزَّأ القَصْدِ مدحور الإراداتِ
أسْتَف من ذكريات الأمس مُغْتَبقي ... لَيْلاً، ومُصْطَبحي ذكرى هزيماتي
فلا الوُجُوهُ التي أهوى أطارحها ... بث الشجى والأماني والصباباتِ
ولا الديار التي من عطر تربتها ... دَمي، وفي سفحها هامت خيالاتي
ولا نديم سوى الذكرى أحاورها ... حزْنًا بحزن وآهاتٍ بآهاتِ
وأحتسي الكأس أقلو كف مازجها ... ونخبَهُ والندامى، والنَّديماتِ
فلا يطير بفكري نور نَشْوتِها ... ولا بصدْري يَسْري لفحُها العاتي

القاهرة: ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م

١٤٦ ــ تحيَّة قلب

[بين رُكام أوراقي وجدت أبياتًا هنَّأت بها صديقًا[1] عزيزًا عندما تزوَّج في بيروت سنة ١٩٦٠م، إنَّها قديمة.. ولكن صدق مشاعرها جعلها تُصرُّ على أن تظهر مع أخواتها «بنات الخمسين»]:

التَّهاني تُزفُّ للإخوانِ ... مِنْ بعيدٍ عن الهوى أو داني
والتَّهاني إن كنتَ أنتَ المُهنَّا ... جذلات يُطربنَ كالألحانِ

وتكاد الحروفُ ترقصُ شوقًا
لأمانٍ تشتاقُها في المعاني
عَجزَ الشِّعرُ أن يُصور بُشرى
سحرها شلَّ مقولي وبياني
أنتَ عيني فكيف أبصرُ عيني؟
وجناني؛ فكيف أطري جناني؟
أنتَ «عبدُ الرَّحمن» رمْزُ وفاء
وإخاء وقبلةٌ للأماني

خُذ تحيات القلب والرُّوح، واسلْم ... مثلاً رائعًا لكلِّ «يماني»

بيروت: ١١ من جمادى الآخرة ١٣٨٠هـ
٣٠ نوفمبر ١٩٦٠م

---

(١) هو الأمير عبد الرحمن بن الإمام يحيى حميد الدين.

١٤٧ ــ غَـريـبـان

وكمـا ينـظر الـغـريب إلـى النـا ... س بـطرفٍ بـاك، ووجـه حـزينِ
وعـلى كـلِّ لـمـحَـةٍ فـي مُـحيَّـا ... ه تـراءى أحـلام يـأس دفـيـنِ
نـظرتْـنِي فـي لـهـفـةٍ وحيـاء ... وازدراء لـجـنـسـي الـمـلعـونِ
وتَـفشَّـتْ بـراءة الصـدق فـي عَـيْـ ... ـني بمـا فـي قـرارتي مـن حنينِ
وأفـاقَ الشيـطان في دمي الـفـوَّار ... واستَـعْـرَمَـتْ دواعـي الـمجـونِ
وتمـادى وهمي، وضـاع صـوابـي ... وتـلظى شـوقـي، وجُـنَّ جنـونـي

* * *

قلتُ: يـا زهـرة الحيـاة سـلامًـا ... من أسيـر الهـوى، وَصَبِّ الفنـونِ
شـاعـر الحبِّ والجمـال، فقـالتْ: ... الـتـحـيَّـات لـلكـريـم الأميـنِ
لَسْتُ مـن هـذه الـديـار، ولا أهـ ... ـلي فيهـا، فـلا تهيِّـجْ شجـوني
قلتُ: مَهْـلاً فقـد وجـدتِ غـريبًـا ... طـال تـهيـامُـهُ بـوادي السنيـن
والغـريبـان.. في الهمـوم نسيبـا ... نِ شـبيـهـان فـي الأسـى والأنـينِ
والمؤاسـاةِ في المصـائبِ فَضْـل، ... والـصـبـابـات لا تـديـن بـديـنِ

* * *

فلتكـنْ هـذه الـديـار لنـا اليـو ... مَ بعيـديـن عن دواعـي الـظنـونِ
الـصبَـا ذاهـبٌ، وعُمـريَ يَـفـنـى ... والـبـرايـا غـدًا تـراثُ المنـونِ
فـامـرحي، وارقصي، وتيهي دلالاً ... أنـت دنيـا مـن المـنـى والـفـتُـونِ

فـإذا مـا أتـى الـصَّبـاح فـلا دَرْ ... بـك دَرْبـي، ولا هـواك خـديـني
سـوف تسْتـفُنـا الـحيـاةُ رحيقًـا ... ونـشـيـدًا مُـلوَّنَ الـتـلحـيـنِ

لندن: ١٣٨١هـ / ١٩٦١م

١٤٨ ــ عندما تعود

وإذا ما رجعتَ يومًا، ولا عُشـ ـك باقٍ ولا غديرك جاري
والغُصُون الجدباء تبكي بصمتٍ والهزارىٰ هشيمة الأوكارِ
وبقلبٍ محطَّمٍ، وبروح مثقَل بالأوجاع والأسْرارِ
نُحْتَ تَنْعى أهلاً وجيران أهلٍ وتُبكِّي دارًا، وأصحاب دارِ
فاذكُرنَّ عهدنا وميثاق حُبٍّ كيف عاثَتْ به يَدُ الأقدارِ

* * *

رَبِّ. ماذا جَنتْ يداي؟ وماذا قد تَحَمَّلْتُهُ من الأوزارِ
أأنا في العُصَاةِ فَذٌّ فألْقى كلَّ ما قدْ لقيته من بوارِ

لندن: ١٣٨١هـ / ١٩٦١م

١٤٩ ــ سِــرّ

ما الذي أهواه؟
لا أدري
ولا يدري فؤادي
ما الذي يهواه. في هذي الحياه؟

* * *

عندما أخلو إلى نفسي
وأسترسل في الصمت
وفي أحشائِه أسري
بأفكاري
ولا أدري إلى أين.؟
وأسألُ ما الذي أهوى؟
ولا أدري
ولا يدري الهوى أنَّ الذي أهواهُ
لا يمثلُ في الدنيا
ولا في المجد مرهوبا
ولا في الثروة الكبرى
ولا في الحُبِّ مشبوبا
ولا في النَّغْمة السكرى

ولا في الحُسن محبوبا

* * *

ويطوي الليل أسراري؛ فأنشرها بقيثاري
وأنثرها بآهاتي، وأفشيها بأشعاري
وتلمسُ زفرة البؤس التي تغفو
ويحضنُها ضمير الكون.. منذُ تبرْعم الكونُ
وتسأل: ما الذي أهوى؟
فلا أدري
ولا صَمتي، ولا سِرِّي، ولا شعري
ولا قيصارتي الثكلى

* * *

سلامًا.. يا هواي الضَّائع المجهول
وحين تُداعبُ الأنغام
أسرارَك
وحينَ تصابرُ الآلام
أقدارك
وحين تهدهد الأوهام
أشعارك
تُدَحرِجُ دَمْعَةَ التيه.. على خَدِّي
وأستيقظ.. والبسمة في ثغري
ولا أدري. ولا يدري فؤادي
ما الذي يهواه في هذي الحياهْ

لندن: ١٣٨١هـ / ١٩٦١م

١٥٠ ـ لا تَسَلْني

لا تَسَلْني : كيف أشتاق إليها؟
فهي حُبّي ؛ وأنا ملكُ يديها
والسَّنا بعض معاني مقلتيها
والهوى سرٌّ يناجي شفتيها
والصِّبا . . . والحُسنُ موقوفٌ عَلَيْها
وهبي «دنيا» وحياةً أجتليها

* * *

لا تَسَلْني ، واسأل الدَّمع يُبَكِّيها غزيرا
واسأل الشِّعر يناغيها عبيرًا وحريرا
والضنا ، والسُّهد ، والشوق المريرا
لا تسلْني ؛ فهي دنيا ؛ وحياة أجلتيها
والشَّذى ، والحسنُ ، والفتنةُ أسراري لديها

* * *

لا تَسَلْ ؛ كيف ابتلانا الدهرُ بالبُعْدِ طويلا؟
كيف أشقانا ظلومًا؟
كيف أظمأنا بخيلا؟
كيف . . لم يُبْقِ إلى اللُّقيا سبيلا
كيف لم يرحم جراحًا؟

كيف لم يُسْعِدْ غليلا؟
لا تسَلني واسأل الأوراق منها. . وإليها
هي تحكي ما تُعاني، وأنا قد ذبت فيها

* * *

لا تَسلنيَ، واسأل الليل وقد ملَّ اكتئابـي؛
وحُميّا الكأس قد غصَّت من الدمع المذاب؛
والأماني؛ وهي صرعى بارْتيابـي؛
والأغاني؛ وهي نشوى بعذابـي
لا تسلني؛ فأنا صَب أسيرٌ في يديها
ما صبا عنها فؤادي بل صبا شوقًا إليها

* * *

لا تَسلني، واسألِ الأنسام كم ذَابتْ بليلهْ
بتحياتي، وأشواقي، وأحلامي الجميلهْ
والهوى تفضَحُه؛ والسِّرُّ لا تُخفِي قتيلَهْ
والشذى كم حَمَلت عنّي وأهدتني عليلهْ

* * *

أنا أهواها وأشتاق إليها
وإلى قُدْسِ السَّنا في مقلَتَيْها
وإلى خمر الهوى في شفتيها
وإليها. . وهي «دُنيا» أجتليها
والصِّبا، والحسنُ موقوفٌ عليها

لندن: ١٣٨١هـ / ١٩٦١م

١٥١ ــ عبد الرحمن الشامي

[كان السيد العالم عبد الرحمن بن حسين الشامي ــ رحمه الله ــ هو الذي ربَّى الشاعر وأدَّبه، وغمره بالبر والحنان والتأييد وهو طفل يتيم، وشاب يتطلع إلى الحياة وأمجادها، وسجين يقاسي الأهوال؛ ولذلك فقد حزن عليه حزنًا بليغًا، وبكاه بكاء مرًّا حين بلغه نبأ انتقاله إلى جوار ربه، في شعبان سنة ١٣٨١هـ / يناير ١٩٦٢م، فقال يرثيه]:

مُصابنا فيك غير منفصمِ ... وجرحنا فيك غير ملتئمِ
جلَّ عن الوصف هوله، وطَمَى ... على الأسى، والدموع، والكَلمِ
وأضرم الحزنَ في الحشا لهَبًا ... وأشرب الدمع حَسْرَةً بدَمِ
مُصابُ آل «الشامي» بسيِّدهم ... هيهات يُسْطاع نعتُه بفمِ
بالسيِّد الندب خير متزرٍ ... بالعلم، بالصالحات ملتثمِ
الباسم الثَّغر، دون ما ملق ... الشامخ الأنف دون ما ورمِ

* * *

تبلَّجي يا سماء، وابتسمي ... أو دمدمي بالخطوب والنِّقَمِ
وأمطريها بما تؤمِّله ... أو ضرِّجيها بلاهبٍ ضرمِ
فمن به الرّبعُ كان مزدهرًا ... بالخير، والطيبات، والنِّعَمِ
قَضى؛ فلا بهجةٌ، ولا أمَلٌ ... ولا شعاعٌ لثغر مبتسمِ
وكلّ قلبٍ بالحزن منصدعٌ ... وكل نفس تضجُّ بالألمِ
وكل طرف بدَمْعِهِ شرِقٌ ... عن كل شيء في الكائنات عمي

فـانفـطري مهجتي أسى، وكـفى بـالـدمـع عيني؛ ودُمت يـا ألمي

* * *

أنـا الـذي قـد عـرفتـه سَنَـدًا لـكـل ذي حـاجـة وذي عُـدُمِ
أنـا الـذي مـا حضـرت مجلِسَـهُ إلاَّ كـأني في حضـرة الحَـرَمِ
أنـا الـذي مـا سمعت نبـرَتَـهُ إلاَّ.. تـلَقَّـفْتُـها من الـحِكَـمِ
يـا ويـحَ نفسي لقـد فقـدت بـه أبـا غـذاني بـالـبـرِّ والـكـرمِ
وكـان لـي كـلَّ مـا أؤمِّـلُهُ ومـا أرجِّي من دهـري الـبـرمِ
وكـان لـي مـوئـلاً ومـدَّخـرًا ومشعـلاً في حـوالـك الـظُّلَمِ
كـان مثـالاً لـلخيـر يصنَعُـهُ بـطبعِـهِ صنـع طـاهـرِ فِـهـمِ
لا يـرتـجـي غـيـر ربِّـه أحـدًا ولا يُحـابي لـمـقـصـدٍ وخـمِ
وعـلمًـا مـا سمـا إلـى شـرف إلاَّ وقـد كـان حـامـل الـعَـلـمِ
لـسـانـه طـاهـرٌ، ومـهـجتُـهُ تـشمُـل بـالـحبِّ سـائـر الأمـمِ

* * *

بـأي شعـر أبكيـك يـا أبَتي وقـد تـلاشى بحسـرتي نَـغَمي
ولا فـؤادي مـعـي، ولا خَـلَدِي ولا لسـاني يـنـدى، ولا قـلمي
بـأي دمعٍ أبكي وقـد نفـدَ الـد مـعُ ولـم يـبق منـه غيـر دمي

* * *

أخي[1] وأنت الـنجيبُ مـن نُجُـبٍ مـن سـادةٍ يُعْـرَفـون بـالشَّـمَـمِ
الـشُّمُّ تـهـوي لـمـا أصِـبْـتَ والـزُّهْـر تخبـو للحـادث العَـرِمِ
لـكـنَّ قـلبًـا تَـضُـمُّـهُ جـذلاً بـطاعـة الله عـنـك لـم يَـرِمِ

(١) المخاطب هو نجل الفقيد السيد أحمد عبد الرحمن الشامي الذي استشهد في شهر سبتمبر سنة ١٩٦٢م، رحمه الله، بصنعاء.

فـاصْبِـرْ وصبِّـر أهـلاً قـلوبـهـمُ على الفقيـد العـظيم فـي ضَـرَمِ
أنـتَ مـلاذٌ لـهـم، ومُـعْـتَـصَـمٌ ونـعـم أهـل، ونـعـم مُـعْـتَـصِـمِ

* * *

ورحـمـة الله لـلفـقـيـد غِـنـى عن كـل شيء يـرجى من الـنعـمِ
قَـدْ عـاش بـرًّا، ومـات مفتقـدًا ذكـراه حمـدٌ يَسـري بـكـل فَمِ

لندن: ١٣٨١هـ / ١٩٦٢م

١٥٢ ــ مَلل وَضيق

ماذا أصبحتُ أحسُّ به ... من مَلَلٍ يزحَفُ في قلبي؟
للنَّاس جميعًا؛ من فدْمٍ ... لا يعقل شيئًا؛ أو ندبِ
حتى الحسناوات اللاتي ... تتباهى في حُلَلِ العُجْبِ
حتى من كان له عندي ... ما ليس لآخر من قربِ
حتى.. نفسي ونوازعها ... حتى.. الأدنين من الصَّحْبِ
والكأس تناجي شاربَها ... والحانَة تَفْهَقُ بالشربِ
بالرقّاصين وقد نَسَلُوا ... من كل صراطٍ أو حدبِ
شهواتُهُم تغلُو شبَقًا ... لضحايا الفتنةِ والكذبِ
لصبايا تمرح سابحةً ... في الحسنِ وفي عطر الحُبِ
ماذا أصبحتُ أحسُّ به ... من بغض يغْلي في القَلْبِ
للحُبِّ؛ وآهة مدنفه ... للشِّعْرِ يُتمتم؛ للأدَبِ
لمجال كنتُ أقدسها ... للشِّعْرِ كانت تحفِلُ بي
ماذا..؟ يا ليت الحب غَفا ... يا ليت الفتنة لم تُصْبِ؟
يا ليت الجدَّة قد عقمتْ ... يا ليت الوالد لم يهبِ
يا ليت حياتي قد نَضَبَتْ ... يا ليت سؤالي لم يُجَبِ!
ماذا قد نلتُ..؟ سوى فشل ... ماذا قد حزتُ سوى التَّعَبِ؟
أرثي نفسي أبكي وطني ... أشكو قومي، أقلو صَحْبي!

لندن: ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م

١٥٣ ــ مـذنـب.!

ويَمشي الهويْنا.. على الشوك حينا
وحينًا على الدمع؛ قد نثرتهُ عيونُ اليَتامى
عيونُ الثكالى
عيون الذين أطَاحَتْ بهمْ، وما يرتجون دواهي القَدَرْ

* * *

ويَمشي الهُويْنا
فلا صرخات الدموع المُذالة عَبْرَ الطريقْ
ولا زفرات الضلوع
ولا الأنَّةُ الباكيهْ
ولا النظرات الكسيره
تُـطَأْطِىء من صَلَفٍ عـاهـرِ تمَثَّـل فيـهِ ذنـوبُ البَـشَـرْ

* * *

ويمْشي الهْويْنا.. ولكن إلى المسْتقَرْ
وَحيثُ الندامةُ تكوي الْحشا
وحيث الجزاء على ما غَبَرْ
وحيثُ بنُو آدم يُحْشَرُونْ
لا متعالٍ، ولا محتَقَر
فيجْني دُمُوع اليتامى

ويَصْلى هموم الثَكالى
وتخنقُهُ زفراتُ الضلوع
وتشنقُه صرخاتُ الدُّموعْ
ويعـوي كذئبٍ يَضِـجُّ السُّعارُ بـأحشـائـه ظمـأً لِلْخـدَرْ
فـلا يُسْتَغـاثُ، ولا يُسْتَجـاب ولا يُـسْتـعـاذ، ولا يـنـتَـظرْ

لندن: ٤ ربيع الأول ١٣٨٢هـ
٤ أغسطس (آب) ١٩٦٢م

١٥٤ ــ دمـعُـك دَمـعـي

أبـكـي مـع الـبـاكـي عـلى عـمـره
وأشـتـكـي الـدهـر مـع الـشـاكـي
ومـا شـفـى دمـعٌ صـدى غـلَّةٍ
لـكـن حَـنـا بـاكٍ عـلى بـاكـي
دمـعُـك دمـعـي يـا رفـيـقَ الأسـى
إنْ كـانَ إدراكُـكَ إدْراكـي

لندن: ٦ ربيع الأول ١٣٨٢هـ
٦ أغسطس ١٩٦٢م

١٥٥ ــ عـقــوق

كيف استجبتَ إلى السَّرابْ وحِدْت عن نهج الصَّوابْ؟
كيف اضمَحلَّتْ فيك آمالُ الزمالةِ والطِّلابْ؟
والحقّ والخلق الكريم، وكل أحلام الشبابْ
بل كيفَ عُدْتَ؛ وفي جبينكَ وصمةُ المتملِّقينْ؟
ووسام من ضلوا السبيل وأنكروا الحق المبينْ
ويراعكَ المسْعُورْ يَرْعُفُ بالثبورْ
ولسانك المذعورْ ينفثُ بالفجورْ
والزُّورْ. . يا من كنتَ لي أملاً ونورْ
كيف استجبتَ إلى الشرورْ؟
كيفَ استنمْتَ إلى الغرورْ؟

* * *

هَلاَّ ذكرتَ وأنتَ في فَخِّ المصائِب كالسَّجينْ
تبكي حياتُك فيك بَلْوى بائسينْ مُشَرَّدينْ
ورعيتُ فيك أمانةً لرفيق آمالٍ ودينْ
ماذا دهاك فَصِرْتَ تنفثُ بالشتائم والسِّبابْ؟
وأنا الذي عنه اسْتَقَيْتَ الصدق والقول الصوابْ
يا خنجر الغدر الظَّلومْ. .
لو عاد ــ مولاك ــ العظيم

لبكى . . وقال: أهكذا يُجْزى الكريم . . ؟
أنكَرْتَهُ وهو الذي
في عُنْقِه آمال كل الخالدينْ
لولاه ما وضُحَ السَّبيل، ولازها نور اليقينْ.
ألأنهم قَد ساومُوكَ على السرابْ؟
ألأنَّهم باعوا عَمارَكَ بالخرابْ؟
لا . . لا . . لقَدْ أبْعَدْت . . عن نهج الصوابْ.
فاخفض جبينك، وارتعِشْ، ندمًا وتُبْ قبل التبابْ.
وارع الأخوة والزمالة، والأُبوةَ والجهادْ
وصُنِ الودادَ ولا تَعِثْ حمقًا بأسباب الودادْ.

لندن: ١٣ ربيع الثاني ١٣٨٢هـ
١٢ سبتمبر ١٩٦٢م

١٥٦ ــ كـهـف

في حنينٍ دَائمِ
وادِّكارٍ واجمِ
في زفيرٍ وشهيقْ
ونحيبٍ لا يفيقْ
ضلَّ عن مأواه لا يعرفُ نهجًا أو طريقا
والأماني حولَهُ صرعى؛ ولا يدري رفيقا

* * *

كان بالأمس ربيبَ الصبواتْ
وهو اليوم نديم الحسراتْ
ورفيق العبراتْ
وصريعَ الذكرياتْ
وخيالات نشاوي وظنون خائباتْ
ورؤى تَلهَثُ كالْهِيم بوادي العثراتْ
وحنين وأنينْ، ودموعٌ، وشتاتْ

* * *

كلَّما أمعَنَ في السُّكرِ صَحا القَلْبُ الجريحُ
أو أفاقَ الشوقُ، واستعْرَمَ وجدانٌ ذبيحُ
وتراءتْ كخيوط العَنْكَبُوتْ

ذكرياتٌ نَسلَتْ من كهفِ ماضٍ موحشْ
حَسراتُ البؤسِ في أرجائه
تتعاوى كَذِئابٍ جائعات؛
والمنايا تتلوى كالأفاعي؛
والرزايا كالوحوش الضارياتْ
ودموعٌ ونجيع، وحنينٌ وأنينْ،
وسهادٌ واضطهادٌ، وعذابٌ لا يلينْ
كلُّها ترجُفُ خوفًا.. بين تلك الظلماتْ
وفناءٌ غامض يفغُر فاه
وكيان شاحبٌ يرسف في أغلالِهِ
وهلاكٌ ودمارْ.

* * *

وغدٌ.. يا ويحَ نفسي من غدٍ
إنَّه لفْحَةُ نارْ، إنَّه وثبَةُ ثارْ
إنَّه وصمة جرحٍ في جبينْ
إنه غضبةٌ حقدٍ لا يلينْ
إنه وحشٌ كمينْ
وبقايا خمرةٍ عاقرها شيخٌ عقورْ
أغمض العين على نشوتها وهي تفورْ،
فـهـي مـوتٌ وحـيـاةٌ وهـي إظـلام ونـورْ

لندن: ١٥ ربيع الثاني ١٣٨٢هـ
١٤ سبتمبر ١٩٦٢م

١٥٧ ــ انـتـظـار

يا حَيْرَة «التَّابوت» ضلَّ حاملوه
وضيَّعوا معالِمَ الطريقْ
وظُلمات اللَّيل قد توائَبَتْ
من كلِّ فَجّ موحش عميقْ
والخوفُ أشباحٌ تحومْ
على مشارف الوادي السَّحيقْ
و «زمرة الأجْدَاث» في انتظارْ
للزَّائر الصديقْ
والْعَفَنُ المسلول في انتظارْ
يرتَقِبُ التابوتْ
في كهفِه العتيقْ
ويَنْسِجُ البِلى على هياكل الرَّقيقْ
حَتَّى وحوشُ القَفْرِ . . وعَقاربُ السُّهولْ
حتى الأفاعي . وعناكب الكهوفْ
الكلُّ في انتظارْ
وفي احتفال؛ جائعين . . للجدث الجديدْ
للزائر الصديقْ
والتائهون بين أدغال الظلامْ

حائرونْ
وحاملو «التابوت» ضائعونْ
والموتُ، والأجداث في انتظارْ،
وعناكب الفنا، والعفنُ المسلولْ
ترتقبُ الطَّريقْ، في مَلَلٍ.. وضيقْ

لندن: ١٦ ربيع الثاني ١٣٨٢هـ
١٥ سبتمبر ١٩٦٢م

١٥٨ــ تحيَّة الشاعر للشاعر

[إلى الصديق الوزير الشاعر محمد أحمد محجوب، إثر إطلاق سراحه من السجن ووصوله إلى «لندن للاستشفاء»]:

حيِّهِ اليومَ طليقا
مثلما حيَّيتهُ أمسِ سجينا
مثلما.. حَيَّيتَه من قَبْلُ حرًّا
ثائرًا يدعو إلى الحقِّ.. أمينا
حَيِّهِ بالشعرِ من أغلاله حُرًّا طليقا
والتحيَّات به تزكو.. عبيرًا ورحيقا
حيِّ «محجوب» الذي عزَّ فخارا،
وسما مجدًا، وذكرًا، وشعارا،
وهو الشاعر والثائر حقًّا
وهو الشَّهْمُ أبو الأحرار؛ صِدقَا

* * *

كم شدا؛ والقوم في أوهامِهِمْ
يتفانون عويلًا،
ليسَ يـدرون مجالًا، لا يَبِينُونَ سبيلا
كم أثارَ النَّقعَ في وجه الطُّغاةِ الظالمينْ
حين كان الوطن الغالي بأيدي الغاصبينْ

وبنوه في متَاهات التَّواني حائرينْ
صوته كان منار الحقِّ والهدْي المبينْ
كان كالرَّعد يدوي في صماخ العالمينْ
لا يبالي عانق الهولَ، شهيدًا أو سجينْ

* * *

يا أخي ما بال دنيا
قد بلوناها فنونا..؟
أين آمالٌ رعيناها، سنينا
وشدونا بالقوافي
في مغانيها الجميلة
للعلاَ، لِلْحَقِ، للحريَّة البيضاء.. ندْعو.. لِلْفَضِيلَة
أين.. آمال غرسناها بَراعِم؟
كيف بالله.. حصدناها.. مظالِمْ؟
وجنيناها علاقِمْ
قد كسبناها انتصارات دموع ومآتِمْ
فأباحوها سبايا
واستجازوها مغانِمْ

لندن: ١٦ ربيع الثاني ١٣٨٢هـ
١٥ سبتمبر ١٩٦٢م

١٥٩ ــ عدنان وقحطان

[أطلق العنان لقلمه الطائش سبًّا[1]، وقذفًا وتهريجًا فاستعبر الشاعر، وقال]:

لم أقترفْ ذنبًا؛ لمعرفتي بما ... يُجدِي بني وطني وما لا ينْفَعُ
لكنَّه جهلُ المريض بدائِه ... ودوائه والسَّقَم فيه يرتعُ
يُمْسي الطبيب يرَوض شَامِس فِكرِهِ ... ليقيلَهُ، فيصدُّ عنه ويجزعُ
والشرُّ قد نتأتْ رؤوس صلالِهِ ... والخير تنهشُه الرماح الشُّرَّعُ
والدينُ مُنْصَدِعُ الجوانبِ ضارعٌ ... والحقُّ مضطهد النَّصير مضيَّعُ
وهراء كلِّ مُدَجِّلٍ ومخرفٍ ... ينكي القلوب وللرؤوس يُصدِّعُ
ومنابر التَّضليل يفترعونها ... جهرًا فتهتَزّ الجهات الأربعُ

* * *

سأظَلّ أهتِفُ بالحمى وأسودِه ... وأذود عنه، وأفتديه، وأمنَعُ
في مهيعي أمضي؛ وحولي عصبَةٌ ... «يمنيَّة» طابَتْ وطاب المهيعُ
ما إن حنوا يومًا لذلِّ جبهةً ... مذ كان فيهم «ذو نواس» و «تُبَّعُ»
و «العبقريّون» الأئمة من بني ... «حَسن» و «يحيى» من إليهم أرجعُ
في «العدل والتَّوحيد» في ديني وفي ... غضب الأسود إذا استثيروا أو دُعُوا
لا يجبنون إذا تضايقَ مِخْنق ... أو ينكصون مخافةً أن يُصرعوا

---

(١) المقصود يومها هو الدكتور عبد الرحمن البيضاني.

بدم «الحسين» و «زيد» والشهداء من «آل الرسول» تثقفوا، وتطبَّعوا

* * *

فتَنحَّ يا خدن الجهالة والخنا واطرق؛ فمثلك رُمْحُه لا يُشْرَعُ
واترك مجالات العُلا لرجالها ماضيك معروفٌ ويومك أبشَعُ
هلاَّ ذكرتَ وأنت في زمن الصَّبا تحنو جبينك للأنام وتركعُ
والبؤس يرقص في جبينك رغبة والجوع ذل في الجفون وأدمعُ
وأتيتَ أهل الخير تزعم نسبةً وتقول جدي «حميرٌ» أو «تُبَّعُ»
وظَلَلْت تلثم أرجلا وأناملا دهرًا وأنت لكل شر منْبعُ
فتكفَّلوا بك واصطفتك جماعة هذا يجود، وآخرٌ يتبرَّعُ
ماذا دهاك؛ فعدت تشتم «سادةً» جادوا عليك بمالهم، وتبرعوا
فارجع بطرفك حاسرًا «عدنان» قد جلَّت و «قحطانٌ» أعزُّ وأمنَعُ
أخوان في العلياء ما افترقا، وما خابا، وما خافا، ولن يتمزَّعوا
«صنوان» أصلٌ في العروبة واحدٌ والدين يكفلُ، والمبادىء تجمعُ
فاقضِمْ ضميرك دودةً، واعكف على مالٍ جمعْتَ وأنت عبدٌ طيِّعُ
في «بون» أمثَلةٌ تضجُّ وتلك أوراق البنوك إلى العدالة تضرعُ
والشَّعب في «اليمن السعيدة» شامسٌ عَمَّا يُشين؛ وبالمعالي مُولَعُ
قد يستجيبُ إلى ضلالك سذَّجٌ حينًا؛ وقد يَستسْلِم المتسرِّعُ
أما الأشاوش من «قريش» و «حمير» هيهات لن يتغيروا، أو يُخْدَعوا
ولسان حال الشَّعب يصرخ جهرة في وجه من يُمْلِي له أو يطمعُ
زعم «الفرزدق» أنْ سَيقْتُل «مربعًا» أَبْشر بطول سلامة يا «مربع»

لندن: ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م

١٦٠ ــ أبـي.. في قـبـره المـجـهـول!

[السيد محمد بن محمد الشامي والد الشاعر، توفي في «مكة المكرمة» في شهر ذي الحجة سنة ١٣٤٧هـ/سنة ١٩٢٩م، وهو لم يتجاوز الأربعين عامًا، وعندما حظي الشاعر بالمثول هناك استعبر، فقال]:

لِيَ قبرٌ هنا. بمكَّةَ في أحـ ـشائه سيِّدٌ قضى مَحْرُوبا
عاش حُرًّا لا يَسْتنيمِ لِضَيمٍ وشجاعًا، وقائدًا موهوبا
كانَ للصالحات رمزًا جميلاً، كان للمكرُماتِ خلًّا حبيبا
حين ضاقت به الحياة ولُؤم النّـ ـاس وافى «البيت الحرام» كئيبا
ينشد الأمن والسلام ويرجو رحمة الله والثوابَ الرَّغيبا
مات و «الأربعون» تُضْفِي عليه من جلال الوقار ظِلاً مهيبا
تاركًا زينة الحياة لِمَنْ لم يعرفوا في الحياة إلاَّ الذنوبا
قد حباهم بسعيه كل مجدٍ فتلقَّى الجحود منهم ضروبا..!
لسْتُ أنسى وداعهُ وأنا طِفْـ ـلٌ صغير والدمع يَهْمي سكُوبا
ثم قولا، قد مات. فاضطربت مهـ ـجة طفل باليُتم قاسى الخطوبا
ها هنا؛ ها هنا أفتِّش عن قبْـ ـرِ مُضاعٍ يحوي رُفاتًا غريبا
كي أناجيه من قريبٍ وإن كا ن مع العمر من فؤادي قريبا
أتراه يدري بأني ما ضيَّعتُ حقًّا لذكره أو نصيبا

مكة المكرمة: ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م

١٦١ ــ نشيد أهل البيت!

[ترنَّم الشاعر بهذا النشيد بعد أربعة أشهر من تدفُّق قوات الرئيس عبد الناصر البريَّة والجويَّة إلى اليمن، واستشهاد واضطهاد بعض أصدقائه وأقاربه من علماء اليمن وأدبائها وزعمائها]:

طوارقَ الليلِ ؛ كاد القلب ينفطر ... ولا نديم، ولا كأسٌ ولا وترُ
قد عربد الشوق تشجيه هواجسُه ... عن الأحبَّة، لا تُبقي ولا تذرُ
الله للشوق في دنيا قد انتحرت ... فيها الأماني ؛ فلا حلم ولا وطرُ
توحشت في دجاها الكائنات فلا ... عقلٌ ولا رحمة ترجى ولا وزرُ
قد استبدت بها الآلام وانسحقتْ ... آمال من صابروا فيها ومن صبروا ؛
تهافتوا دونما حِلْم، ولا حذر ... يا ليتهم حلموا، أو ليتهم حذروا ؛
وكيف ينبض في أحداقهم ألقٌ ... وهم بأوهامهم هاموا وما شعروا
بؤسي لمن صدَّقوا الأوغاد وانخدعوا ... وويْح من قدْ أباحوها ومن غدروا
وهم أولوا الضَّغْن في أحشائهم نَبَتَتْ ... أظفاره، وبها يعْدون إن قدروا
لا يؤمنون بحقٍّ إن همُ انهزموا ... ولا بقربي ولا عفوٍ إذا ظفروا

* * *

وهم «بصِفِّين» من ماتت ضمائرهم ... فعلقوها على الرايات وانتظروا
وكان «عمرو» ذكيًّا ماهرًا لبقًا ... و «الأشعري» بشعار الوهم يدَّثرُ
قد حكموا صحف القرآن مصيَدةً ... وضيعوها وخانوها إذ انتصروا!
نعم قد انتصروا يومًا بمكرهم ... لكنهم خسروا التاريخ واندحروا
يا قومنا ؛ راقبوا «القربى»، فَرُبَّتَما ... عزَّ الذليل، وذل الظالم الأشِرُ

مهـلاً؛ فقد بشم التـاريـخ وانتفخت ... أوداجـه، والتظى في جـوفـه البـطرُ
مـاذا لكم عنـد أهـل البيت من تـرةٍ ... قــولــوا لنــا؛ وسنــأتيكم ونعتــذرُ
وقــد تنـازل إكــرامًــا لكم «حسنٌ» ... يـرجو هـداية من ضلّوا ومن مكـروا
أمــا «الحسين» فقــد وافى منيتــه ... ولم يُسـالم؛ لأن القوم قـد كفـروا!
نحن الألى ثــأروا للحق عن شغفٍ ... بـه فقـال الألى ضلوا قــد انتحـروا
ممن قضى نحبـه، أو من قضى قدر ... بأن يعيشوا؛ وصانُوا الحق وانتـظروا
نحن الألى لضحاياهم قـد ارتعشتْ ... منـابـر الـدين تبكي فـوقهــا السـورُ
مــاذا جنينـا فنجْلي عن مــرابعنـا؟ ... ومــا اقتـرفنــاه من ذنبٍ فَنُجْتَــزرُ؟
أذنبنــا أننــا من نســل فــاطمــةٍ ... يـا قوم مهـلاً؛ فـإنـا مثلكم بشـر؟!

* * *

قالوا: هلكتم؛ فقلنا إن قضى القدرُ، ... قـالوا: فنيتم؛ فقلنـا: نحن ننتـظرُ،
قالوا: عن «العدل والتوحيد» قد عدلت ... أهـواء بعضِكم قلنا: قـد انـدثـروا،
إذا جنى بعضنــا وِزرًا أُحِيطَ بــه.. ... فــردًا؛ وآيتُنـا فيــه: «ولا تَــزِرُ»[1]
لا تـظلمـوا الكـلَّ؛ إن شـذ الأولى مــرقـوا؛
الأوَّلــون مــن الــحـكَّـام.. والأخــرُ
نمتهُ «صنعاء» أو «إريان» أو «خَمِرٌ»،
وحصْنُ «ضوران» أو «شمسان» أو «صبرُ»
لم نُستَشَــر في اختيــار الجــدِّ، لا «يَــزَنٌ»
ولا «حُــسـيــنٌ» ولا «زيــدٌ» ولا «عــمــرُ»
والعنصريّات قد شاهت، وقد يبسَتْ ... عـروقها، واعتـراهـا العثُّ والخَـدرُ
لقـد سئمنـا أحـاديث القبـور، وقـد ... صكَّت مســامعَنـا الأشعــار تفتخـرُ

* * *

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ولا تزرُ وازرة وزرَ أخرى﴾.

أَجُـرمنـا أنَّنـا لا نـدعي نَسَبًـا . . إلى ابن «يُعْفِر» حتَّى مسَّنا الضررُ؟[1]
أم أنكم قـد جهلتم أمـر بـارئكم . . لأن أحقـادكم كـالنـار تستعـر!؟
كـانت هنـاك هنـاتٌ سـاء منقلبًـا بهـا الأُلـىٰ قارفـوا الزلَّات إذ أَمَـروا
لـو قـدِّروا مـا ببـطن الغيب مـا اجتهـدوا،
ولا أتـوا مـا تـحـاشينـا، ولا عـثـروا . .

حسن النـوايا لهم عـذرٌ إذا اعترفـوا بـأنهم أخطـؤوا التقـدير . . واعتبـروا
ومـن قـضـى وهـو لا يـدري مـثـالـب مَـنْ
بـاسـمـه هـدر الأعـوان مـا هـدروا
لـه من العـدل ميـزانٌ سينصبـه عدلٌ إذا الخَلْق كيما يُنْصَفوا حُشِروا

* * *

يـا قـومنـا راقبـوا التـاريـخ وادَّكـروا منـا الأُلـىٰ غَيـرةً للدين قـد ثـأروا
فَـطاحـلاً لضحـايـاهم قـد ارتعشت منـابـر الحق تبكي فـوقهـا السـورُ

غابة الخُوْبة: ٣ رمضان ١٣٨٢هـ
٢٧ يناير ١٩٦٣م

---

(١) «ابن يُعفِر» هو من يـدَّعي المؤرخ العنصري محمد بن عـلي الأكوع أنـه من ذريته وانـظر كتابنـا «جناية الأكوع على ذخائر الهمداني».

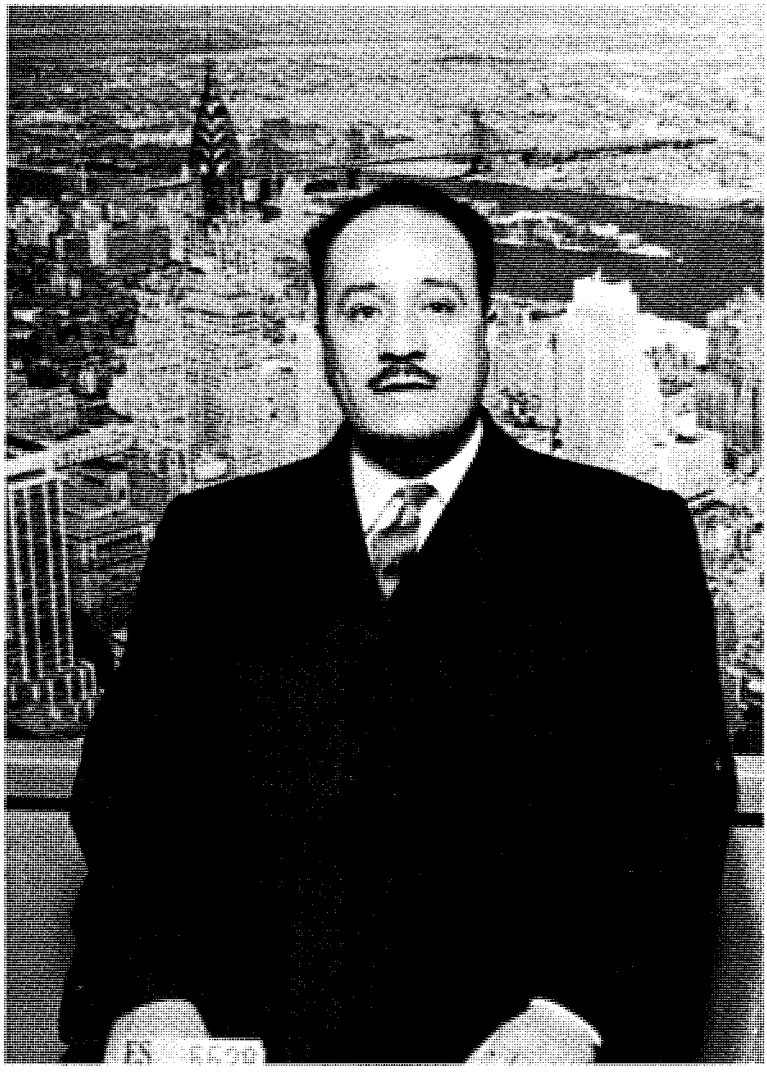

أُخِذَتْ هذه الصورة في برج «الإمْبَيْر سْتِيت» بنيويورك سنة ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م عندما ذهبت إلى هيئة الأمم أدافع عن اليمن وأطالب بانسحاب القوات المصرية وإعطاء الشعب اليمني حق تقرير المصير واختيار الحكم الذي يريد دون أي تدخلٍ أو ضغط خارجي.

وكتبتُ يومها تحتها هذه الأبيات:

وأنا في الأربعينْ بإلاهي أَستعينْ
ليس لي مالٌ، ولا أيّ قصورٍ، أو بنينْ
كلُّ ما أملك إخلاصي لربِّ العالمينْ،
ويراعي، ولساني، وهُمُ جندٌ مكينْ..
ثَقِفَ القوَّةَ والصَّبْرَ من الذِّكْرِ المبينْ
يوم «بدرٍ» و «حُنَينٍ» معَ «خير المرسلينْ»
ولعلّي سوف أبقى.. أمسكُ الحبلِ الميتنْ
سائرَ العُمر و «حتى» أتلاشى في «اليقينْ»[1]

(١) واقرأ «نشيد الميلاد الثاني والستين» في المجلد الثالث.

١٦٢ــ نشيد تقرير المصير

[بعد مرور عام وبضعة أشهر على الحرب الأهلية اليمنية، إثر تدخل قوات الرئيس جمال عبد الناصر وغزوها لليمن سنة ١٩٦٢م/١٣٨٢هـ، قال الشاعر يحثّ جميع القَبل والفئات اليمنية على التضامن ضد التدخل الخارجي ورفع راية تقرير المصير؛ وهو ما تمّت به المصالحة الوطنية وتأييد النظام الجمهوري سنة ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م، بعد انسحاب القوات المصرية، وانتخب مجلسُ الشورى الشاعرَ عضوًا في المجلس الجمهوري مع زملائه عبد الرحمن الإرياني، ومحمد علي عثمان، وحسن العمري، وأحمد محمد نعمان]:

نائحَ الوادي على الأيكِ الخضيرْ ومغاني السَّفح في الروض النضيرْ،
والروابي الحمر في «خولان» والقِممِ السُّود «بحُوثٍ» و «الظّفيرْ»
والمجالي الخضر في «صنعا» وفي «صعدة» المجد، وفي وادي «نشورْ»
وبقاعِ «الجوف» والأدغال من «أرحبٍ» أرض المغاوير الصقورْ
و «بِضُوْرانَ» و «سنحانَ» وفي «مسورِ» العزِّ، وأرباض «حَجُورْ»
وذُرى «الأهنوم» والشمّخ من «كوكبانٍ» و «حرازٍ» و «حضورْ»
و «الزَّرانيق» ومن في «حاشدٍ» و «بكيل» من فتىً حرٍّ صبورْ
«يَمنِي» ما قدَّس الله ثرى مثلها.. غير ثرى «البيتِ الطَّهور»!

* * *

نائحَ الوادي على الأيك الخضيرْ نُحْ ونُحْ؛ وانزفْ من الدمع الغزيرْ

فالرَّوابي، والمغاني، والقرى، والمجالي، طمَّها الخطب الكبيرْ
والثرى الطَّاهر قد دنَّسه غزو عدوانٍ من الغازي المغيرْ،
من وراء البحر ساقته يدُ.. تعصر الموت وتسْقي، وتُبيرْ،
كفُّ جبار إلى «فرعون» قد وشجتْه صلةُ الطبع الكفورْ..
وإلى «أبرهة» يربطُه مبدؤ الآثم والباغي الغدورْ
ساقه جيشًا لهامًا؛ مثلما ساقه من قبل جبَّارٌ جسورْ[1]
قاتلُ الأملاك من «حِمْير» والصَّيدِ من أحفاد «كهلان» البدورْ
وأبو آكل أكبادِ الورى ومبيحُ الفسق جهرًا والفجورْ[2]
و «المماليك» أتوا في قوَّةٍ يزخر الآذيّ منهم بالنسورْ[3]
وأتى من بعد «إبراهيم» في جحفل لَجْبٍ، وأحشادٍ تمورْ[4]
كلُّهم للنَّهْبِ قد هبّوا إلى أرضنا يحدوهمُ الوهم الغرورْ
أرضنا قد عرفتهم وارتوت بدماهم، ولهم فيها قبورْ.!

* * *

«ثورة» قالوا؛ وعاثوا جهدهم باسمها، واقترفوا كل الشرورْ
سرقوا أمجادها، واختلسوا ذمَّة الثوَّار في كلِّ العصورْ
ليست «الثورة» جاهًا يُقْتَنى، أو هوىً يَغْضَبُ، أو حقدٌ يفورْ؛
إنَّها أمر بعُرْفٍ وهُدى، إنها في الأصل تجديدٌ ونورْ
عندما يحكم غرٌّ فاسدٌ فيهبّ الحرُّ للعدل يثورْ

---

(١) يقصد سيف الإسلام «طغتكين» بن أيّوب وراجع تفاصيل غزوه لليمن في «تاريخ اليمن الفكري» للمؤلف ٣ / ص ٢١ فما بعدها.

(٢) يقصد السلطان إسماعيل بن طغتكين الأيّوبي، وأخباره في كتاب تاريخ اليمن الفكري أيضًا ج ٣/ ص ٢٤ ــ ٣٠.

(٣) انظر قصَّة الحملات المصرية على اليمن في مقدمة كتاب «مؤتمر حرض» للمؤلف.

(٤) هو السلطان إبراهيم باشا بن محمد علي باشا.

عـنـدمـا يـسـلب فـردٌ قـومَـه نـعمـة الـعيش ويـطغى ويجـورْ
سـاقـه «نـاصـرُ» جيشًـا بعـدَمـا أخـذَ الصَّفعةَ من وجـه «المشير»[1]
مـا بغى كي ينصر «الثـورة» بـل قـد بغى إعـداد شَـرّ مستـطيـرْ!
ولـذا لـقَّـب دبّـابـاتِـه.. باسم «نجران» و «نجدٍ» و «عسيرْ»!
وهي «إسـرائيـل» من تـدبيـرهـا أن يُـرَدّى جيشُ مصرٍ في حفيـرْ،
فـإذا مـا غـزت «الجـولان» و «المسجـدَ الأقصى» و «سينـا» و «دميـرْ»
لم تجـد من يحـرس الأرض فقـد شُـرِّدَ الجيشُ «بصنعا» و «النـظيـرْ»؟

* * *

«ثـورة» قـالـوا نصـرنـاهـا؛ ويـا خيبـة المنصـور من بئس النَّصيـرْ
هـلْ مِـنَ الـثـورةِ أن يـختـلسـوا ثـروة المثـري، وإيمـان الفقيـرْ؟
وإذا بـالـفـدم مـن غـوغـائـهـم سيـدٌ والـنـذل ذو جـاه خـطيـرْ
وإذا أوبـاشـهـم قـد هُـرِعـوا بـالنشـانـات أميـرٌ، أو وزيـرْ؟
وإذا الأحـرار صـرعـى؛ وإذا شـرف الأحـرار نـهبٌ لـلمغيـرْ؟
وإذا الإسـلام، والـثـورة والحـقُّ والـعـدل تـنـادي بـالـثـبـورْ،
ذاك مـا كـان؛ ولـكـن وطـنـي لم يكن بـالواهن النَّـاسي الكفـورْ،
فـإذا الأشبـال من قـحـطان قـد زحفـوا كـالسُّحب بـالهـول تـدورْ
نـسلوا مـن كـل فـجٍ؛ وهُـمُـو يـتـلظّون فـهـودًا، ونـمـورْ..
عـاهـدوا المـوت على أعـدائهم عـهـدَ عـزمٍ «يمنيٍّ» لا يـبـورْ.

* * *

يـا أبـاة الـضـيـم تـبَّـتْ فئـةٌ نكثـوا الـعهـد ضـلالاً وغـرورْ،
وبغَـوا جهـرًا؛ وكـفـرًا أعلنـوا، وأبـاحـوا حـرمـة الشـرع الـطهـورْ
ثم بـاعـوا أرضنـا، أعـراضنـا، ديننـا، واسترخصـوا غـالي الأمـورْ؟

---

(١) إشارة إلى انفصال سوريا عن مصر وثورة حزب البعث على المشير عبد الحكيم عامر إذ قد كان ذلك من الدوافع للرئيس جمال عبد الناصر لغزو اليمن.

لم يخافوا الله في طفلٍ، ولا حرَّة ثكلى، ولا شيخ كبير،
و «بأهل البيت» لم يردعهموا «الودُّ في القربى»، ولا نبل الشعورْ،
جدّلوهم، ورموهم في الفلا للسوافي، والضواري، والنسورْ.

* * *

آه كم يرجف قلبي حسرةً ودمي كم يتلظَّى، ويفورْ؟
كلَّما طافت خيالاتُهمُ، وتوالت في الأماسي والبكورْ
«أحمد الشاميّ» من نسل الأُلىٰ أحسنوا الصنع على مرِّ الدهورْ[1]
مزَّقت أحشاؤه نيرانهم وهو ثبتٌ باسم الثغر صبورْ،
و «أبو طالب» و «العاموه» والندب «زيد»، وكثير من كثيرْ؟
من بني «الكِبْسي» و «إبراهيم» و «ابن زبارٍ» و «المصلّي» و «الوزيرْ»
سيظل الجرح فيهم داميًا.. صارخًا يقرض روحي والضميرْ

* * *

إنَّها الثورة يا «قحطان» فاشتملوا الحرب، وهبّوا للنَّفيرْ...
إنها الثورة يا «عدنان» فاستبقوا الموت وفيئوا للنذيرْ
للعلى والحق ثوروا؛ واثأروا للدم المسفوك والعرض الهديرْ
أخرجوا «ناصِرَ» من أرضكم؛ وارفعوا راية «تقرير المصيرْ»

مكَّة المكرمة: ٢٦ شوال ١٣٨٣هـ
١٠ فبراير ١٩٦٤م

---

(١) كان من جملة من أُعدموا في الأسبوع الأول لثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م/١٣٨٢هـ، أكابر علماء ووجهاء اليمن، ومنهم السادة: أحمد عبد الرحمن الشامي، وعبد الرحمن عبد الصمد أبو طالب، والمفتي محمد عاموه، وزيد بن علي عقبات، ومحمد الكبي، وحسن بن علي بن إبراهيم، ومحمد عباس الوجيه، ومحمد علي زبارة، وعاطف المصلّي، ومحمد أحمد الوزير، ويحيى محمد عباس، وعبد الرحمن بن أحمد حميد الدين، وأحمد محمد حميد الدين، وأحمد حسين حميد الدين، والأمراء علي وإسماعيل والحسن بن علي حميد الدين، ثم قاسم الثوري، وحمود الوشلي وحسين الويسي، وعبد القادر أبو طالب، وعبد الرحمن السيَّاغي.. وغيرهم.

١٦٣ ــ المجهول

ليس يدري ما بقلبي أحدٌ ... والذي أبغيه لا يُرْوى ويُنْمَى!
السَّما تنكره والأرض لا ... تعرفُه.. بل هُوَ أعمى ومُعمَّى!
عندما كنتُ صغيرًا كان مثلي ... مستحيلات، وألغازًا، ووهما!
ومناجات حيارى، وخيالات ... سكارى، ومتاهات ويَهْما!
أهو الشعرُ، أم السحرُ، أم القَبْـ ... ـرُ، أم لا شيء يُرجى أو يُسَمَّى
هكذا كنتُ وما زلت ولم ... تُضعِف الأيامُ من شأني عزما
قد حلبتُ الدهرَ شطريه وقد ... ذقتُ ما في الكون من بؤسى ونعمى
فإذا ما كان من حسِّي ومن ... خُلقي ما زال لي طبعًا وفهما

لندن: ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤م

١٦٤ ــ شَهيد حُبّ

كل حُبِّي لها وكلُّ حياتي ... حبُّها؛ فهي مُنْيتي المنشوده
كلَّما مَرَّ ذكرها في خيالي ... أو لساني أطال قلبي سجوده
وهفا العقل خاشعًا؛ وأناب الـ ... ـروح في دهشةٍ تُلاشِي قيوده
ما دهاني من حُبِّها ما دها «قَيـ ... ـس» وما شفَّهُ وأضنى وجوده
هي «ليلاي» ما أحَيْلى وما أغْـ ... ـلى! وما أجمل الهوى ووعوده
ونجوم ترنو إلينا وفجرٌ ... يَتَنَزَّى شوقًا بما لنْ نُريدَه
والأغاني نشوى بخمر هوانا ... وهي من نشوة الصبا عربيده
لي منها ما أشتهي وأرجّي ... ولها ما تريده ومزيدَه

* * *

أتراها ترعى غرامي؟ وهل تحـ ... ـفظُ حُبِّي؟ وهل تصونُ عهوده
أم تراني شهيد حُبّ ووحدي ... قد تَطوَّحتُ في مرام بعيدَه

* * *

أنا أشكو البعاد هيمان أطوي ... بخيالي سهوله ونجوده
أحتويها مشاعرًا وظنونًا ... وأناجي أطيافها المحشوده

* * *

صوتها، تمتماتها، نفحاتٌ ... من شذاها، آهاتها المعهوده

عن يميني، وعن شمـــالي، وخلفي وأمـــامي، محســـوسَـــةٌ، مشهـــوده
كيف أسلو؟ أم كيف أصـدِفُ عنهـا لحـظَةً وهي فـي دمي مـــوجـــوده؟
أنـــا سهـــرانُ والـوســـاوس حـــولي ووحيـــدٌ.. فهـل تـــراهـا وحيـــدَه؟

الرياض: ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤م

١٦٥ ــ دمعة أسى

[على الأمير علي بن الحسين حميد الدين]:

رحم الله عليًّا ... فلقد كان تقيّا
مخلصًا لله والشعـ ... ـب وبرًّا ووفيّا
لم يكن فظًّا عتيًّا ... لم يكن نذلاً غبيّا
كان حرًّا وأبيًّا ... وصبورًا وحَييّا
كان للحق نصيرًا ... كان للعدل وصيّا
عاش لا يعرف إلاَّ ... الصدق مذ كان صبيّا
لم يعاقر من أمور النـ ... ـاس شينًا أو فَريًّا
ولقد مات شهيدًا ... وطنيًّا يمنيّا

لندن: صفر ١٣٨٤هـ
٢٥ يونيو ١٩٦٤م

١٦٦ ــ بين الحُبِّ والحرب

ضيَّعتُ في تلك الديار فؤادي
ونسيتُ أُنسي عندها ورقادي
حيث الشبابُ تفتحتْ أكمامه
والحسن تاه بغُصْنه الميَّاد
حيث الهوى يزهو مناظر فتنةٍ
ونجوم آمالٍ، وزهر وداد
حيث الصبابة لا ينام شجيُّها
إن لم ينَلْ، إلاَّ على ميعاد

* * *

أفنيتُ كل العمر في محرابه
أَشدو بما أدري من الأوراد
عن «قيس»، عن «لُبنى»
عن «المجنون» عن؛ «ليلى»
عن «ابن ربيعةٍ» و «زياد»
عن كل من قتل الهوى ببكائه
وقضى شهيد الحب والأوعاد

قلبان يختصمان في قلبي ولد..
قلبينِ قد أَسلمت كل قيادي
هذا له ما يشتهي من رغبتي
ولذاك ما يهواه من إسعادي

* * *

والحرب.. أعرف كيف أذكي نارها
ومتى أَجمجمُ جمرها برماد
قالوا: أنانيٌّ، فقلتُ: كرامةً
أَنا ليث غابتها وشيخ الوادي
أصبحتُ لا أَخشى محاذير العدا
بل شرَّ من أَكرمتُ من حُسادي
لي كل يوم وقفةٌ أَنسى بها
نفسي؛ لأَذكر أمَّتي وبلادي

* * *

قل للأُلى انتقموا ولم يتورعوا
أسرفتمو؛ والله بالمرصاد
قد كان قبلكُمُ «الولاة» بمأمن
من كل ذات سخيمةٍ، أو عادي
ركنوا إلى الأَوغاد، وامتهنوا بهم
حرمات أهل الفضل والأمجاد
مردوا على الطغيان واستخذت له
منهم طبائع خسَّةٍ وفساد
وتمسَّكوا بحباله، وتعصَّبوا
لضلالِهِ، بوقاحةٍ، وعنادِ

فتقطعتْ أسبابه، وتصرَّعوا
في وثبةٍ للثار والأحقادِ
من لقمة المسكين لم ينفعهم الْـ
مالُ الذي ذخروه للأولاد

* * *

شطَّ المزار، فلا الدِّيار، ولا الأُلىٰ
كانوا مُنى الزوَّارِ والروَّاد
وتعطلتْ أكواب عشاق الطِّلى
وتغيَّب السَّاقي، وأَقْوى النَّادي
والروض جف غديره؛ والزهر مات
عبيرُه.. والطير أخرس صادي
هل عودةٌ ترجى؟ فيحتفل الثرى
بتخطِّر المُلَّاكِ، والأسياد..
وإلام يبقى الخوف من فقر، ومن
سجنٍ، ومن شناقة الجلاد؟
وإلام يبقى عيش كل مهذب
متكدِّرا، ويطيب للأوغاد؟
وإلامَ يبقى ذَلكَ «الفرعون» في
الوادي، يبيح محرَّمات الوادي؟

لندن: ٢٨ من شعبان ١٣٨٤هـ
٢ يناير ١٩٦٥م

١٦٧ ــ هَــادِم

إنّي أكَنِّي باسمه لا خشيةً؛
ولا احترامًا لأناسٍ آخرينْ..
بل.. إنني أحذر أن أخلده.. بلعْنَتي..!
أخشى بأن يَظلَّ اسمهُ
يدور باللعنة دهْرَ الدَّاهرينْ
لأنه لا يَستحقُّ أن أؤبِّدَهْ.. بغضْبتي..!
وليس يُرضي الشعر أن أمجِّدَهْ
بأن أخلِّدَ اسمَه في الآثمينْ

* * *

لأنني أعرفه؛ لَطْخَةَ عارْ،
قُمامَةً تنْفَحُ في جوف شَنارْ!
وصْمَةُ فسقٍ، وضلال واندحارْ،
بالوعةً تَفْهَقُ في بيت تَبارْ
وعَفنًا يرتعُ في جِسْم دمارْ

* * *

وخنجرًا للإثمِ في، كف زعيم للعبيدْ؛
ومعْولاً للشر في، قبضة مغرور بليدْ!

تجَمَّعَت فيه صفات البغي واللُّؤم العتيد؛
فهو فريدٌ في المخازي؛ وهو في الجهلِ وحيدْ

لندن: ١٥ رمضان ١٣٨٤هـ
١٣ يناير ١٩٦٥م

١٦٨ــ مـن اليـمـن

كان يكنَّى باسمهِ
كان يقول: إنه من الجنوب، أو من الشمالْ
وتارةً من «جنوا»
وقد يقول؛ إنه من «أسمره»
من أي أرض؛ لا يُبالي عنه.. أن يُقالْ!
وكل ما يخشاهُ أو يكرهُهُ
وكل ما يُخيفُه
بأن يقال؛ إنه من «اليمن»

* * *

في «البارِ» أو في «المسجدِ» الكريمْ
في مجمع الغوغاء؛ أو في المحفل العظيمْ
يغَيِّر اسْمَهُ
يحرِّف اللَّهجة والكلامْ
يَلْوي لِسانَهُ
يَودُّ أنْ يمْحو سَحْنَةَ الجُدُودْ
من وجْههِ الكريمْ
ولا يُبالي أنْ يُقال إنَّه من الهنودْ
أو من جبال «التِّبتِ» أو من «كِينيا»

لأنه يخاف أن يُقال «شافعي»
أو يعرفون أنه من فِرْقَةِ «الزُّيُودْ»
جاء منَ «اليمنْ»

* * *

حيثُ الظلامْ نائمٌ منذ عُصورْ،
حيثُ الأنامْ كهياكلِ القبورْ،
حيثُ القيودُ، والسِّياط، والسُّبَحْ،
و «القات»، والأمراض، والتَّرحْ،
و «العَسْكريُّ» ومُحَصِّلُ، الزكاهْ
والخادمُ الأثيرْ
والتّاجرُ الكبير
وزُمْرةُ الوشاة، و «المخدَّرونْ».
والعبدُ، والسَّياف، «والمخزِّنون»
لاهُونَ عابثونْ
لا يعقلونَ أيَّ قبْرٍ يحْفرونْ.. لليمَنْ

* * *

كم صارعَ الرِّياحْ!
كم قاوم الأشباحْ.
كم داسَ أشواكًا؛ وعاشر الذئابْ،
كم شارك الوحوش وعقارب اليبابْ؛
مفارش الترابْ.. !
وأكلَ الجوعَ، وشرب الظما!
وعانَقَ الأخطار هائما!

يخشى مراصد الْعَسَسْ،
و «العُكْفَةَ» الحرسْ
فغير اسمَهُ وهيئتهْ
وسمْتهُ ولهْجَتَه،
وودَّ أنهُ ليْسَ مِنَ «اليمنْ»

* * *

ليسَ من الأرض التي؛
كانت «لِبلقيس» و «ذو يزنْ»
و «تُبَّعٌ» مليكُها
و «أسعَدُ الكاملُ»؛ والأقيالُ؛
في «ظفارْ».. و «يحصُب» الخضراء
و «ذمارْ» و «النخلة» الحمراء
و «مأربٌ» وسدها العتيدْ
والنَّاس ذو بأس شديدْ
يُفاخرون بالعُلا، ويفخرون «باليمنْ»

* * *

ليس من الأرض التي
عبَّدَ فيها «ابنُ الحُسَيْنِ» أوضحَ السُّنَنْ
وأنجبَتْ أئمَّة الهدى
ونبلاء العلم، والأدبْ،
والفنّ، والجمالْ
وكان فيها «للصُّلَيْحيّ»: عَلَمْ؛
تعنُو له الأبطالْ
و «للمظفَّرِ» العظيم صولةٌ

يَهابُها الرجالْ
أرض «أزال» و «تعز» و «عدنْ»؛
أرض «اليمنْ»

* * *

وهَبَّتِ العَواصِفُ الهوجاء.. في «أزال»[1]
وهاجتِ الفِتَنْ،
واستعرمَتْ نوازع الشرورْ،
واستكْلَبَتْ دوافع الغُرورْ،
وخافتِ الرؤوس أن تَطير،
وارتعَدَتْ فرائِصُ الرُّبوعْ،
ومُزقَت مقانِبُ الجموعْ،
وزحَفَ الخوفُ.. على سَقْمٍ وجُوعْ
ولم يجدْ من وزَرٍ.. إلَّا الفرارْ،
إلى «عدن»
وغير اسمَهُ.. وودَّ لوْ يَسْطِيع
أن يَمْسَحَ سَحْنَةَ الجدودْ
أو أنه يعرفُ لغة «العجَمْ»
أو لهجة «الهنودْ»
لأنه يخاف أن يُعرفَ
أنه من «اليمن»

* * *

وذات يوم قيل،

---

(١) ثورة الدستور سنة ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م.

إن «سيِّدًا» وزيرْ،
ورجلاً كبيرْ
جاء مِنَ الوطنْ
مَضى إليه بِبَصيص من أملْ،
يَظنه يَسْطِيع أن يُعيدْ
إليه اسمه السَّليب!
وقَصَّ كيف شرَّدْته عِبرُ الزَّمنْ
وقصَّةَ الثلاثةِ الصِّغارْ،
وأمِّهِ العجوزْ،
و «العسكري» و «مُحصِّلِ» الزكاهْ،
في البيت يطلبونْ،
أن تذْبَح «الكباشُ»
أن تهْرقَ «السُّمون»
والحاكمُ الْغَشُومْ،
يريد منهمْ أن يرفِّهُوا
خادمَه الأثيرْ،
وبَطْنَهُ الهضومْ
و «حَقَّهُ» الكبيرْ
وقصَّ قِصَصَ الرِّفاقْ
والذين هاجَروا من «اليمنْ»

* * *

وانتفضَ «الوزيرْ»،
وقَال: كيف تخرجونْ؟

وكيف تهربُونْ . . ؟
ودونَ ما إذْنٍ تُغَيِّرونْ
أسماءكُمْ، وتزعمُونْ
أنكُمُ لسْتمْ من . . «اليمنْ»،

* * *

السَّحْنَةُ السمراء شاهدَه
ولهجةٌ أعرفُها
لكنني لا أستطيع
أن أساعدَ الجميعْ،
ما جئْتُ ها هُنا مواسِيا
للمُوجَعينْ!
ولا انتُدبتُ ها هنا مؤاويًا
للشاردين . . !
لكنني أتيت لأمور مبْهماتْ
تهمُّ أرباب الأمور . . ها هنا
وفي «اليمن»

* * *

ويَسْحَبُ الذيل كسيرًا،
مُوجَعَ الضَّمير
لأنه قد كشف اسمَهُ
للسَّيد «الوزير»
فلم يُهَدْهِدْ حُزنَهُ المريرْ،
ولمْ يُكَفْكفْ دمعه الغزيرْ

وكان ذلك السَّفير
ورَغْمَ رأسِه الصغيرْ
يحملُ سيئات «قَيْصر» كبيرْ
وهامَ منْ جديدْ.. يكتم اسمه
يخاف أنْ يُعرف أنه
مِنَ «اليمنْ»

لندن: ١٩٦٠م

* * *

وهَبَّتِ العواصفُ الهوجاء.. من جديدْ[1]
واحتشدَتْ كسُدُفِ الليل على الضَّوء الوليدْ
لكنَّها قد أقبلَتْ من خارج «اليمنْ»
ولم تكُنْ من «نِهم» أو «خولان» أو «بني مَطَرْ»
ولم تكنْ من «حاشد» ولا «بكيلْ»
ولا منَ الجبال في «مُرادْ»
ولا منَ الوهادْ في «حَجورْ»،
وليس تدْريها صوامع الجوامع الكبار،
في «حوث» أو «ضوران» أو «ذمار»،
ولا شهارة» الأمير،
ولا «تعز» أو «زبيدْ» أو «خديْر»،
لكنَّها عواصفٌ غريبةُ الرِّياحْ،
مجنونةُ الجماحْ، تُبيحُ ما لا يُسْتباحْ

(١) عام ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م.

فانكمَشتْ زوابعُ الوطَنْ،
وانْجَحرتْ طلائع الفتَنْ
وحَمْلَقت أطماعْ،
وارتجفَتْ أصقاعْ
وانتفَضَتْ مرابعُ «اليمن»

* * *

ووثبَ الشريدْ،
ورجع الطريدْ،
وصرخ الدم الشهيدْ،
وأعلنَتْ شواهقُ «الطيّال»،
«لِلشَّرْق لحَضُورْ»،
لجبَلِ «الأهنومْ»،
«لِرازحِ» الأخضرْ،
لِسَهْل «سنوان» و «ضروان»،
«لأرْحَبِ» الحمراء،
«لِمَسْورَ» الأشمْ،
«لِكَوكبان» و «شبامْ».
لكل سائر الجبالْ
تَواثبي.. تَواثبي.. أيتُها الجبالْ
لا تستكيني للعواصف؛ الغريبة الرِّياحْ،
قولي لها؛ لن تخضع الجبالْ
«لو يَرجعْ أمس اليومْ»؛
«وإلاَّ الشَّمسُ تُشْرق مِنْ عَدَنْ»
لأننا من «اليمنْ»،

نحن جميعًا؛ كلنا من «اليمنْ»

* * *

وهامَ من جديدْ،
لكنَّه يجهَرُ باسمِهِ
لكنه يزهو بسَحْنَتِهْ؛
لأنه من وَطَنِ الأبطالْ
من قَهرُوا النيران والحديدْ:
بالصبر والبأس الشديدْ،
ومن تمرَّدوا على الفنا
وضربُوا للمعجزات مَثلا
لأنه من «اليمن».

* * *

حيث استطاع فاقدُو السِّلاحْ؛
أن يهزموا العواصف الغريبة الرياحْ..!
ومن أرادوا أن يُبدِّدُوا الضَّبابَ.. بالظَّلامْ..!
وأن يُعالجوا السِّقامَ بالزُّؤامْ
والشرَّ بالدَّاء العُقامْ
وأن يُبَلْسِمُوا الجراحَ بالسِّمَامْ..!
وأن يغيروا المكروه بالحرامْ..!
لأنهم لم يُصْدرُوا عن رغبة اليمنْ،
وُجوهُهُم.. لا يعرفونها،
وسَحَنات يَجْهلونها،
ولهجَةٌ لا يفهمونها،
نيرانهم غَرِيبةٌ

قوَّاتهم . . ليستْ من «اليمنْ»

* * *

بلادُهُ ــ اليوم ــ بِلادُ «ذُو نُواسْ»،
وقاهرِ الأتراكِ في «ثِلا»،
وفي «شهارة الأمير»،
بلادَ «سَيْلِ الليلِ» وابنِ «ذُو يزنْ»
حيث استطاعوا بالنِّصال . .
أنْ يُقَرِّروا مصائر الأجيالْ
وأن يُجَتِّعُوا مخالبَ الأهوالْ
وأن يُقاوموا كوارثَ المحنْ،
بالصبر، والإيمان، والحب العميقِ للوطنْ،
لأنَّهم من «اليمنْ»،

* * *

فلنْ يغيِّر اسمَهُ،
ولن يقول إنه ليس من «الزيودْ»
ولا من «اليمنْ»،
فإنَّها مفخرة المحافل الكبارْ،
ومَثَلُ الجهادِ والفخارْ،
واسمها «عَلَمْ»
ولن يخاف، أو يَغضُّ ناظِرِيْهْ
حين يُقالُ: إنه من «اليمنْ»
لأنَّه من «اليمنْ»!

لندن: ١٤ رمضان ١٣٨٤هـ
١٦ يناير ١٩٦٥م

١٦٩ــ أوزان الخليل باللغة الإنجليزيَّة

[في جلسة أدبية ضمَّت بعض إخوان الصفا، قال أحدهم: لا تستقيم أوزان الشعر الخليلية إلاَّ في اللغة العربية الفصحى، فارتجل صاحب الديوان هذه الأبيات]:

أُوه: يا «لَيْت» حياتي ... «دُنْت لِتْ مي» في الظلامْ![١]
أنا «لَقْ يُو» يا حبيبي ... والجفا «وِذْمي» حرامْ[٢]
آه قد «لُسْتُ» فؤادي ... «إن ذِدِيْزِرْتْ» الهيامْ[٣]
دونما «مِرْسِي» بإخلاصي ... و «لنْقُونْج» الغرامْ![٤]
«إني وِيْ» «تودِيل وذْمِي» ... سوف أبقى مستهامْ![٥]
«دُنْتْ كَتْ» حبل وصالي ... «إتزْ ماي دِيرْ».. أثامْ![٦]

الرياض: ١٣٨٤هـ / ١٩٦٥م

---

(١) «LIGHT»، معناها: نور. و«DO NOT LET ME»، معناها: لا تتركني.

(٢) «LOVE YOU»، معناها: أحبك. و«WITH ME»، معناها: معي.

(٣) «LOST»، معناها: ضيعت. و«IN THE DESERT»، معناها: في الصحراء.

(٤) «MERCY»، معناها: رحمة، ورأفة. و«LONGING»، معناها: طول الغرام.

(٥) «ANY WAY»، معناها: بأية حال. و«TODEAL WITH ME»، معناها: تعاملني وتتصرف معي.

(٦) «DONOT CUT»، معناها: لا تقطع. و«IT IS MY DEAR»، معناها: إن ذلك يا عزيزي.

١٧٠ ــ بقايا مَسرحيَّة

[في سنة ١٣٨٤هـ / ١٩٦٥م، حاول صاحب الديوان تأليف مسرحية شعرية سمَّاها: «جحيم الغيرة»، وكان قد أكمل منها ثلاثة فصول في حوالي خمسمائة بيت، ولكنها ضاعت أثناء إحدى رحلاته في حقيبة ثياب، ولم يبقَ منها إلاَّ مقطوعات تناثرت في مذكراته، ومنها على لسان «الغيران»]:

من طبعها اللهو، وفي قلبها ... هوى؛ ولا عقل، ولا معرفهْ
وفي مزاجي اللَّهو مستحكم ... لكنَّ لي عقل، ولي فلسفَهْ
كيف التقينا دونما موعدٍ ... ودون أن أعرف منها صفهْ؟

ويجيبه رفيقه:

الحب جبّارٌ وسلطانه ... إذا غزا قلبَ امرىء أتلفه
لا علم، لا منطق فيه، ولا ... دين؛ وأما العقل ما أسخفَهُ!

ومنها ضمن حوار دار بين «الغيران» والفتاة «رباب»:

كيف أصغيتِ إلى الإثم وصدَّقتِ اللَّعينا؟
كيف لم تنزجري خو ... فًا ولا عقلاً ودينا؟
ألأنِّي كنتُ في حبي ... لكِ الخلَّ الأمينا؟

فتجيب:

لم يكُنْ إثمًا.. ولكن ... كان وهمًا وظنونا؛
كان شكًّا.. غيرةُ ... الحب أهاجته فنونا!

فيقول الغيران:

غيرة الحبّ؟.. نعم؛ قد فَتَنَتْ عقلي فتونا!
وأصابتني شدوها وسهادًا وجنونا
فتهاويتُ على جرحي مخبولاً، طعينا
وتطوحتُ وحيدًا وتعذَّبتُ حزينا
همسات الشك من حولي شمالاً ويمينا!

ثم يتذكر ما نقله «صالح» بأنها قالت للتاجر «قاسم»: وأنتَ الحبيب فيقول:

لا تكذبي؛ عيناكِ تُفصح بالحديث الصادق!
لا تنكري؛ شفتاكِ تحكي حُلَم قبلةِ عاشق!
قد قلتِها في نشوةِ الذكرى للهوٍ سابق!
ساقتْكِ في تياره نزوات طيش ماحق
أضنى فؤادك منه ما يُضني فؤاد مفارق
وانسقْتِ في غيبوبةٍ توهي، ورعبٍ دافق
وضميرك المسكين، يرجف تحت همّ ساحق!
لا تنكري، الأوراق تر وي عنه قصة فاسق!
لا تنكري، قد قالها لك في دهاء منافق:
«أنت الحبيبة» فانخذلْ تِ وقلتها بتوافق!
هل كان شيء بعدُ؟ قوليها: فلستُ بواثق!

وترتجف «رباب» وتُخرج «المصحف» من جيبها وتقول:

مهلاً؛ خذ «الميثاق» إني تائبهْ قد عدتُ نحوك يا حبيبي آيبهْ
ما كان لم يك غير طيش حماقةٍ أجَّجتَ فيها أنتَ نارًا لاهبَهْ
قد قلتَ لي شيئًا أثار مشاعري وأهاج فيَّ ظنون أمس الخائبهْ
واستصرخ الشيطان ضعفًا في دمي وأثار أعصابي ونفسي الغاضبهْ

مـا بين أوهـامي وبيـن وسـاوسي ... لم أدر صـادقـة أنـا أم كـاذبـهْ؟
قـد كنتُ في غيبـوبتي مجنـونـةً ... عميـاء مجهـدة المشـاعـر تـاعبـهْ
مـا كـان شيءٌ بعـد إلاَّ يـقـظتي ... وأنـا إليـك اليـوم أضـرع تـائبـهْ

ومنها في إحدى مناجاته:

طمعتُ بـأن تُشْفَى بهـا غلةُ الهـوى ... وتهـدأ أشجـان الغـرام الثـوائـرُ
فـأعـطيتُهـا من كـل حسن جميلَه ... ومن كـل شانٍ مـا تصيب الخـواطـرُ
ولـكنـهـا واخـيـبـتـاه تـنـكَّـرت، ... وكُشِّفَ لي من طبعهـا مـا يُحـاذر

فيعزيه رفيقه بقوله مضمِّنًا:

تصبَّـر ولا تحـزن، وصـابـرْ، وتبْ ... عن الأماني؛ وسلم، فالحظوظ عواثرُ
«وهبهـا كشيءٍ لم يكن، أو كنـازح ... عن الـدار، أو مَنْ غيَّبتـه المقـابـرُ»

ومنها من قصيدة يرثيها بها في آخر المسرحية:

أبكهـا يـا شعـري، وودِّعْ صبـاهـا ... وابـك فيهـا حُلمَ الهـوى ووعـودهْ
وابـك عمـرًا أفنيتـه في هـواهـا ... تـرتـجي وصـله وتخـشى صـدودهْ

ومنها يرثيها أيضًا:

ابكِهـا يـا شعـري وودعْ صبـاهـا ... وارث عمـرًا أفنيتـه فـي هـواهـا
كـم تبـتَّـلتَ بـالـدمـوع إليـهـا ... تتقي هجـرهـا وتـرجـو رضـاهـا
كنتَ تخشى عـذاب سـاعـة هجـر ... آمـلاً كـل لـحـظةٍ أن تـراهـا
كيف يُسْطاع الـظنُّ أنـك تسـطيـع ... ولـو قـد مـاتَتْ ـ بـأن تنسـاهـا؟

١٧١ ــ عيد ميلاد فيصل

[قالها يوم ذكرى ميلاد ابنه فيصل بن أحمد الشامي، حين أكمل عامه الأول، وكانت ولادته في لندن ١٤ شوال ١٣٨٤هـ / ١٥ فبراير ١٩٦٥م]:

إهدي الزُّهورَ لفيصلِ ... من نَرجس وقُرنفلِ
في عيد ذكْرى يومِ ... مَوْلده الحبيب الأولِ
يوم انتَشيتُ باسمِه، ... وَوَهبتُه مُستقبَلي

* * *

قد مرَّ عامٌ أشْتهي ... فيه الحياةَ وأجْتلي
ما أَرتضي، وأرومُ منْ ... مُتع الوجودِ بمنزلي
كالشعر يُروى عَنْ «حبيب»، ... وعَن «لَبيد»، و «جرولِ»
كاللَّحنِ يَصدَحُ، كالنسيمِ ... يرفُّ فوق الجدوَلِ
يشدو بألحانِ «الغريضِ» ... و «مِعْبدٍ» و «الموصِلي»

هو كلُّ شَيء أرتجي،
هو آخري، هو أَوَّلي،

* * *

أبنيَّ أَنتَ من «الرَّسولِ» عنِ «البتول» وعنْ «علي»
تروي المكارمَ كاملاً عنْ كامل، عن أكملِ؛
عن «عُترةٍ» يتشافهونَ معَ النبيِّ المرسلِ

صُـهِـرتْ حيـاتـهـمُـو بـآيـاتِ الـكـتـابِ الـمـنـزلِ
ورثـوا الـشـهـادة فـاضـلاً عـن فـاضـلٍ، عـنْ أفـضـلِ؛
فـاجـعـلْ صـراطـك نـهجـهـم بـتـجـمـل، وتـحـمُّـلِ؛
واحـذرْ مـجـاراة الـلئـام، ورأيَ كـل مـغـفـلِ؛
وأرض الـمـعـيـشـة حـلوةً أو مُـرةً كـالـحـنـظلِ؛
واعـلـمْ بـأنَّ الـنـصـرَ مـن حظِّ الـشـجـاع الأعـقـلِ
مَـن لا تـضـيـقُ بـه الـحـيـاةُ، وتـبـتـليـه، ويـبـتـلي
وبـأنَّ كـلَّ هـزيـمـةٍ حظ الـجـبـان الأخـطلِ
مَـن يـسـتـنـيـمُ إلـى خـداعِ الـتـائـهـيـن الـجـهَّـلِ
لـك مـن أبـيـكَ، ومِـنْ أبـيـه؛ ومـن أبـيـه الأولِ
مـثـلٌ إذا مـاثـلـتـهُ.. مـثـلتَ دورَ الأمـثـلِ
هـذي الـمـخـايـلُ فـي جـبـيـنـكَ مـجـدُ يـومٍ مـقـبـلِ
دُمْ لـلـحـيـاةِ، نـسـيـمـهـا ونـعـيـمـهـا الـمـتـهـلِ
وصـراعِـهـا، ونـضـالـهـا، وكـفـاحِـهـا الـمـسـتـبـسـلِ
وخُـذ الـزهـورَ تـحـيـةً مـنْ مـهـجـتـي؛ وتـقـبـلِ
تـرعـاك عـيـنُ الله مـولانـا الـكـريـم الـمـفـضـل

لندن: ٢٥ شوال ١٣٨٥هـ
١٥ فبراير ١٩٦٦م

١٧٢ ــ أُسطورة (اليمن السعيدة)

الإهداء:

إلى الذين يشوِّهون تاريخ الإمامة في اليمن!

مقدمة:

اليمن اليوم تعيش مأساتها الدامية، وأبناؤها قد تفرقت بهم المذاهب والأطماع والأوهام فتمزقوا «أيدي سبأ» أو «لعنة سبأ» أو «نكبة يكسوم».. ؟ لست أدري! ولقد كنتُ مع زمرة من الشباب وتناولنا بالحديث ماضي اليمن وحاضرها، فقال أحدهم: إنها «لعنة الإمامة»؛ لقد كانت اليمن في خير، فلما حكمها الأئمة تمزقت وعمها الشقاء! وقال آخر: نعم لقد كانوا يسمونها «اليمن السعيدة» و «اليمن الخضراء» فلما جاء «الهاشميون» إذا بها «يمن الجدب والشقاء»!

وهكذا ذهب البعض منهم يلقون باللائمة على «الزيود»، وعلى «الأئمة»، ويستدلون بقول فلان وفلان ممن يكتبون حديثًا عن «الشيعة والنواصب» و «الهاشمية والقحطانية» و «الأطراف المعنية» في اليمن! وابن الأمير وعصره، ويحققون كتب «الهمداني».

واشتركت في الحديث متسائلاً:

ــ ما اسم «إمام اليمن» في عهد «عاد»؟ وما اسمه أيام «سيل العرم»؟ وهل كان «صاحب الأخدود» إمامًا؟ وهل كان «أصحاب الفيل» زيودًا؟ وهل «بسر بن أرطأة» أو «معن بن زائدة» أو «حماد البربري» أو «المجاهد الرسولي» أو «علي بن الفضل» من «الهاشميين»؟.

وذهبت ما شاء الحديث، أستعرض التاريخ وأفند مزاعم الذين يستدرجون

السذج والجهلاء بما يزورونه ويزيفونه ضد «الإسلام» و «الإمامة» و «الزيديين» في اليمن.

ولذَّ لي عندما خلوت إلى نفسي أن أتابع النقاش مستعبرًا واستعرضت في لحظات قوافل الزمن من تاريخ اليمن، فإذا بها قوافل بؤس وشقاء وحروب وشتات، منذ فجر التأريخ المكتوب حتى اليوم.

وإذن، فلماذا سموها «اليمن السعيدة»؟

وفي أي زمان؟ واسترسل القلم يزبر نثرًا مشعورًا، أو شعرًا منثورًا وعرضته على صديق كريم متفكهًا، فاقترح نشره، فقلت:

ـ ولكنه، وإن احتوى على معنى شريف، فلم يصغ في نظم سليم وقد جاريت به هذيان «المجددين»!.

فقال: لا بأس، فإن أكثر القراء يميلون إلى هذا النوع من البيان. ولو لم يكن إلاَّ لأنه سيطرح السؤال الخطير، ويفند الخدعة الكبرى، ولأول مرة. وعسى أن يجيب على سؤالك: من قد يلقي ضوءًا جديدًا «على طريق اليمنيين» ضوءًا لا من أضواء التمويه، ولكن من أضواء الهداية والإرشاد.

٣ ذي الحجة ١٣٨٥هـ
٢٤ مارس ١٩٦٦م

١٧٢ ــ أسطورة اليمن السعيدة

اليمن السعيدة.
أسطورةٌ تجري على كل لسان،
مهزلةٌ تروى على مدى الأزمان،
قد قالها الرومانُ واليونان،
والفرسُ والأحباش،
وجِئْتُ أسأل التاريخ حائرًا
فقَهْقَهَ التاريخ.. ساخرًا
وقال: (يا قوافل الأجيال،
تكلمي بالنبأ اليقين..)
(قولي متى كانت سعيدهْ،
اليمن الخضراء)؟

* * *

في عهد (عادٍ) و (ثمود)؟
أم عهد (قحطان) بن (هود)؟
أم حين كان أهلها عبيدْ
لكلِّ (تُبَّع) عنيدْ؟
أم حين دانتْ (لسليمان) الحكيم؟
أم بَعْدُ.. حين طمَّها (السيلُ) العظيم؟

قولي، متى كانت سعيدةْ؟
في أي تاريخٍ ؟ وفي أي زمان؟
و (قَطبَانُ) و (معين)،
و (سبأٌ) و (حميرٌ) و (حضر موت)،
يخبرك القصَّاص، والمؤرخون،
و (المسندات) والصخور،
و (سدّ مأرب)، وسامق القصور،
بأن أهلها..
كانوا (رعايا) للطغاةْ،
كانوا (جنودًا) للغزاةْ،
كانوا.. إذا لم يستكينوا في بلادهم
للظالمينْ،
للخوف، للوبا،
هاموا على وجوههم.. مشردينْ!!
(جُرهم) و (المناذرة)
وقوم (غسَّان)،
و (الأوسُ)، و (الخزرج)،
أخبارهم يهذي بها القصَّاص،
لو عرفوا سعادة الوطنْ؛
ما هاجروا من (اليمنْ)!!
وقالت الأمثال إنهم
تمزقوا (أيدي سبأ)!
قولي: متى كانت (سعيدة)،
(اليمن الخضراء)؟

أحين قال (تُبَّعُ) الكبير،
بأن عرشها، وأن تاجها..
ليس لذي قلبٍ رحيم،
ولا لعادلٍ، ولا كريم،
لكنه.. لمنْ يسوم ناسها
سوء العذاب!
لمن يقطع الرؤوس،
ويزهق النفوس،
ويشرب الدم النجيع؟
أم حين حفر الأخدود (ذو نواس) للموحِّدين؟
أم عهد (إرياط) و (أبرهه)
حين أتى (الأحباش) فاتحين،.. وفرضوا سلطانهم على اليمنْ:
وأعملوا السيوف وهدموا السدود؟
أم بعدُ حين جاء (ذو يزن)،
بالفرس منقذين؟ وكثُرَ الأقيال والملوكْ!
أم حين ثار (عبْهله)
على رسالة السما؟
أم يوم هاجر الجميع،
إلى (المدينة المنوَّره)؟
قولي، متى كانت (سعيده)،
(اليمن الخضراء)؟

* * *

و «بسر» قد أباحها،
وحكَّم السيوف في الرجال،

وقتل النساء والأطفال،
و (الخارجيّ) طمَّها
بموجة الدمار
و (معن) بعدهُ
لم يُبق لليمنْ
كرامةً ولا اعتبارْ
و (البربري) بعدهُ،
قال له (الرشيد)
(أسمعني الأصوات)،
(أصوات أبناء اليمن!)
فلم يدعْ من منكرٍ إلاَّ أتاهْ!
وأقبل (الجزَّار) إبراهيمُ
داعية (الإمام)،
فنكث العهودَ،
وقتل الجنودَ،
قولي متى كانت (سعيده)
(اليمن الخضراء)؟

* * *

أحين أرسل المأمونُ (عامله)
(ابن زياد)،
فقتل الألوف؟
أم حين ثار (يُعْفِرٌ)
فمزق الصفوفْ؟
أم يوم غضب (ألدُّ عامُ)

غضبة الحتوف؟
أم حين عاث (القرمطي) في (مُذَيخرهْ)
وسبحت في بركةٍ حمراء
اليمن (الخضراء)!؟
وذهبَ (الأقيال)،
إلى (المدينة المنورة)
يستنجدون (ابن الحسين)
فقال؛ إن خطبه جليل،
فالحق خاضع ذليلْ،
ومجدُه مضيَّعٌ.
وأهله قليلْ، وأن أرضَه قواء، قد درست أعلامها
وآله قد شغلتْهُمْ.. فتنة الحياة والذرائعُ؛ وقد تخاذلوا؛
فمنهم المجانفُ ومنهم المصانع:
(واليمن الحمراء) بلادها ضريره
(ساكنها) عريان جائع،
قولي متى كانت سعيده،
(اليمن الخضراء)؟

* * *

أحين كانت سلعةً للطامعين،
لابن «أبـي الفتوحْ»
وعصابة (الضحَّاك)،
وبني (نجاح)؟
وآل (مَعْنٍ) وبني (زريع)؟

أم حين هب من (مسارْ)،
الملك الجبَّارْ
وانقض كالصقر فمزق الجموع
وأعلن الدعوة والولا،
للفاطميين ملوك (القاهرهْ)؟!
والفاطميون المواطنونْ، في «صعدةٍ» وفي أزال،
لا يستحقون سوى المنون؟؟
أم يوم أقبل (العبيد) من (زبيد)
يقودهم (سعيد).
وقتلوا (المليك)
وأهله الصغار والكبار،
وأسروا (الحرة) من آل (شهاب)
وَشبَّتِ الفتنْ،
وسبحتْ في بركة حمراء
(اليمن الخضراء)؟
قولي متى كانت سعيده
اليمن الخضراء؟

* * *

أحين جاءت الجيوش كالجراد،
من (مصر) فاتحين)،
والذئب (تورانشاه)
من بني (أيّوب)
يقضي بما يريد، ويزهق النفوس،
ويقطع الرؤوس، وغوَّر الآبار

وأباحَ ما لا يستباح. . ؟
أم يوم خان (الحمزات) عهد «عبد الله»
وقدَّموا رأس (الشهيد) للملوك من بني «رسول»
أم قبل حين فتك (الإمام)
بكل (مسلمٍ) (مطرَّفي)؟
أم بعد حين عاد من جديد
جنود (مصر) ثائرين
لنصرة (المجاهد) الغشوم؟
قولي متى كانت سعيده،
(اليمن الخضراء)؟

* * *

أحين أقْبل (الجراكسه)، من مصر يحملون. .
(بنادقَ) الفناء.
فأرعبوا القلوب.
وقتلوا السلطان (عامرا)
ودخلوا (صنعاء) فاتحين؟ ولم يذدهم الحياء؛ عن اقتراف الموبقات
حتى جلاهمُ الإمام. . ؟
وقد تمزَّقت مرابع اليمن
بين (الدعاة) و (الملوك) و (الغزاه)!
ولم تزل مجازر (المطهّر)
لعنتها تحوم،
على رؤوس (الظالمين)،
وأقبل (الأتراك)،

والتحمت معاركٌ،
شاب لها الوليد،
وخاضها (المطهَّر) الجبار
يصول، ويجول،
وانتشر (الطاعون)
وتعاون الغزاةُ، ومصائب السماء؟
أم يوم كان (أزدمُر)
يقضي بما يهوى؟
أم حين كان (سنجر) العنيد،
يَسْمِلُ العيون؟
قولي متى كانت (سعيده)
(اليمن الخضراء)
أحين أقبل الغزاه.
بأمر (قانصوه)،
واحتدمتْ معارك الهلاك؟
أم حين ظلَّت الجنود، والبنود،
والخيل، والمدافع الكبارْ،
من (تركيا) تزحفُ
وتبيدُ ما أمامَها؟
أم حين هاجت فتنة (المحطوري)،
ونشب الصراع في كل مكان،
ما بين قطاع الطرق،
والطامعين والدعاه،
و (ضاعتِ الصَّعْبهْ) على الجميعْ؟

أم يوم وصل (الباشا) إلى
(شهارة الأمير)،
يقود جيشه الكبير، واستبسل الأحرار والمجاهدون،
ونشب الصراع والقتل المرير؟
قولي متى كانت (سعيدة)
(اليمن الخضراء).

* * *

أحين هبت ثورة (الوزير)،
ونُهبَتْ (صنعاء)،
وهتكت محارمُ،
وحطمت جماجمُ،
واستشهد الأحرارُ،
واستأسد الأشرار،
حتى أتى اليوم العبوس،
وصاح جرح الثأر،
وأقبل (الجنود).. من جديد
بكل (آلات) الدمار،
والنار والحديد..؟ و «الغاز» و «النابالم» و «المصفحات»
واستشهد المواطنون، وأبيح ما لا يُستباح!
قولي متى كانت (سعيدة)
(اليمن الخضراء)..
(اليمن الحمراء)..؟

(اليمن الصفراء)..؟

* * *

أحين بات (ذو رعين)
من بعد غدر (حمير)،
يبكي مسهدًا،
يصرخ مهمومًا
من يشتري السَّهر
بلحظةٍ من (النعاس)؟
و (عمرو) وهو في صراع
يعد للحوادث الكبارْ،
(سابغة) وذا (شطب)،
وقبله قال (ابن برَّاقة) من (مراد)،
(كيف ينام الليل من ليس له
سوى الحسام؟)
و (ابن حريم) ظل دهره مرتبكا،
يرى (سلالم العُلا.. لا يستطيعها)،
(ولا يطيق أن يقول ما يريد)!
و (الأشتر) القمقام،
أقسم أن يشنها،
على ابن (حرب) غارة،
لم تخل من نهب النفوس.
وأنه (سيحشد الخيول شزَّبا)
وذهب الألوف
في حرب (صفين) وفي حرب (الجمل)!

متى متى ذاق المواطنون . . في اليمن
سعادةَ الحياهْ؟؟

* * *

بالأمس، كانوا يأكلون
(صمغ عرفط الثعالبِ)،
ويصقلون صدأ السيوف
(بمساحي الهام)،
وما لهم من مشرب إلاَّ النجيع
واليوم، يومنا الكئيب
كما يقول شاعر اليمن،
(محمد الزبيري):
إنّا عطاشٌ نفحص الدنيا فلا
نلقى سوى غسلين،
(أنضاء أسفارٍ)؛
(طليحنا ليس له معين)،
(في غمرة الظلام نطأ الثرى)،
(هونًا لنكتم الخطى)
(عن مسمع الكمينْ)
فكيف يا ترى يقال
بأنها (سعيدهْ)
(اليمن الخضراء) . . ؟

* * *

وقلتُ لقوافل الأجيال،
والدمع في جفني يجول،

يا هل ترى يأتي زمان،
يحقق المواطنون،
أسطورة التاريخ،
ويصنعون من جديد،
بالاتحاد والعمل؛ ضد الدخيل و «العميل»
اليمن السعيد..؟
ليتَ.. وربما!

أول ذي الحجة ١٣٨٥هـ
٢٢ مارس ١٩٦٦م

١٧٣ ــ الحربُ الخاسرة

[من قصيدة طويلة ضاعت، قالها الشاعر بعد إخفاق مؤتمر «أركويت» للمصالحة، الذي عُقِدَ بين وفدين: «جمهوريّ» كان يرأسه محمد محمود الزبيري، و«ملكيّ» كان يرأسه صاحب الديوان]:

ماذا وراءك يا هلال محرم
مما يحاك لشعبنا المستسلمِ
عامان قد رحلا بكل مصيبة
كم من يتيم غادراه وأيّمِ
ثم انطوى عامٌ بكلّ همومه
وبكل ظنّ خائبٍ وتوهمِ
وبكلّ أحلام الألىَ لم يفهموا
أن الحقيقةَ غير حُلْم النوَّمِ
ما إن مضى ليلٌ وقلت وراءه
شمس تشع على الوجود المظلمِ
إلا أتى ليلٌ أشدّ تدجِّيًا
ظلماته معقودةٌ بالأنجمِ
والشعب في اليمن السعيدة ضارع
يرجو السلام من الإله الأعظمِ
أوَ ما كفى ما صبَّه من أدمعٍ؟
أوَ ما كفى ما قد تجرع من دمِ؟

* * *

ومنها:

من في الجبال ومن بصنعا أخوةٌ
لكن كُلاًّ.. بالأجانب يحتمي
والشعب لا يدري، وما رسموه في
«اسكندرية» في احتياج مترجمِ
والحل «تقرير المصير» لأمةٍ
ما إن تذلّ لمدفَع أو درهمِ!
قد قلتها في «أركويت» وقالها
مَنْ ـ خيفة الرقباء ـ لم يتكلَّمِ
وتجمعت آمالنا، وتوحَّدت
أهدافنا رغم اعتراض الوهَّمِ
من حاسدِ لبقٍ؛ ومن متعطش
للثّار، أو جلف عن الحسنى عمِي!
ووعَى «الزبيري» ما تريد بلادنا
فمضى يزمجر كالهزبر الضَّيغمِ
فترصَّدوه وخضَّبوا بدمائه
جبلاً يئنّ اليوم مثل الأيِّمِ
ودم «الزبيري» سوف يبقى صارخًا
«كدم الحسين على هلال محرمِ»،

* * *

ومنها:

وأنا بقية ثائرين تصرَّموا
برصاص حقدٍ أو بسيفٍ مجرمِ

مـا زال لـلَّهْـفـات مـن شـهـدائـهـم
ذكـرى تـهـمـهـم فـي الـيـراع وفـي الـفـمِ
تـنـهـى وتـزجـر مـا تـخـاذل مـن هـوى
وتـنـيـر دربـي فـي الـطـريـق الـمـظلمِ
مـن كـان «زيـد» و «الـمـطاع» رفـيـقـه
لـم يـخش إقـدامًـا ولـم يـتـلومِ[1]
أوَمَـن دعـا لـلحـق إيـمـانًـا كـمـن
كـفـرًا يُـجَـمْـجـم بـالـكـلام الـمـبـهـمِ؟
مـا إن جـزعـتُ لـنـكـبـة أو مـسّـنـي
طـيشٌ لـنـصـرٍ، أوجشـعـت لـمـغـنـمِ
ولـقـد أرانـي حَـائِـرًا مـتـأرجِـحًـا
بـيـن الـمـخـاوف، فـي مـفـاوزهـا ظـمِـي
والـشـر يـنـسـج لـي الـفـخـاخ تـرصـدًا
وبـكـل زاويـةٍ حُـبـالـة أرقـمِ
فـتـداركـتـنـي رحـمـةٌ أضـفـتْ عـلى
قـلـبي سكـيـنـة مـؤمـنٍ مـسـتـلهـمِ
نـعـم الإلـه عـليَّ غـطى ثـوبـهـا
مـا لا يُـرى مـن عـورةٍ أو مـأثـمِ
ودُجـى الـشـكـوك إذا تـراكـم رعْـبُـهـا
بـدَّدتـه بـشـعـاع قـلب مـسـلمِ

أول محرم ١٣٨٥هـ / ١ مايو ١٩٦٦م

---

(١) السيدان الشهيدان: زيد بن علي الموشكي، وأحمد بن أحمد المطاع.

١٧٤ ــ دُودة الحُبّ

يـا أَخـي، لا تـكـن عـلى الـحـبِّ قـاسـي
واحـتـضِـنْـهُ بـالـعـطف والإيـنـاسِ
إنَّـه زهـرة الـخـلود، وأَزكـى
هـبـة مـن إلَـهـنـا لـلنَّـاسِ
زهـرةٌ لا يـضـيـرهـا أي خـطبٍ
وتَـلاشـى بـدودة الـوسـواسِ
مـن يُـقـاسـي الـوسـواس في الـحب قـاسـي
دونـمـا مـخـرج أشـد الـمـآسـي
فـتـراه فـي حـنـدس الـشـك يـجـرِي
دونـمـا وجـهـةٍ، ولا نـبـراسِ

٢ محرم ١٣٨٥هـ
٢ فبراير ١٩٦٦م

دار الروائع

١٧٥ ــ دامغة الدوامغ

سبيل الأولين:

أتمضي في سبيل الأولينا ... فتمدح تارة، وتذم حينا؟
وتفخر بالتي لا فخر فيها ... وتجهر بالتي تندي الجبينا؟
وتخفض بالملامة شأن قوم ... لترمع شأن قوم آخرينا؟
وتنكر ما تشاء بلا حياء ... ولو كان الحقيقة واليقينا؟

* * *

أتمضي.. في سبيل الأولينا ... فتنبش مثلما نبشوا الدفينا؟
وتستجدي المفاخر من «نزار»[١] ... وتهتك حرمة «المتقحطنينا»[٢]!
وتستعدي البيان بلا اعتبار ... «فتجهل فوق جهل الجاهلينا»[٣]!
وتذكي نارها؛ بعد انخماد ... وتبعثها، وقد همدت سنينا!
وقد عبث «الكميت»[٤] بها فنونا ... و«دعبل»[٥] لم يدع في النظم «نونا»
ولم يترك «أبو الذلفاء»[٦] مجدًا ... لقحطان؛ به يتفاخرونا

(١) نزار بن معد بن عدنان؛ واشتقاقه من الشيء النزر: وهو القليل.
(٢) أي ينتمون إلى قحطان؛ وهو فعلان من قولهم؛ شيء قحيط: أي شديد.
(٣) من بيت عمرو بن كلثوم: «ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل...» إلى آخره.
(٤) الكميت بن زيد الأسدي الشاعر المشهور، واشتقاقه من «أكمت» على غير قياس أو من «الكمتة»؛ وهو من الخيل ما بين الأحمر والأسود.
(٥) دعبل بن علي الخزاعي شاعر أهل البيت؛ واشتقاقه من البعير «الدعبل» وهو العظيم الخلق.
(٦) هو الحسن بن زيد الشاعر المعروف.

وأغرق «شاعر الإكليل»[1] حتى تحمل وزرها سبًّا مشينا!

* * *

سبيل المنصفين:

أتمضي..؟ أم سبيلك مستقل لحبت طريقه للمنصفينا؟
سبيل «محمد»[2] وهدى «عليٍّ»[3] و «عترته»[4] ونهج «الراشدينا»[5]
فلا مجد لمقترف فسوقًا ولا من كان فظًّا، أو خئونا
ولا للظالمين؛ وإن أشادوا قصورًا، أو سدودًا أو فنونا
«أبو لهب»[6] و «عبهلة»[7] و «عمرو» و «صاحبه»؛ خساس مجرمونا
و «سلمان»[8] و «عمار»[9] «وزيد»[10] كرام في الأنام مسودونا

* * *

(١) الحسن بن أحمد الهمداني صاحب «الإكليل» و «صفة الجزيرة».

(٢) سيدنا محمد ﷺ مشتق من الحمد؛ وهو «مفعل» من كثر منه فعل ذلك الشيء، وقد سمت العرب في الجاهلية محمدًا منهم «محمد الجعفي» الشاعر، ومحمد بن بلال، ومحمد بن مسلمة الأنصاري».

(٣) الإمام علي؛ واشتقاق على من الصلابة والشدة، وقد سمت العرب في الجاهلية «عليًّا» منهم علي بن بكرة، وعلي بن مسعود الغساني.

(٤) عترة الرجل، أهل بيته.

(٥) الخلفاء الراشدون.

(٦) هو عبد العزى بن عبد المطلب، وقيل إنه كنِّي بذلك لجماله.

(٧) هو الأسود بن كعب العنسي الذي تنبأ في أواخر أيام رسول الله ﷺ واحتل صنعاء، ثم قضى عليه مشايخ اليمن. والعبهلة ترك الإنسان وسومه؛ تقول عبهلت الإبل إذا تركتها وسومها؛ وكتاب النبي ﷺ إلى الأقيال «العباهلة» أي الذين خلوا وسوم أنفسهم.

(٨) سلمان الفارسي رضي الله عنه.

(٩) عمار بن ياسر رضي الله عنه.

(١٠) زيد بن علي بن الحسين عليه السلام. وزيد مصدر زاد الشيء يزيد زيدًا قال الشاعر:

وأنتم معشر زيد على مئة

شرعة الحق:

خذوها شرعة للحق؛ نادى ... بها «موسى» وكل «المرسلينا»
يموت لأجلها الأحرار دومًا ... ويعرفها جميع المخلصينا
«حسين»[1] ليس أكرم من «يزيد»[2] ... إذا لم نعتبر خلقًا وديناً!
هي التقوىٰ؛ يعز بها ذووها ... ويخسأ من يجانفها لعينا

* * *

الأئمة واليمن الخضراء:

وصحب قد لقيت وهم حيارى ... يلومون الزمان وينقدونا!
يقولون «الأئمة» من قريش[3] ... هم الداء الذي بهم ابتلينا
لقد كنا على «الخضراء» نحيا[4] ... كما يحيا الكرام مبجلينا
ولليمن «السعيدة»[5] في البرايا ... حضارة قادرين موفقينا
فلما جاء «أهل البيت»[6] ذلت ... وأصبح أهلها في البائسينا

---

(١) الحسين بن علي رضي الله عنه وقاتله سنان النخعي وتصديق ذلك قول الشاعر:

وإي رزيئة عدلت حسينا ... غداة تبيره كفا سنان

(٢) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان.

(٣) قريش قبيلة سيدنا رسول الله ﷺ وفي حديث بن عباس في ذكر قريش قال: هي دابة تسكن البحر تأكل دوابه قال الشاعر:

وقريش هي التي تسكن البحر ... بها سميت قريش قريشا

(٤) اليمن الخضراء هي اليمن السعيدة وانظر «أسطورة اليمن السعيدة» للمؤلف.

(٥) سميت «يمن» لأنها تلي يمين الكعبة والنسبة إليها يمني، ويمان، وقوم يمانية مثل ثمانية وثمانون. ولَمَّا وَفدَ وفدُ اليمن على النبي ﷺ قال: «أتاكم أهل اليمن. هم ألين قلوبًا وأرق أفئدة، الإيمان يمان، والحكمة يمانية».

(٦) «أهل بيت» النبي ﷺ وفي التنزيل: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرًا)؛ وفي الحديث: أهل القرآن هم «أهل الله» وخاصته؛ أي حفظة القرآن العاملون به، هم أولياء الله والمختصون به اختصاص أهل الإنسان كما في لسان العرب.

أما قد قالها «نعمان»[1] جهرًا ... و«حاتم»[2] بثها في العالمينا

* * *

منطق التاريخ:

فقلت وهل ترى في عهد عاد[3] ... تولاكم «أمير المؤمنينا»!؟
وما اسم الإمام زمان هود[4] ... وعهد السيل حين محا «معينا»[5]؟
وهل في النار أدخلهم إمام ... وفي «الأخدود»[6] كب المسلمينَ؟
و«جرهم»[7] هاجرت و«الأوس» بانت[8] ... و «غسان»[9]، وقوم آخرونا
لماذا غادروا الوطن المفدى ... إذا كانوا به مستمتعينا؟

---

(١) الشيخ الأستاذ أحمد بن محمد نعمان.

(٢) عبد القادر حاتم الذي كان المسؤول عن أجهزة الإعلام في مصر وصاحب البيانات المشهورة.

(٣) عاد: قبيلة يمنية، والمراد هنا عاد الأولى، والدليل عليها قوله تعالى: ﴿وأنه أهلك عادًا الأولى﴾.

(٤) هو اسم النبي عليه السلام ينصرف، وقومه عاد حكى الله تعالى عنهم: ﴿وإلى عاد أخاهم هودًا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إن أنتم إلا مفترون﴾ إلى قوله: ﴿ولا تتولوا مجرمين﴾. فكان ردهم ما حكى الله تعالى عنهم: ﴿قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك، وما نحن لك بمؤمنين﴾، فأهلكهم الله ونجّى هودًا وفيهم آيات أخرى.

(٥) السيل: سيل العرم، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم: ﴿فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل، ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلاّ الكفور﴾ و «معين» مدينة بالجوف.

(٦) حافر الأخدود هو «ذو نواس» تهود وأحرق نصارى نجران «المسلمين»، لله، وفيهم نزلت: ﴿قتل أصحاب الأخدود، النار ذات الوقود﴾ إلى قوله: ﴿وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد﴾.

(٧) جرهم: حي من اليمن نزلت مكة وتزوج فيهم إسماعيل عليه السلام ثم ألحدوا في الحرم فأبيدوا؛ ورجل جرهام ومجرهم في أمره.

(٨) الأوس: قبيلة من اليمن هاجرت إلى «يثرب» واشتقاقه من آس، والاسم الأياس هو العوض.

(٩) غسان قبيلة يمنية هاجرت إلى «الشام» وسموا «غسان» بماء نزلوه ليس بأب ولا أم؛ ومن سُمي بعد ذلك «غسان» فاشتقاقه من «الغس» خصلة الشعر.

ولـو عـرفـوا السعـادة فـي ثـراه ... لما انتجعوا «الحجاز»[1] مهاجـرينا!
ولا ذهبـوا «العراق»[2] لكسب عيش ... ولا ركبـوا إلى «مصـر»[3] السفينـا!
أمـن خـوف ومسـغبـة تـولـوا ... يجـوبـون المهـامـه هـاربينـا؟
سيـاط «القيـل»[4] تعـرق كـل ظهـر ... عـلى الدنيـا وتنتـظر الـجنينـا
لتخـلق منـه «لـلأذواء»[5] عـبـدًا ... يـطأطىء رأسـه لـلحـاكـمينـا
فـإمـا غـازِيًـا يخشى المنـايـا ... وإمـا مسـتـضـامًـا مستكينـا
«لتبـع»[6] يبتـني قـصـرًا مشيـدًا ... ويعمـر معبـدًا «ويحـر»[7] طينـا
وقـد ينـبـو بـه خـلق كـريـم ... ويـرفض عـيشـة الـمتـذلـلينـا
فـيتـرك أرضـه والأهـل فـيهـا ... ويمضي يسكب الـدمـع السخينـا

* * *

(١) سميت الحجاز لأنها تفصل بين نجد وتهامة، وكل شيئين فصلت بينهما فقد حجزتهما.

(٢) في لسان العرب لابن منظور «المصري» مادة «عرق»: والعراق من بلاد فارس، مذكر سمي بذلك لأنه على شاطىء دجلة، وقيل سُمي به لتواشج عروق الشجر والنخل به، وقيل سمي به العجم؛ سمته إيران «شهر» معناه كثير النخل والشجر، فعرب فقيل «عراق» وقال الجوهري: العراق بلاد تذكَّر وتؤنث وهي فارسي معرب.

(٣) سميت بمصر بن مصرايم بن حام بن نوح عليه السلام، وهي من فتوح «عمرو بن الهاص»، وانظر معجم البلدان لياقوت الحموي صفحة ١٤١ المجلد الخامس: (وهو من الشام).

(٤) القيل؛ الملك الحميري، يتقيل سلفه أي يشبهه، وجمعه أقيال، وقيول؛ ومنه الحديث إلى قيل ذي رعين أي ملكها.

(٥) الأذواء: سلاطين اليمن مثل، ذو يزن وذو الشعار.

(٦) التبابعة: ملوك اليمن، واحدهم «تبع» سموا بذلك لأنه يتبع بعضهم بعضًا، وزيادة الهاء لإرادة النسب.

(٧) «يحر» الطين هنا بمعنى يمهد الأرض للزراعة وهي لغة يمنية دارجة.

سيف بن ذي يزن:

و «سيف»[1] بعد أن أعيا صراخًا ... يهيج نخوة المستعبدينا
ليرفع وطأة الأحباش عنهم ... وقد هدموا «المحافد» والحصونا[2]،
فلم يفزع لدعوته غيور ... يكون له مغيثًا أو معينا..!
وهاجر ينشد «الأغراب» غوثًا ... ووافى باب «كسرى» مستعينا!
وهَانت أرض «حمير»[3] عند «كسرى» ... فأعطاها العصاة المجرمينا!
لصوص قادهم سيف فخورًا ... وبورك في اللصوص الفاتحينا
أعادوا «للسعيدة» تاج سيف ... وعاشوا باسمه متحكمينا

* * *

طغاة.. ليسوا سادة:

ورب «الفيل» «أبرهة»[4] أيعزى ... إلى «الآل»[5] الكرام الطاهرينا؟

---

(١) الملك سيف بن ذي يزن الوافد على كسرى أنو شروان يسأله النصرة على الحبشة؛ وقال له أنا ابن عمك، ولوني لونك، فوجه معنا من يأخذ البلد وتكون في ملكك، وبعد مشاورة أعانه بمن «استوجبوا القتل بجرائمهم» في سجون فارس «فإن ظفروا كان باسم كسرى وإن هلكوا فهو الذي يريد! وولي عليهم «وهرز» ونزلوا في «عدن» وتمكنوا بعد قتال من طرد «الأحباش» واستعاد «سيف» الملك وله قصة مع عبد المطلب.

(٢) محافد اليمن: قصورها ووديانها. وقد أفرد لها الهمداني الجزء الثامن من الإكليل.

(٣) تطلق حمير على ثلاثة: «حمير الأكبر» وحمير «سبأ» و «حمير بن الغوث».

(٤) «أبرهة» صاحب «الفيل» الذي قصد «الكعبة» لهدمها وإكراه الناس على الحج إلى «القليس» بصنعاء.، وفيه نزلت سورة الفيل. وملك اليمن ثلاثة وعشرين عامًا.

(٥) المراد «أهل البيت» والآل أصلها «أهل» ثم أبدلت الهاء «همزة» فصارت تقديرًا أأل، فأبدلوا الثانية ألفًا؛ ويخصون لغة بالآل الأشرف الأخص دون الشايع الأعم.

وهل «إرياط»[1] أو «بسرٌ»[2] «زيود»[3] فينتظما قطيع الآثمينا؟
و «يعفر»[4] و «الجراكسس»[5] و «ابن فضل»[6]
أكانوا «سادة متعدنينا؟[7]

---

(١) إرياط: قائد الجيش الحبشي الذي غزا اليمن قبل الإسلام وكان مما جاء في عهد ملك الحبشة إلى «إرياط» إذا دخلت اليمن فاقتل ثلث رجالها واهدم ثلث بلادها وابعث إليّ بثلث نسائها، وقد نفَّذ إرياط عهد الإمبراطور وظل مسيطرًا على «اليمن» عشرين عامًا حتى ثار عليه قائد حرسه «أبرهة الأشرم» وحل محله.

(٢) بسر بن أرطاة: بعثه معاوية بجيش إلى «اليمن» وأمره بقتل كل من يجد من شيعة «علي» ووجد عبد الرحمن، وقثم، ابني عبيد الله بن العباس صبيين، وكان أبوهما غائبًا، فذبحهما بسر بيده، وأعمل سيفه في الرجال والنساء، وأصاب «أم حكيم» أم الصبيين وَلَهٌ على ابنيها، فكانت لا تعقل ولا تصغي وتنشد:

يسا من أحس بنيي اللذين هما كالدرتين تشظى عنهما الصدف
يسا من أحسن بنيي اللذين هما سمعي وقلبي فقلبي اليوم مختطف

ولما بلغ «علي» دعا على بسر فقال: «اللهم اسلبه دينه ولا تخرجه من الدنيا حتى تسلبه عقله» فأصابه ذلك والقصة مشهورة.

(٣) الزيود ــ الذين يلتزمون مذهب الإمام زيد بن علي وهم يكونون أكثرية أهل اليمن وأصولهم، أصول المعتزلة، ويوجبون الجهاد والاجتهاد؛ وكثيرًا ما يوافقون «الحنفية» في الفروع.

(٤) يعفر بن عبد الرحيم الحوالي ثار سنة ٢١٨هـ ــ ٨٣٤م ــ على قواد العباسيين، وكانت قاعدته ومن بعده «اليعفريين» شبام وكوكبان وهو الذي أمر بقتل ابنه محمد بن يعفر وأخيه أحمد بن يعفر ونفذ القتل «حفيده» إبراهيم بن محمد بن يعفر سنة ٢٦٩هـ.

(٥) الجراكسة: يقصد بهم «المصريون» في حملتهم الثالثة على اليمن سنة ٩٢١هـ ــ ١٥١٦م ــ وقد دارت بينهم وبين السلطان عامر عبد الوهاب معارك دامية، وتغلب المصريون بفضل «البنادق» ولم يكن هذا السلاح الناري يعرف في اليمن قبل ذلك التاريخ، وقد أباحوا «زبيد». ثلاثة أيام وسبوا النساء والأطفال وكذلك عملوا حين دخلوا «صنعاء» وأجلاهم الإمام شرف الدين.

(٦) الطاغية علي بن الفضل ظهر سنة ٢٩١هـ ــ ٩٠٤م ــ واتخذ مذيخرة عاصمة له وكان جبارًا.

(٧) أي ينتسبون إلى «عدنان» واشتقاقه من عدن بالمكان أي أقام فيه.

و «تورنشاه»[1] لم يك «هاشميًا»[2] وقد قتل الملوك مصفدينا
وأورثها؛ وقد هزلت وجاعت خليفته المعربد «طغتكينا»[3]
وهل لبني «رسول»[4] في «علي» عرى قربى؛ وكانوا مفسدينا

* * *

الإمام الهادي:

وهل من «حمير» قد جاء «يحيى»[5] وكان العادل، البر الأمينا؟
ومن «خولان»[6] قد قصدته عمدًا مشايخها الكرام مبايعينا..!

---

(١) «تورنشاه» بن أيوب أخو صلاح الدين الأيوبي الكردي ـ غزا اليمن سنة ٥٦٩هـ ـ ١١٧٤م ـ في الحملة المصرية الأولى وله فتكات مشهورة وهو الذي قضى على أقيال «الزريعيين» و «آل مهدي» وغيرهم من سلاطين اليمن وذبح بعضهم صبرا عند عودته إلى مصر والشام.

(٢) نسبة إلى «هاشم» جد النبي ﷺ الثاني، وهاشم فاعل من قولهم: هشمت الشيء أهشمه هشمًا إذا كسرته وكان يهشم الخبز للثريد.

(٣) طغتكين بن أيوب أرسله أخوه صلاح الدين إلى اليمن بعد وفاة تورنشاه وانتقاض الأحوال في اليمن وقد بذ أخاه فتكًا وجبروتًا وتهديمًا.

(٤) بنو رسول في الأصل كانوا عمال «المصريين» على «اليمن» وأول من أعلن استقلاله عنهم عمر بن علي سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٩م ـ واستمروا في صراع مع الأئمة حتى سنة ٨٥٨هـ/١٤٥٤م.

(٥) هو الإمام الهادي يحيى بن الحسين عليه السلام مؤسس دولة «الأئمة» في اليمن، معظم العلويين من أبنائه، وكانت مشايخ اليمن قد قصدته إلى مقره بالحجاز وبايعوه إمامًا سنة ٢٨٤هـ ـ ٨٩٨م ـ وكان يقول: «إن هي الأسيرة على أو النار» وقد جاء في كتاب دعوته: «أيها الناس» إني أشترط لكم على نفسي: الحكم بكتاب الله وسنة نبيه، والأثرة لكم على نفسي فيما جعله الله بيني وبينكم، أوثركم ولا أتفضل عليكم، وأقدمكم عند العطاء، وأتقدم أمامكم عند لقاء عدوي وعدوكم بنفسي، وأشترط لنفسي عليكم اثنتين: النصيحة لله سبحانه ولي في السر والعلن، والطاعة لأمري في كل حالاتكم ما أطعت الله فيكم، فإن خالفت طاعة الله فلا طاعة لي عليكم... إلخ».

(٦) خولان قبيلة يمنية كبيرة، ومن أشهر قبائل «بكيل» وهي الآن «خولان الشام» ـ أو خولان صعدة ـ و «خولان الطيال» أو «العالية» وهجرتها جحانة وإليها ينسب آل الشامي، وآل الكبسي وآل زبارة؛ والخولانيون؛ أهل نجدة ووفاء وتفان في النصح لآل الرسول وفي الأثر: «السلام على خولان العالية».

وكـان «بـيـثـرب» فـي دار عـز ... يـجـاور قبـر خـير الـمـرسـلـيـنـا
فـلبى دعـوة الأحـرار كـيـمـا ... يـزعـزع دولـة الـمتـجـبـريـنـا!
أهـاب بهم إلـى كسب المـعـالي ... وأنْ يـتجنبـوا الـخلق الـمشـيـنـا
وقـال لـهـم: أطـيـعـونـي إذا مـا ... أقـمت الـعـدل فيكم أجـمعـيـنـا
لـكـم أن لا أغـل ولا أداجـي ... وألـقى خـصـمكـم فـي الأولـيـنـا
ولي أن تمحضـونـي النـصـح ودًّا ... وتـحتكمـوا إليّ مـجـاهـديـنـا
وتـلك مـبـادىء لا ريـب فـيـهـا ... دلائـلـهـا هـدى لـلمـتـقـيـنـا
ويـوقـن من يـمـارسهـا اعـتبـارًا ... ويـخـزى مـعشـرٌ لا يـوقـنـونـا
تـراهم يخـدعـون بكـل إفـك ... نـفـوسـهـم؛ وهـم لا يـشـعـرنـا
ويـرتكسـون في الـظلمـات جهـلاً ... وفي الـطغيـان بغيًـا يـعمـهـونـا
قـد اعتسفـوا الـطريق بـلا دليـل ... فـهـم فـي ريـبـهـم يـتـرددونـا
يـسـرون الـقـلى لـبـنـي «عـلـي» ... ويـختـلفـون فيـمـا يعـلـنـونـا[1]

* * *

عصر الإمام الهادي:

وفـي «بغـداد»[2] مـأفـون غـبـي ... وفي «صنعـاء» يـطغى العـابثـونـا!
قـد اقتـرف «القـرامطـ»[3] كـل شـر ... وقـد عبث «الجفـاتم»[4] سـاخـرينا

---

(١) في اليمن ــ ودائمًا ــ مهما اختلفت شعارات الذين يقاومون الإمامة، فإن «النصب» يجمعهم.

(٢) في سنة ٢٨٠هـ/٨٩٤م ابتدأ تمزق دولة بني العباس فقامت دولة «الحمدانيين» وظهرت دولة «الفاطميين» و«القرامطة» وتفرق المماليك على بني العباس، وكان خلفاؤهم قد أفرطوا في اتباع الشهوات فسقطت هيبتهم وذلك ما قصده الشاعر.

(٣) القرامطة: واحدهم «قرمطي» عند أهل اليمن تعني «الزندقة» وكان أول من نشر مذهبهم في اليمن «منصور بن حسن» و«علي بن الفضل» وكانت لهما دولة وصولة في أواخر القرن الثالث الهجري.

(٤) الجفاتم نسبة إلى «جفتم» وهو علي بن الحسين آخر عامل للعباسيين على اليمن بعثه «المعتمد العباسي» أول مرة سنة ٢٧٠هـ وأقره المعتضد فلم يزل بها إلى سنة ٢٨٢هـ وكان يقول: «في =

«ولـلأبنـاء»[1] عنـد بني «شهـاب» تـرات هـم لهـا يـتـربـصـونـا!
و «لـلأذواء» فـي همـدان[2] بـغي وفي «بـرط»[3] يسـود المفسـدونا
و «ريـدة»[4] لا يـقـر لـهـا قـرار و «صعـدة» عـرضـة للنـاهبيـنـا
وكـل ثـنـيـة فـيـهـا زعـيـم يـشـرع ظـلمـه لـلغـافـلـيـنـا
ولا مـن هـيـبـة لـبـني «زيـاد»[5] وقـد سلكـوا سبيـل المـتـرفيـنـا

* * *

يـوم المنـارة:

ولابن الفضـل في صنعـاء يـوم[6] رهـيب لـم يكـن في الـغـابـريـنـا

= أهل صنعاء خصال شوم؛ منها أنهم يرجفون على أنفسهم، وسائر الأمصار يرجفون لأنفسهم، ومنها لو أن حجامًا خدم السلطان حملوه على رؤوسهم ولا يعظمون أهل العلم، ومنها إهراقهم ماء سواقيهم على أبوابهم». وكان «الجفاتم» وآل طريف قد أكثروا في صنعاء الفساد والمنكرات، مما دعا «أبو العتاهية» إلى أن يسلم الأمر إلى الإمام الهادي عليه السلام.

(١) الأبناء من قبائل «الحواز» ــ حواز صنعاء ــ ويقال إنهم من ذرية الفرس الذين وردوا مع سيف بن ذي يزن إلى اليمن، وكانت بينهم وبين بني شهاب ترات وتارات، وفي ذلك يقول عبد الخالق الشهابي:

نـرحـل فـارسًـا وبـنـي عـدي فـإن قـلوبـنـا مـنـهـم مـلاء
من الأحقـاد تـحسبـنـا سكـارى وطـورًا قـد تـقـول بنـا انتشـاء
إلـى أوطـان أولـهـم؛ فـكـل إلى صـنـعـاء كـان لـه انـتـواء

(٢) همدان من قبائل اليمن المشهورة وفيهم قول علي عليه السلام:

ولـو كـنـت بـوابًـا عـلى بـاب جنـة لـقـلت لـهـمـدان ادخـلوا بـسـلام

(٣) برط؛ جبل حصين معروف، وعندما قام بالدعوة «الإمام الهادي» ناهضها أهل برط فحاربهم الهادي سنة ٢٨٥هـ حتى استسلموا.

(٤) ريدة وصعدة من مدن اليمن المشهورة.

(٥) مؤسس دولة بني زياد؛ هو محمد بن زياد؛ بعثه المأمون عاملاً على اليمن سنة ٢٠٤هـ/٨١٩م واختط مدينة زبيد وجعلها قاعدة دولته التي استمرت زمنًا يتوارث عرشها أبناؤه ثم مواليهم.

(٦) افتتح علي بن الفضل صنعاء سنة ٢٩٣هـ/٩٠٦م فاستباحها خمسة عشر يومًا، قال الجندي: إنه حصل بعد وصول «ابن الفضل» إلى صنعاء المطر فأمر بسد الميازيب التي ينزل منها الماء من سطح =

أطـل مـن الـمـنـارة والـعـذارى ... عـرايـا يستغثن الفـاسقينـا..!
ببيت الله يـقـتـرف الـمـعـاصي ... ويغتصب الـحـرائـر، والبنينـا!
ويفعـل مـا يشـا فسقًـا وظلمـا ... ولا يخشى التبـابـع[1] والـذوينا!

* * *

نعمـان والإريـاني:

بني «نعمـان» لا تـبغـوا عـلى من ... يـرى منكم رجـالاً صـالحينـا[2]
محمـدكم[3] تجـاوز في الـدعـاوى ... وقـال الـزور والـبـهـتـان فـيـنـا
خـذوا قلم «الـذكي» فقـد تمادى ... وقـد أعيـا الكـرام الـكـاتبينـا!
و «إريـانيكم»[4] إن حـاف يـومًـا: ... فقـدمًـا كـان قـاضينـا الأمينـا
وكـان أبـوه[5] «زيـديًّـا عتيقًـا» ... وهـم كتبـوا لنـا مـسـتـوزريـنـا
وتـلك قصـائـد الـشعـراء مـنهـم ... وتـلك مـؤلـفـاتُ الـنـاثـريـنـا!

* * *

نـحن مظلومـون:

ألا: لا تنكئـوا جـرحًـا قـديمًـا ... فلسنـا.. لـلعـروبـة منكـرينـا
ولا لـلعـرق نغـضب إن غـضبنـا ... ولم نـك في الـورى مـتعـصبينـا

= الجامع ثم أمر بإطلاع النساء اللاتي سُبين من صنعاء وغيرها وصعد إلى المنارة وأمر بإلقاء النساء إلى الماء عريانات فمن أعجبته منهن اجتذبها إلى المنارة إلى آخر القصة، وفعل بعد ذلك ما هو أدهى في زبيد وله فيها يوم «المشاحيط».

(١) جمع تبع والذوين. الأذواء وقد وردت في شعر الكميت.

(٢) نعرف منهم: الشيخ محمد أحمد الكبير، والشيخ عبد الوهاب، والشيخ عبد الرحمن رحمهم الله.

(٣) الأستاذ محمد بن أحمد نعمان صاحب «الوطنية لا الحقد» والأطراف المعنية في اليمن.

(٤) القاضي عبد الرحمن الإرياني وكان لدى الإمام أحمد مقربًا، ومن حكامه الشرعيين وكتب فيه «انقلاب الثلايا» ثم انقلب مع السلال!

(٥) القاضي يحيى بن محمد الإرياني رئيس محكمة الاستئناف توفي رحمه الله سنة ١٣٦٠هـ/١٩٤١م وكان عالمًا شاعرًا فاضلاً.

نبجل كل ذي حلم وعلم ... ونحتقر الطغاة الجاهلينا
وبالأحساب لا نسمو؛ إذا لم ... تكن أحسابنا خلقًا ودينا!

* * *

«بنو الزهراء» نحن؛ إذا انتسبنا ... و «للسبطين» نعزى أجمعينا
وهم من تذكرون إذا عكفتم ... على صلواتكم متعبدينا!
فلا تستكثروا خيرًا بُلِينا ... به، كي ندفع الثمن الثمينا!
«أمية»[1] لم تدع منا رضيعًا ... لكي يستوطن الحضن الحنونا!
وأوسعنا بنو «العباس»[2] قتلاً ... وإن كانوا الموالي الأقربينا
ولليمن السعيدة قد بذلنا ... الأئمة، والأرامل، والبنينا
وقد ظل الأئمة ألف عام ... بهدي أبيهم متمسكينا
يخوضون المكاره والمنايا ... ويعتنقونها مستقتلينا
ولا يستعذبون العيش حتى ... يصير الحق أبلج مستبينا
لهم وقفات صدق لا تبارى ... إذا وثب «الأجانب»[3] معتدينا

= الإريانيون مشهورون بالقدرة على النظم ولهم مدائح كثيرة في الأئمة، ومن الكتب المشهورة «الدر المنثور بسيرة الإمام المنصور» للقاضي علي بن عبد الله الإرياني رحمه الله.

(١) أمية تصغير أمة والنسبة إليه أموي بضم الهمزة، والمراد هنا أولاد «أمية» بن عبد شمس، ومنهم معاوية بن أبي سفيان مؤسس دولة بني أمية بعد استشهاد علي عليه السلام، وقد استمرت حتى قضى عليها بنو العباس سنة ١٣٢هـ/ ٧٥٠م.

(٢) العباس فعال من العبوس ضد البشر؛ وفي القرآن الكريم: ﴿ثم عبس وبسر﴾. والمراد هنا العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، أما مؤسس دولة بني العباس فهو «السفاح» وانقرضت الدولة العباسية في بغداد سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٩م.

(٣) «أئمة اليمن» هم دائمًا زعماء النضال ضد أي تدخل أجنبي في اليمن؛ والإمامة هي التي حاربت الحملات المصرية والعثمانية قديمًا، وأنصار الإمامة هم الذين وقفوا في وجه المصريين حديثًا، ومع ذلك فقد وجد قديمًا وحديثًا أيضًا، ومن بين «العلويين» من تنكب عن الجادة فظلم، ومن طمع في الحياة فاستسلم، وبعضهم أيدوا الضلال، وصدقوا الخيال، وكثير منهم تخاذلوا غير مضطرين؛ ومنهم من ومن.. ! والتاريخ خير المنصفين.

ورغماً قد بغى منهم غواة ... فباتوا في عداد الظالمينا
إذا «العلوي» لم يك مثل زيد ... فلا تنكر ملام اللائمينا

* * *

آل البيت وبكيل:

جحافل آل «عثمان»[1] أبادوا ... و «للأقباط»[2] قد ثبتوا سنينا
وها هم في الجبال وفي البراري ... جهادًا.. يستطيبون المنونا!
وحولهم البواسل من «بكيل»[3] ... وأنصار الدعاة المخلصينا!
ومن في الخير لا يخشون شرًّا ... وفي اللأواء لا يتأخرونا
«يعينون الموالد والمنايا ... ويبنون الحياة ويهدمونا»
ولو وجدوا إلى نجم سراطًا ... لطاروا نحوه مستبسلينا
وتلك سجية الآباء منهم ... وقد ظلوا لها متوارثينا
إذا ديس العرين مضوا غضابًا ... ليصطلموا الذي داس العرينا
إذا قالوا: بكيل حنت رؤوس ... وخر لها الجبابر ساجدينا
بنفسي، والأب الغالي، ونجلي ... ومالي أفتدي «المتبكلينا»!

* * *

(١) للعثمانيين عدة حملات على اليمن، وقد غزوها لأول مرة سنة ٩٣٢هـ/١٥٢٦م حين استعان بهم «الجراكسة» ـ المصريون ـ وظلت أمواجهم في مد وجزر حتى سنة ١٣٢٨هـ/١٩١١م حين قرروا التسليم، ورفع أيديهم عن اليمن نهائيًا والاعتراف بالإمام يحيى بن محمد حميد الدين رحمه الله، ووقعت اتفاقية «دعان».

(٢) المراد بهم المصريون ولهم أيضًا عدة حملات على اليمن وكانت أولاها بقياة «تورانشاه» سنة ٥٦٩هـ/١١٧٤م وانظر كتابنا «قصة الأدب في اليمن».

(٣) معنى بكيل زعيم؛ تبكلت بالأمر تزعمت به، والتبكل، والتحشد: التجمع، وإلى بكيل تعتزي قبائل يمنية كثيرة مثل «خولان» و «أرحب» و «دهم» و «آنس» و «بني مطر» و «الحيمة» و «نهم» و «بني حشيش» و «همدان» و «مراد» و «عبيدة» وخولان الشام وهمدانها وغيرها.

يمين الثأر:

وقائلة؛ وقد نزق اصطباري ... وكدت أذوب بالذكرى حنينا
أبكّي من مضى من أهل ودي ... وأستبكي ديار الناجعينا
وأرثي «سادة»[1] سيقوا اعتباطًا ... إلى ساح المنايا موثيقنا
«ولم تغسل جماجمهم بسدر ... ولكن في الدماء مرمّلينا»
«تظل الطير عاكفة عليهم ... وتنتزع الحواجب والعيونا»[2]

* * *

علام الدمع والحسرات هذي؟ ... فقلت: لكم شفى دمع حزينا!
ستسلو؛ قلت: لا أسلو دياري ... ستنسى؛ قلت: لن أنسى القطينا!
عدمت الدمع؛ إن لم أنتزفه ... دمًا بعد اللواتي. واللذينا
وظلت تأكل الحسرات قلبي ... إذا لم أرع حقهم المصونا
ولا أبقت لي الأيام خلا ... إذا سالمت خصمهم الخئونا
سأطلب ثأرهم؛ حتى أراها ... بلاقع؛ أو نعود محكمينا!
ونشفي غلة ونميت ضغنًا ... ونستقضي المغارم والديونا![3]
وقد يكبو بفارسه جواد ... وقد يتصارع المتحالفونا؟

---

(١) كان ذلك في صنعاء إثر الحركة العسكرية في ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٦٢م ــ الموافق ١٦ ربيع الآخر سنة ١٣٨٢هـ ــ وفي مقدمة الشهداء الذين رميت جثثهم في العراء: السيد أحمد عبد الرحمن الشامي، السيد محمد أحمد الوزير، الشيخ عاطف المصلى، السيد يحيى عبد القادر، السيد زيد عقبات، السيد عبد الرحمن أبو طالب، السيد عبد القادر أبو طالب، السيد حسن إبراهيم، الأمير الحسن بن علي حميد الدين، السيد أحمد محمد حميد الدين، السيد محمد الكبسي، القاضي محمد عاموه، القاضي عبد الرحمن السياغي، والسيد حسين الويسي وعشرات آخرون يرحمهم الله.

(٢) البيتان «ولم تغسل» و «تظل الطير» من شعر امرىء القيس بن حجر في قتلى من قومه؛ والقصتان متشابهتان.

(٣) ورغم ذلك: فقد انسحبت القوات المصرية وكانت المصالحة الوطنية وانتخب الشعب اليمني مجلسًا جمهوريًا أحد أعضائه صاحب الديوان.

ورُبَّتمٰا يودُّ البعض منهم ... بأنهم عداد الهالكينا!
فذرهم يلههم أمل خلوب ... فسوف إذا أفاقوا يعلمونا
ودعهم في جهالتهم حيارى ... سكارى؛ يسرحون ويمرحونا
سيعلم كل ختال أثيم ... بأنا ـ رغم كل العالمينا
سنجعل من حصونهم قبورًا ... ونبني من قبورهم حصونا

* * *

تذكير:

بني وطني؛ سلام من محب ... لكم؛ لم يدخر عنكم ضنينا
لأجلكم يعادي من يعادي ... ولا يخشى المشانق والسجونا
سلوا سجانه[1]. . لم كان يغضي ... ويحني ـ وهو يجلده ـ الجبينا؟
وعن صرخاته؛ والقوم غفل ... على «عرباتهم» يتبخترونا!
وأهل العلم، والسادات طرًّا ... و «نواب» البلاد «مخزونا»[2]!
وكم من مسلم لاقى نكالاً ... و «أصحاب المعالي» غافلونا!

* * *

و «زين العابدين»[3] «بأرض سام» ... يعاني ما يعاني المبعدونا

---

(١) أمضى المؤلف في سجن حجة خمس سنوات ١٩٤٨ ـ ١٩٥٣م أي من سنة ١٣٦٧هـ إلى سنة ١٣٧٣هـ والبيت يرمز إلى حادثة ليس مكان تفاصيلها هنا.

(٢) أي يتناولون «القات» لاهون عن المأساة. وأول ما ظهرت شجرة القات في اليمن سنة ٩٥٠هـ/١٥٤٤م.

(٣) زين العابدين لقب أطلق حديثًا في اليمن على سيف الإسلام الحسن بن يحيى لورعه واستقامته، وعندما قامت «الحركة العسكرية» في صنعاء كان في أمريكا ـ بلاد العم سام كما يقولون ـ وكان قد أمضى هنالك في حكم المبعد بضع سنوات تبادل المؤلف معه رسائل أثناءها؛ فيها بعض وجهات النظر عن الوضع السائد في اليمن حينذاك وما عساه أن يلحق بها من أخطار؛ وقد كان «المؤلف» أول من أعلن «حركة المقاومة» من راديو لندن يوم ٢٧ سبتمبر سنة ١٩٦٢ وأن سيف الإسلام الحسن هو صاحب الحق الشرعي وعادا معًا وكان ما كان.

وكـانـوا يكـرهـون النصـح منـه ... ومـن أعـدائـه يـتـقـربـونـا
إلـى أن أقبـلت سـوداء أخـزت ... مـواطرهـا ظنـون المـرتجينـا!
أذكـركـم بـمـا ذقـتـم قـريـبًـا ... من البلوى.. فقـد لا تـذكـرونـا!

* * *

نصيحة:

«بكيـل» والأشـاوس مـن بنيهـا ... و «حـاشد»[1] بـالرجـال المخلصينا
و «مذجح»[2] بالحشود إذا استثيرت ... و «عـك»[3] بـالجنـود مـدججينـا
لـكم مـن أرضكـم حصـن حصـين ... إذا كنتـم جميعًـا.. صـادقـينـا!
فـكـونـوا إخـوة فـي الله حـقًـا ... ولا تقفـوا طـريـق الملحـدينـا!
ولا «المستخـربين»[4] وإن أجـادوا ... أفـانـين البيـان مـزخـرفـينـا!
«بـأهـل البيت»، بـالأخيـار منهم ... بصفـوتهم، قـفـوا متـمسكينـا!
و «بـالشـورى»، وبـالإصـلاح نـادوا ... وثـوروا فـي وجـوه الـظالـمينـا

* * *

بني وطـني.. سـفينتكم أغـيثـوا ... أعيـروهـا الهـداة المـرشـدينـا!
فـإنَّ البحـر مصـطخب غضـوب ... وإنّ الحَيَـنَ؛ يـوشـك أن يحينـا

* * *

الملك فيصل بن عبد العزيز:

بني قـومي حـذار.. فـإن تمـادت ... غـوائـلنـا هـلكـنـا أجـمعـينـا

---

(١) حاشد أبو قبائل يمنية متعددة وهي وبكيل جناحا اليمن، وحشد القوم إذا جمعهم.

(٢) مذحج، مفعل من الذحج وهو الدلك وهو أبو قبائل متعددة في اليمن.

(٣) «عك» من عك اليوم إذا اشتد حره، ويوم عك، ويوم حكيك، وهو أبو قبائل يمنية معروفة على اختلاف في نسبته إلى «عدنان».

(٤) كان المستعمرون القدامى يعمرون البلدان كي يستغلوا خيراتها كما فعلوا في أفريقيا وأندونيسيا ومصر ولبنان، أما المستعمرون الذين بليت بهم اليمن أخيرًا فهم مع الأسف مستخربون!

لكم من «فيصل»[1] وبني أبيه ... مثال في السياسة تقتدونا
أهاب بقومه نحو المعالي ... وأخرج من كنوزهم الدفينا
وقرب كل ذي رأي، وتقوى ... ومعرفة وأقصى الآخرينا

* * *

خطر الشيوعية:

بني قومي؛ إذا لم تستقيموا ... فسوف ترون.. ما قد تكرهونا
«غراب الشوم» ينعق في حماكم ... لكيما تصبحوا متفرقينا
وتغدو أرضكم منكم خواء ... ويملكها «الأجانب» آمنينا
وتعلو راية طبعت عليها ... علامة من قد اتبعوا «لينينا»[2]

* * *

فهل تستبدلون بهدي «طه» ... و «عترته» ضلال الجاحدينا؟
أبعد «محمد» وبني «علي» ... نبايع بالإمامة «كوسجينا»[3]
لقد هزلت إذن؛ والموت خير ... وأشفى.. فانظروا ما تأمرونا!
ولي أمل؛ وفيكم من يرجى ... وفي الألواح ما لا تعلمونا!

* * *

دعاء:

حنانًا يا إله العالمينا ... ورفقًا بالعبيد المخلصينا
إذا كان العقاب فلا مناص ... فقد كنا جميعًا مذنبينا!
وإن كان اختبارًا وابتلاءً ... لتعلم بالبلاء الصادقينا!

---

(١) الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود ضرب المثل الأعلى في الحزم والعزم والحكمة فأصلح قومه ومملكته واعتمد على العلماء والأكفاء، وحقق متطلبات شعبه، ووقف وقفته الخالدة مع الشعب اليمني نصرة للأخوة والدين.

(٢) لينين، الزعيم الشيوعي المشهور والذي نسفت ثورته بالقياصرة في روسيا.

(٣) كوسجين؛ الزعيم الشيوعي الذي خلف خورتشوف في قيادة الاتحاد السوفيتي.

فـإنـي . . والـذيـن يـرون رأيـي ببـابـك واقـفـيـن؛ ولاجئـيـنـا
إلـهـي فـاكـفـنـا شـر الأعـادي وكـيـدهم ومكـر المـاكـريـنـا
وأسكـنـا رضـاك نـدى وفـضـلاً فـإنـك إن رضيت فـقـد رضيـنـا

لندن: ١١ محرم ١٣٨٦هـ
مايو ١٩٦٧م

١٧٦ ـ كيف يرجون سِقاطي؟!

لم أصطف الأم ولا اخترت الأبا ... ولا اصطنعتُ قبل خَلقي النسبا
لم أُستشرْ كيف ولا أين ولا ... ما هو أهدى خُلقًا ومذهبا
كيف ترى أحمل وزر حسبي ... ولم أكن قد انتقبتُ الحسبا؟!
قُطِّرْتُ من غيمة حُب طالما ... هامتْ يناجي غيثَها نبتُ الرُّبا
ورشفتني لهفة الشوق هوى ... فشعشع الحسنُ ابتهاجًا وصَبَا!
وحَضَنَ العشقُ حنانَ لوعتي ... فذاب شعرًا، وتغنَّى طربا
فكيف يرجون سقاطي وأنا ... بالطبع لا أرضى السِقَاط.. أدبا؟!

* * *

أخلصت للشعر يراعي، والهدى ... قلبي، وللصدق اللسان الذَّربا!
لو كان للوفاء نجلٌ أو أبٌ ... كنتُ له النجلَ الوفيَّ. والأبا؟

لندن: ١٧ جمادى الأولى ١٣٨٦هـ
٢ سبتمبر ١٩٦٧م

١٧٧ ــ الحنين إلى الوطن

لولا هواي البِكرُ في عرصاتها
ما فاض دمعي عند ذكر صفاتها
بلدٌ؛ شبابي مادَ بين غصونها
وطفولتي رقصت على همساتها
بلدٌ؛ دمي من عطرها، ومشاعري،
من نَسْجها، وحُشاشتي من ذاتها
بلدٌ؛ بياني من «ثمار» ترابها
وقصائدي من بعض «منتوجاتها»
ما خانني ألمٌ وقد فارقتُها
ــ كُرْهًا ــ ولا شوقٌ إلى نسماتها
أبدًا أحنُّ إلى مخايل أوبة
تشفي بها نفسي صدى صبواتها
وأُعلِّلُ القلب الجريح بذكر ما
أَرويهِ عن أشيائها وسماتها
وبكلِّ ما عانيتُه من أجلها
وبكل ما قاسيتُ من نكباتها
بين الحتوف، وخائفًا، ومشرَّدا
ومُكبَّلاً في ليل «زنزاناتها»

وبمـا بـهِ صـارعتُ بـطش طُغـاتهـا
وبمـا بـه جـاهـدتُ ضـدَّ غـزاتهـا
لـولا الحنين؛ ومـا أعـاقـر من مُنى
ذابت حيـاتي في لـظى حسـراتهـا
بـمـدام ذكـراهـا تُعـربـدُ مـهجتي
فـأهيم بـالأنخـاب من كـاسـاتهـا
نـشـوان؛ روحي تـجـتـلي آفـاقـهـا
وتسـائـل الأفـلاك عن حـانـاتـهـا

* * *

وطني؛ وقـاك الله ـ كم لك من يـدٍ
عندي.. أعيش على حساب هـبـاتـهـا
إن كـان لـي خيـرٌ فـمن إفـضـالهـا
أو كـان لي مجـدٌ فمن حـسنـاتـهـا

* * *

وطني؛ بـإسمـك قـد رقيتُ منـازلاً
في العـزِّ، لا يُـعْلَى عـلى درجـاتهـا
قامرتُ ضـدَّ الكون بـاسمك في العُـلا
فقَمـرتُ من يسـعى إلـى قصبـاتهـا
تـاريـخـكَ استَـعْلَى عـلى نـظرائـه
كجبـالـكَ استَعْلَتْ على أخـواتـهـا
مـا الكـونُ إلاَّ نَغْمـةً قـدسيَّـةُ الْـ..
أَلْحـانِ.. أنتَ أَحبُّ مقـطوعـاتـهـا
وقصيـدة الإبـداع لمـا صاغهـا آلْـ...
...ـخَـلاَّقُ كنتَ الفـذّ من أبيـاتهـا

والـدَّهـر إن غـنَّى فـأنت نـشيـده
وإذا انـتشى فـالـراحُ أنتَ بـذاتـهـا

* * *

وطـني؛ حـيـاتـي؛ دون أيـة مـنَّـة
لـكَ قـد وهبتُ الكـلَّ من ساعـاتهـا
فـإذا طـمـحْـتُ إلى مـجـالـي لَـذَّة
وشـرى خيـالُـكَ مِلْتُ عن شهـواتهـا
وإذا رمتْنِي مـحـنـةٌ فـي مـهـمـهٍ
فـتَّـشـتُ عـن ذكـراك في فـلواتـهـا
غـزلي، ومـدحي أنتَ مـا أَطـريتُ من
أسمـائهـا، وعَشِقـتُ من غـاداتـهـا
حُبِّـي، وتمجيـدي، وكـلَّ مشـاعـري
لـكِ، بـل وأشعـاري، على عِـلاَّتهـا

لندن: ١٧ ربيع الأول ١٣٨٧هـ
٢٤ يونيو ١٩٦٨م

١٧٨ ــ دمعة وفاء!

[على «رضية بنت علي» حميد الدين]:

أبكي «رضيَّة» بالدموع وليتني
ما عشت يومًا واحدًا من بعدها
أبكي جميع الصالحات، وقد مضت
معها، ونامت جنبها في مهدها
كم قد نعمت بفضلها، وحنانها
وبصدقها، وببرها، وبودها
كانت مثالاً للفضيلة والحيا
كانت تبر بوعدها وبعهدها
كانت «رضيَّة» في جميع صفاتها
في خير ما تُسديه أو في قصدها
يا رحمة الله اهبطي في قبرها
واستوطنيه، وعشعشي في لحدها

١٠ محرم ١٣٨٨هـ
٨ مارس ١٩٦٩م

١٧٩ ــ نشيد السَّلام

نحن إلى السلام ندعو ولوئامْ
نندب للْفَضيلَةْ ونكره الرذيلهْ
ونمقتُ الخصاما والحرب، والإجراما
شعارنا المساواه والعدل، والمؤاخاهْ
فليس ذا «عدناني» وذاك من «قحطانْ»
الكلّ أبناء «اليمن» من «رازح» إلى «عدنْ»
و «الشَّافعيّ» مذهبًا من «الزّيود» نَسبَا
وحَّدنا الإسلام والأصل، والكلامْ
من «وشْحَة» أو من «خَدير» أو «إبّ» أو من «النضيرْ»
الأرضُ أرض واحده في «الحرف» أو في «القاعدهْ»

* * *

بالويل نادوا، والثبورْ وبالشقاء والدبورْ
لكل ظالم أثيم وكل خائن لئيمْ
وأيدوا بالدعواتْ وباركوا بالصلواتْ
كلَّ زعيمٍ مشفق بقومه برٍّ تقي
لا فرق ما بين الطغاه من «سادة» أو من «قُضَاهْ»
«أئمةٌ» أو «رؤساء» «مشايخٌ» أو «أمراءْ»

* * *

«عيسى»(١) أو «الوشاحُ»(٢) كلاهما.. سفَّاحُ..
والذنب ذنب القاده من «فقها» أو «سادَهْ»
بالسيف، أو بالبندق في الصدر، أو في العنقِ
بالحرق، أو بالشنق بالسمِّ، أو بالخنقِ
في السرِّ، أو في الإعلان في «البير» أو في «الميدان»
الكلُّ قتلٌ وحرام ومن «رئيس» أو «إمام»
وعند كل العالمين لا فرق بين المجرمين

* * *

حيّا على الوئام حيّا على السَّلامْ
«حيّا.. على خير العمل» حيّا.. على نور الأملْ
ندعو إلى الحريهْ والعيش بالسويهْ
وننصر الدستورا وكل أمر شورى
ولا نحابي ظالما ولا نُعِين آثما
وننبذ الأحقادا ونُبعد الأوغادا
ونهدم «المتارسا» ونبتني «المدارسا»
كفى كفى ما قد جرى من الدمار للْقُرى
ومن فسادٍ وشتات ومن صروف النكباتْ
ومن صراع دامي بـ «الغاز» و «الألغامْ»
كفى خرابًا «لليمن» فإنها لنا وطنْ
كفى دماءً ودموعْ كفى، كفى، موتًا وجوعْ

* * *

(١) هادي عيسى: السفاح المشهور.
(٢) السيَّاف المشهور قبل هادي عيسى.

بـالـلَّهِ، بـالـقـرآن بـحـرمـة الأوطـانْ
كـفّـوا عـن الـخـصـام ثـوبـوا إلـى الـسـلامْ
لا تـخـسـفـوا بـأرضـكـمْ وتـعـسـفـوا بـبـعـضـكـمْ
فـإنـهـا بـلادُكـم وإنـهـم أولادُكـمْ
بـيـوتـكـم، أمـوالـكـم أعـمـامـكـم، أخـوالـكـمْ
نـسـاؤكـم، رجـالُـكـم بـنـاتـكـم، أَطـفـالـكـمْ
إن لـم يـكـن لـهـم ثـمـن فـيـا لـخـيـبـة «الـيـمـن»!

* * *

«أَلا تـخـافـوا الله! وأَنـفُـسًـا سـوَّاهـا»
«أفـلـح مـن زكّـاهـا» «وخـابَ مـن دسـاهـا»
إن لـم تـكـونـوا رحـمـاء يـومًـا.. فـكـونـوا حكمـاء
أو لـم تـكـونـوا أتـقـيـاء فـلا تـكـونـوا أشـقـيـاء
يـا قـوم قـد زال الـحَـرجْ الـظُّلم ولـى ودرجْ
والأجـنـبـيّ قـد خـرجْ وتـلك أبـواب الـفـرجْ
وكـبَّـر الـمـكـبـرون وصـفَّـق الـمـصـفـقـونْ
وصـرخ الـمـسـتـبـشـرون وأَذن الـمـؤذنـونْ
حـيّـا عـلى الـوئـام حـيّـا عـلى الـسـلامْ
«حـيـا.. عـلى الـفـلاح» حـيّـا.. عـلى الإصـلاحْ
كـفـى خـرابًـا «لـلـيـمـن» فـإنـهـا لـنـا وطـنْ
والـكـل أبـنـاء «الـيـمـن» مـن «رازح» إلـى «عـدن»

لندن: ١٩ ربيع الثاني ١٣٨٧هـ
٢٦ يوليو ١٩٦٨م

١٨٠ ــ مُـغـالـطـة

لولم تكنْ خَـطَرَتْ ببـالـكْ ... مـا تهت في تلك المسـالـكْ
إن كـنـت تـرجـو وصـلهـا ... فاصبر على خـوض المهالـكْ
الـعـشـق جـبـار تـذلّ ... لعـزّ سـطوتـه الممـالـكْ
وعـبـيـده يـتـصـرَّعـون ... بـبـابـه شـغـفًـا بـذلـكْ
فـاهـرب بـنفـسـك قـبـل ... أن تَفْني وفكـر في مـآلـكْ
مـا أَنـتَ مـخـلوقٌ لـه ... لا . . لست تـدري ما هنـالكْ

بيروت: ١٢ محرم ١٣٨٨هـ
١٠ مارس ١٩٦٩م

١٨١ ــ سُلوان

رَسيسَ الليالي لن أبيتَ مسهَّدا
بهم فلقد أَمستْ همومي هواجعَا
خَبَتْ نارُ أشواقي، ونامتْ بلابلي
وجفَّتْ ــ وقد كانت عيوني دوامعا
فواجع قلبي في نواهم ألفتها
وياما بصبري قد ألفتُ الفواجعا

لندن: ٢٣ محرم ١٣٨٨هـ
٢١ إبريل ١٩٦٩م

١٨٢ ــ شكوى مصارع

في غدوي ورواحي
ذكركم روحي وراحي
وهواكم خمر كاسي
في اغتباقي واصطباحي
أنتُم دنيا صباباتي..
ووجدي وانشراحي
ولكم سرِّي؛ وسرِّي؛
فيكم غير مُباحِ
آه كم أشكو إلى الدَّهر
وما الدَّهر بصاح
آه.. كم أصبغ أشعاري

بـألـوان جـراحـي

بـدمـوعـي، وأنـيـنـي

وحـنـيـنـي، ونـواحـي

وأنـا طـيـلة عـمـري

فـي صـراع وكـفـاح

يـزعـج الـحُـسَّـاد أوقـاتـي

بـأصـنـاف الـنـبـاح

غـيـر أنِّـي لا أُبـالـي

قـول أفَّـاكٍ ولاحـي

لِـلْعـلا والـمـجـدِ، أيـامـي

ولَـيـلي.. لـلمـلاح

ومسائي للصَّبابات
وللنَّاس.. صباحي

* * *

فإذا جُنَّ شراعي
وإذا هبَّت رياحي
وإذا لحن حياتي
ذاب في آخر أَحى
قفلتْ أَشباح أيَّامي
على سُفن الرَّواح
وتلاشت كسراب
ضاع في البيد الشحاح

بيروت: ٨ ربيع الثاني ١٣٨٨هـ
٤ يوليو ١٩٦٩م

١٨٣ ــ صنعاء

صنعاء.. يا لحنَ الزمان البكر في سمع العدمْ
صنعاء.. يا أول حَرف خُط في لوح القِدَمْ
من قبل أن يكتبَ بالحبر على طرس قَلَمْ
وقبل أن يشمَخَ «إيوان» وأن يُبْنَى «هَرَمْ»
صنعاء.. يا عرش الملوك الصيد «أذواء» الكرمْ
كم عبد الغواةُ فيك للجمال من صنمْ
ورتَّلوا لقدْسِهِ من سجعة ومن نَغَمْ
كم من «نبيٍّ» قد عرفتِ وهو يشدو بالحكَمْ
وشاعر، وساحر وكاهن، وكم.. وكمْ!
من فرحة، ونكبة ومن سرور، وألمْ
واثْبُتِ بالحيلة أحيانًا ــ وحينًا بالشممْ
قد يهرم الدَّهر ولكن لن يُصيبك الهرمْ
سرُّ الشباب فيك قد أعيا الزمان والأممْ
و «قلبك العصيُّ» لَمْ يُهْزَم لحادثٍ ألَمّ
للحرب، أنت «هيكل» وأنت للحب «حرمْ»

مـن شفـق الخـلد نسـجتِ الـمجـد لـلشعـب عـلَمْ
والـصـبـغـة الـحـمـراء قَـدْ قـطرتـهـا وردًا ودمْ

* * *

أقسـمُ بـالـوالـدِ والأمِّ . . ومـا أغـلى الـقَـسَـمْ
لقـد حـويتِ من صفـات الـحسْـن مـا خصَّ وعَمَّ
والله قـد أعـطاكِ مـنـهـا مـا اصـطفى ومـا أتَـمّ
أولاك مـا لـم يـول ـ قصـدًا ـ بـلدًا مـن الـنـعَـمْ
ومـا حَـبَـا قـومًـا كمـا حـبَـا ذويـك مـن شِـيـمْ
مـن رقَّـةٍ فـي عـفـةٍ ومـن حـفـاظ لـلذمَـمْ

* * *

صـنـعـاء . . قـلبـهـا أرقّ مـن نـسـائـم الـسَّـحـرْ
لـلحُبِّ فـي غيـاضـهـا أهـلُ، ولـلحُسْـن سـمـرْ
أبـدعـهـا الله لأهـل الـفـنِّ مـأوى ومـقَـرْ
كم صـدح الشعـر وغنَّى، كم تـصـابى، وشعـر
وكـم تمـادىٰ فـي الـذنـوب. وتـجـنَّى، وغـفـرْ

* * *

صنعـاء . . «قلبهـا العصـيّ» لا يُبـالـي بـالخـطَرْ
ولا يـلـيـن لـتـصـاريـف الـزمـان والـقـدرْ
لـكـنَّـه لـلحـبِّ يُـعـطي حِـسَّـهُ؛ إذا أمـرْ

سيَّـان مـن مـاطـلهُ ومـن عـصَى، ومـن شكـرْ
تـزوَّدت بـكـلِّ مـا يـصـرف عـنـهـا كـلَّ شـرْ
لـكـلِّ قـوم شِـربُهم «فكـلُّ شِـرب مـحتـضَـرْ»
مـا يـصـرع الـطَّاغي إذا اشـتطَّ، وأدهـى وأمـرْ
ومـا بـه لـكـلِّ جـبـارٍ أثـيـم مـزدَجَـرْ
كم من مليـك سـامهـا بـالخسْف عمـدًا وقـهـرْ
قـد خـلَّدتـه لـعـنـة الـدَّهـر، وآب مـحـتـقَـرْ
وكـم طـمـوح لـم يـنَـلْ إربًـا، ولـم يـقضِ وطـرْ
استنجـدتْ آمـالـه بـهـا.. ففـاز، وانـتـصـر

* * *

صنعـاء.. والقـرون تتـرى، مـا أسـا ومـا أسـرْ
تـواكـبـت عـلى ثـراكِ كـل أصنـاف الـصـورْ
مـن كـل لـونٍ لـلحيـاة، والـفـنـاء، والـعِـبَـرْ
أنـا الـذي قـد بـارك الآلامَ فـيـك واصـطَبـرْ
لـولا عـلاكِ لانـدحَـرْ.. لـولا هـواك لانـتَحَـرْ
لـولا خيـالات الـوصـال مـا تـغنَّى أو شـعـرْ
تـقـدَّس الـجـمـالُ فـيـك، وتـألَّـه الـبَـشـرْ
وكـلُّ شيء صـاغـهُ الـخـلَّاقُ فـيـك.. بـقـدر

* * *

صنعـاء.. يـا ملعبَ أوهـام الشبـاب الـحـالم
مـديـنـة الـخـلود، والأسـرار، والـطلاسـمِ

يـا مسـرح الهـوى، ويـا روض الغـرام الهـائـم
فـي أفـقٍ يـزهـو بـألـوان الـجـمـال الـدائـمِ
مـضـمَّـخ الـنُّـور بـنـفـح الـطيـب، والـبـراعـم
عـرائس الـخـيـال فـي غـلائـل الـغـمـائـم
تـرقص كـالأطـفـال بـيـن الـزهـر والـنـسـائـم
مـا بـين طـرفٍ سـاحـرٍ مـن فـوق ثغـر بـاسـم
وبـين خـصـر نـاحـلٍ من تـحـت صـدر نـاجـم
تـرتـعش الـلذات كـالـورود فـي الـكـمـائـم
وبـين هـاتـيـك «الـرَّوابـي» الخُشـع الجـوائـم
تـزدحـم الأهـواء فـي تـوق وشـوق عـارم
وتُـجْـتـنى الـقـطوف قـد طـابـتْ لـكـل لاثـم
والـحُـبّ قـد خـوَّلـهـا عـفـوًا. . لـكـل آثـم

* * *

أوَّاه. . يـا قـلبي، أفـق وتـب، وعش، وسـالـم؛
كـفـاك مـا قـد نـلتَ مـن هـول، وذل حـاطـم
كـل حـيـاتي عـشتـهـا فـي حـنـدس الـمـظالـم
إمَّـا يـتـيـمًـا يـنـظر الـكـونَ بـطرف سـاهـم
أو خـائـبًـا فـي حـبِّـه أو شـاردًا كـالـهـائـم
أو في السجـون مـوثقًـا أو فـي لـظى المـلاحـم
أو بـاكـيًـا مـصـارع الـرفـاق فـي الـمـآتـم

لا أتَّقي مصيبةً إلاَّ بخطبٍ داهم
متى متى . . ألقى عصا الترحال، والتخاصم؟
وفي «أزال» حيثما درجتُ بالتمائم
أحسوا ثمالة الحياة في سلام دائم

* * *

صنعاء . . قد قالوا حَوَت دون سواها كل فنْ
لو قيل للدهر ألا يعرف ما بين المدنْ
لها شبيهًا في الجمال، والدلال، والفتنْ؟
لقال ليس . . وأضاف لا، وما، ولم، ولنْ
هندسة الإبداع قد . . حبت لها قلب «اليمنْ»
وحكمتها في القرى . . بين «ظفار» و «عدنْ»
«سام بن نوحٍ» رادها . . واختطَّها له وطنْ
بعد استشارة النجوم، والعقول، والفطنْ

* * *

صنعاء . . قلبها «عصيّ» في الخطوب والمحنْ
جحافل «الأحباش» لم تُسْلسْ لتيهها رسنْ
ظلَّت على ولائها «لتُبَّع» و «ذو يَزَنْ»
وفضلت على «الصَّليب الحبشي» صمتَ «الوثنْ»؛
ضلالةٌ جميلةٌ فيها الإباء قد كمنْ

* * *

أوَّاه يـا «صنعـاء» قـد أخنى عـلى قلبي الحـزَنْ
ضيَّعتُ في الأوهـام عمـري، وشبـابي في الإحَنْ
سخـرتُ بـالمـوت جنـونًـا، وهـزئتُ بـالـزَّمنْ
مـشَـردًا أو تـائـهًـا، أو في السجـون مُـرتَـهَـنْ
أو في نضـالٍ.. دُونَـمـا جَـدْوى، ودونَمـا ثـمنْ
فَقَـدْتُ أصحـابي، وأتـرابي.. وأهلي، والسكنْ
ولـم أفـقْ إلاَّ عـلى صـوت الـمشيـب والـكـفـنْ

* * *

في الحبِّ عقلي انهـار مخْبولاً، وإحسـاسي انـطَحَنْ
مشـاعـريَ ذابت، وروحي كـلَّ، واستخـذى، وأنّ
مـا كـنت مـن أكـفـائـه فَـشَـفَّ قـلبي. وامـتَـهَـنْ
وكـنـتُ قـد أعـطيـتُـه مِـنِّي الـخـفـيّ والـعـلَنْ

* * *

أوَّاه يـا صـنعـاء أشـواقـي تـدمـدمُ في الـضـلوعْ
لم يبق لي شيء بـه أُعـزي إليـك سـوى الـدُّمـوعْ
دمـع المعـذب، والمشـرد، والمتيَّم، والـولـوعْ
دمـع المشيب على شباب هـام في تلك الـربـوعْ
دمـع الضيـاع على «المـداكي» والمفـارج والشمـوعْ

دمع النـدامـة ذاب بعـد اليـأس من جفنْ الخضـوعْ

* * *

صنعـاء قـلبهـا «الـعصـيّ» ليس بـالـبَـرم الهـلوعْ
هـزم «الغـزاة» بصبـره وحمى «الفتـوة» بـالقنـوعْ
لا للطغـاة البـاطشيـن هَفَـا، ولا عـرف الـخنـوعْ
لكنـه يـصغي إلى شكـوى المـدلَّـه والـجـزوعْ
بـاللحن تنتحـر القـوافي فيـه مـن شعـر يـروعْ
بـالحسن تلتجىء المفـاتن منـه في عـطر يضـوعْ
بـالمجد يجـأر، وهـو بين مخـالب الصقـر الـطَّمـوعْ

* * *

صنعاء.. هل يُرجى لمثلي نحو سفحك من رجوعْ؟
أنـا «ابنـك العـاصي» رجعت أجـرُّ أذيـال الخشـوعْ
قلبـي على ديـن الصبـابـة مـا لـه عنهـا نـزوعْ
شهـدتْ على إخـلاصـه رجفـاتـه بيـن الضـلوعْ
وخفـوقـه إن لاح في جُنـح الـدجى بـرق لمـوعْ
وإذا تَبَتَّـل كـنتِ أنـتِ لـه الضَّـراعـة والـدمـوعْ
ويكـاد لا ينسـاك حتى في السجـود وفي الـركـوعْ
هـل لي إلى «القلب العصيّ» إذا تمنَّع من شفيـعْ؟

كللتُ قــربــاني إليــك «عقيــرة» الصبِّ المــطيــعْ
بتمــائمي، وعــزائمي بــطفــولــة الحب الــوديــعْ
بــالشعـر، بــالأنغـام، بــالآلام، بـالقلب الــوجيـعْ
بهـواكِ «يـا صنعـاء» لـو ضــاعت حيـاتي لن يضيــعْ

بيروت: ٢٣ رمضان ١٣٨٩هـ
٢ نوفمبر ١٩٦٩م

١٨٤ ــ سِرّ الوُجُود

لو كان ليسَ بمجبرٍ في أمره
ما بات يعتلج الهوى في صدره
من بعد ما صنع الجوى بضلوعه
زمنًا، وعاث بقلبه وبفكره
حمل الأسى والحب غير مخيَّر
فتحكَّما في سره، وبجهره
يا ويحه ما انفكَّ يتلف عمرهُ
في غير ما فيه سلامة عمره
فضميره دامي المشاعر موجعٌ
وكيانه تنحل شدةُ أسره
ويراعه يُشْوَى بنار بيانه
ولسانه تكوى بلوعة شعره
بأساه يحتفل الوجود كأنه
سر الوجود بخيره، وبشرِّه
فالليل لم يُطلع دجاه نجومه
إلاَّ لتنظر ما مصائر أمره
والشمس ترعى شجوه إن أشرقَتْ
والريح؛ نوح عويلها من ضره

والسُّحبُ؛ ما ذرفت دموع حياتها
إلَّا لكي تخضلَّ تربة قبره
والزهر لا يفتر إلَّا باسما
عن ثغره، أو نافحًا عن عطره
والطير إن غنى فمن أسجاعه
وإذا بكى؛ فبشعره، وبنثره

بيروت: ٢٥ رمضان ١٣٨٩هـ
٤ نوفمبر ١٩٦٩م

١٨٥ ــ نشيد الهارب

انطلقْ.. انطلق.. على فرس الياس
إلى حيث.. لا يعيشُ غرام
لا تُدِرْ سمعك الغبيِّ إلى الخلف
فلا موعدٌ.. ولا أنغامُ
الهوى مات.. والصِّبا قد تلاشى
والتعاليل.. كلها أوهامُ
انطلقْ.. واسحق التعاليل فالحب
قد اجتاحه فبادَ الزُّؤام
إنه البغض.. إنه البغض لا..
دمعة رجوى تُجدي.. ولا أحلام
أجلٌ؛ «عزرائيل» قد أصدر الأمر
و «أمضى» وصدَّق «الحكام»
فانطلق.. وانفث الغبار على الأوهام
.. ولْيأكل الضِّياء الظلام
فارس الحبِّ قد فشلتَ
وقد عقَّكَ فيه.. حصانه واللجام
ونوازي الغرام، والوهم، والشهوة
صَرْعى.. يوري صَدَاها الأوام

كـلُّهـا فـي مـخـالـب الـيـأس تـبـكـي
حـيـث لا رغـبـةٌ.. ولا اسـتـسـلامُ
قـدرٌ، أم تـغـافـلٌ، أم جـحـودُ
أم عِـنـادٌ، أم غـيـرةٌ، أم هُـيـام..؟
فـانـطلق.. وابـتـعـدْ.. ولـلحـب مـن
قـلبـك مـا تـسـتـلذه الآلامُ
تـنـهش الـعـمـر كـالـذئـاب
لـيـالـي عـيـشـه تـسـتـجـيـر، والأيـام
وامض حـيـث الـظنـون تـلهـث فـي
وادي الـضـحـايـا.. تـحـوطـهـا الآثـامُ

بيروت: ٢٨ رمضان ١٣٨٩هـ
٢٧ نوفمبر ١٩٦٩م

١٨٦ ــ غمامة الغد

ماذا تقول؟ وقد هاجتْ بك الذِّكَرُ
وأذهلَتْ عقلك الأحداث والغِيرُ
تمضي مع الأمس في غيبوبة وفنىً
وتستجير غدًا خوفًا، وتنتظر
وفي ضميرك مما كان كان معركةٌ
كبرى وقلبك بالأحزان يستعر
الأمس عالم طغيان، ومسرح أهوال
.. ودنيا فنون.. كلها عبر
واليوم باقة آمال مزوَّرة
ألوانها الدجل، والأطماع، والضررُ
وعالم الغد..؟ ماذا قد تسحُّ به
«غمامة الغد» وهي الحقد ينفجر

بيروت: ٢٣ شوال ١٣٨٩هـ
١ يناير ١٩٧٠م

١٨٧ ــ دَعُــوهُ

دعوهُ لا يزورُ ولا يُزارُ
فقد أشفَتْ به الغُصَصُ الكبارُ
يؤرق ليلهُ شوقٌ قديمٌ
ويُقْلِق صُبْحَهُ. . وجدٌ مثارُ
ولولا ما يكابد من بلاءٍ
لما فَضَحتْهُ أدمعُهُ الغزارُ
دعوه فقد خبتْ نارُ التَّصابـي
وهل قلبٌ يباع؟ وهل يُعَارُ؟
دعوه. . لم يَعُدْ من كان يُرجى!
فقد هبطتْ به الهمم الصغارُ!
فلا ثارٌ؛ ولا أملٌ يُرجَّى!
وما الدنيا؟ ولا أملٌ وثارُ؟
رويدكِ يا «حياة» فما فؤادي
بِمُنْخَلعٍ إذا حانَ «العِثارُ»
أنا «قلبـي» وما إن خنتُ قلبـي
و «قلبـي» لا يُضير، ولا يُضارُ
وهبتك يا «حياة» شذى حياتي
وقد ولى. . وليس لي اختيارُ

بيروت: ٢٦ شوال ١٣٨٩هـ
٤ يناير ١٩٧٠م

١٨٨ ــ أين المفرّ؟

أأشكو البين أم أشكو الهُيامـا
أم الشوق المبير أم السَّقامـا
وكيف، ومن يعبِّر عن ضلوعي
ومن يصف الصبابةَ والغراما؟
لساني، لا تجيد اليوم قولا
فما ترك الذهولُ لها كلاما
سكرتُ بنكبتي زمنًا ولمَّا
صحوتُ.. وجدتُ ما حولي حُطاما
فلا عُشي العزيز، ولا حبيبي
ولا كأس تدارُ، ولا ندامى
ولا أمل يُهدهدُ ما تمادى
من الأشجان أو يشفي أواما
وكل رغائبي في العيش أضحت
مضيَّعة، وأحلامي يتامى

* * *

أينجو تائهٌ فَقَدَ الرفيقا
ويأمن بعد أن جهل الطريقا؟

بـأيَّـة مـهـجـةٍ يـرجـو خـلاصـا
ولـم تـتـرك لـه الـبـلوى صـديـقـا؟
إذا مـا مـدَّ طَـرْفًـا نـحـو رجـوى
رأى مـن دونـهـا الـخـطر الـمـحـيـقـا
فـعـاد بـذل خـيـبـتـه حـسـيـرا
وآب بـدمـع حـسـرتـه غـريـقـا
تـعـذَّبَ فـي شـبـيـبـتِـه يـتـيـمًـا
ومـفـؤودًا ومـغـتـربًـا.. رقـيـقـا
يُـعـانـق مـا يـحـاذرُ حـيـن يـغـفـو
ويـنـظر كـلمـا يـؤذي مـفـيـقـا
وحـيـدًا يـنـفـدُ الـعُـمـر انـتـحـابًـا
ويـصـهـره زفـيـرًا، أو شـهـيـقـا

* * *

يُـكـابـدُ مـا يـكـابـدهُ ادِّكـارا
وأشـواقًـا، وآلامًـا كـبـارا
ولا أمـلٌ يـعـاوده عـزاءً
ولا خـلٌّ يُـسـانـدهُ.. انـتـصـارًا
يـتـرجـم طـرفـه عـمـا يُـعـانـى
بـأدمـعـه الـتـي تـهـمـي غـزارا
وبـنـفـث مـن حُـشـاشـتـه قـصـيـدا
يـؤجُّ بـيـانـه لـهـبًـا.. ونـارا
ومـارجُ روحـه يَـنْـمـاعُ فـيـه
حـنـيـنًـا، أو رثـاء، أو فـخـارا

* * *

ألا.. يـا روَّع الله الـمـآسـي
فـقـد روَّعـن شـعـري فـاسـتـطارا
فـلاذ بـكـهـف صـمـتـي مـسـتـجـيـرا
وعـاذ بـصـمـت كـهـفـي واسـتـجـارا

بيروت: ٩ ذي القعدة ١٣٨٩هـ
١٩ نوفمبر ١٩٧٠م

١٨٩ ــ هـزل وسـيـاسـة ونـصـح!

[ارتجل صاحب الديوان هذه الأبيات المطعمة بالعبارات الإنكليزية في مجلس ضمَّ بعض السَّاسة اليمنيين، فلطَّفت جوّ الخلاف الذي كان قد خنق الجلسة]:

«وِلكَمَاتٍ» وذْأوتْ «إكسِبْشنات» بجميع الإخوان والأخواتِ
«الفِرندون» و «الفرندات» والضبا ط و «الجنتلين» و «الجنتلاتِ»
في «بلادِ» لا «أَوْتَ» منها ولا «رفْيوج» إلَّا «بكارجٍ» وثباتِ
سوف «أدفَيْسكُم» تعوذون «بالبيـ ـشِنْت» في «أكتكم» وفي الكلماتِ
«دُونت بي» خائفين، «وذْأَوتْ» داعٍ ثم «يَوْ نَيْتدوا» جميع الفئاتِ
إنَّ عندي «قريت هوبٍ» بأنا
«شلْ» نرى «وتْ وي ونت» في ذي الحياةِ
«إفْ» جميعًا «ولْ قو» إلى أي «قول» «وذِتَرَسْتٍ» «للسِّلْفِ» دون شتاتِ
«بي ردي» للكفاح و «الْفَيتْ فور لُونجْ»
ولا تسمعوا «لوردز» الوشاةِ:
واستعدّوا لكل «كِيس» «بثنك» وبأوراق النقد، والفيزاتِ!
«دُونْت بي انقري» إذا قلت «جوكًا» «إتزْلَيْت» الفؤاد في الأزماتِ

الرياض: ربيع الأول ١٣٩٠هـ
مايو ١٩٧٠م

١٩٠ ـ حسْرة

[عندما ورد نبأ وفاة السيد يحيى بن أحمد الشامي، وكان لمّا يتجاوز الثلاثين]:

قد لذت بالصبر فلم يستطعْ
تعزية القلب الأليم الوجيعْ؛
فقدتُ في يحيى فتى ماجدًا
ذا همةٍ كبرى؛ وخلقٍ رفيعْ
قد كان فيما يرتجيه الورى
للشعب يومًا أملاً للجميعْ
الأملُ المرجوّ كيف انطوى
بسرعةٍ؟ كيف تراه يضيعْ؟
كيف تراه قد قضى وهو في
شبابه يختالُ مثل الربيعْ؟!

صنعا: ١٦ جمادى الأولى ١٣٩٠هـ
١٩ يوليو ١٩٧٠م

١٩١ ــ إلَّا.. بـلادي

دقات ساعات الحياةِ
تدقّ في كل الأمَمْ
إلَّا . . بلادي
ليسَ فيها غير همهمةِ العدَمْ
الناس قد عرفوا السَّعادةَ
والكرامةَ، والنِّعَمْ
إلَّا . . بني وطني
فهم . . بين الكوارث والنّقَمْ!

صنعا: ١٧ جمادى الأولى ١٣٩٠هـ
٢٠ يوليو ١٩٧٠م

١٩٢ ــ الــثُّــمَــالــة!

أحلامي . . إذ تجأرُ.
وهْيَ تَتسَلَّقُ
جَبَلَ الآلامِ
تتضور بالبلوى
تَسْتَمْطِرُ
سُحُبَ الأهامِ
تَرْجُو دمعًا
يرشفُهُ اللاهِثُ
مِن حُبّي الظامي

* * *

في جبل الآلامِ ؛
وفي مُنْحنَيات
السَّهلِ الدَّامي
ظمئي ، ، يَلهَثُ؛
يسترحمُ «دمع» الشِّعرِ
«لِيرويَ» أنغامي .
و «مصاريع» العجزِ
على «أبواب» اليأسِ

تُناجي حِسَّ «الأصْنام»
نَسَلوا . . كالدودِ على جُرْحٍ
ينزو بِصديدِ الآثامِ
تتضاغى ، تَفْهَقُ ، تَسْتجدي
تتوارى
تَحْتَ الأقدام

* * *

مُذْ رَشَفَتْ أيَّامي ؛
كأس «العرفان»
عَطشَت أيَّامي
عَطَشُ «راوٍ» . . !
«يُلهِبُ» روحي
بالأشواقِ
ويُنضِجُ في الدنِّ مدامي

* * *

أنا للأحزان
خُلقْتُ
وللإخلاص
وللدَّمْعِ الهامي
أنا للأشواق
وللظّمأ «الرَّاوي»!
قد أدَّبني «الشعر الظامي»

* * *

ما في الأكوان من «الهالاتِ»
تضيقُ «بهالات» «غرامي»
أنا . . أوهامي
أنا . . أحلامي
أنا . . أنغامي
أنا . . آلامي
أنا . . دمعةُ ذلٍّ
قد . . جَمدَتْ
خجلاً
في طرفِ «استسلامِ»!
وبقايا «آهِ»
في لحنِ
خنقَتْهُ
شهقةُ إلهام

تعز: ٢ جمادى الآخرة ١٣٩٠هـ
٤ أغسطس ١٩٧٠م

١٩٣ ــ دَمعة على الزُّبيري

[في ذكرى الشاعر محمد محمود الزبيري بصنعاء (٣/٤/١٩٧١م)، عندما كان المؤلف أحد أعضاء المجلس الجمهوري.. وأنشدها في مجلس الشورى]:

آيةُ الله كنتَ ميتًا، وحيًّا.
يا «زُبيري» فنَمْ سعيدًا رضيًّا!
قد خدمت الورى «ثلاثين حولاً»
موثقًا، أو مجاهدًا، أو قصيًّا
لك من شعرك البليغ سلاحٌ
يتحدَّى من كان فظًّا عتيًّا!
ويداري بؤس الجماهير
باللحنِ تغنيه باكيًا مبكيًا!
والطواغيت يملأون البرايا
بالأضاليل؛ والوعيد دويًّا!
كنت تستمطر البيان لتروي
ظمأً في الفؤاد يشويك شيًّا
وتُغذِّي به الجياع ومن لم
يملكوا في الحياة والأمر شيًا
عشت في هذه الحياة.

كعصفور يغنّي الحياةَ لحنًا شجيًا
تتهادى الآمال سحر أغانيهِ
وتَشْتَارُها رحيقًا نديًا
ودموع الأحرار تأوي إليها
تتفيًا حنانها الأبويًا!
واليتامى قلوبهم تتحسَّى
منه لحن السعادة «الأُمويًا»
قُم.. تر الأرض مثلما كنت فيها
تتحدَّى الأديبَ والألمعيًا
تتصبَّى أهل «النفاق»
وللجاهل والوغد شهوةً تتزيَّى
وتُعادي أهل المروءات عمدًا.
وتُصافي من كان فظًّا غويًا
الوفا ضاع، والمكارم ماتتْ
وحده الشرُّ ظلَّ في الأرض حيًّا!
كيف أشكو؟ وأنتَ علمتني الصبر
ولَقَّنْتَني الثَّبات فتيًا
حين كنا نهيم في كل وادٍ
وبآمالنا نعيش ونحيا!
كنت تدعو إلى «شريعةِ طه»
ولدين الإسلام؛ أمرًا ونهيا
كادتِ الصمّ أن تلين ولكن
قلوب الحكام زادت عُتيًا!
ثم ساقوكَ و«الخطيب» إلى المنفى

وساموكما العذاب صِليًّا!
فأذبتَ القيودَ بالصبر
واستَلْهَمْتَ من وحي الله شعرًا سَريّا
ثم هاجرتَ داعيًا شعبك الحر
فلبَّى الندا.. وثار.. أبيًّا
قصَّةٌ للجهاد في الله
قد عاش «الزبيري» لها ومات وفيًّا
لم يكدِّسْ مالاً، ولم يَبْنِ دارًا
لم يُقارف إثمًا، ولا اشتط غيّا
لم يكن «زيْديّا» ولا «شافعيّا»
لم يكن «قـوميًّا» ولا «بَعْثيًّا»
لم يكن «حزبيًّا» ولا «عنصريّا»
لم يكن دجالاً ولا «طائفيّا»
كان يدعو إلى السَّلام غيورًا
مستقلاً مهذبًا «وطنيًّا»؛
كان لله «مسلمًا» صادق الحسِّ
وللشعب مخلصًا «يمنيًّا»!

صنعا: ٦ صفر ١٣٩١هـ
٢ أبريل ١٩٧١م

١٩٤ ــ الشـريـعـة المـزيَّـفـة!

باسمِها . . كَم أكلوا
وباسمها . . كم شربوا
باسمها . . كم حكموا
وباسْمِها كم ظلموا!
كم بكت أمراضُنا
كم شكت أعراضنا!
كم من الآمال بالشرع قتلنا!
كم من الأحلام بالفقْهِ صلبنا!
وآسْمُها . . الإمضاء!
وآسمها الخَتمُ الكبير!
للإمام، والرئيس والسُّلطانْ
اسمها كان العلامهْ
لجميع الحاكمين
في بلادي . . في . . «اليَمَنْ»!

صنعا: ٨ صفر ١٣٩١هـ
٤ أبريل ١٩٧١م

١٩٥ ــ لا تـغـضـب

تمهَّلْ
فَهُمْ في الشرّ أكثر خبرةً
وقد سلَّطوا مكرًا
عليك «الأقاربَا»!

وقد قيل قدمًا
إنّ «بعض» «الأقاربِ»
«عقاربُ»
فانظرْ
هل تدوس «العقَاربَا»؟؟

صنعا: ٢٠ صفر ١٣٩١هـ
١٦ أبريل ١٩٧١م

١٩٦ ــ أنـانـيَّـة

«أنا» جبل «التّاريخ»؛
أمجاد «أمتي»
إلى ركنِهِ تأوي؛ وتلجأ «ملّتي»؛
«تطوف» الدعاوى
حول «بيت» كهولتي
«تَعَاوَى» انتقامًا
من «بقايا» عزيمتي!
ولو أنني ضيعتُ حق شبيبتي»
وحقّ «بلادي» ما تَسَامَت «كهولتي»
ولكنّني جهرًا
تحديتُ كلَّ مَنْ
يحاول إيذاءً
لقومي . . و «أسرتي»
بذلتُ «دمي» يومًا، وأفنَيْتُ حقبةً
من الدهر «مسجونًا» أنوءُ بحسرتي
وشُرِّدتُ في الآفاق من قفر محنة
إلى بحر أخرى ساخرًا بالبريّة!
حياتي، ومجدي، وابتهالُ قِصائدي
وأشواق ألحاني . . فداءً لأمتي

صنعا: ٢٦ صفر ١٣٩١هـ
٢٢ أبريل ١٩٧١م

١٩٧ ـ تَـغَـابِـي؟

«أجاري» غباء القوم «بالبصر» تارةً
وحينًا «أداري بالتغابي» الحماقاتِ
أعاصي طموحي، وهو ما يعرفونَهُ
فأضحك، والأقدار تبكي «هزيماتي»!
إذا «الحظ» لم يسعدكَ لم تجدِ «قوةٌ»
وقد ينفع التلويح بالمستحيلاتِ!
غباء «التغابي» حظ صاحب «حيلةٍ»
له «حسناتٌ» في سجل «الخطيئاتِ»!

صنعا: ٢٧ صفر ١٣٩١هـ
٢٣ أبريل ١٩٧١م

١٩٨ ـ نصيحة

[أُرسِلَتْ ضمن رسالة إلى الرئيس القاضي عبد الرحمن الإرياني عندما كان رئيسًا للمجلس الجمهوري اليمني، وكان صاحب الديوان أحد أعضاء المجلس]:

يا ابن يحيي خذِ الكتاب بقوهْ ... فهو رمز العُلاَ وسرُّ النبوَّهْ
إنما الحكم بالمداراة عجزٌ ... ليس يرضاه حاكمٌ ذو مروَّهْ
استعن بالأكفاء في كل فنٍّ ... لا تميزْ أمومة أو أبوَّهْ
أصلُنا واحدٌ وفي كل عرقٍ ... من تراب البلاد تهفو بنوَّهْ
وأمانٍ يتيمةٌ، وظنونٌ ... مرعباتٌ ولهفةٌ وفتوَّهْ
لا تجامل من المشايخ فردًا ... فهو إن لم تخضعه أبدى عتوَّهْ
واذكرنْ ماضي البلاد وفيها ... مشيخات شتَّى، ودينٌ مشوَّهْ
بالتحدي للجهل والظلم تسمو ... ومحالٌ تسطيع إلاَّ بقوَّهْ

صنعا: ٢٨ صفر ١٣٩١هـ
٢٤ أبريل ١٩٧١م

١٩٩ ــ وصيَّة محموم يَهذي

تألمْ، ولُمْ، وانْدَمْ، وغَمْغِمَ، وَهمْهِمِ
وهَيْنِم، و «هَنْجمْ»، و «انْسَجِمْ» وترنَّمِ
وصَمِّمْ، وعَمِّمْ، وآستَقِمْ، وتكلَّمِ
و «تَرْخِمْ» و «هَيْشِمْ»، و «اعتصم»، وتقدمِ،
وسَلِّم، وحكِّمْ، وآنتظمْ، وتَعَلَّمِ
و «أَمِّمْ»، وجرِّمْ، وانتَقمْ، وتظَلَّمْ
وقل كلَّ ما تهوى
فما في «تألمٍ»
«ملامٌ» ولا في الحزن مأوى «لمنْدَمِ»!
وفي «غَمْغَمات» السحر، أو «هَمْهماتِه»؛
تفاسير ألغاز «الفقيه» «المهَيْنمِ»!
أتستطيع «هِنجامًا» بدون مطامحٍ
وتهوى «انسجامًا» دون أي «تَرنُّمِ»
وما «صَمَّمَ» الأحرار إلَّا و «عمموا»
«بقول» شجاع و «استقامة» مسلم
وما «تَرْخَموا» إلَّا وتُبَّعُ جدُّهُمْ
وما «هيشموا» إلَّا «اعتصامًا» «بمقدَمِ»
وما «سلَّموا» إلَّا «بتحكيم» عادل

ولا «انتظموا» إلاَّ بقصد «التعلَّمِ»
وما إن «بتأميم» تسودُ عدالة
إذا كُنْتَ تُفْشِيهِ بنيَّة «مجرم»!
وإن جار ذو حكم
فَثُر، و «انتقِمْ»
وإنْ
فشلتَ فهاجِرْ
و «انْتَقِدْ، وتكَلَّمِ»!

صنعا: أول ربيع الأول ١٣٩١هـ
٢٦ أبريل ١٩٧١م

٢٠٠ ــ الشــر والخــيــر

مَنْ قال: إن «الشرَّ»، ليس «الخير»
مِن «صنع» «البشَرْ»..؟
والخيرَ ليس «الشرّ»
من «صُنعِ» الذي «خلق» «البَشَرْ»؟
فاسألْهُ
هل من أَجلِ «صنع» «الشرِّ» قد «خلَقَ» «البشر»؟!
واسألْهُ
هل «خيرٌ» وجود «الشرِّ»؟
أم ضرّ و «شَرْ»؟

صنعا: ٢ ربيع الأول ١٣٩١هـ
٢٧ أبريل ١٩٧١م

٢٠١ ـ قـومـيَّـتـي

«قوميَّتي» في «الحبِّ»
لا في «الاقتصاد» وفي «الدَّمِ»
ورَّثتُها من عهد «آدم»
«معدمٌ» عن «معدمِ»
لا «للبياض» ولا «السَّواد»
ولا «لِعرقٍ» أنتمي
«ديني» «مساواة الخليقةِ»
وهو «دين» «المسلمِ»!

تعز: ٤ ربيع الأول ١٣٩١هـ
٢٩ أبريل ١٩٧١م

٢٠٢ ــ فـــراش

للحبِّ نارٌ لا وقود لها
سوى مهج «الأسارى»
«الموثقين» بما «تخايا»
من «أماني»، أو توارى!
«التائهين» مع الوساوس
في المغاور والصحارى
مُهَجٌ تَسَاقط كالفراش
على «مصابيح» العذارى

صنعا: ٧ ربيع الأول ١٣٩١هـ
٢ مايو ١٩٧١م

٢٠٣ ــ دمعة اعتراف

[على السيِّدة الفاضلة حورية بنت محمد المتوكل حرم الإمام يحيى بن محمد حميد الدين؛ وقد انتقلت إلى رحمة الله في بيروت ونُقل، جثمانها إلى «صنعا» في شهر جمادى الأولى سنة ١٣٩١هـ/يوليو ١٩٧١م]:

ألوذ بالصَّبر من حزني ومن تعبي ... وأستجير به من وحشة الكربِ
ما زلت أخبط في قفر الحياة، ولم ... أظفر بمطَّلبٍ، أقضي به أربي
موزِّع الهمّ مفؤودًا أعلِّل ما ... أبقى لي الدهر بالأحلام والكذبِ
قد علَّمتني الليالي كلَّ نائبةٍ ... حتى غدوتُ «عميد» البؤس والنَّوبِ؟

* * *

واليوم أُفْجَعُ في أهلي ــ وقد فجعوا ... كما فجعتُ ــ ببنت السادة النجبِ
بنت «البتول» التي ما إن عرفت لها ... قرينةً من نساء العجم والعربِ
لو أن في الخلق من لم يأت مَنْقَصَةً ... كانت هي المثل الأعلىٰ بلا ريبِ

* * *

كانت تقول بأن الخلد موطنها، ... ودينها خير مورثٍ ومكْتَسبِ[1]
كانت ملاذًا لمن جلَّت مصيبتُه، ... ومستجارًا لذي خوفٍ ومرتعِبِ

---

(١) في يوم عرفة سنة ١٣٨٩هـ، زرتها مسلِّمًا، وحاولت تطمينها قائلاً: «سنجتمع إن شاء الله قريبًا في وطننا اليمن»، فأجابت مبتسمة: «وطنُ المؤمنين الجنَّة يا ولدي»!.

في القصر والكوخ، في البلوى تمارسها ... مثل النعيم، بلا عُجْبٍ ولا رَهَبِ
الله نورٌ لها في كلِّ داجيةٍ، ... واللَّهُ حارسها من وحشةِ الغلَبِ
أكرم بها في رحاب الخلد راضية ... مرضيَّةً دونما خوفٍ ولا تعبِ

* * *

«تسعون عامًا» مع الأحداث قد عبرتْ ... أهوالُها، سحبٌ تطغى على سحُبِ،
«تسعون عامًا» من الآلام قد زحفت ... أحزانها؛ لهبٌ داجٍ على لهبِ،
«تسعون عامًا» وما تنجاب معركةٌ ... إلَّا ومعركةٌ أخرى على كثَبِ
وروحها بيقين الحقِّ مدَّرعٌ.. ... وقلبها للرَّزايا غير مضطربِ.
حياتها؛ صحفٌ تترى مطهَّرةٌ ... تتلى بها سورُ الإخلاص والأدبِ
«تسعون عامًا» وذكر الله في فمها ... تنفي به وحشة الآلام والوَصَبِ
كانت لأحبابها كنزًا ومُدَّخرًا ... أغلا من الجاه والأموال والنشبِ

* * *

لولا اتِّقائي لما يرتاؤه نفَرٌ ... لم يعرفوا الفرق بين الجد واللَّعبِ؛
ترجمتُ تاريخها شعرًا يرتلُه ... من يحسب الشعر ـ أحيانًا ـ من القُرَبِ
وضرَّج القلب أنغامي بأدمعهِ، ... وأحرق الحزن شعري في لظى حَرَبي،
قد كان تاريخها تاريخ أمتِها ... مع «الشراكس» و«الأتراك» و«العربِ»؛

* * *

أمثولة المجد من علم وتضحيةٍ، ... ومن جهادٍ، ومن شعر، ومن حسبِ
لكن من عبثوا بالمجد، وانصرفوا.. ... سَيُتركون ليوم الحشر في الطلَبِ
ما في «تقاليدنا» هزؤٌ ولا لعبٌ ... وكلُّ تاريخنا للسيفِ والكتبِ

* * *

كيف السبيل إلى درب الخلاص وقد ... أضحت ذخائرنا نهبًا لمُنْتهِبِ؟
أستغفر الله رغم الأنف قد هدرت ... «شقاشقٌ» دونما قصدٍ ولا أربِ

لكنَّـه الحق عِـرض الله إن عـبثـت ... بـه يـدٌ هـلكت فـي شـر منـقـلبِ
طـوفانـه لم يجامـل «نـوح» في ولـدٍ ... وتبَّ حين بغى الـطاغي «أبو لهبِ»؟

* * *

يـا من قضت نحبهـا؛ والـدار نـائيـةٌ ... فـأحـرزت أجـر مـظلوم ومغتـربِ
الله أولاكِ مـا أولـى أحـبَّـتَـه.. ... من الكـرامـة، والأيـمـان والأدبِ
فعشتِ عـازفـةً عن كـل مُغـريـةٍ ... تعنين بـالخيـر والإحسـان والقُـربِ
إلى النعيم، إلى الفـردوس فـانتقلي ... يـا أخت خيراخ؛ يـا بنت خيـر أبِ.

بيروت: جمادى الأولى ١٣٩١هـ
يوليو ١٩٧١م

٢٠٤ ـ إلى أبي الحسن الطَّاهر

[وكتب ـ وهو في الطائرة بين بيروت ولندن في ٢/٥/١٩٧٢م، إلى الأستاذ المجاهد محمد علي الطاهر]:

«أبو حسن» بذَّ الأنام بعزمه ... وإخلاصه للحق في السر والعلَنْ
تسامى عن الأطماع حرًّا مجاهدًا ... يصول، ولا يخشى الكوارث والمحنْ
وإن قال لم يترك مجالاً لقائلٍ ... وأصغت له الدنيا ودار بها الزمنْ
وبالزهد في الدنيا استقلَّ برأيه ... فأصبح وهو البيت والأهل والوطن
وأعطى «فلسطين» الشهيدة عمره ... بلا منةٍ قد تزدهيه، ولا ثمنْ!
وللعرب من سفح «الرباط» مغرِّبًا
وحتى الشواطي في «عُمان» ومن «عدنْ»
وفي «تونس»، أو في «الجزائر» أوربا «الكِنـ
ـانةِ» أو أرض «العراق» أو «اليمنْ»
يؤرِّقه الظلم الذي يبتليهمُ ... به طغمةُ الأطماع والظلم والفتنْ
أشاد لهم ذكرًا، ونافح عنهمُ، ... ومعظمهم جهلاً يغطّون في الوسَنْ

* * *

«أبا حسن» فاقبل تحية مخلص؛ ... لك الود طبعًا في حشاشتِه سكَنْ
ولا غرو «فالزيديّ» رأيًا ومذهبًا ... مودته مضمونةٌ «لأبي الحسنْ»؟[1]

(١) كنية الأستاذ الطاهر «أبو الحسن»؛ وهي كنية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه.. و«الزيدي» نسبة إلى مذهب «الإمام الشهيدْ زيد بن علي» رضي الله عنه.

٢٠٥ ــ رسالة منظومة[١]

[إلى الأستاذ أحمد محمد نعمان]:

من رسولي إليكَ يا «نعمانُ»
يا رفيقًا شعارهُ الإحسان!
كنت لي مرشدًا حصيفًا
فهل عندكَ يُرجى للتَّائِهين الأمانُ؟
لم أجدْ مهربًا من الغدر إلَّا
أنتَ.. يا مَن هو الصَّفا والحنانُ!
فرَّقَتْنا الأوهام دهرًا وها قَدْ
جمعتْنا الأهدافُ والأشجان.

* * *

لستُ أنسى ونحن من ثلث قرنٍ
في المآسي وفي العلا أقرانُ
و «الزُّبيري» يسمو ويسرح
في آفاقه! وهو شاعرٌ فنَّان
وأنا في محاولات بياني
أقْتَفِيهِ.. وأين منّي البيانُ؟

(١) الترتيب التاريخي لهذه القصيدة يقتضي أن تكون بعد نشيد السلام، وجلَّ من لا يسهو.

وأخونا «زيد» يصول كلَيْثٍ
والزعيم «المقلَّدُ» «النعمانُ»
تلك أسماؤنا شعارات مجدٍ
تتباهى بذكرها الأوطان
وإذا بـي من بعد في صَفِّ قومٍ
مسَّني منهمُ الأذى والهوانُ
أسرفوا في المنى يزيّنها «الفِعلى»
أو «الْمَفْعلى»، أو «الفَعَلانُ»!
والبهاليلُ في «المساجدِ» غرثىٰ
و «فلانٌ» من ضِمنهِم، و «فلان»!
وإذا أنت بعدُ ضِمنَ أناسٍ
يتولاَّهُمُ حَقودٌ جبانُ
فتناجَتْ أرواحنا فتداعتْ
لقواها الأسوار والقضبانُ!
ضمن «سلك» «الأثير» قد جمعتنا
كلمات يسمو بها الإنسانُ
قصةُ «البيتِ» و «النجاةُ» و «سِجْنٌ»
و «قيودٌ» وما أتى «رمضانُ»!
قلتَ لي: صرتُ في بلادي غريبًا
أسرتاي.. «الألمانُ» و «الطليانُ»؟
لم تَعد لي ولا «لمثلي» «صنعاءُ»
كاد أن «يَستخف» بـي «ذبحانُ»
لا الرفاق الرفاق ممن ألفناهم
قديمًا.. ولا الزمان الزمان

فاجأتنا «الأحداثُ» ممن ظَننَّا
أنَّهم مثل قولهم «إخوان»
قلتُ: كيف الخلاص؟ قلتَ بصبرٍ
وجهادٍ يحثُّه الإيمانُ
إن يومًا في الغيب!
يجتمع الأحرار فيه
على حقوقٍ تُصانُ
سوف يأتي
والظلمُ دونَ نصيرٍ
ويطيحُ العدوانُ، والبهتانُ
فإذا بـي وحدي
مع الخوف والإشفاق
والكونُ ثائرٌ غضبانُ
وعتادي مشاعري
وسلاحي كلماتي
وعدتي القرآنُ
وجنودي المشردونَ الحيارى
ورفاقي الآلامُ والأحزانُ
هكذا.. والطريق يبدو طويلاً
تتعاوى في دَربه الذِئبانُ
ليس يدري ما في فؤادي سوى الله
وصحب لعهدهم ما خانوا
منهمُ من قضَى شهيدًا، ومنهم
قلَّةٌ في انتظار أمرٍ يُحَانُ!

وإذا بالأخ «الزبيري» يقضي
«مُسْتقِلاً» شعارهُ «الفُرقانُ»
لم يكن وحده يُرادُ ولكن
مَعَهُ «الإريانيّ» و «النُّعمانُ»!
رُعبُ قتلِ «الصديقِ»
قد «أذهل» «الجاني»!
فولَّى
وهو الذليلُ، الجبانُ!
وإذا «بالنعمان» في «السجن» قهرًا
والأسارى الإخوان والأقران
وإذا «بالويلات» تكتسح الأحياء
والأفق كله نيرانُ
و «اليمانون» في المفاوز صرعى
تتهادى أشلاءها العقبانُ
وإذا «إسرائيل» تعلنُ «حربًا»
وعلى «العُربِ» يزحف العدوانُ
وإذا في «الخرطوم»
يجتمعُ «القوم»
وكلٌّ يزوغُ منه اللسانُ
لا يُبالون
«الروح».. يبقى مريضًا
إن تعافى
لزورِهِمْ «جثمانُ»
ما «فلسطين» عندهُمْ غير «بحثٍ»

و «نقاش» يدارُ، أو «مهرجان»!
تتبارى فيه «الخطابات»
و «الأموالُ»
و «الثَّائرون» و «التّيجان»!
«محنة» العُرب أن من ثار فيهم
و «تولَّى».. أضحى هو «السُّلطانُ»!
وإذا بي.. وأنتَ في أرض «لبنان»
ولا «رِقْبةٌ» ولا سجّانُ!
نبحثُ «الأمر» مخلصين
لأنا قد فهمنا
وسادنا العرفانُ
لا نُبالي «الأسماء» مهما تفانى
في رضاها «الأشباهُ» و «الفتيانُ»
نرفض الجاهَ و «المناصب» والمالَ
ولا يستذلّنا «الصولجان»!
نحن لله والعباد.. عبيدٌ
همُّنا العدل، والهدى والأمانُ
لا نُبالي «عمرٌو» يسود ولا «زيدٌ»
ولا «عدْنانُ» ولا «قحطانُ»
هَمّنا أن يكون للشَّعب رأيٌ
واختيارٌ، وحكمه القرآن!
لا اغتصابٌ للحكم بل بانتخابٍ
يتولى «تَقْنِينَهُ» «برلمانُ»

وسنبقى للعدل و «العلم» ندعو
نهجُنا «الاستقلال» و «الاتزانُ»

سمرست، بريطانيا: ٨ رجب ١٣٨٨هـ
٩ أكتوبر ١٩٦٨م

٢٠٦ ــ هـنـا آدم

تعالَيْ هُنَا
عندي لكِ اليومْ قِصَّة
حكَاها «لحوَّا» «آدم»
في رُبا الخلدِ!
حكايةُ «إثم» بثَّ طيْرٌ لإلفِهِ
وأفضى بمكنونِ الصبابةِ والوجدِ
دعيني . . فإني «آدم»
مثل «والدي»!
وسري «لحوّا» سرّ «جنسي» من بعدي

لندن: أول صفر ١٣٩٢هـ
١٦ مارس ١٩٧٢م

٢٠٧ ــ القـبُـلات

القبلات في فمي
«خمرٌ»، وفي دمي سعيرْ
أذواقها.. أشكالها
سلْني.. فإنني.. خَبيرْ
عرفتُها منذُ الصِّبا
والقلبُ كالطفل الغريرْ
ولم أزل أقطف من
لذاتها كلَّ نضير
هذي تذوب شهوةً
وتلك تسري.. كالنَّميرْ!
وقبلةٌ تعصف بـي
وقبلةٌ مثل «العبير»، وقبلة نعمى، وأخرى..
هي شرٌّ مستطيرْ
تحرق أعصاب الهوى
وتُشعل «الجنس».. الحقيرْ

* * *

أيام عمري يبسَتْ
وجف زهرها العطيرْ

بالقبلاتِ
فإلى مَنْ
مِنْ لظاها؟
أستجيرْ!

لندن: ١٧ صفر ١٣٩٢هـ
١ أبريل ١٩٧٢م

٢٠٨ ــ غـزل الأعـمـىٰ

هل أراها . . ؟
نعم
ولكنْ بعينٍ
لا ترى في الوجودِ
شيئًا . . سواها!
هي ملء الوجود
لا حسن إلاَّ حسنها
لا عطور
إلاَّ . . شذاها
هي كل الحياةِ
لا ضوء . . لا بهجة
إلاَّ . . ابتسامُها . . وسناها!
أنا . . في أسر حبها وهواها
أنا . . «أعمى» بها
لهذا «أراها»!

بيروت: ٥ رجب ١٣٩٢هـ
١٤ أغسطس ١٩٧٢م

٢٠٩ ــ مـات عـهـد الهـوى

اذهبـي
وآحْطمي الهوى وقيودَه!
واسحقيهِ
قديمَهُ.. وجديدهْ! قصر أحلامه
خُذِي.. مِعولَ البغضِ
بلاَ رحمةٍ.. وهدّي مشيدَه
ورياضَ الغرامِ صبّـي عليها
وعلى زهرها.. السمومَ المبيدَهْ
والينابيع غوِّريها
وعيثي بالدَّوالي
وبالثمار النضيدَه..!
«مات عهد الهوى»
وكفَّنتُ باليأس
وحنَّطت شوقَهُ ونشيده!

* * *

فاذهبـي.. رَغْمِ الأنفِ
مرعُوبة الأحلام
تجري خلفَ الأماني الطريدَهْ

واقطفي شوك الكُرهِ
في غابةِ النسيانِ
مسلولةَ الزَّمان
وحيدَهْ
قد طعنتِ الوفا غرورًا وطيشًا!
وبلا حشمةٍ
ودُست ورودَه!
فاخرجي
من حياة قلبـي
لقد مزقتِ آمالَهُ
وخنتِ عهودَه!
واذهبـي
لا يرعاك في رحلةِ الهجران
إلَّا . . الندامةُ . . الموعودَهْ

بيروت: ٢٢ رجب ١٣٩٢هـ
٣١ أغسطس ١٩٧٢م

٢١٠ ـ نشيد حياتي

كم قد روى القُصّاصْ؛
وكتَبَ المؤرِّخون..
عن «قِصّةِ» «الوحدة» في «اليمَن».
لكنّ سطرًا واحدًا...
عن «قِصّة» «الوحدةِ»
لم تَكتُبِ الأَقلامُ عنهُ حرفًا:
حكايةٌ حزينةٌ؛ لقائدٍ شجاع..
أرسلَهُ «الإمامُ».
في زُمرَةٍ من الجنودْ؛
إلى مدينةِ «الضَّالعِ» في «الجنوبْ»،
وزحفَ «القائدُ» و «الجنودْ»،
و «اسْتَوطنوا» «الضَّالعْ».
والقُرى المجاورهْ،..
وظلَّ فيها «عاملاً»[1]..
رِدحًا منَ الزمنْ.
يحاولونَ «الزحفَ» و «السُّرى»
إلى جبالِ «يافعٍ»،

(١) العامل يعني «المحافظ» في العرف الحالي.

وما وراءَها . . . من السُّهولِ والجبالْ .
من أجلِ «وحدةِ اليمنْ»!!
كم ناشدَ «المواطنينَ» أنْ . .
لا يَسْتَكِينوا لِكلامِ «الإنكليزْ» . .
وأن يحاربوا آلْفُرْقَةَ . . . إيمانا . . .
بوحدةِ «الوطنْ» . .

* * *

قد كانَ «والدي»[1]
وفي «رُبا» «الضالعِ» قدْ . .
ولدتُ . . . واسْتنشَقْتُ أنفاسَ الحياةْ . .
وبعدَ سَنَواتْ . . .
وبعد أن دارَ «كلامْ» . .
بين «السّياسيّينَ في . .
«صنعاء» وفي «عدنْ»؛
و «عامِلُ الضالعِ» لا . .
يعرفُ ما يجري ولَا . .
يَفْهَمُ ما يدورْ!! .
إذا بحرْبِ «الطَّائِراتْ» .
تُشَنّ . . . وإذا . . .
بالنّاسِ في رَعْبٍ رَهيبْ،
يَعُمُّ أَصْقَاعَ «اليمنْ» . . .
يواجهونَ الحربَ . . «حربَ الطّائرات» .

---

(١) السيد محمد بن محمد الشامي .

وضُربتْ «ذَمارُ» و «تَعِزُّ»،
و «إبُّ» و «يريمْ»،
ومركز «الضَّالعِ». . بالْقَنابلِ الكبارِ؛
وهيّجَ «المستعمرونْ»،
عناصرَ «الفرقةِ» والفسادِ. .
وحرّكوا. . مشاعرَ «التَّمْيِيْزِ»،
ونَبَشوا دَوافنَ «التفريقِ»،
وتلك «مَنْشوراتهمْ» معروفةٌ لدى الجميعْ. .
بطائراتِ حربهمْ، كانوا يوزِّعونْ؛
وكانَ فيها من «سمومِ الفتكِ،
ما يَقْتلُ الأَرواحَ والعقولْ.
ومَعَها قنابلُ الدمارِ. . .
بطائِراتِ حربهمْ. . . كانَوا يُصَوِّبونْ،
على البيوتِ وعلى الأَكواخِ. .
فتهدمُ «العمارا» وتسحق «الديارا». .
وتُهلكُ «النُّفوسْ»، وتحطم «الأَجسادْ»،

* * *

تلكَ «المناشير» الَّتي تقولُ:
الشافعيُّ» في «الجنوبْ»،
عليهِ أن يحذَرَ ويخافْ. .
من ذلكَ «الزيـديِّ» في «الشمالْ»

* * *

وقد نسوا أنَّ «اليمنْ»،

بكلِّ ما فيها . . . من السُّهولِ ، والجبالْ ،
بكلِّ ما فيها . . . من الوديان ، والنجودْ ،
«جغْرافيا» موَّحدَهْ ،
«سُكّانها» موحَّدونْ ،
بِخُلقِ «الجُغْرافيا» مُنْطَبعونْ ،
و «بطبيعةِ» «الثَّرى» مُرْتَبِطُونْ ،
مِنْ قبل أن تَهْبِطَ «أديانُ» «السَّما» ،
وقبل «تَشْريعاتِ» أَفذاذِ «البَشَرْ!

* * *

ولم يَكنْ «قحطانُ» «زيديًّا» ،
ولاَ قد كانَ «شافعي» ،
ولم يكُنْ «عدنان» «شيعيًّا» ،
ولا قد كانَ «ناصبـي» . . !
ولم يكنْ «تُبَّع» أَيُّ «تبّعٍ» . .
يدين «بالمذهبِ» أَيّ «مذهبٍ» . . .
إلاَّ . . .
بأَنَّهُ . . يعيشُ . . في «اليمنْ» . !
«شمالُها» ، «جنوبُها» ، و «شَرقُها» و «غربها»
«جُغْرافيا» . . . «موحَّدَهْ» . !
ليسَ «لِمَذهبٍ» «أَصيلْ» ،
ولا «لِتَقْنِينٍ» «دخيلْ» . .
ولا «لتشريعٍ» «قديم» ،
ولا «لمَبْدأ» «جديدْ» ،
قدرةُ «خالقٍ» . . .

تغيّرُ «السهولَ» و «الجبالا» . .
و «القفرَ» و «الغاباتِ» . .
و «تَمْسَخُ» النجودَ» و «الوديانَ» في . .
«طبائعِ» «البشرْ»
«القاطنين» في ربوعها . . ! !
لكنَّها . . . لكنَّها . . .
«الحيلةُ» . . القديمهْ . . .
و «قبلُ» أنْ «تُصبحَ» آمالُ «البشَرُ» ،
و «قبلُ» أن «تَغْدُو» «مَصائِرُ» «الأُمَم» ،
و «قبلُ» أن «تُمسِي» . . «الشّعوبْ» . .
في . . «قَرْنِنا العِشْرينْ» .
في . . «قَبْضَةِ» «الجمهور»
وتحتَ «رحمةِ» «العَمَلْ» . . !
لكنَّها . . . لكنَّها . . .
«الحيلةُ» . . القديمهْ . . .
«فرِّق تسُدْ» .
أرادها «المستعمرون» ،
كما أَرادها من قبلُ . . أَوْ . .
من بعدُ كلّ حاكمٍ . .
أَو ملكٍ غشومْ ،
أَرادها «المستعمرونْ» . . .
ومزّقوا بها «اليمن» . . !

* * *

وشُنَّتِ الغارات . .

وهاجر «الطِّفلان» والأُمُّ الرَّؤومْ،
إلى رُبا «صنعاء»،
ثم إلى «خولانِ»،
وتركوا وراءَهم...
«العاملَ» الشُّجاعْ،
وزمْرة الجنود..
ينتظرون سرعةَ الإمدادِ..
«محاصَرين» ثابِتينْ؛
لكنَّهم قد أُهْمِلوا..
كأنَّهم من زمرةِ الأعداءِ.
أو أنَّهم قد أَصبحوا... ضِمنَ «رعايا» «الأنقليز».
وانسحبَ «العامل» و «الجنود».
وتركوا «الضالِع» للأَعداءِ.
وفي جفونِهِ؛ دموعُ «اضطرارْ»؛
وفي قلوبِهم؛ همومُ «استنكارْ»؛
وناشدوا «الأمير» عودةً!
بالمال، والسلاح، والرجالِ.
لأنهم جميعهم..
يقدِّسون «وحدةَ» «الوطنْ».
لكن... لأمرٍ مبهمٍ.
قد ضيَّعَ «التَّنافسُ»؛
مصلحة الشَّعبِ، «ووحدةَ اليمنْ»!

* * *

وحصدَ «الوباء» بعضَ «إخوتي»؛

ونفدَ «الصبر» بقلْب «العامِلِ».
وترك «الأميرَ» ومضى...
على جوادِهِ الأشهبِ...
يقطعُ... السُّهولَ والنجودْ..
كانَ جلال «الأربعين».
يحوطُ ذلك الجبينْ!
والشَّعَرات البيضُ!
قَدْ وَخَطَتْ بنورها...
عوارضَ الوَجْهِ الكريم..
وكانَ «موقف» رهيب..
حكتْ لنا «الأمُّ» الحنون..
كما حكاهُ «الحاضرون»..
وانكسرَتْ حوافز الأحلامِ..
وانحطَمَ الولاءُ «للإمامِ».
وحاولَ الكلامَ...
لكنَّ معشرًا من الكرامْ.
قد نصحوهُ أن يَؤمَّ... «المسجدَ الحرامْ»..
يَقْصُدَ «بيتَ اللَّهِ» للحجِّ.. ويَنْبذَ الخصامْ...

* * *

ويا لها من ليلةٍ ليلاء...
و «عاملُ» «الضالعِ» في..
آلامِهِ.. قد ابتهَلْ..
«القائد» المهزوم..
يَنْثُرُ «الدموعَ والْقُبَلْ»،

مودِّعًا «طِفْليهِ» . . .
و «الزّوجة» . . . والأَمَلْ . !
و «الأُمُّ» في شجاعةٍ . . .
تحنو اليَدَ اليسرى على «الجنينِ»،
في جوفِها الأمين . .
ويدُها اليمنى،
«بخرقَةٍ» صغيرَهْ . .
يدعونَها «المَصَرْ» . .
«تُكَفْكِفُ» الدموعَ . . .
دُموعَ ذَاكَ . . «الوالدِ البَطَلْ» .

* * *

وفي رحاب «مكة» المكرَّمَهْ!
في قصَّةٍ سجَّلَها القَلَمْ!
بشعريَ «المنغومْ» . .
حينَ «حَجَجْتُ» باحثًا . .
عَنْ «قبريَ» «المجهولِ»[1] . .
فارقَ دُنيا النّاس ذلك الشجاعْ!
وجاور «البيت الحرامْ» . .

* * *

وخيَّم اليتم . .
على «الثلاثة» الصغار!
و «الأم» والبيت الجديبْ .

(١) راجع المجلد الأول (ص ٤٣٦) قصيدة «قبر الحاج محمد» .

وظلّتِ «الأطيافُ» في شتَّى الصورْ،
وفي «الحزاوي» وأحاديث «السَّمْر»،
عن «والدي» و «الحرب» و «الضالع» و «عدن»،
تحيا معي في كل حين،
تعيش في بيتي، تقول لي:
إني.. «أنا».. «إبن الجنوب»،
ولدت في «الضالع».. لي بيت بها..
ولي «نسيب»...
«أبـي» بسمِّ القهر قد ماتَ.
لأنه قد غادر «الضَّالع»!

* * *

هذه هي «الوحدة» في «طبيعتي».
في غفوتي، ويقظتي.
وسلوتي، ووحشتي،
وهجرتي، وعودتي.
وذلَّتي، وعزَّتي،
أعبدها... لأنها.. سر بقاء أمتي.!
ولم أكن أنا الوحيد...
فوحدة «اليمن»،
معبودة «الأحرار» في «الشَّمال» و «الجنوب»

لندن: ٢٠ شعبان ١٣٩٢هـ
٢٨ سبتمبر ١٩٧٢م

٢١١ ــ الثـورة والتـصـحـيـح والسَّـلام

ذلكَ الحاكمُ بالأمسِ مضى
غير مأسوفٍ عليهِ . .
قد تجنَّى ؛ وبلا عدلٍ قضى ،
وأتى ما يشتهيهِ ،
لم يكن يحسبُ للحقِّ حسابا .
هكذا . . قلنا ! .
أرهق الشعبَ اضطهادًا وخرابا ،
ولذا . . ثرنا
وتصرَّعنا : صغارًا ، وكبارًا ،
وشيوخًا ، وشبابا ،
في سبيلِ العدلِ
نرجوهُ . .
ولو كان اضطرابا ! ! . .
والمساواةِ ،
ولو كانَتْ
شقاءً وعذابا ! ! .
كم طعِمنا العيش مرًّا ،
كم تذوَّقْنَاهُ صابا ! .

* * *

وإذا بالثورة الكبرى الَّتي
قد قتلناها:
سؤالاً، وجوابا،
وجهادًا، وطلابا،
وضلالاً، وصوابا،
وصلاةً، وانتظارا،
ودعاءً، وانتحابا،
وقيودًا، ودموعًا،
وسياطًا، وصعابا..
طلَعَتْ في فجر يومٍ
كم تَرَقَّبْنَا شروقَهْ..
تملأ الدنيا بصوتٍ
يهبُ الشعبَ حقوقَهْ!.
ثُمَّ.. ماذا؟.
لحظةُ الفرحةِ كانت
لحظةً جدّ قصيرَهْ.
ما ازدهت حتى استكانَتْ
لشرورٍ مستطيرَهْ.
للأفاعي تتلوَّى،
تنفثُ السمَّ المبيدْ،
باسم «قحطان» و «عدنان»،
و «فرعون» العتيدْ!.
باسم من ثاروا قديمًا..
ثم ثاروا من جديد..

وإذا بالنَّاسِ ظلمًا يُقتلونْ،
و «الزُّبيري» يتوارى
خجلاً مما يكون!.
وإذا الأحرارُ خوفًا يهربون؛
وبأصحاب المبادي يُصرعونْ،
والأُلى كانوا دعاةً يُسجَنون،
دونما ذنب يُشاعْ،
دونما جرمٍ يُذاعْ،
دونما حُكمٍ يُطَاعُ.
وإذا بالثَّائرين،
دونما أَي اتِّهام،
علنًا يُضطهدونْ!.
ويَقُولونَ، بحزنٍ:
هكذا.. كان «الإمامْ»..
بل، ومما كان أنكى
أنه قد كان بعض الوقت يخجَلْ،
بل، ومما كانَ أدهى
فبإسم الشَّعبِ..
سِيقَ الشعبُ.. يُقتَلْ!
قد أتى الجهّالُ والقوم اللِّئام
في سويعاتٍ قليلَهْ،
ما أَتى من قبلهمْ أَلفُ «إمامْ»
في الأساطير الطويلهْ!!!.
وإذا بالشَّعبِ،

في حزنٍ عميقْ،
يتمَطَّى . . بعد ما كاد يفيقْ.
وإذا مَن كان حرًا ثائرًا
يُعلنُ العصيانَ؛
في سخطٍ وضيقْ!
ثائرًا ثارَ على ثورتِه،
ألَّبَ النَّومَ على يقظتِهِ،
حرَّضَ الذُّلَّ على عزَّتِهِ،
أَسبَلَ اللَّيلَ على صحوته،
ثار ــ رغمَ الأَنفِ ــ
لما أَن رأَى . . .
خطر «الغزو» على ثورتِهِ!
فضَّل «الجهلَ» عزيزًا،
والشَّقا،
مُستقلَّ الرأي في شقوتِهِ . .
وتعالتْ صرخاتْ،
وتوالتْ وثَبَات،
واستشاطَ الشَّعب غيظًا عندما
هجم البغيُ على عزَّتِهِ،
وتولَّى أَمرَهْ قومٌ يرى
فيهمُ الشرَّ على ملَّتِهِ.
صفَّدوا الأحرار من أبنائِهِ
ونفوهم . . دونما رغْبتِهِ.
فاستعاذ الشعب بالحقِّ، وقاومْ.

الذي ثارَ . . ومن والى وسالَمْ،
والذي رابطَ،
والشَّاردُ في الآفاقِ هَائمْ
جمعتهمْ . .
غضبةُ «الثورة» في وجهِ المظالِمْ .
وتعالى الصوتُ
صوتُ الشعبِ
يدعو . . للسَّلامْ
وبأن الأمرَ «شورى»
و «المساواة» نظامْ . .
أَنكر «الحربَ» ومن يدعو لها،
ورأى «العزَّةَ» في «وحدتهِ» .
أَرجعَ «الحُكْمَ» إلى «أَحرارِه»،
الأُلى عاشوا ضنى محنتِهِ،
ونفى كلَّ «دخيلٍ» مفسدٍ،
كاد أن يَقْضي على «ثورتهِ» .

لندن: ١٣ شوّال ١٣٩٢هـ
١٩ نوفمبر ١٩٧٢م

٢١٢ ــ العــوْدَة

وطَفِقَ المهاجرونْ!
مَنْ فَقَدَ اسمه؛ وتاهَ حائرا،
ومن تباهى باسمه؛ وتاهَ ثائرا،
في فلوات التِّيهِ يبحثونَ عن وطنْ،
يفتشون في البراري والبحارِ عن سكَنْ،
تفرَّقت بهم مذاهبُ الشرورِ والفتنْ،
ومزَّقتهم رغبات الطامعين في «اليمن»،
ووقفَ الشاعرُ مرةً يقولَ في حزَنْ:
هل نحن حقًا نَنْتَمي إلى بلادنا «اليمنْ»؟
وَقَف «الشاعر» وقفةَ اعتبارْ،
يسأَلُ ماذا!؟ ولماذا نحن تائهون؟
هل بشقاء الأوَّلين؟
هل بذنوب البائدينْ؟
يومًا من الأيَّامِ قد كانتْ
بلادنا «سعيدهْ»..
طيِّبة كانَتْ
ورَبُّها غفورْ..
كما حكى «القرآن»!

ثم طغى «العُصَاهْ»،
واسْتَكْلَبَ الطغاهْ.
فاندثرتْ تلكَ الدِّيارْ،
ومُزِّقوا «أَيدي سبَا»..
لكنَّها كانَتْ ذنوبَ الأولين.
ما ذَنْبُنَا نحنُ تُرَى؟
إلى متَى؟.. إلى متَى نظَلُّ تائهين؟
إلى متَى؟. إلى متَى؟. نظَلُّ في الوضْعِ المشينْ؟.
مُسْتَضْعفينَ، خائِفينَ، حائرينْ!
آباؤُنا كانوا قديمًا سادةً..
فكيفَ أَصْبحوا عَبيد؟.
آباؤُنا سادوا وشادوا،
وبنوا.. «غمدان».. فكيفَ عادوا
بين أَغوارِ الكهوفِ، نائمينْ؟
إلى متى.. إلى متى؟.
وقالها «مهاجرٌ» رفيقْ[1]
«صنعاء»، قلبُها عصيّ!.
وقال لي: هل من مزيدْ؟
فارتعشَتْ نوازعُ الحنينْ،
وتِهْتُ «سَنواتْ»
بحثًا، وتفكيرًا، وشوقًا، وضنى!
في كلِّ موجزٍ مفيدْ، عن العذاب، والعنا؛

(١) الأستاذ محمد بن أحمد محمد نعمان.

وليس عن «صنعاء» فقط،
بل عن فنونِ وشؤونْ
«اليمنِ الكُبرى»..
من القديمِ والجديد، و «الدخيل» و «الأصيل»؛
تِهتُ وحيدًا في مفاوزِ التاريخ؛
أَبحثُ عن نفسي.. وعن سعادة اليمن[1]
وقصص المهاجرين[2]،
وقصص الطُّغاة والحكَّام في كلِّ زمانْ..
وصلح «دعَّانِ»،
وقصَّة «الوحدة» والذين
«اختَصَروا القُرآنْ»،
وثورة «الدستورِ»،
والشهداءِ الخالدين..
وعُدتُ أدراجي..
أهذي بأنغامي!
وكلَّما رأيتُهُ،
أو لامَسَتْهُ خلجاتُ الشعرِ
أَو شَافَهَتْهُ نبضَاتُ الحسِّ،
أو جسَّهُ الخيالْ،
غنَّيتُه، رويتُه، كتبتُه؛
وكانتِ القصَّةُ،

---

(١) تجد بعض ذلك في «أسطورة اليمن السعيدة» و «الدامغة».

(٢) في قصيدة «من اليمن».

قصةُ المهاجرينْ . .
تَرْوِي «الدُّموع»،
دموعَ هاربين،
أو ثائرينَ . . أو مغامرينْ!.
وكلُّها تقول ما يقولُهُ «المهاجرون»:
«صنعاء قلبها عصيّ».
وهم يردِّدونْ:
نحنُ إلى «السلامِ» ندعو الجميع،
شعارُنا «المساواهْ»،
والكلّ أبناءُ «اليمن».
ويصرخُ الصوت الَّذي ظلَّ يهيمْ،
يرتِّل الأنين والحنينْ.
يقولُ في صوتٍ حزينْ،
يَقطُرُ منهُ أملُ «الحياهْ»:
«صنعاء يا لحن الزمان البكر في سمع العدمْ،
«صنعاء يا أَوَّل حرفٍ خُطَّ في لوحِ القِدَمْ
«أنا الَّذي قد بارَكَ الآلام فيكِ واصطَبَرْ،
«لولا علاكِ لاندَحَرْ، لولا هواكِ لانتحَرْ،
«لولا خيالات الوصالِ، ما تغنَّى، أو شعرْ».
ورقَّ ذلك القلب العصيّ
للألحان والدُّموع . .
وقَبِلَ «القُرْبَانَ»
مُكَلَّلاً بالشِّعرِ والأنغامِ.
وكانتِ «الثُّلوجُ» قد تراكمتْ،

وكانت «النيرانُ» قد تَلاَحَمَتْ،
وكانتِ «البروقُ» و «الرعودُ» قد تزاحمتْ،
وكانتِ الظنونَ والأوهامُ قد تضرَّجتْ
بالشِّعرِ، باكيًا، وراثيا،
والسِّحرِ، واشيًا، ولاغيا،
لكنَّ قلبَ «الخاشع» «العائد» لمْ
يفزعْ لهولِ ما رآه!.
لأنَّه قد «عاد» «تائبًا» إلى
«القلب العصيِّ» مما قد جناهْ!.
حتى «الثلوجْ»..
أَحْرقَها بزفراتِ أَضْلعِهْ!
و «النار» قد برَّدها بأدمعِهْ!
حتى «البروق» قدْ
قال لها: لا تلمعي.
و «للرُّعود»: أنصتي، لا تهلَعي.
حتَّى «الظنون» اسْتَسْلمتْ،
و «الوهم» قد صلبَهُ فلا يَعي،
و «الشعر» قد رقَّصه بشعرِهِ،
و «السِّحر» قد سحرَهُ بسحرِهِ.

* * *

وإنَّما روَّعَهُ، وأفزعَهْ،
وكان قد أمضَّهُ وأفجعَهْ،
كما أقضّ مضجعَهْ،
أنَّ الذي قد خانَه وأَوجعَهْ،

من كان بالأمسِ معَهْ!..
رفيقُهُ في الجهلِ والصوابْ،
والصدق، والكذابْ،
وفي الثواب، والعقابْ،
قد كان أشرسَ الذئابْ،
وكان أغدرَ الصِّحابْ!.

* * *

فجرجر الذيل.. وعاد ساهما
يكفكفُ الدموعْ،
ويدفن الآلامَ
في.. القلب الذي بين الضلوع،
ويشعلُ الأحزان
للتَّاريخ.. كالشموعْ،
ويرتجي اليوم الذي،
يهواه في تلك «الربوع».

لندن: ١٥ شوال ١٣٩٢هـ
٢١ نوفمبر ١٩٧٢م

من بشر السهمري

تمثيلية غنائية

يقوم بالأدوار الصوتية:

١ ــ القيل «ذو رعين» الحميري.

٢ ــ المجهول.

٣ ــ البلبل.

٤ ــ الهدهد.

٥ ــ نعاس، ابنة «ذي رعين».

٦ ــ الخيال.

٧ ــ صنعاء.

إيقاعات الألحان بالعود المنفرد كالتالي:

١ ــ القوس: وامغرد بوادي الدَّور: «الحارثي».

٢ ــ لي في رُبا حاجر: «الحارثي».

٣ ــ يا مغير القمر: «الأخفش».

٤ ــ مدارب السيل: «طارش».

٥ ــ يا جانيات العناقيد: «السنيدار».

وهناك فواصل موسيقية: «برع» و «مزمار» و «فرتاش».

٢١٣ ــ مَن يشتري السَّهر؟

المشهد الأوَّل

[«مَفْرَج» صنعاني فيه بركة صغيرة ذات «نافورة» (شاذروان)، والأضواء خافتة، ونسمع إيقاعات عود يترنَّم باللَّحن القديم «القوس» في صوت: «وامغرِّد بوادي الدُّور».. وتنساب الإيقاعات رويدًا رويدًا.. وهناك كُرسي قديم، يقعد عليه شخصٌ شاحب اللَّون لا تكاد ملامح وجهه تبينُ ــ هو «القيل الحميري ذو رُعينْ» ــ وهو ينشد]:

ألا مَن يشتري سهرًا بنومٍ؟
سعيدٌ من يبيتُ قريرَ عَين!
إذا ما حِميرٌ غدرتْ وخانتْ
فمغفرةُ الإلَهِ لذي «رُعينِ»

وما إن يصمت حتى تتعالى إيقاعات العود، فيعاود «ذو رعين» النشيد قائلاً:

ذو رعين : مَن يشتري السَّهر؟
يا طالبي الحياه.!
هُناك.. في الوادي
حيث شواردُ المنى
تأوي مع الأحلام؛
يقفُ شاعرُ الهوى
«يفرش» دكان السَّهر!

يبيعُهُ للنّائمين
لمَن يهيمُ حسُّه
لمن يطيرُ وهمهُ
خلف فراشات السَّهر

ويتوقف «ذو رعين» وإذا بصوت «المجهول» ينبعث من إحدى الزوايا:

المجهول: لا تعذلوه يا رفاق.. فالشاعر العتيد
قد سَئم النوم.. ولاذ بالسَّهر
يطلبهُ.. ويجتديه.!
النومُ.. والغفرانُ
ملَّهما.. قلاهُما..؛
أفضلُ منهما.. مع الحياة والقلقْ
والطّيش.. والنزقْ
السُّهد.. والحرمان.!
الشّاعر العتيدُ.. «ذو رعين»
قد سئم الكلام.. ولاذ بالصمت الرهيب
في كهفه.. يتيهْ
ويمقتُ النوم.. ويلعنُ الكلام
ماذا تفيدُ الكلمات؟
قد أصبحت مقتولهْ.. مصلُوبةً مسحولهْ!
أو «مُوميات» في «قواميس» الهراء
موثقةً.. مسجونه
تلك «قواميس» الهراء.. هي الفناء..؛
سجونها.. ملعونهْ قبورها معفونَهْ

عشاقها المستضعفون . !
همُ الذين انطلقوا . . بشغف الشباب
وراء «صوت» الروح ، والثَّورةِ والفداء
وفي خيوط نسجها . . «العنكبوتي» المخيفْ
تساقطت أرواحهم . . تناثرت أحلامُهم
تواثبت آمالهم . . تطايرت أوهامُهم
تساقطت كأنها . . فتات أوراق «الخريف»
تواثبتْ مجنونَهْ
مثل فراشات «الربيع»
تناثرت موهونَهْ
كهمسات «لشتاءٍ» جائعٍ
جثت على مدينة الآلام ؛
ولا وقود . . لا . . ولا طعامْ ،
ولا علاج . . لا . . ولا مدام ، !
تطايرت . . مثل العصافير وقد مات الشتاء !
وقد تبرَّجتْ براعمُ الحياه
من جديد . . من جديد
أواه ما أشقى ، وما أحلى الجديد . !

ذو رعين : (معترضًا) :
هبَّ «الربيعْ» . . هبَّ «الربيعْ»
«البلبلُ» الصغير
العاشق الكبير
هبَّ «الربيعْ» . . هبَّ الربيعْ

(يظهر طائر صغير ذو ألوان شتَّى يرقصُ ويقول):

البـلبـل : أنا «ابن بلقيس» أبـي؛
كان؛ «سليمان» الحكيم
والسدّ ملكي. والقصور
«إرثي» أنا..!
و «الخاردُ» الضائع
من «إرثي» أنا
حتى.. ولو كانت
أمواهُ تبكي بلا دموع..!
لأنَّها دموع «ذي رُعين»
من ضيَّع النوم، وسامَر السَّهر
وضجَّ شاكيًا وناقدًا؛
ألا.. ألاَ
من يشتري السَّهر؟
بالنوم..؟
يا للنوم.! إنَّه مريع
وإنه مُريح!!
قد نام كل شيء.!

المـجهـول: قد نامَ حتى النوم!!
أواه.. بل.. ويلاه
حين ينامُ النومُ!
كيف تستطيع
عرائسُ الأوهام أن تهيمْ؟

وكيف تستطيع
حوادسُ الأحلام أنْ
تسقي فراشات الهوى؟
والأمل المرجوّ
والحلم التائه. . وعصافير المنى؟
والموثقين بخيوط العنكبوت

البـلـبـل : وفي قواميس الهراء. !!
يا ليتني أسطيع أن
أعتصرَ النجومْ
وكلَّ ما في الكون منْ معنًى رفيعْ
ومنظر جميل؛
خمرةَ خُلد
أسقي بها في كأس أحلام السَّهر؛
شواردَ الأوهام، وحوادسَ الأحلام؛
أوهام من هاموا وفقدوا الكرَى؛
وسامروا السَّهر!
أحلام من ناموا بلا نومٍ
وسهروا بلا سهر!
«الخارد» الضائع منْ «إرثي» أنا
ملكي أنا
أنا «ابن بلقيس»

وتضعف نبرات صوته، وتتعالى «الإيقاعات»، ثم تخفت، ويترنَّح «البلبل» كأنه قد مات، ويعلو صوت «القيل» «ذي رُعين»:

ذو رعـين : ترنَّحَ «البُلبل»
اختنقتُ أنغامُهُ
مات «ابنُ بلقيس»
ووارث السدودْ
ومالك الأنهار، والقصور

وينبعث صوتٌ من الزاوية بلهجة وقور:

المـجهـول: لا يا عدوَّ النوم . .
يا بائع السَّهر
ما مات وارث السدود
«الهُدهُد» الجميلُ
هو «ابنُ» ذلك الحكيم . . ! ومالك الأنهار والقصور
انظر إليه؛
ترتعش الحياة
في ريشه البديع
حيث تَلملمتْ
ألوانُ كل نور
من زَهَرٍ ومن نجوم
من وضحٍ ، ومن دُجى
من شفق الأصيل
ومن تباشير الصَّباح
ومن وهج الشمس، وغسق الظلام
ومن عيون الحور
ومن سوالف الملاَحْ

ومن مباسم الحسان
ومن نهود الفاتناتْ
والصَّبايا السَّابحات
من لون كل لون
في الأرض والسَّما
تجمعت في ريشه
أرواحُ كل لون
«الهُدْهُدُ» الجميل
«ابنُ» سليمان الحكيم . !

[وتتلاشى الموسيقى، ويسدل الستار]

المشهد الثاني

[المكان نفسه وإلى جانب جثة «البلبل»، يظهر «الهدهد» ومع إيقاعات «العود» باللحن الصنعاني القديم: «لي في رُبا حَاجر»، يقول «الهدهد»]:

أنا.. أنا «العليمْ»
السرُّ لا يعرفه غيري أنا!
سرُّ «سليمان الحكيم»
وسرُّ «بلقيس».. وعرشها العتيد
وسرُّ قوة «العفريت»
والرَّمز، والرامز، والمرموز لهْ.!
واللُّغز، واللاَّغز، والملغوز بهْ.!

المجهول: ومن مضى من الطُّغاهْ. صِفْهمْ لنا يا «هُدهد» الحياه

الهدهد: كانوا جميعًا لا يطيقون الشباب
وحاملي الأقلام
ويكرهون «الروح» و «الثورة» و «الفداءْ»
وتلك سنة الطغاه؛
يقدِّسون الجهل والفناءْ
ويسحقون طاقة الحياه!
أنا الذي عشت منَايا جورهم

أنا الذي جرعتُ كأس ظلمهم
يصطنعون الخير أحيانًا
لشرٍّ مُستطير
ويحسنون القول تمهيدًا
لعدوانٍ كبير. !
السيف إن ظفروا
وإن خسروا. . الدموع؛
واللؤم إن قدروا
وإن هُزموا. . الخضوع

وتتغيَّر الألوان وتتعتَّم، ونحس بخطوات شبح، وعندما تُسلَّطُ عليه الأضواء، نرى فتاة جميلة هي «نُعاس» تنشد على إيقاعات العود. .

نـعـاس : يا بائع السَّهر
هات السَّهر
أينَ السَّهر؟
أنا كَرى، أنا «نُعاس»
أنا ابنةُ الأحلام
وطفلةُ الأوهام
أنا بقايا النوم
في جفن «ذي رُعين»
في اللَّيلة الأخيره
ليلة «غدر» «حمير»
«بتُبَّع» الكبير
أنا، أنا «نعاس»

يتحرك «ذو رعين» ويقول:

ذو رعين : «نعاس» ابنتي
«نعاس» لذتي، وشقوتي
«نعاس» سهَري، وحلمي
«نعاس» أملي، وألمي
ماذا تريدين؟ وعمنْ تبحثينْ؟
أما سمعت ما يقول
«الهدهُد» الجميل
«ابنُ سليمان» الحكيم.؟
أما تخافين؟
أما تخافين؟

نعاس : أنا.. أنا.. «نعاس»
طفتُ سماء «مأرب»
أبحثُ عن «رجل»
يَقْلى «الكَرى»
أو يعشقُ السَّهر.!
يعيش كالبشرْ
في أملٍ، وفي رجا
لكنني يا أبتاه
وجدتُ كلَّ الناس في
مشانق الحيرة جامدين!
عيونُهم مسحورهْ
جفونهم مبهورهْ

قد مات فيها الضوءُ والظلام!
والنور فيها باهتٌ
قد غسلتهُ لفحةُ القدر
بسرها الناري
فلا ضياءٌ.. ! ولا ظلام
ولا «كرى»، ولا «سَهَرْ».. !
قلتُ لهم أنا «نعاس»
ابنة «ذي رُعين»
أنا هُنا أبحثُ عن «رجل»
فارتعشوا كأنهم
هياكل الأموات
ورقصوا
مثل خيالات الفناء

الهـدهـد : (معترضًا):
مهلاً نعاس!
يا ابنة «ذي رُعين»
هل انبعثت من جديد
تعترضينَ.. وتُناقشينْ؟
كم قُطِّعت «أصابعُ».. !
كم سُملت «عيون».. !
لِرافعي «أصابع» اعتراضْ
أو فاتحي عيون احتجاج

نـعـاس : (بصوت أجش):

نعم؛ أنا التي
في وجه كل حاكمٍ غشوم؛
رفعتُ «أصبع» اعتراض
وفتحتُ «عين» احتجاج!
أنا؛ «المهاجرون»
و «العائدون» من جديد..

وتتعتَّم الأضواء.. ويتغيَّر الإيقاع «بفرتاش»[1] يُمهد لإيقاعات اللحن الصنعاني: «يا مُغير القمر إن لاح جُنح الغياهبْ» تسجيل «الأخفش».. ويضجُّ صوت ليس فيه صوت:

يُفضي إلى الإحساس في قوة نار؛
صوت «الخيال» يقول صارخًا:

الخيال : أنا «الخَدَرْ» أبو العذاب
أنا.. أنا.. التيهُ أنا العقاب
«يا ابنةَ ذي رُعين» يا «نعاس»
هل تنشدين راحةً؟

نعاس : نعم.. نعم أنشدُ راحةً

الخيال : هناك «بائعُ السهر»
الشاعر الجديد
قولي له: بحق «ذي رُعين»
بشعره الرصينْ
بسرِّه الدفينْ

---

(١) الفرتاش: عامية: المدخل إلى اللحن. والمغني يضبط أوتار عوده.

بحقِّ «تبَّع» القتيل
بحق «قحطان» الشريد
بحق «عدنان» الشهيد،
قطِّر نطافَ «يقظة» الحياهْ
في جفْني الملْدوغ . . !
جفني أنا «نعاس»
يا صنوَ «ذي رُعين»
أنا المنى؛ معشوقةُ الأحرار
أنا التي يدعونها «نُعاس»؛
لأنها كانت بقايا حلمٍ
في الليلة الأخيرهْ
للحُبّ والأمانهْ
والصدق والحنان
في جفن «ذي رُعين»
الشاعر الأمين
وشردت هاربةً
من جفنه الحزين
فهبَّ مذعورًا
وسامر السَّهر
وألف السهر
حتى اجتوى
وسئمَ السَّهر
وناشد النوم، وهامْ

في قفر آلام السَّهر
ينادمُ الأشباح

نـعـاس : أين ترى ألقاه؟

الخـيـال : هناك في وادي الهموم؛
دكان شعر وفنون
لشاعر جديد
يعرضُ فيه السُّهد والحياه
لمن يريدُ يقظةً
أو سئم الكرى
وانتعشت عيونهم
وارتعشَت أجفانهمْ
وكرهوا الخَدَر. !
هناك في وادي الهموم
الشاعر الجديد
في كأسه تفورُ «نطفةُ» البقاء
و «قطرةُ» السَّهر
قولي له: أنا «نعاس»
ابنة «ذي رُعين»
بدمعه بشعره
بحقه المكينْ
على «اليمانيين»
بردّ «لظى» نومي
بلَّل «صدى» موتي

برشفه من السهر
بحق «ذي رُعين»
والشعر و «اليمن»

نـعـاس : وما تُراه صانعٌ؟

الخـيـال : سيزرَع السَّهر
على «الزوايا» في
عيونك الكحيلهْ
وينقشُ السُّهد على
جفونك الجميلهْ
ويطبعُ الحياة في
خدودك الأسيله!
من أجل «ذي رُعين»
والشعر، واليمن

[ستـار]

المشهد الثالث

[المكـان نفسـه مع تغييرات طفيفة في المناظر والأضواء، و «فرتاش» بالعود يمهِّد لإيقاعات لحن «مَدارب السيل» تأليف أيوب طارش، ونـرى «البلبل» يتحـرك ــ وقد كـبرت جثته ــ ، ونهض السُّهـد، واستيقظ السهر.. في عين ذلك البلبل قائلاً]:

البـلـبـل : من جديد.. من جديد
أواه.. ما أحلى الجديد!
أنا.. الجديد؟
أنتَ.. الجديد؟
هُو.. الجديد؟
لا.. بل «هُم» الجديد
أنا.. وأنت.. وهُو
لا شيء ما دمنا مُمزقين!
الشيءُ في حقيقتِهْ
هُم.. هُم.. مُوحَّدين!

* * *

المـجهـول: يا لغة «الفناء» في
شعر قواميس الهراءْ
لا تعجبـي:

إذا طعنتُ مهجة الهراء
لا تغضبـي ؛
إذا حطمتُ قلَم الفناء
أنا الذي
قد عشق الهراءْ . !
أنا الذي
قد ظل دهرًا حارسًا ؛
للغة الفناء . . !
أهدمها اليوم أقوِّض الخيام
أمحو الحواشي في «هوامشها» العتيقةْ!
أمزق «الشروح» و «المتون»
وأشطب «السطور» ، و «الحروف»
حتى «نقاطها»
أمسحُ كلَّ «نقطةٍ»
أعدم كلَّ «شكلةٍ»
فوق الحروفْ
«النون «سين»
«الواوُ» «هاءٌ»
«الميمُ» «دالٌ»
نحنُ «الشباب»
عشنا عبيدًا لقواميس الهُراء
همنا زمانًا في متاهات الفناء
من كلمات ، أو حروف
نقدس الأسماء والألقابا . !

ويتلاشى الصوت

البلبل : قوافل التاريخ في صوتي تهيمْ
تراجعُوا تراجعُوا
لا ماء في وادي «الخدَر»
لا زاد في قفر «الكَرى»
لا شيء إلاَّ هيكلٌ
لحلمٍ جميل
ودمية لأخته . . مُنى
«حريوة» السَّهر
آخر رشفةٍ من الوفاء
في جفن «ذي رعين»
ليلة غدر «حمير»
ليلة نصح الشاعر الإنسان
وحين هبت زمرة العبيد
يقدمون من جديد
زهور ذل الشعب . ،
«لِتُبَّع» العنيد
وفي شذى أكمامها
يذكُو وعيد . . !
تزكُو روائح الفداء
يهفو حنين الشهداء
أرواحهم تجأر قبل الخلق!
لأنَّها تريدُ أن تموت
من قبل أن تحيا الحياه . !

من أجل أن تُخلق
وتموت من جديد!
في وطن القبور
حيث الورود والعطور
والنجوم والزهور
وجودها.. عدم
وموتها.. وجود!
وكعبة الأصنامْ
تفهق بالآثام،!

الخيال : «والبُلبل» الجميل
والهدهد الصغير
وابنة «ذي رعين»
في «ويزة» الآلام موثقين!
وفي «تناوير» الشقاء مُخبتين!

وتخفت إيقاعات «مدارب السيل» وتتلاشى، ونسمع «فرتاش» عودٍ كأنه يمهِّد لإيقاع لحن «يا جانيات العناقيد»، تسجيل أحمد السندار، ويسحُّ كالندى على عرائس الزهور صوت يقول في جلال:

صنعاء : إني أنا.. «صنعاء» اليمن
«صنعا» التي ظلتْ على
ولائِها «لذي يزَنْ»
وفضلت على الصَّليب
«الحبشي» صمتَ الوثنْ!
من يشتري النومَ..؟
ومن.. يبيعني السَّهر؟

قد كنت طيفًا حام في
أجفان «ذي رُعين»
من قبل أن يموت
وطاف في أجفان كلِّ عين؛
لشاعر طريد
أو ثائر شريد
أو بطل شهيد
أنا «نعاس»
أنا ابنة «القيل» الكبير
من قبل أن
تعرف «بلقيسُ» سليمان الحكيم!
لحنُ الزمان البكر في سمع العدم
أوَّل حرفٍ خطَّ في لوح القدم!
كم من نبِيّ قد عرفتُ
وهو يشدو بالحكمْ
وشاعرٍ وساحرٍ
وكاهنٍ؛ وكمْ، وكمْ
من فرحةٍ، ونكبةٍ
ومن سرورٍ، وألمْ
قد يهرمُ الدهرُ ولكن
لن يُصيبني الهرمْ!
و «قلبي العصيُّ» لمْ
يُهزم لحادثٍ ألمْ!!

وتتلاشى الأضواء مع إيقاعات «العود» رويـدًا، رويدًا ومـع صوتٍ

جهوري ينبعث من «الزاوية» ينشد:

«صنعاء» قلبها عصي في الخطوب والمحنْ،
جحافل الأحباش لم تُسْلِسْ لِتيهِهَا رسنْ
ظلَّت على ولائها «لتبعٍ» و «ذي يزنْ»
وفضّلت على «الصَّليب» «الحبشي» صمت «الوثنْ»
ضلالةٌ جميلةٌ
فيها الإباء قد كَمَنْ

[ويُسدلُ الستار]

لندن: ٢٥ شوال سنة ١٣٩٢هـ
١ ديسمبر ١٩٧٢م

٢١٤ ــ أشباح الذكرى

تُرَى أُعزِّي الهوى فيها وأنساها؟
أم أستجير؛ وأبقى رهن بلواها. . ؟
أصبحتُ لا طامعًا في حُبِّها مِقَةً
لكن لما يَعْتَريني عند ذكراها. . !
أشباح رعبٍ وآلام تطاردني
إذا تذكَّرتُ شيئًا من مزاياها
لولا المروَّةُ ما غادرت مدَّخلا
إلاَّ جمحتُ إليه «مَيْدَ» ألقاها. !
في كل شيء أراها
كلّ آونةٍ. . !
فكيفَ أسطيعُ
ــ خلْقَ الله ــ أَنْساها!!؟

لندن: ٢٥ شوال ١٣٩٢هـ
١ ديسمبر ١٩٧٢م

٢١٥ ـ بحر الدُّموع

[١]

بينَ الدموعِ
مع الدموعِ
و. . في الدموعِ ؛
هموم أيَّامي . . «تَعيشْ»
الدمعُ «عمري»
والدموع «مواهبي»
ودموع أحلامي بإحساسي تطيش

[٢]

خُلِقَتْ حياتي للدُّموع
فَخلْتُها
لِلْبَطْشِ . . فانهزَمَتْ؛
بمعركةِ الحياةْ . . !
الدَّمعُ لا يَسْطيعُ
تحقيقَ المنى
هل بالدُّموع
تريدُ تحطيمَ الطُّغاةْ . . ؟

[٣]

كم قد بكيتُ مع «المطاعْ»[١].
وكم بكيتُ مع «العَزَبْ»[٢].
لا بالدُّموع
نَصَرْتُ «حقًّا»
أو وَصَلْتُ إلى أَرَبْ!
ظلَّت دموعي في الهزائمِ
تَسْتغيثُ، وتَنْتَحِبْ
تَنْأَى
إلى أفُقِ القُنوطِ
وحينَ تُشْفِقُ
تقترِبْ!

[٤]

دمعي أَسيرٌ
في مآقي الشعر
يصرخُ، بالثبورْ
قد صورتُه
يراعُ فنانٍ
كينبوعٍ يفورْ!
يهوى مفَاتِنَ «شهوةٍ»

---

(١) السيد الشهيد أحمد المطاع.
(٢) القاضي عبد الله العزب.

في حَقلِ «أَهواءٍ» تدورْ
أهواء أَحلامي
وأَنغامي، ووهمي، والشعورْ!

[٥]

بحرُ الدموع
سفينتي فيهِ
تتيهُ.. بلا «شراعْ»
ورياح أنّاتي
أبادَتْ ما نصبت من «القلاعْ»
كم قد بكيتُ
على «رفاقِ» الدمعِ:
«زيدٍ» و «المطاع»
«خمرٌ» بلا «أَمرِ»
يُرجَّى، في «غدِ»؛ أو يُسْتطاع

[٦]

دمعٌ بلا «أَملٍ»
له في الرُّوحِ
تمزيقُ الجراحْ
دمعٌ بلا «سَبَبٍ»
خبالُ «العجزِ»
في دنيا الكفاحْ
«ثر» تسترحْ

أو «فاندفِنْ»!
فَتُرِحْ!
ومن ماتَ استراحْ!
يا دمع عُمري
كيف لا تَهْمِي
على «الوطن» المباحْ؟

[٧]

قد كنتُ يومًا أَشتكي
أنِّي أعيشُ بلا دُموعْ
واليوم «حزني» أَنَّني
«غَرْقان» أَفْهَقُ بالدُّموعْ
لا نورَ . . لا . . أَوهام
لا أشباح؛ لا أمل يضوعْ
وشراع «زورق» خيبتي
قد تاهَ
في «بحر الدموع»

[٨]

دمع . . «المحبَّة»
دمعِ . . «أوهام» المنى
دمعِ . . «القُبَلْ»
دمعِ . . الذين «تشرَّدوا»!
دمعِ . . الذين بلا «أملْ»

دمعِ . . «الصداقةِ»
والأخوَّة، والزمالة، و «العمل»
دمعِ . . «السياسةِ»
حين أخفقَ سيفها
وبلا «عسَلْ»!![1]

[٩]

«بحرُ الدموع» يضجُّ
قد «ثارت» عليه «عواصفُ»
«الحاقدون» رياحهم
و «دموعهمْ» . . تتضاعفُ
«يَسْتقطبون» الشرَّ
وهُو بطبعِه «يتآلفُ»
و «الخيرُ» لا مأوى لَهُ
في «الأرضِ»
بل . . هو . . «تالفُ»!!

[١٠]

دمعي كدمع «اليائسين»
يضيعُ في «بحر الدموع»
كالذَّائبات من اللآلي
حين تُذريها «الشموع»
هل تستطيع بأن تعودَ

(١) إشارة إلى القول: «إن لله جنودًا منها العسل». في قصة موت الأشتر النخعي.

لأصلِها.. بيدٍ صنوعْ؟
لا.. لا
دموع «اليأس»
ليس.. لها
إلى جفنٍ «رجوعْ»!

[١١]

دمع «الندامةِ» تُرتجى
منه «الشفاعة» و «النجاهْ»
ما ذاب.. إلاَّ بعد صهرِ
جحيم آلام الحياهْ
كم قد شقيتُ
وكم تضاربَ
ما رآهُ، ولا أراهْ
نظرات «دمعي»
لا ترى الشيء الذي
يبدو سواهْ!

[١٢]

أنا بالدموعِ
أرى «الأمورَ»
تكادُ مبهمة.. تمورْ
كطوارقِ الأمواجِ
في مدٍّ، وفي جزرٍ تحورْ

رأيي «رهين» المحبسين:
غفول «نقصي» والشعورْ
ودموع «ضعْفي»
تَحْتَويني
عند أي هوى «يثورْ»!

[١٣]

لا تستمع لي إن غضبتُ
ولا تطعْ لي أيّ أمرِ
سرّي كجهري
إن علمت به
وجهري، مثل سرّي!
وإذا تغَابى السرُّ منّي
أو تحايلَ أيّ جهرِ
فانظرْ لتعرفَ
هل سيجري الدمعُ؟
أو هو ليسَ يجري؟
فإذا جرى
فَهوَ الأَمانةُ، والصداقة، والوئامْ
وإذا تمنَّعَ
فَهوَ حقدي، والتمرُّد، والخصامْ
دمعي حياتي؛
إنْ أَرقتُ
فللمحبَّةِ والسلامْ

وإذا منعتُ
منعْتُ عن
أهل الخسَاسةِ والآثامْ

[١٤]

يا ليتَني أَسْطيعْ أَنْ
أُحصي . . فضائل أَدمعي
كم أَيَّدتْني
في مواقفِ
ذلَّتي، وتضرُّعي!
ولَكَمْ حَبَتْني النَّصرَ
والتَّصديقَ عند تمنُّعي!
كم رافقتْ صرعي همومي
دائمًا . . ظلَّت معي!

[١٥]

يا ليت شعري!
هل . . بلا دمعٍ
حياةٌ . . قد تروعْ؟
هي سرُّ كلّ بطولةٍ
تنهار في قيد الخضوعْ
سر الهوى، والشوقِ
والأَشعار تصدحُ
والخشوعْ
سرُّ الحياة هي الدموع
فلا حياةَ بلا دموعْ

[١٦]

في السجن، دمعي كان لي
نعم الموالي والرَّفيقْ
في الحُبِّ
كان ليَ المواسي
والمعزِّي، والصديقْ
في الوهم
قد أفضى بسرٍّ تفاهتي
كي أستفيق!
في البغض؛ قد سكب الحنان
على مهاترة الحريق

[١٧]

أيام دمعي قد ذوت
كزهور آمال اليتامى
وندى حياتي
قد غدا
كجفون آلام الأيامى
لا دمع، لا أحلام
لا أوهام
كُرْهًا. . أَو غراما
قد آن موتي، قد سئمت العيش
كيفَ، متى، إلامَ؟

[١٨]

لا تستغيثي يا جفوني
بالجحيمِ ، أو الضريمْ
أنا
إن هصرتُ الدمعَ جبارًا
ولم أَكُ بالرَّحيمْ
فلقد أَلفتُ «النَّارَ»
بل هي جنةٌ فيها أُقيمْ
نضجتْ دموعي
قبل أن تهمي
على لهب الجحيم!

[١٩]

أنا دمعة اليأس
الذي قد ماتَ
في قفر المآتمْ
أنا نطفة الأمل التي
تهمي على قبر الملاحم
و «الماء» عنصر خلقتي
في «شهوةِ الترب» الملائم
و «النَّار» سرُّ «الماء»
قد مُزِجا معًا في جسم «آدمْ»

لندن: ١٢ ذي القعدة ١٣٩٢هـ
١٧ ديسمبر ١٩٧٢م

٢١٦ ــ جحـــود

نأت، وتجنَّت
والصدود يزينُها!
فكيف تجنَّتْ؟
والتجنّي يشينها!
أَتُنكِر حبًّا، واشتياقًا، ولوعةً
وما كتَبَتْهُ من عهودٍ يمينُها؟
أَتُنكِرُ لذَّات الهوى وعهودَهُ
وقد ذاب فيها شكُّها، ويقينُها؟
أَتُنكِرُ حقًّا ما مضَى من وصالنَا
وكم هملَتْ خوف الفراق عيونُها؟
وتَجْهَدُ
كالأَعداء في نحت صخرتي؟
وتهتِكُ
من «أَشيائنا» ما أَصونها؟
«هنيئًا مريئًا»
«غير داءٍ مخامرِ»
لها حلَّ منّي ما يحرِّمُ دينُها!

بيروت: ١٩ ذي القعدة ١٣٩٢هـ
٢٤ ديسمبر ١٩٧٢م

٢١٧ ــ مُـغـنـيـة

عرفتُها
نضَّرها سحرُ الهوى
كنجمَةِ الفجرِ
كزهرةِ الأَقاحْ
تختالُ في أثوابها خَفِرةً
كأَنَّها نسمةُ أَنفاسِ الصباحْ
خمرةُ حُسْنٍ
عُتِّقَتْ، وذُخِرَتْ
للعاشقينَ . . المغرمينَ بالملاحْ
وقُدِّرَتْ
وصوّرتْ
وزُخرفَتْ
بلوعة الشوق .
وشهوةِ السماحْ!
عرفتها
قطرَ الندى
بلَّ الصَّدى
عربدةَ الموجِ
وأَشواقَ الرِّياحْ!

تَلْتَاعُ
تلتاحُ
تضجُّ نشوةً
تذوب وجدًا
والتياعًا، والتياحْ!
تماوجتْ.. أَردافُها
تراقَصَتْ.. نهودها
تمايلتْ
هَيْفَا... رداحْ!
أجفانها
تنفث بالسحرِ الحلالْ!
وثغرها
يعبقُ.. بالخمر المباحْ!
تكاد.. أن يُقطفَ من خدودها
وردُ الصبا
فارَ الشذى فيه؛ وفاحْ
إذا تغنَّتْ
دارتِ الدُّنيا
بمن فيها
وذاب الليلُ.. آهاتٍ وآحْ
بالنغمات، والدّلالِ، والصدى
والصوت
تَستبيحُ.. ما لا يُستباحْ
في كلّ نغمةٍ؛ وكل نبرةٍ

يكمنُ سرُّ الخلق
عريانَ . . وقاحْ
جَلَّ جمالُ الفنِّ في تكوينِها
كأنها قد خُلِقَتْ، وفْقَ اقتراحْ

بيروت: ٥ ذي الحجة ١٣٩٢هـ
١٩ يناير ١٩٧٣م

٢١٨ ــ أنَــا

أنا.. أنا.. وحدي أنا
أعجوبةٌ
بين خلائق الزّمانْ
بلا أحاسيس
بلا مشاعرٍ
أحيا.. غريبًا
ساهرًا.. كالدّيدبان

* * *

مات الهوى
في مهجتي؛ ودمعةٌ
يُريقُها
في جفنِهِ الدّامي، الذليلْ
خامَرَهُ شوق النوى فاستفَّهُ
أنشودةٌ
غنَّى بها.. حلْمُ الأصيلْ

* * *

أنا الذي كنتُ قديمًا أملاً
مُنتظرًا

في قلب مشتاقٍ . . عليلْ!
وكنتُ وَهْمًا
في متاهات المنى
وظمأً . . .
في صدر مهجورٍ قتيلْ!

* * *

شعري؛ دموع العاشقينْ
ونزقُ . . . المراهقينْ
وقلقُ . . المفارقينْ
وحسرات . . الآبقين

* * *

من يَسْتَجيرُ . . بالمحالْ؟
من يَسْتَقي . . من السَّراب؟
من يستغيثُ بالخيالْ؟
من يتلظّى . . بالشراب؟
غيري . . أنا
لحن عذابٍ
وَقعَتْه . . صُدْفةً
قيثارة الآلام في قلب الحنانْ
أصداؤه موّارةُ الإيقاع من
سمعٍ، إلى سمع . . . على مرِّ الزَّمان

بيروت: ٦ ذي الحجة ١٣٩٢هـ
١٠ يناير ١٩٧٣م

٢١٩ ــ مَـيِّـتـة

لا تسألي عنّي
ولا . . تقتربـي . . منّي ؛
دَعيني
وإلى حيثُ . . اذهبـي !
موارد الحبِّ
أُحيلَتْ . . يبسا
وأَصبحتْ ؛
رياضها
كالسَّبْسَبِ !
تلك «الينابيعُ»
خوتْ . . وكلُّ ما
كان . . حواليها
اشتوى . . بالغضبِ !
عهدُ الهوى والحبِّ
قد ديسَا معًا
وحرمة . . القُربـى
وقدس . . الحسبِ !
حتى . . أزاهير المنى

قد سُحقَتْ
حتى . . الحيا
حتى . . جمال «الأدبِ»!
فانصرفي
بلا وداعٍ
واتركي
لا شيء
إلاَّ . . ندمَ «المجرِّب»
ذكراك ماتَتْ
لَمْ أَعدْ أخشىٰ آلذِي
كان ــ إذا ما سَنَحَتْ ــ يفعلُ بي!

لندن: ٨ المحرم ١٣٩٣هـ
١١ فبراير ١٩٧٣م

٢٢٠ ــ العـارِفـون والغـافِـلـون

الغافلون عن العواقب
في «المراتب» نائمونْ؛
والعارفون بما تجيء
به العواقب ساهرون!
ماذا جناه «العارفون»
فيسهرون ويقلقون؟
و «الغافلون» منعّمون
على «الوسائد» يحملون!
أَلأَن قومًا يعقلونَ
وبعضهم لا يعقلون؟!

لندن: ٩ محرم ١٣٩٣هـ
١٢ فبراير ١٩٧٣م

٢٢١ ـ لحظة نعيم

نعمتُ بها رقَّةً كالنسيمْ؛
ولطفًا كهمسِ شعاع القَمَرْ
وعطفًا يواسي بما أشتهي؛
رحيق الشفاه، وطيب الثمر؛
سنينَ.. ولكنَّها قد مَضَتْ
كومضةِ برقٍ شرى وانتَحرْ!
وكانت ترفّ على مهجتي؛
رفيف الشَّذى في عروشِ الزَّهَرْ
كفرتُ بآلائها غفلة
فجوزيتُ آلام شخصٍ كَفَرْ!

لندن: ١٠ محرم ١٣٩٣هـ
١٣ فبراير ١٩٧٣م

٢٢٢ ــ خـلـود الشَّـقـاء

يوم «هجرٍ»
قد كان عشرين «قرنًا»
في حساباتِ «الضوء» والأرواحِ ؛
«لحظاتي» فيه
«تمرٌ» ثقالاً
كالسُّعَالى . . تطوف
كالأشباحِ !
خدرٌ في دمي
وصرعٌ بعقلي
وسمومٌ
تدبُّ بين جراحي !
يا «خلود» الشقاء . . في ليل هجري
كم تفننت في عذاب صباحي !!

لندن : ١١ محرم ١٣٩٣هـ
١٤ فبراير ١٩٧٣م

٢٢٣ ــ أحِـبُّ!

أمازجُ ما أحتسِي من «هوى»
بأنغام شعر النوى، والغزلْ
أحب «الرحيق» وسحر «البيان»
و «لحن الرباب»، وطعم «القبلْ»!
أحبّ الحياة بألوانها..
أحب «الكفاح»، أحب «العملْ»!
أخاف «الهواجس» إن أَطبقَتْ
وأَرضى «القضاء» إذا ما «نزلْ»!
لقد عشتُ للحُبّ؛ أسمو به
عن الموبقات؛ «وما قلَّ دَلْ»

لندن: ١٢ محرم ١٣٩٣هـ
١٥ فبراير ١٩٧٣م

٢٢٤ ــ مـعَ السَّـاعات

كم أحسبُ السَّاعات
وهي تمرُّ في بطءٍ مملٍّ
وكأنَّ كل دقيقةٍ
عمياء. قد شُدَّتْ بحبلِ!
أَحيا وحيدًا ذاهلاً
تتعثَّر اللَّحظات.. حولي
وكوارثُ «الماضي» تئنُّ معي
وتبكي الوقتَ.. مثلي!
تبكي زمانًا كنتُ فيه
أعيشُ؛ حُرًّا.. بين أهلي..!

لندن: ١٣ محرم ١٣٩٣هـ
١٦ فبراير ١٩٧٣م

٢٢٥ ــ عَـصْـر النِّـفـط..!

نُصْحي لواعظنا بأنْ
يَعِظَ الأَنامَ بصمتِه
قد «مات» «إحساس البيان»
وشاهَ رائعُ صوتِه
فَغَنِيٌّ «عَصْر النِّفْطِ»
تَشْغَلُهُ «مباهجُ» وقتِهِ
قد باعَ «آجلَ» «أَجرِهِ»
بلذيذِ «عاجل» «قُوتِهِ»!
والحُرّ إمّا شاردٌ
أو خائِفٌ في بيتِهِ. !

بيروت: ١٥ محرم ١٣٩٣هـ
١٨ فبراير ١٩٧٣م

٢٢٦ ـ لـيْـتَ

يا ليتني «أَعرف» «سرّ» «الخلقِ»!
يا ليتني «أفهم» «روحَ» «الحقِّ»!
أَو، ليتني «أَكشفُ» «سِتْرَ» «الصدقِ»!
و «الخلقُ» مَغْبُونٌ، يداري «الصدقا»
و «الصدق» مسجونٌ يَخَافُ. «الحقّا»
و «الحقّ» مجنونٌ، يُخيفُ «الخلقَا»!

* * *

مَنْ «خلق» «الحقَّا»؟
من «حقَّق». . «الصدقا»؟.
مَنْ «صَدَّقَ». . «الخَلْقَا»؟.

* * *

«السِرُّ» موؤود. . دفينْ!
و «الروحُ» مقهورٌ. . سجينْ!
و «السِتْرُ» وهمٌ، وظنونْ!

* * *

و «لَيْتَ». . «كلُّ» «المعرِفَهْ»
وروحُ «روحِ» «الفَلْسَفَهْ»!

بيروت: ١٧ محرم ١٣٩٣هـ
٢٠ فبراير ١٩٧٣م

٢٢٧ ــ استسلام!

من قال: لا
قالوا: اقتلوه
فإنَّه قد قال.. كفرا؛
قد جاوز العاداتِ
واقترف الآثامَ.. وجاء.. شرّا!
«الحكم».. تسليمٌ.. وإن
عانَيْتَه ظلمًا.. وقهرا
قالوا: وقد
طلبوا «القناعة» و«الرضا» سرًّا وجهرا!

بيروت: ١٩ محرم ١٣٩٣هـ
٢١ فبراير ١٩٧٣م

٢٢٨ ــ الخائف الراجي

إذا ما دعوتُ الله أسأل رحمةً ... وجدتُ فؤادي كالفراشة يرجفُ

يُخَبِّىءُ وزرًا ليس يدريه غيره؛ ... ولم يدرِ قلبي أن عقليَ أخوفُ

لأني عرفت الله ربًّا، وعلمه ... رقيبٌ عتيدٌ؛ فهو أدرى وأعرف

ولكنَّ إيماني به سيعيذني ... ويدفع عنّي ما أخاف ويصرفُ

أنا الخائف الراجي وما في حشاشتي ... من الخوف تذْريه عيوني وتذرف

لعلَّ دموعي حسرة وندامةً ... تلوذ به يوم المعاد فيرأف؛

فيدخلني من فضله في عباده ... وجنَّته أحسو الخلودَ وأرشف.

بيروت: ١٣٩٣/١/٢٠هـ

٢٢ فبراير ١٩٧٣م

٢٢٩ ــ تـحَـائِـل

ماذا «يريد» «الثائرونْ»؟
وما «يقولُ» . . «الجامدونْ»؟
«الثائرون» على «المنابر»
«يصرخون» ويخطبونْ
و «الجامدون» «يتمتمون»
«بذلةٍ» و «يوسوسونْ»!
و «جميعهم» ــ عمدًا ــ على
أهل «الغَبَا» . . . «يتحايلونْ»!

بيروت: ٢٧ محرم ١٣٩٣هـ
١ مارس ١٩٧٣م

٢٣٠ ـ نشيد التائهين

تململَت أشباح نائمينْ
طالَتْ عليهم فترة الهجوع
وادي الكرى اجتازوه حالمينْ
يغازلون نشوة «الرجوعْ»!
يُحَاذِرُونَ هَلكات «الطائشينْ»
ونزوات «الحاقدين» الثائرين
ويعبدون «الخوف» آمنين
لأنَّه «أَطْعَمَهُمْ» من «جوعْ»!

* * *

أعطاهُم ما يشتهون
من لهو أو فنونْ
ودونما «مَنٍّ» ولا «أذى»
وكلّ ما يطلبُه هو «الخضوع»

* * *

كم سجدوا له؟
كم مارسوا الركوع؟
فأضحكوا الأشجار. . والأحجارْ
كم سكبوا الدموع، في خشوع؟

فأبكوا البحار، والأنهارْ
يا لتعاسة الآهات والدموعْ
نسفَحُها. . . على «معالم» الربوع
خيرٌ من «العودةِ» و «الرجوعْ»
«تِيهٌ» بلا خوف ولا «خضوعْ»!

بيروت: ١ صفر ١٣٩٣هـ
٥ مارس ١٩٧٣م

٢٣١ ــ عندما يَثورُ الحُكّام..!!

أَعْلِنوها؛ حربًا على «الشَّعبِ» يَا حكّامه المصْلحِين.. يا أَبْرارُ!
أَعْلِنوها؛ حربًا عليهِ فقد ضَلَّ و «خَانَ» المُواطِنون، وجاوروا،
أَعْلِنوها عليه. فهو سخيفٌ ليسَ يَرْعَى المعروفَ، ليْس يغارُ!
وبَنُوهُ لاَ يَفْهَمونَ؛ تَسَاوَى النَّاسُ، والزَّاحِفَات، والأبقارُ!
كُنْتُم قد «خَلَقْتمُ» النَّاسَ، يومًا «سَاعَة الصّفر» دونَ أن يُسْتَشَاروا
وجميعُ المواطنينَ يَغطّون نيامًا؛ وكُلهمْ.. «أَصْفَارُ»
وَوَضَعتُم رؤوسكُم «فوقَ أيديكمْ»! فأنْتُمْ حُكّامه.. «الثُّوّارُ»!
فاهْتِكوا كلَّ حُرمةٍ ليس تعْطي لكُمو «مالَها»؛ ولا تَنْهارُ
أَنتمُ قد «خَلَقْتمُ» الشَّعبَ؛ فالشعْب لكمْ؛ لا حِوار، لا اختيارُ
ذلكَ الحاكمُ «القديم» لَقَدْ كَانَ وحيدًا؛ فَحُكْمه قَهّارُ
ولهذا «ثُرْتمْ» فلا حَقّ في الظُّلْم لِفَرْدٍ؛ فإن جناهُ الكثارُ
فَهُوَ عِزٌّ، ورَحْمةٌ وهُوَ عَدْلٌ وفِدَاءٌ، ونِعمةٌ وازْدِهَارُ!
اعملوا ما شِئتمْ فأنتمْ «كِثارُ»؛ لا تَخَافوا.. فأنتمُ «الأَحرارُ»
لا تَثُورُ الشّعوبُ إلاّ على «الفَرْدِ»؛ وأنتمْ جماعةٌ أبرارُ
واطْمئِنّوا؛ فالشَّعب جد بَليدٍ لا تخافوا «رأيًا» بهِ يسْتثارُ
لَيْس تَحْتَ الرَّمادِ نارٌ؛ وهَلْ تَحيا بغَير المُجمجمين[1] النَّارُ؟

---

(١) جمجمة النَّار: لغةٌ يمنية تعني مواراتها تحت الرَّماد كي تبقى حية تتسعَّر. وجَمْجَمِ الشيء: أخفاه.

قَـد تـوارَى «الْـمُجَـمْجِـمـونَ»؛ فَهُـمْ أَلْغَـاز مُـسْتَـضْعـفيـنَ؛ هُـمْ أسـرارُ
لا رمـادٌ لـهـمْ؛ ولا نـارُ. إلَّا الـجـوعُ تُـذْكـي أَحْـقَـادَهُ الأَفـكـارُ
وهـي مـا تـزعـمـونـهـا مِـثْـلمـا كـانَ يـقـولُ الْـمُـسـلّط الأَمّـارُ

كلماتُ المخرّبين
وأَوهامُ سُكَارى
أو بِدْعَةٌ
أوْ «هُدارُ»[٢]!

ثـم دار الـزّمـانُ دورتَـه الـثَّـكْـلى، ومـاتَ الـدُّجـى وشـبَّ الـنـهـارُ
فـإذا بـالـكـلام صَـوتٌ يُـدَوِّي مـنـهُ فـي الأُفـقِ راعـدٌ جـبّـارُ
وإذا بـالأنين فـي الكـوخ تـهْـوي تَـحتَـه الـشَّـامـخَـاتُ والأَسـوارُ
وإذا بـالأَفْـكـارِ تـعْـصِـفُ والأَحـقـادُ تَـعْـوي، والـجـوعُ قَـتْـلٌ وثـارُ

* * *

«أسفي أنَّـني» لِـصَحْـبِـيَ أَخْلَصْتُ ضـمـيـري... وحِـسُّـهُ مَـوَّارُ!.
فـإذا بـي أُقْـصـىَ ولا ذنـب إلَّا النّصـحُ فيـهِ الإشفـاقُ والإيـثـارُ

باريس: ٢٥ ربيع الثاني ١٣٩٣هـ
٢٧ مايو ١٩٧٣م

(٢) الهدار، بضمِّ الهاء وكسرها: لغة يمنيَّة تعني اللفظ الذي لا معنى له؛ وهَدَر البعيرُ: ردَّد صوته في حنجرته.

٢٣٢ ـ نشيد التعاون اليمني

عاش الإنما عاش التطوير في ظل «الشورى» والدستورْ
بهما سنعيش بلا خوف من جهل أو مرضٍ مسعورْ
عاش «الإنما»، عاش «التطوير»

ونقوّي روح «تعاوننا» وننظم جهد «تضامننا»
ونحقّق «وحدة» أمتنا ونصون مكاسب «ثورتنا»
عاش «الإنما»، عاش «التطوير»

بهما سنحسِّن بلدتنا ونزودها بالما والنورْ
وسنبني دور العلم لنا ونشيّد مصحات الجمهورْ
عاش «الإنما»، عاش «التطوير»

وستنمو ناشئة اليمنِ وشباب الوطن المحبوبِ
من «وادي مَور» إلى «عدنِ» في حقل الخير الموهوبِ
عاش «الإنما»، عاش «التطوير»

سنشيد بها للفن قصورْ ونعيد بها «السدّ» المشهورْ
ونواسي العاجز والمقهورْ ونعيش سادة عصر النورْ
عاش «الإنما»، عاش «التطوير»

بـمـدارسنـا، بـسـواقينـا بـمسـاجـدنـا بـمبـانينـا
بـتـعـاونـنـا، بـتـطورنـا تـنمـو خيـرات مغـانينـا
في ظـل الـوحـدة والـدستـورْ

باريس: ٣ يونيو ١٩٧٣م

٢٣٣ ــ مومس

خطرتْ كأنّ الفَنّ مِنْها صاغ للحسن اختراعا
تتصيَّد السيّاح بالنظرات ترسلها شعاعا
وسألتُ؛ قالوا قد غدت في سوق شهوتنا متاعا،
ظلموا صباها عندما سلبوا عواطفها خداعا
فتسافلَتْ كيما تردّ لَهُمْ بشِبْرِ المكْرِ باعا!
وغدت لروّاد الخَنَا «رِجزًا» يبيدهم مشاعا
لا يستطيع له الأنا م إذا أصابهم دفاعا

باريس: ٨ يونيو ١٩٧٣م

٢٣٤ ــ خيبة الأمَل

كَفَروا بالنُّعْمىٰ، ضَلالاً وجَهْلاً ... وتمادوا حماقَةً، وفتونا
سفكوا عنوةً «دمَ» الحقّ؛ ثُمَّ اسْـ ... ـتَقْطَروهُ «خمرًا» يُسَفُّ فنونا[1]
«أسَفي» أنَّني سَفحتُ عيوني ... لِمَغَانٍ؛ لا تَسْتَحِقُّ «العيونا»
كانَ علمي بها ضَلالاً؛ وكانَ الْـ ... ـحُسْنُ قُبْحًا، والعَقْلُ كان جنونا
والظّنونُ الَّتي تماديتُ فيها ... لَمْ تكُنْ مِثلما ظَنَنْتُ «ظنونا»
والحصُونُ الَّتي عَمَرتُ لِقُدْسِ الْـ ... ـحُبِّ أضْحَتْ بلاقِعا، لا حُصونا
لِخَبالي رَجَوْتُ.. ما لا يُرجّى ... آملاً أن يكونَ ما لَنْ يكونا

باريس: ١٤ جمادى الأولى ١٣٩٣هـ
١٤ يونيو ١٩٧٣م

(١) سفَّ الماء: أكثر من شربه ولم يَرْو.

٢٣٥ ــ النَّـادِمُـون!

نـدمـوا لات حينَ سـاعـةَ منـدم ... وبـكَـوا لا دمعًـا ولكن بكـوا دمْ!

قـد تعـرّت حـظوظهم لهم أمـرًا ... ويسـرًا، من كـل مـا خص أو عمْ

فـأبـوهـا معَ المـودة والشكـران ... واستـعـذبـوا الـعـداوة والـذمْ!

أفسـدوا أنعـم الـزمـان عـليـهـم ... فـإذا شهـدهـا صـديـد وعلقـمْ

وإذا بـالأرزاء قـد زأرت غـيـظًا ... وطـوفـانـهـا أفـاق ودمـدمْ!

(والمنـايـا مـواثـل) وفلول (الـرّ ... بـع) شتى.. وكـلُّ شيء محـطمْ

والأمـاني صرعى، وأحـلامهـا تجـ ... ـأر ثـكلى والـمجـد دام مـهشـمْ!

وإذا الـروضُ بلقـعٌ: والعصـافيـرُ ... يـتـامىٰ، والـعـرشُ خـاوٍ مهـدَّمُ

وإذا بـالـبـيـان أخـرس يـبـكـي ... صـامتًـا؛ والقـريض أبكم أعجمْ
ربَّ صمتٍ أعـزُّ مـن ألف قـولٍ ... يخـرسُ النـطقُ؛ والأسـى يتكلمْ
في معـانـاة الصمتِ أحـزانُ نفسٍ ... تـتـلَظَّى، ومـهـجـةٍ تـتـضـرَّمْ
أيهـا النـادمـون؛ مـا كـانتِ الأقـ ... ـدار إلا صـوت الجـزاءِ المحتـمْ
لـيس من ظـالـمٍ عـلى الأرض إلا ... سـوف يُبلى ـ كما بُليتم ـ بـأظلمْ!
وحيـاة الـورى كمـا قـال (شـوقي) ... بيتُ عُـرسٍ على جـوانب مـأتـمْ
سُنـة الكـون إن تحـدَّى جـديـدٌ ... بـطشها زخّ في لـظى من تقـدمْ..!

باريس: ١٥ جمادى الأولى ١٣٩٣هـ
١٥ يونيو ١٩٧٣م

٢٣٦ ــ مَعَ التَّائهين..

«أسفي أنني» نسلتُ مع الركب ... وأنّي قد كنت أدرى وأعلمْ
«إنَّهم يسلكون قفر المآسي ... ويخبّون في طريق جهنَّمْ
غير أني صرختُ، لكن؛ وباتَتْ ... صرخاتي.. أعمى يُساجل أبكمْ
يا قيودَ الأقدار هل ينفع المصـ ... ـفودَ إن ثار أو بكى، أو تألَّمْ
ليتني أستطيع نفعًا؛ فلي أوشا ... ج قُربى ولي ووداد ولي دَمْ

باريس: ١٥ جمادى الأولى ١٣٩٣هـ
١٥ يونيو ١٩٧٣م

٢٣٧ ـ التَّائبون

نسلوا مثل الهيم من كلِّ فجٍّ ... مُظلمٍ الأفق مقفر العرصاتِ
حولهم من أوزارِ ماضٍ كئيبٍ ... صورٌ؛ في هياكلٍ بشعاتِ
تتضاغى أوهامهم تنشد الرَّحْـ ... ـمة في بيد اليأس والنقماتِ
وليالي همُ التي نعمَت دهـ ... ـرًا حزانى تنوح كالثاكلاتِ
ذكريات الغرورِ تهتك منها ... كلَّ رجْوى تذوبُ في الدعواتِ
والقضا خاشعٌ؛ يتمتمُ بالعد ... ل كشيخ بأفجع النكباتِ
وهي دنيا؛ نعمى، وبؤسى، وأوها ... م سكارى، وملتقى عبراتِ
ومناجاة تائبين، وآلا ... مُ.. بغايا، ومجتنى شهواتِ
(أسفي أنني) تمادى عنادي ... وصغى للأوهام والترهاتِ
لو تدبَّرتُ، ما اندفعتُ وأبقيـ ... ـتُ حماسي، أسير صبر أناتي
حسْبُ شعري مراثيًا وبكاء ... (أنني) في الجحيم من حسراتي

باريس: ١٩ جمادى الأولى ١٣٩٣هـ
١٩ يونيو ١٩٧٣م

٢٣٨ ـ لحظة انعدام

أظلمَ الأفق؛ واكفهرَّتْ نواحي ... الأرض واستيقظت عيون الفجائعْ
من بروقٍ.. إلى رعودٍ.. ... إلى إعصار نارٍ.. إلى هدير زوابعْ
فكأن الفناء قد حان؛ والحشرُ ... دنا؛ و (النظام) خرَّ.. بلاقعْ
(لحظة) مثل الدهر مرت بفكري ... جمعتْ بين مستحيل وواقعْ
جعلتني أنسى زماني ونفسي ... تائهًا في قفرٍ من الوهم شاسعْ
وكأني أنا الزمانُ.. قد استو ... عبتُ معنى الفنا وسر الطبائعْ
وكأني (معنى) يناجي (انسجامًا) ... في (صلاة) لخاشع القلب راكعْ
وكأني قد استحلتُ إلى طيف ... خيالٍ في حس هيمان خاشعْ
(أسفي.. أنني): أضعتُ شبابي ... في خيالٍ؛ أو في جدالٍ ضائعْ
(أسفي.. أنني) مع العلم قد ... ضُللتُ، فانسقت خاضعًا للمطامعْ
خلَّبُ الوهم قد سباني؛ فهوَّ ... مْتُ على ورده البهي الرائعْ
والأماني كما تصبَّتْ جناني ... قد سقتني كأسَ السراب اللامعْ
(أسفي.. أنني) بسابقِ علمٍ ... قد تحدَّيتُ بالظنونِ الشرائعْ
كم تفننت في اختلاق المعاذير ... وأغرقت في اختراع الذرائعْ
ألأني أعمى البصيرة راوغتُ ... المعاصي؟ ولم أصخْ للرَّوادعْ
كم دموعٍ ذرفتها وهي تبكي ... نفسها عندما تذوب هوامعْ
تنشدُ الصدقَ وهو قد مات فيها! ... وتناجي إخلاصها وهو ضائعْ
(أسفي.. أنني) أفقت، وقد ... أجدبَ حزني، وجف حوض المدامعْ

حـطم الغـدرُ كـل مـا كـان لي من أمـلٍ صـادقٍ، ورأيٍ صـادعْ
قـتـل الخـوف كـلَّ هـمسـةِ فـنٍّ لـشـعـورٍ فـذٍّ وحسٍّ بـارع!
(أسفي أنـني) بـلا (أسـف) أحيـا ولـكـن كـتـائـه فـي (الـشـوارع)

باريس: ٢٠ جمادى الأولى ١٣٩٣هـ
٢٠ يونيو ١٩٧٣م

٢٣٩ ــ على قبر نابليون

لست أدري أأجتلي عبرة الحا ضر أم عبرة السنين الغوابرْ؟
فهنا . . في (فرساي) كم شيدَ الظلـ ـم حصونًا وكم بنى من مآثرْ
وهنا . . في (باريس) يرقد (نابليون) تحت القباب، بين المرامرْ
وحواليه من معاركه الكبـ ـرى جلالٌ، وهيبةٌ، وشعائرْ
كلما جئته ظننت بأني كنت تحت الأعلام بين العساكرْ
وتفانيتُ في خياليَ؛ واستصـ ـغرتُ من في زماننا من أكابرْ
كم تحدَّى الأحداث حتى طواه (الموت) قسرًا واصطاده وهو ساخرْ
والمنايا إن أقبلت لم تفرِّق بين ميتٍ شهمٍ، وميت عاهرْ
كان ملء الزمان يرهبه المو تُ وتحنو له جباه (القياصرْ)!
وله مقولٌ سديدٌ، ورأيٌ مثلما سيفه جريءٌ، وباترْ
وإذا سُخِّرَ البيانُ وسيفٌ لشجاعٍ فهو المطاعُ الظافرْ
غير أن الزمان ليس أمينًا إنهُ قلَّب الطبائع؛ غادرْ
ولبيب الأبطال لا يتباهى بطرًا أو يأسى إذا آبَ خاسرْ
ولقد كان (النسر) فذًّا؛ فلا يُطـ ـغيه نصرٌ، ولا يخاف المخاطرْ
هذَّبته تجارب الدهر حتى كاد أن يُصبح المثال السائرْ
رغم ما يغتلي من الحس في قلـ ـب شغوف بالحسن هيمان شاعرْ
تتمادى به (الصغائرُ) أحيا نًا فيجني بها ذنوب (الكبائرْ)
(كلمةٌ) قالها وقد بشروه بغلامٍ . . جرَّتْ عليه الجرائرْ

في (واترلو) أفاق رجع صداها ... فرعاها لا (قيصرًا) بل (ثائرْ)
رفع الطرف قائلاً رب هلْ هـ ... ـذا عقاب؟ وسلم الأمر صابرْ
أسفي أنني ـ وما أنا في قو ... مي ـ ولكنَّني البعيد الشاعرْ
لم أجد في أبطال قومي فذًّا ... مثله؛ في العصور هذي الأواخرْ

باريس: ٢٣ جمادى الأولى ١٣٩٣هـ
٢٣ يونيو ١٩٧٣م

٢٤٠ ــ الهاربون

أيها الهاربون لن تتمادى ... بكمُ فسحةُ الأماني الجوامحْ
لا تظنّوا بأنَّ برجًا ولو كا ... ن مشيدًا يقي اعتداء الجوارحْ
صفحة الموت والحياة قديمًا ... قدَّرتها كفّ الأخوذ المانحْ
حدَّدتْ ما يكون للمرء في الأر ... ض. كأنَّها خريطة سائحْ
هربي من مصير علمي عجزُ ... واعترافي بالعجز عذرٌ واضحْ
أين تلك الأفكار؟ أين التغابي؟ ... أين آراء الألمعيّ الناجحْ؟
أين؟ لا أين! غير قبرٍ وفيه ... كلُّ ماضيك: صالح، أو طالحْ
أسفي أنَّني أخاف من المو ... ت غريبًا عن «مسقط الراس» نازحْ
ألأنَّ العويل لنْ يزعج القب ... ر إذا جئتهُ بغير نوائحْ؟
أم لأن الديدان لا تشتهي جسـ ... ـمًا غريبًا؟ أم لاختلاف الروائحْ؟
لستُ أدري، والشك علم يقينٍ ... إن تسامتْ به العقول الطوامحْ

باريس: ٢٥ جمادى الأولى ١٣٩٣هـ
٢٥ يونيو ١٩٧٣م

٢٤١ ــ عاشق الهلاك

لا تلمه إذا بكى أو تباكى ... أو شكا حال قلبه أو تشاكى
عذَّبوه من دون ذنبٍ جناهُ ... أطبقوا بالجفا عليه الشباكا
أسروه فازداد للأسر حبًّا ... ليتَهُ لا يطيق عنهم فكاكا
مزَّقوا روحه اشتياقًا إليهمْ ... زرعوا في عيونه الأشواكا
جعلوا إسمَهُ حديث «المداكي» ... ذاك يَهذي لومًا عليه، وذاكا
وهوَ عنهمْ محبَّةً يتغابى ... في محاريب وجده إدراكا
وتغابي المحب في شرعة العشَّاق نهجُ الذي يريدُ الهلاكا
وأنا أعشق الهلاك أغنِّيـ ... ـه قصيدًا، وأرتضيه عراكا
هام عمري به يخوض دياجيـ ... ـه؛ فتونًا، ولهفةً؛ وارتباكا
أو أماني معذَّبين على الأر ... ض يخافون السَّادة الملّاكا
أو مناجاة خاشعين تفانوا؛ ... غفوةً، واستجابةً، وانهماكا
«أسفي أنني» عَصيتُ هلاكي ... وأطعتُ الشرود والانتهاكا

باريس: ٢٧ جمادى الآخرة ١٣٩٣هـ
٢٧ يونيو ١٩٧٣م

٢٤٢ ــ نشيد الأسف

أسفي هـا هنـا حقيقـةُ نفسي وضميـري، وبـوحُ عقلي وحسّي
أسـفي.. جـنّتـي ونـاري، وأحـــلامُ صبايا عمري، وخمري وكأسي
هـا هنا قـد فندتُ أوهـام حظي وهنـا قـد أودعتُ أسـرار بؤسي
هـا هنـا ملتقى التجـارب من أيـام سعـدي، ومن ليـاليَ نحسي

* * *

أسفي أنّني كشفتُ ليومي وغـدي فيـه بعض أسـرار أمسي!
مـا تَقَنَّعتُ بـالتبـاريـر لكـن قـد تـرهبنت قـانعًـا بـالتـأسّي
وتعبَّـدت للحقيقـة في محـراب صـدقي؛ وكنـت أستـاذ نفسي
وأنـا الشـاعـر النـزوع إلى الشـرِّ بحسّـي، وللضـلال بـحـدسي
الخيـالات والـظنـون رفـاقـي حيثُ أمسي، معي تبيتُ وتمسي
مـا تـذوقـتُ لـذةً قط إلاَّ.. نـازعتني نفسي إليهـا بلَقْسِ[1]
وتمـاديت، واستضـافت نجـومُ الليـــل مـا أشتهيـه من كـلِّ جنس؛
بين «رومـا» و «لنـدنٍ» و «دزولْـدُورف» و «بيـروت» عشت أوقـات أنسي
طهـر عمـري أفنيتـه في شبـابي بين درسٍ، أو غربةٍ، أو بحبسِ؛
قـد عرفتُ الزمـان يقسـو على الحرِّ، ويـحنـو عـلى الـذلـيـل الأخسِّ

(١) اللقس: الشَرَه.

غير أني قد ظلْتُ في ملكوتِ الروح أطوي آفاقها دون وجْسِ[٢]
قطُّ لم أشترِ بأخرايَ دنيايَ وأستبدل الثمين ببخسِ ؛
وإذا ما دنت قطوف الأماني «صنت نفسي عمّا يدنِّس نفسي»

بيروت: ٩/٩/١٣٩٣هـ
٥ أكتوبر ١٩٧٣م

(٢) الوجس: الخوف.

٢٤٣ ــ لا عاصم اليوم

في لهفة مرةٍ وفي أرقٍ ... يرجو تباشيرَ بهجة الفلقِ
يساهرُ الليل ذكريات منى ... عاش بها حقبة بلا قلقِ
أوقاتها تستفزُّه طربًا ... لنيلِ لذَّاته بلا فرقِ
أيامَ.. ثوبُ الشباب منسدلٌ ... يُخفي هناتِ الفضولِ والحمقِ
لا تطلبُ الغانيات منهُ سوى ... أن يحفظ العهدَ لحظة الشبقِ
أيام.. ما في العيون من ألقٍ ... يغفر للحب طفرةَ.. النزقِ

* * *

في سفح (صنعا) وفي (مفارجها)[1] ... مُصْطبحي كان.. بل ومغتبقي
في معشرٍ للفنونِ قد خلقوا ... وكوِّنوا ــ صُدفةً ــ على نسقِ
تشاكلوا في طباعهم كرمًا ... وعفة عن مساوىء الخلقِ
يُصغونَ للشعرِ، والغناء، وما ... طابَ من القولِ؛ دونما ملقِ

* * *

ثم.. ترامَت بي الظنون على ... أجنحةِ الشعر كلَّ منطلقِ
وتهتُ في مهمهِ السياسة؛ مِنْ ... مُنزلقٍ مفجعٍ.. لمنزلقِ
وطوَّحت بي الأهواء ممعنة ... وأرهقتني.. وأيما رهقِ

* * *

(١) جمع مفرج وهو أعلى غرفة في كل دار من بيوت صنعا.

يـا أسـفـي أنـنـي أسـفـت عـلـى ... مـا قـد جـنـاه فني على خـلقـي
طـوفـانُ حـزنٍ قـد هـاجَ منفهقًـا ... عـلى شـعـورِ الـمـدلَّـهِ.. الأرقِ
فـهـلْ تـرى مـوئـلاً يُـلاذُ بـه؟ ... وهـلْ ترى عـاصمًـا.. من الغـرقِ؟

باريس: ١٨ شوال ١٣٩٣هـ
١٣ نوفمبر ١٩٧٣م

٢٤٤ ـ حَصَادُ العُمرُ

الأسى أنقضَ ظهرَهْ ... بعدما أنفدَ صبرهْ
والهوى من بعد ما أضـ ... ـناه قد ضيَّق صدرهْ
والتمادي في الخطايا ... علنًا؛ شوَّه ذكرهْ
في هجير (الفكر) قد ... صلى خيال الشعر مُكرهْ
فسقاهُ العسرُ يسرًا ... وحباه اليسرُ عسرهْ
فهو في نكبته.. يرثي ... بشعر الدمع شعرهْ
ويغني (البغض) لحن ... الحب في أرخم نبرهْ
ويشيد (الحلم) قصرًا ... فيهدُّ (الصحو) قصرهْ
ويصوغ الوهم (فكرًا) ... فيذيب (الشك) فكرهْ
وانثنى يقطف من شـ ... ـوك الأسى واليأس زهرَهْ
وينادي صوته التَّائِه ... كي يحمل عُذرهْ
لصبايا الأمس من ... ملَّ ومن يهوى ويكرهْ
«أسفي أني» عشقتُ ... الحسن من أول نظرهْ
قدَّسَته نزواتي ... دون أن أعرف مكرهْ
هو كأس الحب؛ حسبي ... أنني أنفدْت خمرهْ
لم أضيع من ملذات ... الصبا مِثقالَ (ذرَّهْ)
قد شربت الكأس حتى ... لم أدع في الكأس قطرَهْ
فإذا جُنَّت رياحي ... سلم (الملّاح).. أمرهْ

وحنى الرأس خشوعًا باسمًا يلثم قبرهْ
سوف تبكيه نجومُ الليـ ـل إشفاقًا، وحسرهْ
وإلى (مَرْمَرِ) مثواه سيُهدى الشعر زهرهْ
وينوح الليلُ حتى تذبحَ الآهات صدرهْ
ويئنّ الأفقُ حتى توقظَ الأنات فجرهْ

* * *

(أسفي أني)! قد كنتُ (عصيَّ القلب)؛ مِدْرَهْ
نافستني (عبقرياتُ) زماني.. مكفهرهْ
فتشامختُ.. ولمْ ألقِ عليها أي نظرهْ!
وقطعتُ الشوطَ؛ كالـ ـفارس لا يُهملُ حُضْرهْ
لا يخاف (القيل والقال) ولا يرهبُ (غيرهْ)
لا يُبالي ما أمامَ (الشـ ـوط) من (لغمٍ) وحفرهْ

* * *

لم أكن أجهلُ لؤمَ الد هر؛ أو أنكر غدرَهْ
غير أني؛ صلفًا حيـ ـنًا وإغراقًا، وغيرَهْ
بشباب العمر قد أعجـ ـبت؛ واسترهبت سحرهْ
وبروح (العدل) قد آمنتُ؛ واستعظمت قدرهْ
وإذا بي في حُطام لقصور مُشمَخِرَّهْ
تتهاوى كجبال الثلـ ـج في أرهب صورَهْ
عندما (تستقطب) الشمـ ـسُ ويوري الصيف حرّهْ
وأنا كالسائح السا بح في بحر المجرَّهْ
ليس لي؛ إلاَّ بأن أمنحها آخرَ.. نظرهْ

* * *

(أسفي أني) عَرفتُ النـ ـاس والكون وسرَّهْ
خيرَهُ الوارفَ قد جرَّبتُ والشرَّ وضرَّهْ
وتمتعتُ بما لا يستطـ ـيع الشعرُ شكرهْ
وعرفتُ الجاهَ والثر وةَ، والنهي، وأمرهْ
وخبرتُ الذلَّ والنَّكـ ـبةَ، والفقرَ، وكفرهْ
وشربتُ المرَّ ألوا نًا وأدمَنْتُ أمرَّهْ
وتضجرتُ على الأرض وأضجَرت الأسرَّهْ
وتطامنت سلامًا وتذللت.. مبرّهْ
وتعاليتُ ادّعاءً وتباهيتُ مسرهْ
لم أجد في الخلق مَن أخلص للخالق سرهْ
دون أن يخشى عقابًا دون أن يطلب أجرهْ
عشت في عصر رهيب حوَّرَ الذرَّةَ جمرهْ
وأعاد الماء نارًا وأحال العجزَ قُدرهْ
وأذلَّ العِزَّ علمًا وأهانَ الجاهَ خبرَهْ
عصْر حاناتٍ، ورقصٍ وترانيم، وخمرهْ
وشعاراتٍ، وأحزابٍ وأرقامٍ، وثورهْ!!
ليتني كنت بليدًا ليس يدري كيف يكرهْ
أنا من ضيَّعَ ـ كالملاح ـ في الأوهام عمرهْ!
خبطتْ أيام عمري في متاهات المضرَّهْ
خبْطَ عشواء يناجي حلمها الغيثَ وقطرهْ
كاد فيها القيظ أن يفنى وأن يقتلَ حرَّهْ!
ويودّ العشبُ لو أضحى رمالاً مقشعرَّهْ
وكثيبُ الرملُ لو أمسى مع الأنجم صَخرهْ
(أسفي أني) عصيت الحب واستصغرت أمرهْ

وتـمـرَّدت عـلى أحـلا مـه؛ واغـتـلت عِـطره

* * *

أنا هـيـمـان يـداري الـ ـخـطو فـي آخـر عـثـرهْ
حـولـه الآمـال صـرعـى قـد قـضت هـمًّـا وحسـره
والـفـنـا يـلهـثُ شـوقًـا ولـه يـفـتـحُ.. قـبـرهْ
وجـيـاعُ الـدودِ فـي ذرّ اتـه تـرنـو، وتـشـرهْ

* * *

يـا مـجـاعـات المـنـايـا هـاكِ مَـن أنـفـدَ دهـرهْ
لـكِ طـفـلاً، ويـتـيـمًـا وفـتى كـالـنـجـمِ؛ شـهـرهْ
هـاكِ مـن قـصـتـه فـي الأ رض مـلـهـاةً وعـبـرهْ!
وسـلامًـا أيُّـهـا الـلـيـ ـلُ الـذي ضـيَّـع فـجـرهْ
لـيـتـنـي أسـطـيـعُ أن أز رع فـي صـبـحـكَ زهـرهْ

* * *

قـد عـبـدتُ الـحـقَّ إيـمـ ـانًـا وإدراكًـا، وفـطرهْ
فـتـسـامَـى بـي وأحـبـبـت الـذي قـد كـنـت أكـره

باريس: ١٤ ذي القعدة ١٣٩٣هـ
٨ ديسمبر ١٩٧٣م

٢٤٥ ــ القدس للعرب كل العرب عنوان

[في وداع الدكتور السفير عبد الله العريان، سفير جمهورية مصر في باريس]:

(صنعاء) تجأرُ بالشكوى و (بغدان ... و (جُلّق) المجد في همٍّ و (تطوانُ)
وفي (الخليج) وفي (نجدٍ) تثورُ رؤى ... (للقدس) تبكي لها (مصر) و (لبنانُ)
من أجل وحدتنا فلننسَ أنفسنا ... ولننسَ ما كان ــ في يومٍ ــ ومن كانوا
(قضية العرب) أغلى ؛ وهي قد ظهرتْ ... لها (جنودٌ)، وأنصار، لها شانُ
فلننسَ (عشرين عامًا) كلها انسلختْ ... من عمرنا، وهي عدوان وخسرانُ
ولنبنِ تاريخنا بالعلمِ (تقْنيةً) ... بها نصون الذي آباؤنا صانوا

* * *

(نودّع) اليومَ في (باريس) خير فتى ... قد زانه خُلُقٌ عالٍ وإيمانُ
وقد عرفناه فذًّا، مخلصًا، لبقًا ... و (كاسيًا) بالمعالي، وهو (عريانُ)!
تستوعبُ الأحرفُ اللائي ينسّقُها ... في قوله. .كلَّ ما يهواه إنسانُ
العدل يشرح فيها كلَّ ما طَمحَتْ ... له القوانين؛ أو أوحاهُ رحْمانُ
ونحن قومٌ لنا ماضٍ مآثره ... تروي محامدها كتبٌ، و (أديانُ). . !
(شرائع) الحق في أصقاعنا ولدتْ ... وبثها في الورى وحيٌ وتبيانُ

ومن مـرابعنـا (الأديـانُ) قـد زحفت ... فاختارهـا الناس، يـونانٌ و (رومـانُ)
هـذا هو (العـالم الأسمى) مشاعـرنا ... وعـلمنـا فيـه؛ لا زورٌ وطـغيـانُ
يـا أيهـا اللبقُ الخـرِّيت دمت لنـا ... تصـدّ عنـا الأعـادي حيثمـا كـانـوا
بـاللفظِ، بالمنـطق السامي، بـأسئلة ... بحكمـةٍ: أصلهـا فـهمٌ وعـرفـانُ
تمثِّـل «الأمة الكبـرى» «بمصر» وفي ... «دمشق» لا فرق «سيناء» و «جـولانُ»
«العـرب» يجمعهم في عهد محنتهم ... في مثـل قلبـك (إنجيـل) و (قـرآنُ)

* * *

أنـا ابن (صنعاء)، في أفيـاء عـزتهـا ... كم تـاه من (تبـع)؛ كم عـز سلطانُ
لكنـني اليـوم لا (عنـوان) أذكـره ... (القدس) للعرب؛ كل العرب عنوانُ
قـل للذي سيمـاري فيهمـو شـرسًـا ... ولـلألى قـد أعـانـونـا، ومـا مـانـوا
بـأننـا في الغـد البـاقي سنحضـر في ... مجـالس العدل إنصـافًـا لمن هـانـوا
وليس من أجل (سينا) وهي في كبد الْـ ... أوطـان يهفـو لهـا قلب ووجـدانُ
لكن لأجل الأُلى في القدس، قد رقدوا ... كم من عـظيم له في القـدس جثمانُ
مُواطنُ (الروس) و (الألمـان) حُق له ... بـأن يُشاد لـه في (القـدس) بنيـانُ!؟
وصاحب (القدس) يحيـا تائهًـا تَعِسًا ... لـه (الملاجىء) أرمـاسٌ وأوطانُ..!
أين (الحقوق)؟ التي هم يحتفون بها ... ودمـعُ (إنسانهـا) بالـظلم هَتَّانُ..!؟
إن كـان لا أمـل لـلحـقِّ نـنـصـرُهُ ... بالقولِ؛ فالسيف يُنضى وهو غضبانُ
سـيفٌ يـؤازره (عـلمٌ)، يُـقـنِّـنـهُ ... فـهمٌ، وخـبـرة قـدْراتٍ، وإيمـانُ

* * *

(وداعْ) لـفـظةُ حـبٍّ لا أُرجّـعـهـا ... إلا إذا انبجسَتْ بـالـدمـع أجفـانُ
(وداعْ) تبكي حروف الدمع أحرفها ... فيهـا، وتـشـرقُ أشـواقٌ وأحـزانُ
لي من (وداعات) أحبابي منـائحُ في ... قلبـي؛ وفي كتبـي شـعـرٌ وألحـانُ

مطار أورلي، باريس: ٢٣ محرم ١٣٩٤هـ
١٥ فبراير ١٩٧٤م

٢٤٦ ــ نفحة من سَقَرَ

صلاتي لربي بلا مطمع ... لأطلب مالاً، وطول العمر
أصلِّي لأن شعور الصلاة ... في خلدي قد نما واستقر
يناجي المخاوف في مهجتي ... ويسكب فيها رحيق الخدر
فأخلد كالتيهِ مستغشيًا ... ظنوني وأرضي بحكم القدر
تمرُّ السنون وقلبي العـ ... ـصيّ؛ لا متوانٍ ولا مُضْطجر
يُقبّل كل ثواني الحياة ... ويستفّها كالنسيم العطر
ويصهر فيها أحاسيه ... وأحلامه؛ وبها ينصهر
متى ينثني عن صبابته؟ ... متى يرعوي؟ ما الذي ينتظر؟

* * *

وقد أثخنته هموم الزمان ... وكاد بأعبائها ينتحر
صلاتي ترتل غدر الزمان ... وشؤم الحياة، وبؤس البشر
تفوح بأحلامها تارةً ... على الخلق مثل نسيم الزهر
وطورًا تطوف بآثامهم ... وأوهامهم نفحة من سقر

باريس: ٢٥ محرم ١٣٩٤هـ
١٧ فبراير ١٩٧٤م

٢٤٧ ــ وصـــاة..!

[بعد إقصاء الرئيس القاضي عبد الرحمن بن يحيى الإرياني، أرسل الشاعر هذه الأبيات إلى الرئيس إبراهيم الحَمِدي، مهنئًا وناصحًا بتاريخ ١٩٧٤/٧/٢٩]:

من مبلغٌ عنّي «الوُصاةَ» إلى الفتى الحرّ اليماني
الفذّ «إبراهيم» من أحيىٰ الموتَ من الأماني
وافاك حظك مثل غيرك من مغاوير الزمانِ!
فاصدع؛ وخُذْ بالحزم وامزجه بترياق الحنانِ
واغنم زمانك واعتبرْ بالأمس؛ وامضِ بلا توانِ،
واضمن «سِنانًا» ليس بين القوم أذكى من «سنان»[1]!
لو كنتُ في «صنعاء» أعرب عن مدى قلقي بياني
أخشى الجهالة من صديقٍ، والخيانة من جبانِ
لو كنتُ.. ما أحجمتُ عن عملٍ، ولا كلّت لساني
أدعو إلى «الدستور» منبثقًا عن «السَّبع المثاني»
ووهبتُ للوطن المفدّى ما تبقّى من جناني
ومضيتُ لا أخشى الرصاص ولا أحاذر من سنان

(١) يقصد النقيب «سنان» أبو لحوم.

٢٤٨ ــ نشيد الخيبة

[ووصل إلى صنعاء، لزيارة والدته بعد عام، فلم يحتفل به «الصديق» كما كان يفعل، فقال]:

عذيري لمن أوليتُه الوُدَّ ناصحًا ... فجازى ودادي بالجفا والتنكُّرِ؟
سقاهُ على نخب «الغشامةِ» «أصنجٌ» ... رحيقَ «سعيدٍ» في كؤس «التحَجُّر»
فبات ولا طيفٌ لنا في ضميره ... يدافع عنا من يقول ويفتري!

صنعا:

٢٤٩ ــ نـار الـرُّوح

هبـاء مضـى مـا خلتـه أو أردتـه ... وسخفًـا تـلاشى كـل شيء فعلتُـهُ
(ومـا أسفي) أني تعبـدت حقبـةً ... ولكن لأني لم أصـنْ مـا عبـدتـهُ
عصيت شعـوري واندفعت مجـازفًـا ... أحـطِّم منـه كـل حُلمٍ نـحتّـهُ
تمـرُّدُ عقلي كـان سلطان رغـبتي ... لـه الحكم فيمـا عفتـهُ أو رضيتـهُ

* * *

لـه أمـره، مـا اشتقتـه وكـرهتـه ... لـه وحيهُ، مـا خلتـه، أو رأيتـهُ
يقولون حرُّ الرأي، والرأي خاضع ... لحكمِ الهوىٰ في أيِّ أمرٍ يبتُّهُ
ولكنني في نكبةِ الحب قد قضىٰ ... هواي، ورغمًا بالنهىٰ قد سحقتُهُ
تـركت لنـار الـروح أشبـاح لـذتي ... تحـاسبهـا عن كـل شيء جنيتـهُ
وتـوَّهت حتى لا مـدى لنهـايـةٍ ... ولا غـايـة.. إلا بتيهي قـطعتُـهُ

باريس: أول رمضان ١٣٩٤هـ
١٩ سبتمبر ١٩٧٤م

٢٥٠ ـ الحُـزن الخـالـد

بـدم القلب، لا بـدَمْعي الغـزيـر ... سـوف أبكي حـطامَ حبِّي الكبيـرِ
قـد قتلت الهوى وفي المهـد أفزَعـ ... ـت رؤى حُلمـه الجميـل النضيـرِ
ومـلذاتـه ذبـحـتُ؛ ولـم أر ... حم رجـاوَى دعـائـهِ المستجيـرِ
وصـبـايـا أحـلامِـه تـتـهـاوى ... وتُـغنّي لحـنَ العـذاب الـمـريـرِ
ليلة الـرعب؛ حين نادى المنـادي: ... قـد دنتْ سـاعـة الـوداع الأخيـرِ!

* * *

«أسـفـي أنَّـنـي» وأدتُ غـرامـي ... وهـو في ميعـةِ الشبـاب الغـريـرِ
سـوفَ تبقى مـا دام ينـبض قلبـي ... جـذوةُ الحزن تصـطلي في ضَميري

بيروت: ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م

٢٥١ ــ محمد أحمد نعمان

عاش كالصقرِ دائم الجولانِ ... لم يسعه في الأرض أيُّ مكانِ
في السماوات ظامئًا يرشفُ الغيـ ... ـب، بشوق المهذَّب الفنانِ
ناطقًا بالذي يراه؛ جريئًا ... يتحدى أوامر السلطانِ
لا يبالي شراسة الخوف إن فَحَّ ... ولا يجتدي خداعَ الأمانِ
لم يطأطىء جبينه، لم ينافقْ ... لم يُتاجر بقيمة الإنسانِ
عاش كالصقر ثائرًا، وتردَّى ... بيد الغدر في ثرى «لبنانِ»
ذاك خلّي «محمد»، وابن خلي ... سيِّد النَّاس من بني «نعمانِ»
ذاكَ؛ من لا أزل أذكر. . لَما ... جمعتنا الأقدار في «السودانِ»
و«الزبيري» في «أرْكويت»، نُناغي ... حُلمًا لِلسَّلام والإيمانِ
قال بالحب والحوار ينالُ ... الناسُ ما يرتجون للأوطانِ
فانبذوا الحقد والحروب، وعيشوا ... بشرًا؛ في مودَّةٍ وحنانِ
وهو صوت ما انفكَّ يُحيي الأماني ... ويناجي ضميرَ كلِّ يماني

بيروت: ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م

٢٥٢ ـ صوت المحرومين

حيِّ الدعاةَ الصامتينْ ... بصوت آلاف السنينْ
واجأرْ، فإن لم تستطع ... فاهمسْ، وتمتمْ بالأنينْ
فالتمتماتُ على الشفاه ... تنمُّ عن ألمٍ دفينْ!
هتفت «بموسى» وابن «مر ... يم»، وابن «آمنة» الأمينْ
بمكارم الأخلاق، بالإيـ ... ـمان، بالحق المبينْ!

* * *

لكن.. وضجَّ الخوفُ وانـ ... ـسحقَت أماني الضارعينْ
الهاتفين بصوت «أحمـ ... ـد» والهداةِ المصلحينْ
وبما به نادى «المسـ ... ـيح» ورامه للعالمينْ
صوت العدالة، صوت ... آمال الضحايا الكادحينْ
العاملين؟ ولم ينالوا ... قط أجرَ العاملينْ
الصابرين! وما لهم ... حلمٌ.. بفوز الصابرينْ!
الصائمين.. ولا ابتهاج.. ... «بعيد فطر» الصَّائمينْ!

* * *

باسم العدالة حطموا ... أخلاقها.. متعمدينْ
قتلوا الحوافز.. كي يعيـ ... ـش الناس موتى، عايشينْ
مثل البهائم؛ لا خيال ... ولا جمال، ولا حنينْ!
وتناخبوا السلطان؛ سفا ... حين غُلْفًا ملحدينْ؟

يَـتـثـاءبـونَ، مـنَ الـفـوا ... حش مُتخمينَ، مُخـدَّريـنْ
والله، لـوْلا تِـيـه ... أرْبـاب الثَـراء العـابثـيـنْ
قـد أسخط «الفقـراء» واستـ ... ـعدى «الجياع» الحاقـدينْ
مـا اسْـطاعَ رعـب الـظلْم ... إسكـات الـدعـاةِ المخلصين
ولـمَـا تـمـكَّـن طـاغـيًـا ... حكـمُ الـطغـاةِ الآثـمـيـنْ
أيـن الـسـلامُ؟ وقـد غـزاهُ ... الخـوف في «البلد الأمـينْ»!
فـي «الـقـدس» أوَّل قـبـلةٍ ... لـلْمؤمـنين «المسـلمـيـنْ»؟
يـا لـلحقـيـقـة أصبـحت ... شـوهـاء كـالحـةَ الجبيـنْ
أيـعـيش أهـلُ الأرض فـي ... أوطـانِـهـم مُـتـطامـنـيـنْ؟
ولـهـم حـقـوقُ الـعـيش ... فـيهـا آمـنيـن مـرَفَّـهـيـنْ؟
إلاَّ «فـلسـطيـن» الأسـيـ ... ـيـرة في يـد المستعمـريـنْ
أبـنـاؤهـا خـلْف الـحـدو ... د مشـتَّـتـيـن مُـشـرديـنْ!
«جـرحٌ يضـجُّ». ويستغيـ ... ـثُ شعـور قـوم جـامـدينْ!
«وقـضيـة تـتلمَّسُ» الإنـصـ ... ـاف عـنـدَ الـمعـتـديـنْ!

* * *

يـا صمتُ ليس الصَّمتُ في ... شـرْع بـإنـصـافٍ قـمـيـنْ!
بـلْ بـالـصـواعـق قـسـوةُ ... الـعـدوانِ تصـهـرُ أو تلين!
و «الـحـقِّ» مـا لـمْ تـحـمِـه ... اسْتَخْـذى لبطش «المبـطلينْ»
و «الـعـدل»؟ لا عَـدْلٌ ... يسـودُ بـدون «قُـوَّة» قـادرينْ
وإذا «تـكـافـأت» الـقـوى ... عـاش الـورَى «متسـاويينْ»!

* * *

بـالحُبِّ. يـا صـوتي.. أفقْ ... واحـرس حقُـوقَ النَّـائمـيـنْ
حـركْ مـشـاعـرهم؛ أعـدْ ... فـيهـم حيـاةَ «النَّـاطقـيـنْ»

يـا «صـمـت»؛ يـا تـيـهـي كرهتُ الصمت هلْ لي أن أبينْ؟
سئمت لـسـانـي الـصَّـمـت إن الصَّمت دينُ العـاجـزينْ

* * *

أنـا مُـسـلمٌ؛ فـالـنَّـاس أكـفـاءٌ؛ ومـن مـاءٍ وطـيـنْ
وأرى «الـخـروج» عـلى الـطغاة المـارقين الفاسقينْ
و «الـصمتُ» كفـرٌ بـالإلـه وبـالـدُّعـاة الـمـرسلـيـنْ
لـو أنـهـم صـمـتـوا لـمـا فـزنـا بـوحيٍ، أو بـديـنْ
لـو لـم يـثُـر «زيـدُ» و «إبـراهيم»؛ ما وضح اليقين!
سمّـوهُ: «جعفـرُ» أو «أبـوهُ» أو «الـرَّشـيـد» أو «الأمـيـنْ»
و «هـشـام» أو «مـروان» أو حتَّى «مُـعـاويـة» الـرَّصـينْ
لا فـرق بـيـن الأبـعـديـن إذا عَـصَـوا ـ والأقـربـيـنْ
لـلعَـدل مـنـظارٌ بـه يمتـاز صَفُّ المجـرمينْ!
وهـو «الصِّـراط المسْتَقِيمُ» فـلا «يـسـار» ولا «يَـمـيـنْ»

* * *

«الأكـثـريـةُ» فـي بـلادي مـن عـداد الـمـيِّتـيـنْ[1]
«الصَّـامتين»، الـصَّـابـرين الـخـاضعين، الـضَّـائعينْ
والـيـوم، ديـنُ الـنَّـاس دينُ الأقـويـاء المُـبـدعيـنْ
أهـل القـوى؛ من طـائـرات ومـن مـدافـع، أو سَـفـيـنْ
و «الـشَّـرق» يـشـحـتُ، أو يثـرثـر أو يـزيِّفُ «ثـائـريـنْ»؟
يـثـبـون «أحـرارًا»؛ فـإنْ جلسوا على الكُرسي الـوضيـنْ

(١) يقصد الوطن العربي الكبير»، وقد أنشد الشاعر هذه القصيدة في مؤتمر الأكثرية الصامتة يوم ١٣/٢/١٩٧٥م بلبنان وقد تجاهلتها صحف اليسار واليمين على السواء. وبعدها بشهرين حدثت محاولة اغتياله ولكن الله سلم، وانتقل إلى «لندن» للمعالجة.

ركنوا إلى أطماعهمْ وتوارثوها «مَالكينْ»
وتلاعبوا بالدِّين والدُّستـ ـتور، غير مبالينْ

* * *

هلْ قصَّةُ الإنسان في دُنْيايَ مأْساةُ السِّنينْ؟
منْ أنبياء مُصلبين . . وأدعياء مُسلَّطينْ؟
أمْ أنَّ طغيان الضَّجيج ودَمْدمات المُرْجفينْ؟
قد أرعب «المستضعفين» وأرهَبَ «المُتوهِّمينْ»؟
وقضى على حسِّ «البصيرة» في عيون المبصرينْ!
وأماتَ طاقات الهُدى، في ألسن المتكلِّمينْ
فتهافتوا مثل الفراش، وأجْفلوا متفرقينْ
لا ينطقون، وأيُّ نطقٍ للأسارى المُهطعينْ؟
«الصوت» سرُّ الله. فانصهروا به. . مُستغفرينْ
وتظلَّموا، لا تستكينوا. . لا تظلوا ساكتينْ
فالصَّمت ما يرضى به. . منَّا الطُّغاةُ الحاكمونْ
ليمارسوا طُغيانهمْ، و «الأكثريَّةُ» صَامتونْ
يا ليْتَكم؛ يا لَيْتَكُمْ يا ليْتكمْ. . تتكلَّمونْ

* * *

«أسفي لأني» قد «أسفْتُ» وليس قومي «آسفينْ»
ألفوا «السكوتَ» على الهوان فقدَّسوهُ كارهينْ
وعرفتُ نفسي فانطلقتُ على جناح من يقينْ
أفضي بمكنوني؛ وفيه يصيحُ «صوتُ المؤمنينْ»

* * *

«أسفي لأنّي» لا يراني الخلقُ بينَ اليائسينْ

وارَيتُ آلامي.. فلمْ أزعجْ عيونَ النَّاظرينْ
وَوَأدْتُها خوفًا عليها من «شمات» الحاسدينْ
والمُشفقين؛ ذَوي الدُّموع الذَّائبات من الحنينْ
قد كنتُ «بحرًا» للدُّموع فصرتُ «قفرًا» للأنينْ

بيت مري، لبنان: غرة ربيع الأول ١٣٩٥هـ
١٣ مارس ١٩٧٥م

٢٥٣ ـ يحيى الوداعي

[في يوم ١١ ربيع الأول ١٣٩٥هـ / ٢٤ مارس ١٩٧٥م ، انتقل إلى جوار ربِّه السيد الأديب يحيى إسماعيل الوداعي، وكانَ ظريفًا أديبًا؛ وبينهُ وبينَ صاحِبِ الديوان ودٌّ أكيد؛ فقال يبكيهِ ملتزمًا في أسفِهِ لزومَ ما لا يَلزم (العَين مع الدَّال)]:

بِفُؤاد راضٍ ، واسْتجابةِ وادعِ ... لَبى نداء الحقِّ «يَحيى الوداعي»
لَو كانَ مَنْ ناداهُ غير إلَهِهِ ... رَفضَ الخضوع لأي أمرٍ صادعِ
وهو الَّذي بإبائِهِ، وشموخه ... قدْ عاشَ بين الناسِ غيرَ مخادعٍ
«سبْعين عامًا»؛ نالَ مِن ساعاتِها ... حظَّ الذي ما إن يصيخُ لرادِعِ
مَلأَ الحياةَ بحسِّهِ، فأنالَها
ما تستحقُّ مِنَ الكريمِ الوادعِ
شمسُ الحوادث راضها بثباته
ما كانَ بالواني؛ ولا المُتقادعِ (١)
«أسفي عليه» ونوح شِعري كلما
أسطيعهُ.. يومَ الفراقِ الجادعِ

القاهرة: ١٢ ربيع الأول ١٣٩٥هـ
٢٥ مارس ١٩٧٥م

---

(١) شمس الفرس: لم يمكِّن أحدًا من ركوبه؛ فهو شموس؛ جمع: شُمس. والواني: العاجز. والمتقادع: المتهافت، ويقال: تقادع الذُّبابُ على المرق: أي تهافت.

٢٥٤ ــ تحيَّة جبال اليمن

[حينَ تمَّ تجديدُ انتخاب السيِّد موسى الصدر «إمامًا»؛ حَيَّاهُ الشَّاعر بالأبيات التالية.. وألقاها في حَفْل كَبير يوم الجمعة ٢٣ ربيع الأول ١٣٩٥هـ/ ٤ أبريل ١٩٧٥م]:

هكذا كانَ قبلكَ الخُلفاءُ ... مِثْلَما كَانَ الرُّسْلُ والأنبياءُ

هكذا.. قد أتَى إلى «بَدْرٍ» ... «جبريلُ» عليهِ عِمامةٌ سوداءُ

هي؛ رَمْزُ الجهاد؛ قد صَانَهُ ... للشرقِ.. فينا الأئِمةُ الشُّهداءُ

وهي روحُ الفداء؛ و «الصَّدرُ» فيها ... قِبلةٌ، يَهْتدِي بها الأوليَاءُ

هُوَ مَنْ؟ جَدُّه «عليٌّ» ومِن ... آبائِهِ المحْرُومُونَ والفُقراءُ!

قد أتى مُنْقِذًا لهم فَتَناجَتْ ... باسْمِهِ الأمَّهاتُ، والآباءُ

في زمانٍ.. إذا تطلَّع للعَدْ ... لِ؛ أبيٌّ؛ أبادَهُ الأقوياءُ

هَل تُرى يُكرمُ الزمانُ بنيهِ ... فيثورُ الجِياعُ والضُّعفاءُ؟

ومتى تَزْحَف الكتَائِبُ خَرْسا ... ء صَلاةً حداؤُهم ودُعاءُ؟

يا «إمامَ» الهُدى بعَصْرٍ رهيب ... ماتَ فيهِ التُّقى، وضاعَ الحياءُ

«رحِمٌ» في «الجبالِ» قد أزعجَ الها ... جعَ فيها؛ فضجَّ فِيهَا النداءُ

في بلادٍ «ضَريرةٍ» هي لِلإيـ ... ـمانِ، والعَدْلِ الرَّايةُ الحمراءُ!

كلُّهُمْ يَهْتِفُونَ باسْمِكَ يا «مو ... سىٰ» وكُلٌّ لَهُ إليكَ انتماءُ

أنتَ أنْتَ «الإمام» قد تَرْجَمَ ... السرَّ لَنَا العارفونَ والعُلماءُ

أنْتَ أنْتَ «الفَقِيرُ» ذُو الوجْهِ يَعْلو ... هُ بَهاءٌ يُحبُّهُ البؤساءُ!

تَـحْتَ أقـدامِـه تـخـرُّ الـطَّواغيـ ... ـتُ؛ وفـي كـفِّـه يُـنَصُّ الـلِّواءُ
هكـذا في نفوسنـا قـد قَـرأنـا؛ ... وقَـليـلٌ فيـهـا هُمُـو الـقُـرَّاءُ..!
نَحْنُ جنـدُ الإسـلام نَجْهَـرُ بـالـ ... ـحقِّ فـإمَّـا عَـدْلٌ، وإمَّـا فنـاءُ!
وهـو رَمْزُ «الإنسـان» في الأرض فيهِ ... وحْـدَهُ ـ لا سِـوى ـ يحقُّ الفـداءُ!
و «عـليٌّ» شـهـيـدُه و «حُسَـيـنٌ» ... وبـنـوهُ الأشـاوسُ الأتـقـيـاءُ
كُنْ مـعَ «العَدْلِ»؛ ألمعيًّـا صريحًـا ... نُـطْقـكَ الحقُّ، لا هـوى؛ لا ريـاءُ
لا تُبـلْ إن جَفَـاكَ منْ ليس يـدري ... أو تـمـادى الأشـرارُ والسُّـفـهـاءُ
إن لِـلنَّـاس فيـكِ ظَـنًّـا جَميـلاً ... وهْـوَ لِـلْمُخـلِصين نِعـمَ الـوِقـاءُ
وأرى الـشـر قـد أنـاخَ.. ولكـنَّ ... قَـريبًـا أرى ـ يكـونُ الجـزاءُ..!
«يَسْكُن الوحشُ لِلْوثوبِ مِنَ الأسْرِ»[1] ... .. فكَيْفَ الخـلائقُ العقـلاءُ»..؟

بيروت: ٢٣ ربيع الأول ١٣٩٥هـ
٤ أبريل ١٩٧٥م

(١) هذا البيت للشاعر «أحمد شوقي»

٢٥٥ ــ الــوداع

ودَّعتُ نــومي وســروري مـعــا
لَمَّـا رأيتُ الـركبَ قـد أزْمعـا..
بــانــوا بـحِـبٍ حـيـن ودَّعـتُــه
أجـهشَ لا يجــرؤ أن يَــدمـعــا
يــخــافُ أن يَـعــرفَ عــذَّالــهُ
أو أنْ يـرى الشـامت، أو يَسمعـا

بيروت: ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م

٢٥٦ ــ عاشق الحكم، وعبد المال

فيها التزامُ العين مع النُّون بينهما ألف

الجاهُ، والثروةُ؛ لا ينفعانْ ... والفقرُ والكديةُ؛ لا يشفعانْ
هناكَ ميزانٌ إلى عدلِهِ ... ذو المال والمكدي غدًا يرجعانْ
فرُبَّ ذي مالٍ تقيٍّ إذا ... فكر؛ عيناه أسًى تدمعانْ
ورب ذي جاهٍ ذكي؛ وإنْ ... تنصحهُ أصْغى وارعوى واستعانْ
وكم فقيرٍ؛ وهو مِن خُبْثِه ... وشرِّهِ عيناه.. لا تَهجعانْ
وعاشقُ الحكم وذو المال ــ إن ... شحَّ بهِ ــ بطنانِ لا تشبعانْ
يُنكدانِ الناس كيْ يَسعدا ... ولا يفيقان، ولا يقنعانْ
وللملذاتِ هما طيِّعان ... وللمعاصي جَهرةً يخنَعانْ
يُسبِّحانِ المالَ إذ يسجُدان ... ويَحمدانِ الجاهَ إذْ يركعانْ
وللهُدى والخير والرِّزقِ والما ... عونِ، ما بينَ الورى يمنَعانْ
تُزلزلُ الأرضُ؛ فلا يَعقلانْ ... ولا يصيخانِ، ولا يَسمعانْ
ما يفتآن العُمرَ في غفلةٍ ... كالبَهم في سومِهما يرْتعانْ[1]
حتَّى إذا الموتُ بنَاقوسِهِ.. ... دَقَّ؛ أفاقا حَسرةً يَهلعانْ
هُناكَ لا تُجدي المعاذير قطمـ ... ـيرًا؛ وماذا يا ترى يصنعانْ؟
وكم قديمًا ذُكِرا بالرَّدى ... فلا يخافانِ، ولا يخشعانْ
إنْ خَدعا النَّاس بلا حشمةٍ ... فالله، والتَّاريخُ لا يُخدعانْ
يا خُسر مَن والاهما ذِلةً ... ومَنْ ــ ضلالاً ــ لهُما قدْ أعانْ

مستشفى ويلنْجتون، لندن: ١٦ جمادى الأولى ١٣٩٥هـ
٢٦ مايو ١٩٧٥م

(١) البَهم: الواحدة = بهيمة؛ أولاد البقر والمعز والضأن.

٢٥٧ ــ بين الجَبر والاختيار

[وقال ملتزمًا «التَّاء» المضمومة مع الرَّاء وياء الردف]

لا تلحني؛ ما كما أهواه أبريتُ
وقد طُبعتُ بأخلاقي؛ وأغريتُ
وزاد طبعي فسادًا أن مُدحتُ على ذَميم فعلى وإن أخطأتُ أطريتُ
حتَّى ألفتُ خِصالَ السّوء وانفعلتْ غرائزي بحميَّاها، وضُرِّيتُ[1]
فَهَل تجرَّأتُ؟ أم أنّي قُسرتُ على
فِعل المعاصي بلا قصدٍ وجرّيتُ؟

* * *

قُلنا، وقالوا؛ ووجهُ الحقّ مُستترٌ عَنا وأقوالُنا؛ مَينٌ وتهريتُ[2]
نجتازُ صحراء لا نَدري مسالكها كم ضلَّ في دوّها فحلٌ وخريتُ[3]
دعني وشاني، وإن لم تَرضَ عن شيمي
فما عن النَّقصِ والتَّقصير بُرِّيتُ
أنا الَّذي في دياجي الغيِّ كم سبحت نفسي؛ وأدلجتُ مغرورًا وأسريتُ
لولا بقيةُ تقوى أو محاذرةٌ؛ لقُلتُ: إنِّي لمحضِ الشرّ أبريتُ
أُعطيتُ ما لم أكنْ أهوى؛ وهأنذا
قسرًا سُلِبتُ ومما حزتُ عُرِّيتُ

لندن: ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م

---

(١) ضرَّى الكلْب: أغراه وعوَّده.
(٢) التهريت: التشدق.
(٣) الخريت: الدليل والحاذق.

٢٥٨ ـ لُـهـاث الجـراح

قِفوا قليلاً . . .
يا رفاقَ اللَّيلِ
فالْفَجْرُ . . . بعيدْ
لا تَظْلمونا؛ لَمْ نكُنْ بالظَّلمَهْ
وما قَتلْنَا الحقَّ في محرابِهِ؛
ولا خَنقْنَا صوتَهُ
ولا جَحَدْنا فَضْلَ ما نَعْرِفُ مِن آدابِهِ
ولا أردْنا موتَهُ
ولا حَضَرْنا مائتمَهْ
والنُّورُ . . . لم نَسْفِكْ دَمَهْ
ولا حَطَمْنَا علَمَهْ
وقد رَشَفْنَاهُ سَعِيرًا . . . وجَرَعْنا حمَمَهْ
ولم نَخَفْ من أجلِهِ
نارَ الجحيمِ الحُطَمَهْ
والصُّبحُ يَدْري أننا
كُنّا نخافُ العَتَمَهْ
واللَّيلُ صُنّا سِرَّهُ
ولم نُفنِّدْ أنجُمهْ

والأبدُ الأخْرسُ
لم نَنْبُسْ لَهُ بكَلِمَهْ
والقَدرُ الأبْكَمُ
عانقْناهُ.. قَبَّلْنَا فَمَهْ
والدَّمْدَمَاتُ في الضّلوع
كَمْ كَتَبْنَاها.. وذابَتْ في الشفاهِ تَمْتَمَهْ؛
وحسراتِ أسفٍ
ورجفات هَمْهَمَهْ

* * *

قِفوا قليلاً
يا رفاقَ اللَّيلِ؛
فالْفَجْرُ بعيد
ومِن وراء نورِهِ
يكمُنُ ليلٌ موحشٌ... بليدْ
يلوكُ أشلاءَ الأماني
وحُطامَ الأمَلِ البديدْ
ويتمطّى... مُثْقَلاً
كالجملِ الحَسِيرْ؛
أوْ كَلُهَاثِ ندمٍ
يَجْهَشُ في جراحِ بطلٍ أسيرْ

لندن: ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م

٢٥٩ ـ الملثَّمون

مُلثَّمون . . وجُدُودنا
كانوا . . مُلثَّمين
مشرَّدين . . في البراري . . تائهينْ
نحنُ ؛ الملثَّمونْ
الكاتِمونَ في صدورِنا :
بغضَ الجُناه

* * *

لا ننطق العوراءَ ، إلّا في وجوه الظالمين
إذا تَدجَّى الهولُ
أشْعَلْنا مصابيحَ الأملْ
وإنْ طغى الخوفُ
صَمَتْنَا . . . وخَشَعْنا لِلْعَمَلْ
نحنُ الملثّمونَ جَهْرةً
لا رَهْبةً . . ولا حيا . . !
بينَ رفاقِنا نَخْطُر
ووجوهُنا مُلَثَّمَهْ
أشلاءُ نورٍ
تتهاداها الدَّياجي المظْلِمَهْ

ورَشَفاتٍ . . ؛
تَتَمنّاها الصَّحارى المعْتِمَهْ
ولهفاتٍ
تَتَلظَّى . . في القلوب المُسْلِمَهْ

* * *

نَحْنَ عُراةٌ في طوايانا
وإن كُنّا مُلثَّمينْ
نرهبُ أنَّات العُفاةِ البائسينْ
ونَسْتَجيبُ لِنداءِ الثَّائرين ؛
ونَمْتَطِي عواصِفَ الضّياع
تائهينْ
غير «آسفين»
إنْ لَمْ نكُنْ «مْجاهدينْ»
صِرْنا . . . «مُهَاجرينْ»
غير «آسفينْ»
كيْلا نَعيشَ «جَهْرةً»
«مُسْتَضْعَفينَ» . عاجزينْ

لندن : ٢٢ جمادى الأولى ١٤٩٥هـ
١ يونيو ١٩٧٥م

٢٦٠ ــ تحيّة للرئيس الحَمدي

بمناسبة الذكرى الثالثة عشر للثورة

حَيَّ المقدَّم إبراهيم ذا الفطنِ وابن الأشاوس من أحفاد ذي يزنِ
وقل له «سبأ» في القبر مبتهجٌ مذ قمت تحمل عنه راية اليمنِ
والناس من «يعرب» أو «هاشم» محضوا
لك المودَّة في الأسرار والعلنِ
أحبَّك الشعب عن صدق ومعرفةٍ
من سفح «صعدة» حتى السيف في «عدنِ»
قد بايعوك رئيسًا والرئاسة قد كانت قديمًا من الأرزاء والمحنِ
ولست وارث تاج تستبدّ به ولم تثر لِدواعي الحقد والإحن
فانهض بها واعف عنهم واغْضِ وانه ومُرْ
بالعرف واعرض عن الدّاعين للفتن
والحكم ما لم يكن «شورى» ورايته
هي «المساواة» لا يقوى على الزَّمن!

برومي: ٢١ رمضان ١٣٩٥هـ
٢٦ سبتمبر ١٩٧٥

٢٦١ ـ بلا عنوان

هَجَرْتُها . .
هاجرْتُ عنها . .
وجَهَرَتُ بقلاها . . وأنا الحُرّ الشريد .
وترك الهجر لها في مهجتي
ذكرى تُبكّي حبِّيَ العَتيدْ .
كأنها ثمالةٌ من أمل . .
تنشجُ في أحشاء مظلوم شهيدْ .
هل حطّمتني . . وأنا صانعها؟ .
هل أنْشأَتْني من جديدْ . .
عَبْدًا لها . . بليدْ؟
عبدًا لها يطيقُ ما لا يستطيع ،
يزخر بالأحلام . . فؤادُه الوديعْ .
ويرشف الأوهام . . روحُهُ الوجيعْ ،
ويبدع الأنغام . . في شعر بديعْ ،
يطيعُ . . ويطيعُ . . ويطيعْ ،
وفي حناياه صريحٌ لهوى . . . صريعْ

٢٧ أكتوبر ١٣٩٥هـ

ألف باء

اللزوميات

حرف الهمزة

٢٦٢ ــ فطرة الخير [١]

الهمزة المضمومة مع الباء

لي الله؛ كم للجِدِّ روحي أريقُها ... حزينًا؛ وحولي يَعْبثُ الأُدباءُ
يذودون عَنْ حوض الهدى كلَّ عاطش ... ويُصْرَفُ عنْهُ الفِتْيةُ النُّجباءُ!
يريدون قَسْرَ الخلْقِ؛ والفَردُ منهم ... لَهُ فِطرةٌ خَلاقةٌ وإباءُ!
يقولون: أطفالٌ نصوغُ عُقُولَهُمْ ... وأرواحهم أسرى لَنا وسباءُ!
فقلت: ضلالٌ كلُّ ما تَنْطِقُونهُ ... ويعرفهُ الأفذاذُ والأرباءُ
عزوفي عن تَصْديقِ ما تزعمونه ... يقين له في القلب نُصَّ خباءُ

٢٦٣ ــ لـمـاذا التَّـمـادي؟ [٢]

الهمزة المضمومة مع الباء أيضًا

تُكابِرُ في حصدِ المعاصي، وتـدَّعي ... معــاذيــرَ يَــدرى زَيفَــهــا الأربــاءُ
وأنـت عـليــمٌ أنَّ عـمــرَك نــافِـدٌ ... وتَـعْــرِف أنَّ الـكــائِـنــات هَـبــاءُ
وأن حِــســابًــا لا يُــغــادِرُ ذَرةً ... سَيَــأتي؛ وفيــه يَشهــدُ الــرُّقبــاءُ!
لماذا التمادي؛ والشَّباب قد انْقَضى؟ ... وهَـل تُـرْتَضَى شيخـوخـةٌ وصَبَــاءُ؟

٢٦٤ ــ القضاء والقدر [٣]

الهمزة مع الهمزة

تعبَّدْتُ؛ لا أرجو من الله دفع ما
قد اختارَ؛ ما فيهما أقول رِئَاءُ!
ولكنَّه اللُّطْفُ المرجَّى؛ يَصُونُ ما
تَبقَّى؛ فيزْهو مَنظرٌ ورؤاءُ!
وإنِّي، ومَنْ قد يرتَضُونَ مقالتي
إلى الله عنْ جَحْدِ القَضَا بُرآءُ

٢٦٥ ـ العَصَبِيَّة [٤]

الهمزة المضمومة مع الباء

«مَعدُّ» تَولَّى وهو يَجْهَلُ ما الذي ... دَهى سباء أو ما الذِي كان يَسْبَاءُ
ودار به الفلكُ الذي دار ساخرًا ... على الخلق: فدمٌ، أو عَليم، يُنَبَّاءُ
فكيف يُراد اليوم مِنك تَعصُّبٌ ... لأنْساب راوٍ؛ إنَّني بك أرباءُ؟!
تَحكَّمَ مِيزانُ المساواةِ في الورى ... وأخطأ من عَنْها يحيدُ، ويَصْبَاءُ
وبانَ لَنَا بالْعِلْمِ ما كانَ خافيًا ... وشافَهَنا السِّرُّ الذي كان يُخباءُ!

٢٦٦ ــ بـدأت.. ومـا زلـت [٥]

الهمزة المضمومة مع الدَّال

إذا صَدِىء الجسْمُ الَّذي هُوَ هَيكلي ... فَـرُوحي فيـهِ لا تَـشِيـبُ وتَصْـدَاءُ
بـدأتُ سليم النفس تعشقُ فِـطرتي ... الْجَمَـال؛ وأهْواهُ، ومـا زلتُ أبداءُ؟
وسوف أوالي السَّير في نَهْـجِ عِشْقِهِ ... وفي مُنْتهـاه سَـوف أقْضِي وأهـداءُ!

٢٦٧ ــ استنهاض [٦]

الهمزة المضمومة مع السِّين

سَفِينةُ العُمرِ في بَحْرِ الحياةِ مَضَتْ ... لها شِراعان: إصباحٌ وإمْساءُ

فيها بَضَائعُ آمالٍ وأخْيِلَةٍ ... وما لها غير شَطِّ القَبْرِ إرسَاءُ!

كم مِنْ سفينٍ تَهاوتْ في دجنَّتِهِ ... والبحر باق، وعينُ الدهرِ شَوسَاءُ![1]

أفٍّ لِقَومٍ نِيَامٍ، لا يحسُّ بهم ... مَنْ في الوجودِ؛ فلا سَرُّوا، ولا ساءوا

لا يَسْمَعون لِصَوتِ الحقِّ ينْدبُهُمْ ... كأنَّهُمْ أمَّةٌ بكماء.. خَرْساءُ

مَنْ لي بِهِمْ مَعْشرٌ؛ من كلِّ ذي خُلُقٍ ... سامٍ، وهِمَّتهُ شَمَّاءُ قَعْساءُ

جاءَى الزَّمانَ؛ فَلاَ النَّعمَاءُ تُبْطرهُ ... إذا، تَوالت؛ ولا تُخْزِيهِ بأْسَاءُ

---

(١) الشوساء: الناظرة شزرًا يغضب.

٢٦٨ ــ عشَّاق المخازي...! [٧]

الهمزة المضمومة مع الباء

كَمْ ذا نُكابدُ من غِلٍّ ومن حَسَدٍ ... ومن خداع؛ أما يُرْجَى أطِبَّاءُ؟
لا نَتَّقِي الله في إثمٍ نُقَارفُهُ ... ولا نطيعُ.. إذا قال الألبَّاءُ
ونَسْتَطيبُ، ونُطْرِي كلَّ مُوبِقَةٍ ... كأنَّنا لِمَخَازِينَا أحِبَّاءُ

٢٦٩ ـ المحجة البيضاء [٨]

الهمزة المضمومة مع الواو

إنْ كانَ في الشِّعرِ إيطاءٌ، وإقواءُ ... وللسِّياسة ألوانٌ، وأضواءُ[1]

وفي المذاهب أنْمَاطٌ مُشَكَّلَةٌ ... وفي علوم الورى زيفٌ وإغواءُ

فإنَّ شِرعةَ «دين الحقِّ» واضحةٌ ... بيضاء، مثل جبين الشَّمسِ، جَلْواءُ

فاسْلك محجَّتها في غبْطةٍ ورضًا ... ولا تُصِخْ ـ إن تناجتْ فيكَ أهواءُ!

وابْعد عنِ النَّاسِ إن شاهَتْ عقائدهمْ ... بَعْضُ العَقائِدِ أغْلالٌ، وأدْواءُ!

---

(١) الإقواءُ: اختلاف حركةِ القافيةَ. والإيطاء: إعادة القافية.

٢٧٠ ــ الألحـان.. والـرَّاح [٩]

الهمزة المضمومة مع الفاء

سفينتي في خِضمَّ الــدَّهـر جــاريـةٌ ... ولسْتُ أدري متى، أو أين أرفِئُهـا[١]
مَنْ ذا يُجِدّ ثياب الجسْمِ إن خَلَقَتْ؟ ... وإن خبت نارُ روحي؛ من سَيُدفِئُهـا؟
همـوم عُمـرِي بــالألْحَـانِ أسْكِتُهــا ... ونــارهـا بمــذاب الــرَّاح أطْفِئُهــا!

---

(١) أرفئها: أرسيها.

٢٧١ ـ زندقة العصر [١٠]

الهمزة المضمومة مع الياء

قَدْ عَمَّ بينَ الورى الرِّياءُ ... وانْعَدَم الصدق والحياءُ
وسادَ مَنْ كان ذا ضلالٍ ... وحكم النَّاسَ أغبياءُ
فلتَبْكِ عيناك كلَّ خيرٍ ... وَلْيَنْتَحِرْ فيهما الضِّياءُ!
فكافِرُ اليوم دُون عِلمٍ! ... ولا المصَلِّينَ أتْقيَاءُ!
ولا حوارٌ، ولا دليلٌ ... ولا انشراحٌ، ولا استياءُ!
الأكرَمُونَ التُّقاةُ ماتوا ... وملأ الأرض أدْعياءُ

٢٧٢ ــ صـوت العـدل [١١]

الهمزة المضمومة مع الياء

رُويــدك؛ ليس حِلْم المـرْءِ عجــزًا ... ولا الــرَّجُـلُ الحيـيّ هُــوَ العَيَـاءُ[1]

وقــد يَسْطيــعُ ذُو الثـأرِ انتقــامًــا ... فتـمـنـعــهُ الـمــروءةُ والـحـيــاءُ!

يَــعــافُ الـظُّلمَ حُــرٌّ ألــمــعــيٌّ ... ويــألــفُــهُ الـعُــصَــاةُ الأدْعـيــاءُ!

ويــأبَى أن يُشـارِكَ في المخــازي ... هُـمَــامٌ.. إن دَعــاهُ الأشـقــيــاءُ!

ومــالُ الـسُّحْـتِ مَـشــأمــةٌ وعَــارٌ ... تَــحَــاشــاهُ الــطغَــاةُ الأذكـيــاءُ!

رُويـدَكَ.. في الـدُّجى بـرقٌ لمـوعٌ ... ولـكـن.. لا يَــرَاهُ الأغْـبـيــاءُ..!

أرى خَلْفَ الــظَّلامِ وَمِيضَ فَـجْــر ... ويــوشـكُ أن «يَسُــودَ» بـه الضِّيــاءُ

وتُـسْـفِــرُ رَايــةٌ لِـلْعَــدْلِ فيــهــا ... جَـلالٌ؛ لَنْ يُخـادِعَــهُ الـرِّيَــاءُ..!

---

(١) الرجل العياء: الذي لا حاجة له إلى النساء.. عجزًا.

٢٧٣ ــ التبايـن [١٢]

الهمزة المضمومة مع الظَّاء

أراكَ مُنَعَّمًا وقَريرَ عَينٍ
تَحُوطُكَ حَيثما تَمضي الحظاءُ[١]
وبـي قَلَقٌ يُزَعْزِعني ورُعْبٌ
يُثيرُ مَخاوفي، وبِـي الْتِظَاءُ
فكيف يَضُمُّنا أَمَلٌ، ورأْيٌ؟
وهَلْ قَدْ أُولِفَتْ ذَالٌ وظَاءُ؟[١]
يؤوب «القَارظانِ» إذا الْتَقَيْنَا!
ويُحْلَبُ إن تعاشرنا العِظاء[٢]

---

(١) الحظاء: جمع حظوة.

(١) لا تجتمع الذال والظاء في لفظة عربية.

(٢) القارظان: رجلان قديمان خرجا يجنيان القرظ فضاعا، والعظاء جمع عظاية: دويبة لا تبول: فكيف تحلبُ؟

٢٧٤ ــ القـوَّة.. والقـدر [١٣]

الهمزة المضمومة مع القاف

وجـودُكَ فـي مُحيـطِكَ إرْتقـاء ... وتَـطْويـرٌ لـجنسـكَ وانْتِـقـاءُ
وقـالـوا: إنَّـمـا يَبْـقـى قَـويٌّ ... لَـهُ عَنْ كـلِّ كمـا يَخْشى اتِّقـاءُ
ومـا الـدُّنْيـا سِوى أنْفـال حَربٍ ... وغَـاصِبُهـا لَـهُ فيهـا الـبَقَـاءُ[1]
كـذا قـالـوا؛ فقُلتُ ــ ولِلْمـآسي ... تَـجـارِبُـهـا؛ نَـعـيـمٌ أو شـقـاءُ
إذا قَـدَرٌ أنـاخَ؛ فَـلا سـلاحٌ ... ولا حَـذَرٌ يُـفـيـدُ، ولَا وِقَـاءُ!
ولا الأعْـوانُ يـوم الـرَّوْعِ يُـرْجَى ... بِهم فـرجٌ! ومـا هُـمْ أصـدقـاءُ!

(١) الأنفال: الغنائم.

٢٧٥ ـ هَـل مِـن صَـيـحْـة [١٤]

الهمزة المضمومة مع الرَّاء

قَــدْ كــانَ لـي قلبٌ عَـصِيٌّ طـبعُــهُ ... ذُو هِـمــةٍ لا يُــرتَجَى إغْــراؤُهــا!
يَـسْـتَـقْـبِــل الأرْزَاءَ فــي دعــةٍ وإنْ ... عـظُمَتْ ويَصْبِرُ إن طَغَت ضـرَّاؤُهـا!
واليــوم قَــدْ سَقِمت عَــزِيـمتُــه ولا ... يُــرْجَى تمــاثـلُهــا ولا إبــراؤُهــا!
سَقِمَتْ بِغَــدْرَةِ صَــاحِبٍ مُتَـعهِّــدٍ ... فـي لَيْـلَةٍ قَــدْ أوْحَشَـتْ غَــدْراؤُهــا
وبِـمَــا يُشــاعُ جَـهَـالَــةً فـي أمــةٍ ... قَـدْ غرَّهـا ـ مَـعَ جَهْلِهـا ـ إثْـراؤُهـا
رَكنــوا إلى أطْمــاعِهِمْ فَخَــوتْ بهِمْ ... إربٌ، وأوهَــامٌ هــمُــو أُســراؤُهــا

* * *

قَــدْ كُنْتُ في كَنَفِ الشَّبــابِ وَهمتي ... وثَـبَــاتُهــا تَـزْهـو بِـهَــا نُــظَراؤُهــا
نحْمِي حِمَى حُــريَّــةٍ؛ نَخْشَى عَلَى ... حُــرُمَـاتِهــا إنْ لَمْ يُصَنْ فُقَــراؤُهــا
واليــوم لا غَــدُ قَــد أتَى مُتَبَـخْتِـرًا ... أمْسُ الـبِــلادِ تَــزفُّــهُ شُعَــرَاؤهــا!
هَــلْ صَيْحــةٌ تَعْلو؛ فَتَصْحــو أمَّــةٌ ... «أَمَـرَتْ بِغَيـرِ صَـلاحِهـا أمــراؤهـا»
«ظَلمـوا الرَّعِيَّـةَ وآسْتَجـازُوا كيْـدَهـا ... فَعَـدوا مَصَالحهـا وهُمْ أُجراؤُهـا»[1]

(١) اقتباس من لزوميَّات «المعرِّي».

٢٧٦ ــ النـاسُ.. والـدنـيـا [١٥]

الهمزة المضمومة مع الباء

جِنْسُكَ ــ مُذْ كـانَ ــ ذو مُخاتلةٍ ... كـأنـه فـي الـخـداعِ حِـرْبَـاءُ
اسْتَحكَمَ الخُلفُ في بنيـهِ، وقَـدْ ... تَـمـايَـزَ الـغُـلْفُ والألِـبَّـاءُ
هـذا يُـصَـلِّي؛ وَحِـسـهُ قَـلِقٌ ... تَـشْـغَـلُهُ الـطَّـيِّـبـاتُ والـبَـاءُ[1]
وذاكَ يَـشْـتـاطُ شَـهْـوةً، ولـه ... خـلـيـلةٌ تـطـبـيـهِ عَـرْبَـاءُ[2]
وذَا بـهِ لـوثـةٌ وقـد نَـفَـرتْ ... عَـنْـهُ لِـمَـا نَـابَـهُ الأحـبَّـاءُ!
وفِـتـيـةٌ فـي غـوايـةٍ وشـقـا ... أدْواؤُهـم مـا لـهـا أطـبَّـاءُ!
ومـعـشـرٌ يـعـرفـون أنَّـهـم ... بمـا هُمو قَـدَّمـوهُ.. قـد بـاءوا

* * *

أُفٍّ لِـدُنْـيـا؛ نـعـيـمُـهـا لُـمَـعٌ ... وعَـيْـشُـهـا خُـدْعَـةٌ، وَإربَـاءُ
كَـامْـرأةٍ يَسْتَبكيـكَ مَـظْـهَـرُهـا ... لَـكِـنَّـهـا مُـومِسٌ؛ وجَـرْبـاءُ!

---

(١) الباء: الزواج.

(٢) تطبيه: تَتَحَببُ إليه. والعَرباء هنا: العاشقة.

٢٧٧ ــ ثـورة العـدل [١٦]

الهمزة المضمومة مع الميم

مَنْ تُنــادي؟ مَن تَسْتَفِــزُّ وتَــرْجُــو؟ ... دَهــرُكَ الــيــومَ أذنُــهُ صــمــاءُ
فَتــكَ الشــرُّ بــالــطَّبــائِــعِ واسْتــ ... ــشْرى؛ فَلا رَحْمــةٌ، ولا رُحماءُ
وتَبــاهَى الــطَّغــامُ في كــلِّ حفْــلٍ ... وتَــوارى الأبْــرارُ والــحُــكــمَــاءُ
لَمْ تَعُــدْ تِلْكُمــو النُّجــوم الَّتي نَعْــ ... ــرِفُ تَــزْهــو ولاَ السَّمَــاءُ السَّمَاءُ!
لَــمْ يَعُــدْ مِن مَعــارفِ الــدِّيــن إلاَّ ... صــورٌ تُــسْــتَــغَــلُّ أو أســمــاءُ
كــانَ بــالأمْس يُــرعِب الشَّعب فــردٌ ... بصَــدَى بَـطْشِــهِ تُصَانُ الــدماءُ!!
ولــنــا الــيــومَ كــلُّ يــومٍ قَــتــيــلٌ ... لا شــهــودٌ لَــهُ، ولا غُــرمَــاءُ!
كــانَ بــالأمْسِ يَصْــرخُ الفردُ مِنَّــا ... فَــيُــلبي نِــداءَه الــعُــلَمَــاءُ
ويَصيــحُ الأحْــرارُ مِــنْ كــلِّ فــجٍّ؛ ... فَيخــافُ الــحكَّــامُ والــزُّعــمــاءُ!
ولَــنَــا الــيــومَ أَلْــفُ أَلْفِ احْتجــاجٍ ... يَــزْدَريــهــا قــضَــاتُــنَــا الــلُّؤَمَــاءُ!
أهُــو المــوتُ؟ أم هــو الخَــدَرُ الــطَّا ... غي؟ أم الخــوفُ؟ أمْ هــو الإغمَــاءُ؟
أمْ هُــو الصَّبــرُ والــمعــانــاةُ حتَّى ... تَــفْــجــأ الــظلْمَ ثَــورةٌ بــكــمــاءُ؟
«ثَوْرةٌ» كم «مُوسَى» و«طَهَ» و«سقْراطُ» ... تَــنَــاجــوا بِــهَــا وكَــمْ قُــدمَــاءُ
ثــورةُ الــشَّعــب؛ لا امْتِــيــاز لِقَــومٍ ... دُونَ قــومٍ؛ لا مِلَّةٌ؛ لا آنْــتــمــاءُ!
ثــورةُ العَــدْلِ والمســاواة في العَيــ ... ــشِ، فــلا سَــادةٌ ولا دَهْــمَــاءُ

٢٧٨ ــ أيُّـهـا السَّـجَّـان [١٧]

الهمزة المفتوحة مع السِّين

تجبّـرْ مـا اسْتـطعتَ وإن تُبـالِـغْ ... فـأحْـرِمني الـطّعـامَ أو الحِسـاءا!
وإن غـاليْتَ فـاجْلدْني، وضَـاعِفْ ... قـيـودي؛ وانْتـزع منّي الـكِسـاءا
فَهَـلْ تَسْتَـطيـعُ أن تَغْتَـالَ فِكـري، ... وتُحْـرمني الصَّبـاحَ أو الْمَسـاءا؟؟
سَعَـادةُ شـاعـرٍ مِثْـلِي انْـطلاقٌ ... بـأُفْقِ الله يَسْتَجـدي اعْتِسـاءا[1]
يَـخُصُّ المـحْسِـنيـنَ بِـكـلِّ حُـبٍّ ... ويـكـرهُ مَـن تَـجـبَّـر أو أسَـاءا

(١) الاعْتِساء: التعسّي والأمَلَ «صنْعانية».

٢٧٩ ــ الأمرُ بالمعرُوف [١٨]

الهمزة المفتوحة مع الباء والواو

إن كُنتَ حُبًّا في الحياةِ تَعِيشُ في ... صَمْتٍ، وتَخْشَى المنْزِلَ الموبُوءا

يَوْمًا سيدركَكَ الحِمامُ؛ وإن تكُنْ ... في كَوْكَبٍ مُتَدَجِّجًا مَخْبوءا

قُلْ مَا تَدِينُ بِصِدْقِهِ؛ فالصِّدق لَم ... «يك في الأَعَمّ بِمَأْثَمٍ لِيَبُوءَا»[1]

واصْدَعْ بأَمْرِ الْحقِّ، واتْبَعْ هَدْيَه ... ودعِ النِّفاق، وعَنْهُ كُنْ مَرْبُوءا[2]

---

(١) باء يبُوء؛ رجع والعجْز للمعري.

(٢) مربوء: أي مرتفع... مُتعال.

٢٨٠ ــ رسُـول المـوت [١٩]

الهمزة المفتوحة مع الجيم

قِفْ خاشِعًا؛ فَرسولُ الموتِ قَدْ جَاءا! ... واطْلُبْ ــ إذا اسْطَعْتَ ــ إمْهالاً وإرْجاءا

ظَلَلْتَ تُـزْجِي الأماني دونَ مَـا حَـذَرٍ ... إلى شِبـاكِ الهـوى والغَـيّ إزجـاءا

وجُـلُّ عُمـرِكَ لـلأخـطارِ تَعْشَقُهـا ... مُذْ كُنْتَ: حُبًّا، وسُلْطانًـا، وهَيْجاءَا!

فَوْقَ العَواصِفِ تَسْرى؛ دُونَ ما وَجَل ... وَلَا تُبـالي بِهـا تَشْتَـاطُ هَـوْجَـاءا

قَـدْ تَسْلُك الْخُـطَّةَ السَّمْحَـاءَ مُغْتَبِـطًا ... بِهـا؛ وتَرْكُبهـا حَمْقـاء.. عَـوْجَـاءا!

«خمْسُـونَ» عـامًـا لـيـاليهـا مُعَـرْبِـدَةٌ ... بِـالشِّعرِ؛ تَـذْبَحُهـا وجْـدًا وإشْجـاءا

تَهْفُـو إلى الْمَثَـل الأعْلى، وتَنْشُـدُهُ ... كَمْ تِهْتَ من أجْلِه؛ كَمْ طُفْتَ أرْجَاءا!

كَفى كَفى أيها «المجنونُ» وابْق على ... ثمـالَـةٍ فيـك؛ إنَّ الشَّيبَ قَـدْ جـاءا

٢٨١ ـ تعليم المرأة [٢٠]

الهمزة المفتوحة مع الرَّاء

تَفْسدُ المرأةُ الذكيَّةُ إنْ لَم ... تكُ تدري كتابةً وقراءَهْ
جَهْلُها لا يَصُونُها.. وإذا ... تَفْقَهُ تَزْداد حِكمةً وجراءَه!
زَهرةٌ بالخُمولِ والجهل تذْوي ... وبغَيْثِ العِرفانِ تَزْهو طَراءه!
هي خَيْرٌ مِنَ الغُلامِ ذَكاء ... وحَنانًا، وعِفَّةً، وبَرَاءَهْ!

٢٨٢ ـ بَين حياتين [٢١]

الهمزة المكسورة مع السِّين

أنِفْتُ بطبْعي عِيشَةَ الرُّؤساء ... ومِلْتُ إلى الأحْرارِ والبؤساءِ
فَجلُّ ذَوي السُّلطانِ لا خَير عندهُمْ ... فَهُمْ بين كَذّاب، وزير نِسَاءِ
يُعاشِرهُمْ مَنْ يَعْشقُ السُّحْتَ والخنا ... ويَشْتَرطونَ الذُلَّ في الجُلَسَاء!
ونَبْعُ الصَّفا، والخير ثَرٌّ. وَوِرْدُهُ ... مُباحٌ لدى الزُّهادِ والتُّعساءِ
رِفاقُ الهُدى لاَ شرّ أخشاه مِنْهُم ... وصُبْحي بِهم يَزدانُ مِثْلُ مَسائي

٢٨٣ ــ فسَاد العقائد [٢٢]

الهمزة المكسورة مع الميم

دَعوني وحُزْني في محاريب عزْلَتي ... بَعيدًا عن الزّوّارِ والنُّدماءِ!
فَقَدْ هَرِمَتْ أيام لَهْوي، وأوشكتْ ... حياتي؛ وما في الرّوحِ غيرُ ذَمَاءِ
بُلِينَا بِتُجَّارِ العقائدِ؛ أفْسَدُوا ... بِهاكُلَّ ما يُرْوى عَنِ القُدماءِ!
فَصِرنا حيارَى بَيْنَ أصْلٍ وطارىءٍ ... وفي خَبَلٍ مِن أمْرنا.. وعَماءِ!
بَرِئْتُ إلى «الإنسان» مِنَ كُلِّ كاذبٍ ... ومِنْ كُلِّ دَجّالٍ مِنَ العُلماءِ
ومَنْ يدَّعي فَهْمًا؛ ولَيْسَ بِعارِفٍ ... ومَنْ يَعْتَدِي ــ عَمْدًا ــ مِنَ الزُّعماءِ
فَلَيسوا مِنَ «الإنسانِ» في شيء بل هُمُو
نُفايةُ قَومٍ فاسدينَ قِمَاءِ[1]
يهينون حكمَ العقلِ، والعقلُ خيرُ ما
حُبِينَا بِهِ مِنْ أحْكم الحكماءِ
ومَا العَقْلُ إلاَّ النُّور في فِطرةِ الفَتى
بِهِ يَتَحَرَّى مَنْهجَ الفُهماءِ

(١) القماء جمع قمي: وهو الذّليل.

٢٨٤ ــ أكـرمَ الكُـرَمـاء [٢٣]

الهمزة المكسورة مع الخاء

كـريـمٌ مَـنْ يـجـودُ عـلى كَـفَـافٍ ... ويـومَ الـبُـؤسِ لا يـومَ الـرخـاءِ
ومَـنْ يَجْـعَـلْ أخـاه لَـهُ شـريكًـا ... إذا أثْـرى. . يَـكُـن مَـثَـلَ الإخـاءِ
وأنْ تَـفْـدِي بـلادَكَ يـومَ روعٍ ... بِـروحِـكَ خيـرُ أنـواعِ السَّخـاءِ!

٢٨٥ ــ العَـيـن الـتـي لا تـنَـام [٢٤]

الهمزة المكسورة مع الميم

لله عَينٌ رَقُوبٌ؛ لا يُخَامِرُها
فُتورُ نَومٍ، ولا إرهاقُ إغماءِ
تَرى النَّوايا، وتُحْصِى كُلَّ خَافِيةً
وتحْرسُ الكونَ... في نورٍ، وظلمَاءِ!
فأينَ أَجْمَحُ عَنْها..؟
وهْيَ مُحدِقَةٌ
بِكلِّ شَيءٍ..!
تَرَى وَهْمِي... وإيمائي!؟

٢٨٦ ــ ذكرياتي مَعي [٢٥]

الهمزة المكسورة مع السِّين

عَلّلاني بِذِكْرياتِ شَبابي ... والنَّدامَى مِن فِتْيةٍ ونساءِ
يومَ كُنّا لا يُفسِدُ اللَّهو مِنا ... خُلُقًا؛ أو نَذِلُّ لِلْبأْساءِ
وصَباحي لِلْمكْرمَاتِ ولِلْعِلم ... وللشّعرِ والمجونِ مَسائي
لا نُبالي لَوْمَ العَذُولِ؛ ولا ... نُصْغي لِنُصْحِ الوعَّاظِ والرُّؤَساء
كلُّ قَلبٍ مِنْ عَزْمِهِ وَهَواهُ ... فَارِسٌ في كَتيبةٍ خَرْساء!
مُسْتَنيمٌ إلى الْمَلَذَّاتِ لا ... يَفْهَمُ مَعْنَى تَعَاسَةِ التُّعساء!

* * *

حَدّثاني فَقَد طَغى بِي صَمْتي ... واذْكُرَا لِي الكَثيرِ مِنْ جُلسائي
عَنْ «فُلانٍ» . .
وَعَنْ «فُلانٍ» . .
وعَنْ «زَيْدٍ» و «يحيى» ... و «هِنْد»، و «الخَنْسَاءِ»
ذِكْرياتي معي؛ وما كُنْتُ يَومًا ... لِصحابي بِظَالمٍ نَسَّاءِ
لَيْتَنِي أَسْتَطِيعُ أَنْسى؛ وأَحْيَا ... دُونَ حِسٍّ كالصَّخرةِ المَلْسَاءِ
تَتَلاشَى في مُلْتَقَى نَظَراتي ... تُرهَاتُ الإِصْباحِ والإِمساءِ
لَيتني أَسْتطيعُ أنْ أعرف الشّـ ... ـطَّ وأدري مَسَالِكَ الإِرسَاءِ!

٢٨٧ ــ على هامش الكون [٢٦]

الهمزة المكسورة مع الصَّاد

لَا تَرْجُ نُصْحي؛ ولا تَحْفِلْ بإيصائي ... خلا فُؤاديَ مِن نُصحٍ، وإيصاءِ!
أُقْصِيتُ عَنْ وَطني قَسْرًا فَعِشتُ على ... هَوامِشِ الكَونِ كالشِّعْرى الغُميصاءِ[1]
يومًا «بروما» ويومًا في «جنيف»، وفي ... «بَيْروت» يَومًا، ويومًا «بالحُلَيْصاء»!
غير المرارة تشْويني وتَمْضِغُني ... ماذا استفادوه مِنْ بُعْدِي وإقْصائي

* * *

لا خير في مَعْشرٍ يُقصون ناصحهمْ ... ويُنكرونَ النَّطاسيَّ الأخِصَّائي
أخطاؤُهُم مُسْتحيلٌ أنْ يُحاطَ بِها ... «فما أهمَّ لَها يومًا بإحْصَاءِ»[2]

---

(١) الشعرى: الغُميصاء: كوكبٌ يطلع في «الذراع» ويُقال له «الشعرى الشامية» والشعرى العبور: يقال لها «اليمانية».

(٢) العَجُزُ تَضْمين: مِن لزوميةٍ للْمعرِي.

٢٨٨ ــ أيّـامُ الشـبـاب [٢٧]

الهمزة المكسورة مع الطَّاء

لَهفي لأيَّـامٍ نُثِـرنَ عـلى الـرُّبَـا ... سَـاعَـاتُهـا تَـذْكـو بعِـطْر عَـطائِهـا
أبْكي على شَهـواتِـهـا وشَبـابِـهـا ... وعلى الجَميـل اللذِّ مِن أخْـطائِهـا!
أيّـام لا أدْرِي الـشّـقـاءَ ولا أرى ... مـا تستُرُ الأقـدارُ تَحتَ غِـطَائِهـا!
أهْـوى الـحيـاةَ مَـودةً ومَـسَـرَّةً ... وأعـيشُ كـالآلافِ مِنْ بـسـطائِهـا
واليـوم؛ عـامي سـاعـةٌ مَمْقُـوتَـةٌ ... أشكـو إلى الأصحـابِ من إبـطائِهـا

٢٨٩ ــ النّاسُ سَواسية [٢٨]

الهمزة الساكنة مع الباء

قُلْ لِلأُلى يُطْرونَ آباءَهُمْ:
مِن «هَاشمٍ» أو «قَيْس أوْ مِنْ «سَبَاءْ»

القومُ قَدْ بَادوا؛ ومَا إنْ أتَى ... عَنْ أحدٍ مِنْ خبرٍ، أو نَباءْ!
عِيشوا لِدُنياكم سَواسِيةً ... فالْخُلفُ، والتَّمييزُ بئسَ الوباءْ
العَصْرُ عَصْرُ العِلْم؛ والجَهْلُ قَدْ ... خَرَّ قَتِيلاً ضَائعًا لَمْ يُبَاءْ[1]
لن تنفَعَ «السيِّدَ» أنسابُهُ ... ولا كنوزٌ جدُّه قد خَبَاءْ
«العلمُ» قد قنّنَ عيشَ الورىٰ ... وعينُهُ ترقُبُ في المُرْتباءْ[2]

(١) لم يُبَاءْ: لم يُقْتَل قاتلهُ.
(٢) المُرتباء: مايُسمَى الآنَ (برج المراقبة).

٢٩٠ ـ حنين إلى صَنعاء [٢٩]

الهمزة السَّاكنة مع القاف

أيامُ حُبّي عَطِشَتْ لِلقاءْ ... ورُؤيةِ الأَصْحابِ والأَصدقاءْ
في سَفح «صَنعاء» وأجواؤها ... مِثلُ قلوبِ الأصْفيا في النَّقاءْ
وحيث كانَتْ جلُّ أوقاتِنا ... لِلضحكِ لا نَعرف مَعْنى الشقاءْ
فَهَلْ تُرى مِن أوبةٍ تُرتَجَى ... وتَسْعَدُ النَفسُ بطُولِ البقاءْ
مَا أَطيبَ العَيش بأَحْضَانِها ... إن تمَّ لِلْخِلاَّنِ فيها الْتِقَاءْ
هُناكَ تهْفو في أَحَاسيسِهِمْ ... مشاعرٌ تَسْمو إلى الارْتقَاءْ

٢٩١ ــ ضـرَاعَـة صَـبّ [٣٠]

الهمزة الساكنة مع الفاء

تــداركــوا صبًّــا بكــم مــولَـعًــا ... لَا تَــظْلموا إخْــلاصَــهُ بــالجفاءْ!
قــدْ جــازَ فـي تقْــديســهِ لِلْهــوى ... والـحُبّ أعْـلى دَرَجــاتِ الـصفــاءْ
وجْــدانُــه مُــحْــتَــرقٌ ظامـئٌ ... بِــكـم وأنــتـم رَاحُــهُ والــشِّــفــاءْ
مِـنْـكُـم إلـيْـكُـمْ مــالـكـم عِــنْــدَهُ ... رَغْمَ الجَفــا والهَـجْــر إلَّا الــوَفــاءْ
رِضــاكُــم غــايــةُ مــا يَــرْتَـجِــي ... وســائـرُ الــدّنيـا عَلَيْهــا العَفــاءْ[1]

(١) العفاء: البلى والهلاك.

حرف الألف

[هذا الفصْل، كما قال «المعرِّي»، يحتملُ وجْهين: أحدهما ما هو مرتَّب هنا؛ والثّاني أن يكونَ «الرويُّ» ما قبل «الألفِ» وتكونُ الألِفُ وَصْلاً]:

٢٩٢ ــ القضاء.. والذنوب [٣١]

الألف مع الضَّاد

مضى أمسُ في نَعشِ الذُّنوبِ، فَلَيتَ مَا
أُحَاذِرُ مِنْ باقي ذنوبي قَدْ مَضى!
قَضَى اللَّهُ أَمْرًا ثمَّ بؤتُ بإِثمهِ
فَهَلْ كَانَ لِي عنْهُ مَحِيصٌ وقَدْ قضى؟

٢٩٣ ــ تحذير [٣٢]

الألف مع الرَّاء الممالة

إلامَ تَظلَّ في تيهِ السَّكارى ... ذُنوبُكَ في مُسَابقَةٍ تَبَارى[١]
تُجاري كلَّ ذي حُمقٍ وطَيْشٍ ... وتُوغِلُ في الجرائر لا تُجارى!
تُجاهِرُ بالمعاصي دون خَوفٍ! ... وقد عَذَر المشرِّعُ مَنْ تَوارى
أهُزْءًا بالزَّمانِ؟ حذَار، وارْفقْ ... بنَفْسِكَ في لَيالِيك الحَسَارى[٢]؟!
بَنَاتُ اللَّهوِ كَمْ في لَيلِ أنْسٍ ... عَبِثتَ بِهنَّ أَتْرابًا عَذارى[٣]
وما مِنْ عَاذلٍ، أو مِن رقيبٍ ... ولا مُتطفِّلين، ولا غَيارى!
تُغَنِّيكَ العَرائِسُ راقصاتٍ ... على النَّغماتِ.. أشْعار النَّصارى
وصَحْبُكَ لا يشِينُهُمُ سُلوكٌ ... وألْسُنُهم بِفُحشٍ لا تَمارى[٤]
ينالونَ اللَّذائِذَ في وقارٍ ... وإن كانتْ عيونهم تَكارى![٥]

كفى؛ وارجعْ إلى باريكَ واطْلبْ
رِضاهُ مَعَ المساكِين الطَّهارى!

---

(١) تبارى: تتبارى.
(٢) حَسَارى: ضعاف كليلات.
(٣) الأتْرابُ: اللائي في سِنٍّ واحدة.
(٤) أي تَتَمارى.
(٥) تَكارى: تَتَكارى: يخامرُها النعاسُ والكرى.

٢٩٤ ــ تعالى الله [٣٣]

الألف مع الرَّاء الممالة

تعالى اللَّهُ قد أجْحفَ ... مَنْ ألحدَ، أو مارى
تَفَرَّدَ بالخلودِ فلا ... شريك لِمَجْدِه بارى
إذا ما انْهَتَكَ الستر ... وأخْبَتَ عَبْدُهُ وارى[1]

(١) أخبت: تخشَّع و«وارى»: ستر.

٢٩٥ ــ لماذا الحنين؟ [٣٤]

الألف مع الرَّاء

عَرَاكَ الحنينُ بجُنْحِ الدُّجى ... إلى الأَهْلِ لمَّا خيالٌ سرى!
تذكرْتُ «صنْعاء» مَهْدَ الشَّبا ... بِ وسالِفَ عيشٍ بتِلْكَ الذرا
لَيالي تَمتَحُ ماء الحياةِ شجا ... عًا؛ كأنكَ لَيث الشَّرى
وأيَّامَ تَسْرحُ ما إن تَقُولُ: ... ماذا سَيَجْري؟ وماذا جرى؟
زَمانَ البَراءَةِ والعُنفوانِ ... وصَحْوِ شَبابِهما، والكرى

* * *

لماذا الحنينُ إلى بلْدةٍ ... بِها العِلمُ مُمْتَحَنٌ مُزْدرى؟
وأبناؤُها هَلكوا بالخمولِ ... ولا يَسْأمونَ الفِرى والمِرى[1]
أَسَارى خُرافاتِ جُهّالِهم ... وأوْهَامِ مَنْ غَشَّهم وافْترى
لماذا الحنينُ لماذا الأنينُ؟ ... وأنت تَرى فيهمُ ما ترى
وجلُّ الرِّفاقِ قد اسْتُشْهِدوا ... ومُعْظَمهم نُبِذُوا بالعَرا
ولم يَبقَ إلاَّ رِفاقُ الرِّفاقِ ... وأبناءُ مَنْ غُيِّبُوا في الثرى

* * *

حنانًا على مُدنفٍ خاشعٍ ... يخافُ الخضوعَ ويأبى الفِرى
تعبَّدَ لِلْحقِّ يَسْمو بِه ... وفيهِ يُشَافِهُ ما لا يُرى!
«زمانَ الصِّبا؛ يا زمانَ الصِّبا»

---

(١) الفِرى جمعُ فرية: الكذب. والمِرى جمع مِرية: الجدل والشك.

أَلاَ وَصْـــل؛ يُبْتـــاعُ أو يُشتَـــرى؟
أنـــا دَمْعَـــةُ «الأَزَلِ» المـــرْتـجى
على «أبَـــدٍ» مـات قَبْـــلَ السُّـرى
رضَـعتُ الـمنـــايـــا وقَـــطرتُـهـــا
نِـظَافًـا؛ أُدَاوي بِهـــا مَـا اعْتـــرى
عَـــرَفْـتُ بِجَـهْلِيَ سِـــرَّ الـبـقـــاء
ومَعْنَـى الخُـلُودَ، ولُغْـــزَ الـــورى

* * *

«نـــزولُ كَـــمـــا زالَ أجْـــدادُنـــا ويَبْقى الـــزَّمـــانُ على مـــانَـــرى»[1]

(١) البيت الأخير من لزومية «المعرِّي».

٢٩٦ ــ سعير الهيام [٣٥]

الألف والنون على رأي من جعل الألِف في هذه القافية رويًّا

بِروحيَ ذَاك الرَّشا إذ رنا ... وتَغْنَاجَهُ ليلَةَ المنْحنَى!
وأسمارَهُ ، وأباطيلَهُ، ... وتَلْعابَه هَا هنا، أو هُنا!
وأَعْذَارَهُ ، في مواعيدِهِ ... بخوف الرَّقيب، وشكْوى الضَّنى
ودَعْواهُ؛ أنِّي عَنْ قيده ... فَلَتُّ، وقطعْتُ ما بَيْنَنا
وتعْدَادهُ لِلذُّنوبِ الَّتي ... جَنَيْتُ؛ وإنكارَهُ ما جنى

* * *

بروحي؛ وقَدْ كانَ روحي لَهُ ... يهيمُ به إنْ جفَا.. أَو دَنا

* * *

سلامٌ على زَمنٍ ما سَلاَ ... فؤاديَ عَنْ ذكرِه أو شَنا
زَمانِ الصِّبا، وتهاويله ... زمان الغرام، زمان الهنا

نديرُ كؤوسَ المنى صَبوةً
ونُتْرعُها مِنْ رَحِيقِ السَّنا
ونَسْرَحُ في سُبُحات الْهوى
ونَمْرَحُ في نَشَواتِ المُنَى

٢٩٧ ـ مقالات الضلال [٣٦]

الألف مع الرَّاء والسِّين، ويجوز أن يجعل الرويّ «الرَّاء» فيكون الذي لزم «سينًا» لا غير

أرى مَعْشرًا في سجْن أَوْهَامِهِم أسْرى
تُريدُ لَهُمْ يُسْرًا؛ فيولونَكَ العُسْرى!
بِما اكتَسبُوهُ من مَقالاتِ باطِلٍ[1]
رَوَوْهَا ـ ضلالاً ـ عن «لويْس» وعنْ «كسرى»!
وكان كتاب الله قَدْ أَرشد الورى
إلى الفوز؛ إلَّا أنهمْ سَلَكُوا الخُسرى!
ومَنْ ذا سيُنجي القَومَ يومَ معَادِهِمْ؟
هَلِ الدَّمعةُ الحرّى؟ أم الْمُهجَةُ الحَسْرى؟
وهلْ لَهُمُ في ظُلْمةِ الموتِ مَشْربٌ؟
وهلْ ثَمَّ عَنْ يوم القيامةِ مِنْ مَسْرى؟

---

(١) يريدُ «مقالات» الملاحدة. و«الشعوبيين» و«الصليبيين». وانظر: «أباطيل وأسعار» للأستاذ محمود شاكر.

حرف الباء

٢٩٨ ــ هــو الشــعــب [٣٧]

الباء المضمومة مع العين

هُــو الـهَــوْلُ يَــطْغَى والـمـنــايــا جـنــودُهُ
إذا ثــارَ يــومًــا ضِــدَّ حُــكَّــامِــهِ شَــعــبُ
إذا كُنتَ يــومًــا حــاكمًــا فــاخْشَ ســاعــةً؛
تــجــاوُزُهــا مِـنْ دونـمــا نِـقْـمــةٍ صَـعْـبُ!
نـعيش بِـعَصْــرِ الـعِلْمِ والـنَّـقْــدِ والـفِــدا؛
فَــلا جــاهُ، لا أنْــســابُ إن هَجم الــرعْبُ
هُــوَ الشَّعْبُ فــاحــذَر لا يَغُــرَّنْــكَ صَمْتُــهُ
فــمــا حــبــهُ إرث، ولا حُــكْــمُــهُ لــعْــبُ!

٢٩٩ ــ اعـتـراف! [٣٨]

الباء المضمومة مع النُّون

حَنَـانـا إلَهي قَـدْ أتى اليـوم مُـذْنبٌ ضَليـعٌ بـأخـطاءٍ إليـكَ تُجَنَّبُ[1]
نَعم؛ أنـا قَـد أَسْلَمْتُ لِلهْـوِ مِقْـودي زمـانًـا؛ وأغـوتْني سُعـادٌ وزينبُ!
ولكنني قَـدْ كنتُ أرعى كَـرامَتي
وأخْشى ضميـرًا حينَ أهْفو يُـؤَنِّبُ
وإنْ كـانَ ذَنْبـي عند قـومي صراحتي فَـأنْتَ الـذِي علَّمتني كيف أُذْنِبُ؟

(١) الضَّليع: المُثقَل. وتُجَنَّبُ: تُقَاد.

٣٠٠ ــ أتعس خلق الله! [٣٩]

الباء المضمومة مع الذَّال

سَئِمتُ حياةً؛ لا تَطيبُ لِمُخلِصٍ ولكِنْ لِمَنْ في عَيْشِهِ يتكذَّبُ!
إلى كم أجاري مَعْشرًا في مجونِهْم وقلبي في أحْزانِهِ يَتعذبُ؟
وأتعسُ خلقِ الله مَنْ ظَلَّ دَهْرَهُ
بِوادِي الأماني تائهًا يتذَبْذبُ
فلا هُو ذُو دِينٍ ولا هُوَ كافرٌ
ولكنَّهُ ذاك الغَوِيُّ المشذَّب[1]

(١) المشذَّب: المطرود.

٣٠١ ـ القلب الثاكل [٤٠]

الباء المضمومة مع الدَّال

إلامَ أظلُّ الدهرَ أبكي أحبَّتي ... وأرْثي رفاقي في الحياةِ وأندبُ؟
لقد كَانَ عيشي مُخْصِبًا بوجودِهِمْ ... فلما قَضَوا صَابَرْتُه؛ وهو مُجْدِبُ!

جميلٌ بيَ التصْبَارُ لو أسْتَطيعُهُ
ولكِنَّ قَلْبِي ثَاكِلٌ يَتحدَّبُ[1]
ومِنْ طُولِ حُزْني قَدْ ذَهِلتُ عن التقىٰ
وضَاع التَّأسِّي واستَحال التأدُّبُ!

(١) يتحدَّب: يتعطف.

٣٠٢ ــ بين الشكِّ واليقين [٤١]

الباء المضمومة مع الرَّاء

وجودي غريبٌ. والفَنَاءُ مُحَيِّرُ ... وعودةُ جُثماني مع الروح أغربُ!
سَمِعْنا عظاتٍ؛ فاسْتَرابَ معاشِرٌ ... وأفضوا بمكنُونِ الشكوكِ وأعربوا
وصدَّق قومٌ دونَ أيِّ تَرَدُّدٍ ... كأنهمو قد شاهدُوها، وجربوا
وظَلَّ يقيني ظامئًا مُتَهَافِتًا ... يَحُومُ على وِردِ الشُّكوكِ ويشربُ!
إلى أنْ تَجلَّى الحق فَانْسقْتُ نحوَهُ ... بِروحيَ في مِحْرابِهِ أتَقَرَّبُ!

هُوَ اللَّهُ؛ نورُ الكونِ سِرُّ نِظامِهِ
وَكَالِئُهُ ما عَنْهُ لِلْخَلْقِ مَهْرَبُ

٣٠٣ ـ الخـــروج! [٤٢]

الباء المضمومة مع الجيم

أتــطْلُب عَــدْلاً مِـنْ أميــر أخــالُــهُ بِمـا رُمْتَ مِنْـهُ يَـزْدَريـكَ ويعْجَبُ؟!
لَقـدْ أَلِفَ الـطغيـانَ؛ فهُـو سَليلُهُ
ولِلظلْمِ هـمْ قَـدْ هَذبـوهُ وأَنجبوا!
هُوَ الظلم تُطْغِيهِ الضرَّاعَاتُ والمُنى
وليسَ بغَيرِ السَّيْفِ يُمْحَى ويُشجَبُ
إذا كـان حكمُ النَّاسِ بـالعَدْل واجبًـا فـإن قِتـالَ الـظُّلمِ لا شَـكَّ أوجبُ

٣٠٤ ــ كيف الخلاصُ؟ [٤٣]

الباء المضمومة مع الرَّاء

أيُرجى خَلاصُ «لِلنَّصارى» وقَسَّهُمْ ... على كل أنواع الفَسادِ مُدَرَّبُ؟
وكيفَ يفوزُ «المسلمون» وشيخهم ... صريعُ الغواني في الحوانيتِ يشربُ؟
وحَاخَامُ موسى «لِلْيهود» مُضلِّلٌ ... وفي الشر أستاذٌ خبيرٌ مُجرَّبُ؛
إلى كمْ بسَوطِ الدين نَجْلدُ جَهْرةً ... ونحنُ إلى جلَّادِنا نتقربُ!
إذا لم نَقلْ شَيْئًا هلكنا بِصَمْتِنا؛ ... وإنْ لم نطِقْ عَيْشَ الضنَى نَتَغَرَّبُ!

ألا صَوتُ «حُر»؟ هَلْ هُنالك يَقْظَةٌ؟
وهلْ «قائِمٌ» بالعَدلِ يُفضي ويُعربُ؟
فكَمْ حُرةٍ تَزْني لتُطْعِمَ طِفْلَها
وذُو ثَرْوَةٍ لاهٍ يُغني ويَطْربُ؟!
يُصَلي رياءً؛ وهو يَعْلَمُ أنَّهُ
يَغُلُّ؛ ولا يَخْشى، ولا يَتَثَرَّبُ[1]
«إذا رامَ كيدًا بالصَّلاةِ مُقِيمُها»
«فتارِكُها عَمْدًا إلَى اللَّهِ أقْربُ»[2]

---

(١) يَغُل: يخون: لا يتثَرَّب: لا يبكتُه ضميره.
(٢) البيت الأخير للمعري.

٣٠٥ ــ بقايا الأماني! [٤٤]

الباء المضمومة مع الهاء

هبُوني أسيرًا؛ فاطلقوني تَكرُّمًا ... ورِفْقًا بقلْبٍ بالْهوى يَتَلهَّبُ
أنا العاشِقُ الوَلْهَانُ؛ أهْجِسُ هائمًا ... بوهْمي لا أدري إلى أينَ أذهبُ!
هُمومُ زَمانِي لَمْ تُطِقْها كُهُولَتي ... وكانت قديمًا من شَبابي تَرْهَبُ!
فَتهت مهيضَ العزم تُرهِقُ مُهجتي ... بقايا أمانٍ تُسْتَباحُ وتُنْهَبُ؛
تَقَاذَفني الأحداثُ مِن كفٍّ غيهبٍ!!
إلى غَيْهَبٍ؛ يَحدُو دَيَاجيهِ غَيْهَب!!

٣٠٦ ــ مَـخـلـوق الجَـمـال؟ [٤٥]

الباء المضمومة مع الرَّاء

لِغَيْـر الْهوى لا تَسْتَنِيمُ مشـاعري
ولِلْمَـوتِ فِيـهِ؛ رَاضِيًـا، أتَقَـرَّبُ
خُلِقْتُ مُحِبًّـا لِلْجَمـالِ؛ لأَنَّني
بِهِ عِشْتُ قَبْل الْخَلْقِ ألهو وأطربُ!!
سَكِـرْتُ بِهِ رُوحًـا تُغَـازِلُ طَيْفَهـا
وهأنا طَيْفٌ أجتَلِيـهِ.. فأشْـربُ!
لقدكِدْتُ مِنْ فَرْطِ النَّوى أحْتَسي سنا
حياتي.. لأحْيا فيه، أَوْ أتكَهْرَبُ!

٣٠٧ ــ الإنسان والبقاء [٤٦]

الباء المضمومة مع الذَّال

إذا أعذَبَ الإنسانُ عَنْ ذِكْرِ مَوتِهِ ... فذلك مَنْبوذٌ من الله، شاذبُ[١]

هُو الموتُ نَذْرِي؛ وعدُهُ غيرُ كَاذِبٍ ... وسائِرُ أحلامِ البقاءِ كواذِبُ

وَمَا المرء في هذِي الحياةِ بِلاَذبٍ ... ولَكِنَّه طيرٌ عَبورٌ يُهاذِبُ[٢]

يُقاوِمُ طَاقاتٍ لكَونٍ، يُديرُه ... مُديرٌ بِكَفَّيْهِ اللَّظَى والتَجاذبُ

إذا اعذْوذَبتْ دُنْيايَ يومًا لِشاربٍ ... فَإنِّي فيها رَغْمَ أنْفي عَاذِبُ[٣]

---

(١) أعذب: كفَّ وأضرب. ومنه قول علي عليه السلام لِسَريّة: «أعذبوا عن ذكر النساء أنفسكم». ورجل شاذب: ميؤوس من فلاحه: وهو أيضًا المتَنحى عَنْ وطنِه.

(٢) لَذَبَ بالمكان: أقام. والطَّير يهاذِبُ في طيرانه: يمر مرًّا سريعًا.

(٣) اعذَوْذَبَتْ: أي عذُبتْ. والعاذب، الذي لم يأكل من شِدّة العطش وقيل: هو الذي لا يأكل، ولا يشرب.

٣٠٨ ــ لــوْلا الـتُّـقـى! [٤٧]

الباء المضمومة مع الجيم

أَيْنَ «القياصرُ»؟ أينَ السَّـادةُ النّجبُ؟ بل أينَ «هتْلرُ» يُرْغى جَيشُـه اللَّجبُ؟
وأين مَنْ ظَلمــوا أقــوامَهـمْ عَنتًــا؟ وكبـريـاءً وحــازوا فـوقَ مــا يَجِبُ؟

صَــاروا «وَلائِم» لِلديــدانِ تَـقْضِـمُهُـمْ
بئسَ النَّعيمُ؛ نعيمٌ بعــدَهُ الـشَّجـبُ[1]!

«لولا التُّقى» قلتُ: ما مَغْزى الحياةِ؟ وهلْ
سِــرٌّ هُنـاكَ.. عَنِ الأفهــامِ يَحْتَجِبُ؟

---

(١) الشجَبُ: الموت.

٣٠٩ ــ عِنـدمَـا يـعـذُب المـوت! [٤٨]

الباء المضمومة مع الجيم

إنْ تَعْجَبِـي أنَّني أهْحوى الْمَمَات فَإن ... العَيْشَ عِنْـدِي بِلا حُبٍّ هُـو العَجَبُ!
أقــوى جَنـاني فَــلا حبٌّ؛ ولا أمـلٌ ... ودُونَ أيّهمــا يُسْتَعــذبُ الشّـجَبُ[1]

(١) أقْوى: تهدَّم وأقفَرْ.

٣١٠ ـ حَطَبُ جَهنَّم [٤٩]

الباء المضمومة مع الذَّال

اسْتعْذَبُوا الظُّلم فاسْتشرتْ طَبَائِعُهُمْ

واستشْعَروا الخَوفَ : فاسْتغواهم الكَذبُ

واستصغروا قيمةَ الإنسانِ ؛ فاعتَسَفُوا

واستمرؤوا الدَّجَلَ والتضليلَ ؛ فانجَذَبوا

نَحْو المهَالِكِ تَحْدُوهُمْ رَغائِبُهُم

إلى الجَحيمِ فَهُمْ فيها لَهَا شَذَبُ[1]

لَمْ تَبْكِ بعدَهمو، إلاَّ ذُنُوبُهُمُو

حتىٰ النَّوائح ، ما اخضلَّتْ لها عذَبُ[2]

---

(١) الشَّذَبُ : الحطب.

(٢) العَذَبُ هنا : جمعُ عَذَبة : وهي خِرقَةُ النائحة.

٣١١ ـ بِمَ التعَلُّل؟ [٥٠]

الباء المضمومة مع الرَّاء

بِم التَعَلُّلُ؟ أحْبَابٌ قَدِ انْصَرموا ... وإخوةٌ مِنْ رحيقِ المَوتِ قَدْ شَربوا
ماذَا. . ؟ سِوى ذِكْرَياتٍ حِينَ أنثُرُهَا ... يَطْغَى الأسى ويَفِيضُ الحزنُ والكَربُ
ولا «مُسَاواةُ» فيما قَدْ رضيتُ بِه ... لَمَّا تَحكَّمَ في مَأساتِنَا العَربُ
شعارُهُمْ كانَ في «الخُرطومِ» تَسْويةً
يَرْضَى بِها «الحُرُّ» و«المحرومُ» و«الحَرِبُ»[1]
وأهْمَلُوا «قصَّةَ الدستور» وابْتَعَدُوا ... عَمَّا لَهُ قُتِلَ «الأحْرَارُ»، واغْتَربوا

* * *

بِم التَعَلُّلُ: آمالٌ مُضَيَّعَةٌ ... ولَيْسَ يَنْفَعُ لا لَهْوٌ ولا طربُ
وَكَيْفَ تَجمُلُ دُنْيا، أو تَطِيبُ وقدْ ... أوشَكْتُ، ماليَ في لَذَّاتِها أَربُ؟

(١) الحَرِبُ: من سُلِبَ ماله.

٣١٢ ــ تحسّر! [٥١]

الباء المضمومة مع الباءِ والألفِ

نَفْسي الفِداءُ لِمَنْ ما عَنَّ ذِكْرهُمو ... إلّا وهَاجَتْ لِسَفْحِ الدَّمع أسبَابُ
يا ليتني لم أعِشْ من بعدْ ما رَحَلُوا ... أو كانَ لي مَعَهُم رَكْبٌ وإخْبابُ![1]
أحْرَقْتُ عُمْرِي ضراعاتٍ فما رحموا ... تَضَرُّعِي؛ وهُمو أهْلٌ وأحبابُ
ومَا طرقْتُ عَلَيْهِم بَاب مَعْتَبَةٍ ... إلا وأُغلِقَ دُوني ذَلِكَ الْبَابُ!

---

(١) الإخباب: نوعُ من المسير.

٣١٣ ــ النّفيُ والإيجابُ [٥٢]

الباء المضمومة مع الجيم والألِف

لا يأخذنَّكَ يأسٌ عد كارثةٍ ... ولا يغُرَّنْكَ إن وفّقتَ إعجابُ
إذا تَبَلَّجَ خيرٌ فهو منحَسِر ... وإن تجهَّم شرٌّ فَهُوَ مُنْجَابُ؛
وقد تماثَل عِنْدَ الموت ذُو سَغَبٍ ... وسَادةٌ لَهمو جُندٌ، وحُجَّابُ
إذ لا يميّزُ طَعْمَ الفِسْلِ في فمِهِ ... ولا الأُلى هُمْ صَناديدٌ وأنجابُ
واللَّهُ إذْ صَوَّرَ الإنسانَ قَدّره ... مَيتًا؛ وفي دَمِهِ سَلبٌ وإيجابُ

٣١٤ ـ الحُبُّ الصَّريع [٥٣]

الباء المضمومة مع العين والواو

لا تَلْحَني ؛ إنَّ صدْعي غيرُ مُنشعب ... وأنتَ صدعُكَ مَجبورٌ ومَشعوبُ[١]
إذا بكيتُ : فَعُذرِي أنَّني دِنِفٌ ... وخافقي مُوجَعُ الإحساسِ مَرعُوبُ[٢]
أمْسَيتُ أَنْدُبُ حبي مِثل ثَاكِلةً ... فقيدُها في نجيع الطَّعنِ مثْغُوبُ[٣]
قَضَى غَرامي بسَيْفِ اليَأْسِ مُنْتَحِرًا ... وَظَنُّهُ بِخِداعِ الغَدْرِ مجْعُوبُ[٤]

---

(١) مُنشعب : مُصلَح ؟
(٢) مرعوب : خائف .
(٣) في الحديث : يجيء الشَّهيد يوم القيامة وجرحه يثغب دَمًا ؛ يجري .
(٤) قضى : هلك ، ومجعوب : مصروع : من جَعب الشيء : قلبه ؛ المتجعب : الميتُ .

٣١٥ ــ القـصّـة.. القـصّـة..! [٥٤]

الباء المضمومة مع الرَّاء والألفِ

«أبـا العـلاء»؛ زَمـاني لا يَـزالُ كمَـا ... فـارَقْتَ؛ والنَّـاس تُجّـارٌ وخُـرّابُ[1]
«قاضيهمُ» مِثْلما قَدْ كَانَ «سَيِّـدُهُـم» ... ومثـل «شَيخِهمُ» في المكْـرِ أتْــرابُ
فَهَـلْ تُرَى «ضـابطًا» يـأتي فَيُصْلِحُ ما ... قد أفْسَدُوا! أمْ دَعاوى القوم آرابُ؟[2]

---

(١) الخُرَّاب: اللصوص.

(٢) الآرابُ: جمع إربة: الدهاء، والحيلة.

٣١٦ ـ نشيدُ القَهر [٥٥]

الباء المشدَّدة

بلادي في هواك يذوبُ صَبُّ ... رفيقا عُمرِه: حَرْبٌ وحُبُّ
تواجَدَ بَيْن أحْضَان الرَّزايا ... رَضِيعًا مِن مآسِيها يعبُّ
لَهُ قَلبٌ يُحبّ؛ ولا يُوالي ... هَوى الأوطَانِ قَلبٌ لا يُحبّ
أنا «ابن القهر» كم أدْمَتْ جفوني ... دموعٌ كالْحَرائِقِ تَذْلَعِبُّ[1]
رضَعْتُ هُمومَهُ فَسَكرتُ طفلاً ... بِها أنمو، وأحْلامي تَشِبُّ
وَكَم صَحْرَاءَ يأسٍ أخصبَتْها ... خيالاتي؛ بآمالي تخبُّ
ولولا الحبُّ؛ ما كانت حَياةٌ ... تدبُّ، وتشْرئبّ، وتتْلَئِبُّ[2]

* * *

لَحا الله الأُلِى ظَلموا وجَارُوا
وجذُّوا كُلَّ مَرْحَمةٍ، وجَبُّوا
إذا نَادَاهُمُ الرَّحْمٰنُ أغفَوا
وإنْ نَاجَاهُمُ الشّيطانُ هَبُّوا
رَسِيسُ الشَرِّ يَسْري في الخلايا
وفي ذرَّاتِها حِقْدًا يَدبُّ
وقد أرضيتُ دَهْري، لا أُبالي ... دُجًى يَغْشَى ولا صُبْحًا يَضِبُّ[3]

---

(١) تَذلعبُّ: تنطلق.
(٢) تشرئب: تمدّ أعناقَها تشوّقًا وتَتْلَئِبُّ: تستقيم.
(٣) يضبُّ: يَسْتتر بالضّباب.

ضميري في سَنَى حُبِّي مُقيمٌ ولا يهفو به حِقدٌ وخَبُّ[1]

* * *

بلادي كمْ تُدَمْدِمُ في جَناني مآسيها؛ لَهَا هَبٌّ ووَبُّ[2]
لِبَلْواها بأعْماقي شعورٌ يُهَيِّجُ ما يهيج إذ يَؤُبُّ[3]
أحسُّ إذا طغى والليلُ داج كأنَّ بمُهْجَتي نارًا تَشُبُّ

(١) الخبّ: الخداع.
(٢) هب إلى الشيء: نهض إليه، والوبُّ: التهيؤ لِلْحَملَةِ في الحرب: ويقال: هَبُّ ووبّ: إذا تهيأ للحملة.
(٣) يؤبُّ: يتحرك. وأصله يتجهز ويَتَهيأ.

٣١٧ ــ عـمـيـتُ مـن الذنـوب [٥٦]

الباء المضمومة مع التَّاء والألفِ

إلـهي ؛ قـد تـراكمـت المـعَـاصـي ... ومـا إن يُـرتـجى عـنـهـا مـتـابُ
وكـم نُصـحٍ أتـانـي مِـنْ خـلـيـلٍ ... فَـلاَ نُـصـحٌ أفـادَ ولا عِـتـابُ
عَمِيتُ من الـذّنـوب فَخُـذ بكـفي ... وبَـصّـرني بـمـا نَـطَق الـكـتـابُ

٣١٨ ــ أزف الرّحيلُ [٥٧]

الباء المضمومة مع الرَّاء والألفِ

أيُشْجيك انْتجاعٌ واغْتِرابُ؟ فَهَل أجْداكَ من قبل اقْترابُ؟
خُلِقْتَ مُروِّع الإحساس يَهْفُو إذا همسَ الخيالُ بكَ اضطرابُ
ولو ناجَى شعورَكَ حِسُّ رجْوى خَشَعْتَ لَها، وأغْراكَ السَّرابُ
إلاَمَ تَظَلُّ مجنونًا طَمُوحًا يُعَنِّيكَ اخْتِصامٌ واحْتِرابُ؟
لَبِثْتَ مع المكارِه نصْفَ قَرْنٍ وهمَّتُكَ الطعامُ أو الشَّرابُ
وقدْ أزِف الرَّحيل؛ وأنت طَيْشًا تُصِيبُ مِنَ اللَّذائذِ ما يُرابُ
فكيفَ تُرى تُلاقي الرب لَمَّا يُهالُ عليكَ في القَبْر التُرابُ؟
ومالكَ عندَهُ إلا المعاصي وشِعرٌ فيه «أبياتٌ» خرابُ

٣١٩ ــ المَجدُ لا يُورث [٥٨]

الباء المضمومة مع السِّين والألفِ

أرى «الأمجاد» مثلَ «الأجْرِ» لَيْسَتْ ... تُراثًا يَسْتَبِدُّ بها انْتِسابُ
ولكن بالتَّواني المرءُ يَخْزى ... وقَد يُزْهِيهِ جُهْدٌ واكتِسابُ
سِجِلٌّ فيه يُرْصَدُ كلُّ شيءٍ ... عَلينا أولنا؛ وبهِ الحِسابُ

٣٢٠ ــ عَـفـوُ الـلَّـه [٥٩]

الباء المضمومة مع الحاء وياء الردف

بُـكـاؤك لَـنْ يُـعِـيـدَ زَمـانَ أنسٍ نَعَمْتَ بِـهِ؛ فمـا لـك والنَّحيبُ؟
تـمـتـعْ بـالـبَـقِـيَّـةِ مِـنْ حـيـاةٍ فَـعَـفْـوُ الـلَّهِ يـومَ غـدٍ رحـيـبُ

٣٢١ ـ الصّدى العَاوي [٦٠]

الباء المضمومة مع الرَّاء وياء الردف

أَلِفْتُ تصارع الأطماعِ ؛ كلٌّ ... له هَدَفٌ: بعيدٌ أو قريبُ
فَصِرتُ إذا اسْتَمعْتُ إلى مقالٍ ... أفنّدهُ؛ لأحذرَ ما يريبُ
وكمْ مِنْ شاعرٍ؛ بينَ القوافي ... له غَرضٌ يُخَبِّئُهُ غريبُ
وكم مِنْ خُطْبَةٍ فيها سمومٌ ... مُدسَّسَةٌ ويَعْرِفُها الأريبُ

* * *

فضائحُ لِلْبريَّة؛ كم تباهى ... بها مُثْرٍ وضاق بها حريبُ[1]
تظل ذُنُوبُها يَعْوِي صداها ... وما إن مِنْهُمو فيها عَريبُ[2]

---

(١) الحريبُ: المسلوبُ المال.

(٢) ما فيها مِنهم عَريب: أي هَلكوا.

٣٢٢ ـ اختلافُ البَشر [٦١]

الباء المضمومة مع النون وياء الردف

عبادُ اللَّهِ أصنافٌ؛ غبيٌّ ... بلا خُلُقٍ؛ له خَيلٌ ونيبُ[١]
وإنسانٌ رضيُّ النفسِ ثَبْتٌ ... مؤونَتُهُ وعُتْرتُهُ الكَنيبُ[٢]
وآخر؛ فاسقُ الأهواءِ غرٌّ ... وثانٍ قانعٌ برٌّ مُنيبُ
ومفتونٌ بسِحْرِ الحُسْنِ؛ أعْيَتْ ... به العَيْنَان، والثغرُ الشنيبُ[٣]
حُظوظٌ، قَدْ يُسَوَّدُ ذُو المعاصي ... بها، والبَرُّ منْبُوذٌ جَنيبُ[٤]

---

(١) النيبُ: النوق.
(٢) الكنيبُ: اليبيس من الشجر.
(٣) أعْيتْ: برّحت.
(٤) الجنيبُ: الغريب.

٣٢٣ ــ إلى: د. ع. ب (الدكتور عبد الرحمن البيضاني) [٦٢]

الباء المضمومة مع الحاء بعد الألفِ

جــزَاؤك أيُّهــا الـشَّــاني قــريــبُ ... ويــومُــك حين تَـلقَــاهُ عَصيــبُ!
مردْتَ علىٰ الـذُّنــوب فَلَسْتَ تـدري ... إذا قــارفــتَــهــا مــاذا تُــصيــبُ!
أتَــانــا عَــنْــكَ تَــهْــديــدُ، وذمٌّ ... وأنتَ بــأرضــنــا رَجُــلٌ شَصيبُ[1]
بــلادي؛ شَعْبــهــا شَعْــبٌ شمــوسٌ ... فَلَنْ يَجْتــرَّهــا الشَّــركُ النَّصيبُ[2]
لــهــا في كــلِّ مَكــرمــةٍ نَـصيــبٌ ... ومــا لَــكَ مِنْ مكــارِمهــا نَصيبُ!

* * *

هي «اليمن السَّعيــدة» في الأعــالي ... مَسَــاكِنُــهــا ووادِيــهــا خَـصيــبُ
يُــدافِــع عَــنْــهُ أحــرارٌ كــرامٌ ... فَــلا يَــتَــلاوَمُــونَ إذا أصــيــبــوا

---

(١) الشصيبُ: الغريب.

(٢) النَّصيب: الشركُ المنصوب.

٣٢٤ ــ نصيحة..! [٦٣]

الباء المضمومة مع الغين والياء

بَني المُختارِ، خلّوها احْتِسابًا ... وعَدُّوا عَنْ مَطامِعِها وغيبوا[١]

وحَظُّكُمُ «المَوَدَّةُ» وهْو حَظٌّ ... إذا ما صُنْتُمُ «القُرْبَى» رَغيب[٢]

---

(١) عَدُّوا عَنْ مطامعها: أي اصرفوا أنظاركم عنها، والضَّمير يعود إلى «الرئاسة».

(٢) إشارة إلى الآية الكريمة: (قُلْ لا أسألُكمْ عليه إلاَّ المَوَدَّة في القربى). ورغيب: واسع كثير.

٣٢٥ ــ وإلى القاضي محمد الأكوع [٦٤]

الباء المضمومة مع الياء وواو الردف

تُهاجِمُنا بكلِّ بذيِّ قولٍ ؟ وأنتَ لَك المحاسنُ، والعيوبُ!
وتَنْهَشُ ذكرَ مَنْ طَابوا فِعالاً ومَنْ تَزْكُو بذكرهمُ الطُّيوبُ
«بني الزَّهْراء» والأطْهار مِنْهُمْ ؛ بِهِمْ تَصْفُو مِنَ الكُفْر الجيوبُ[1]
تمهَّل ــ يا ظَلُوم ــ وصُنْ شِعارًا بأَنْ نَرعَاهُ أوصتْنا الغيوبُ

(١) الجيوبُ: القلوب.

٣٢٦ ــ موثق، أو هارب [٦٥]

الباء المضمومة مع الراء وألفِ التأسيس

لَكَ. في زَمانِكَ يا فؤادُ مآربُ ... مِنْ أجْلها: أنا ما بَرحتُ أُحارِبُ!
دَقَّتْ. وجلَّ شِعارُها وتَضَاربتْ ... فيها الظنونُ؛ فَمشْفِقٌ ومُوارِبُ
ومُغالِطٌ؛ ما إنْ يبين تَخَوفًا ... ومُجاهدٌ فيها؛ وآخرُ ساربُ[1]
وأنا أبوء بِهَا؛ طَليحًا، مُدْلِجًا ... وأسَاوِدٌ في دَرْبِهِ وعَقَاربُ[2]
لَوْ شِئتُ أمرًا؛ كنْتُ قد خُوِّلْتُه ... وبِهِ أشَادَ أباعِدٌ وأقَارِبُ
لكِنَّه حقُّ الهُدى ويَقينُهُ ... مِنْ أجْلِهِ أنا مُوثقٌ، أو هاربُ!

---

(١) ساربٌ: متخفي.

(٢) الطَّليح: المُتعَب، والأساودُ: الحيّات.

٣٢٧ ــ اليقين هو الأنسب [٦٦]

الباء المضمومة مع السِّين

قُل لِلَّذي عَنْ دِينِهِ وإلَهِهِ؛ مَا إنْ يريم تشكُّكًا يَتَحَسَّبُ[1]
أقْصِرْ فَلَوْلاَ أنَّ عَقْلَكَ قَاصِرٌ؛ لَعَرفتَ أنَّ الشك قَفرٌ سَبْسَبُ
كُنْهُ الحَقِيقَةِ عنْدَ أرْبابِ النهى حِينًا يَلُوحُ؛ وتارةً يتَرسَّبُ
أَحْرى بِمَنْ يَدْري التوقُّفُ حَائِرًا أَمَّا اليَقينُ ــ لِمَن يطيقُ ــ فأنْسَبُ

(١) يتحسَّب: يَسْتخْبر.

٣٢٨ ــ تحريم التعذيب [٦٧]

الباء المضمومة مع الذَّال وياء الردف

مــا إن لــنــا ديــنٌ، ولا تَــهْــذيــبُ ... إن ظَـلَّ شَـرع سجـوننـا التَّعــذيبُ
أنــا مؤمنٌ بــالله؛ فــالتَّعــذِيب في ... يــوم الـقيــامــةِ مَــا لَــهُ تـكــذيبُ
لـكِنْ إذا مــا اسْـتَـنَّــهُ مُـتَـجَــاسِــرٌ ... في الأرض فَهْــوَ المُسْتَبِيحُ الــذّيبُ
أنـا في وجودي كـالغَـريب وليس لي ... إلَّا الــدُّمــوعِ؛ أريــقــهــا وأُذيــبُ
ولعــل يــومًــا بـالشَّهــادةِ قــادِمًــا؛ ... فينــالـني الـتَّــطهيــرُ والـتَّشْــذِيــبُ

٣٢٩ ــ المجلس الجمهوري (١٣٨٩هـ/ ١٩٧٠م) [٦٨]

الباء المضمومة مع الذَّال

يـا مَجْلسًا في عـدِّ أهْلِ «الكِسـا»[١] ضـمَّ الأُلَى مـنْ قَـومِـهِـمْ هُـذِّبـوا
لكنَّهم بـالـعَـدْلِ لم يـحكـمـوا، وعَنْ كيـانِ الـحقِّ لَـمْ يَشْـذِبـوا[٢]
فـذاكَ لاهٍ بـخـيـالاَتِـه وذَا؛ إلـى نَـفْـعٍ لَـه يُـجْـذَبُ
وكُـنْـتُ فـيـهِـمْ حـائِـرًا تـائـهًـا لا أنـطقُ الـصِّـدقَ ولا أكْـذِبُ

---

(١) «أهل الكسا» في الحديث هم الخمسة: وعند تشكيل المجلس الجمهوري إثر المصالحة الوطنية كان أعضاؤه خمسة هم: عبد الرحمن الإرياني، حَسَن العَمري، محمد علي عثمان. أحمد نعمان، أحمد الشامي. «المؤلف».

(٢) شَذَبَ عَنْه: ذَبَّ ودَفَعَ.

٣٣٠ ــ نفثة محروم [٦٩]

الباء المضمومة مع الحاء بعد الألفِ

يا مَنْ لِصَبٍّ أَمْسُهُ قَدْ مضَى ... كالْيوم وهو النَّائِحُ الشَّاحِبُ[1]

نهارُهُ أوْحَشُ مِن لَيْلِهِ؛ ... لا أَهلُ؛ لا آمالُ؛ لا صاحبُ

نُعْمَى لِمَنْ قَدْ ضَمَّهُ قبرُهُ ... فهْوَ لَهُ مُنْتَزهٌ لاحِبُ[2]

---

(١) الشاحب: المتغيِّر الكئيب.

(٢) اللاحبُ: الواسع، وهو الواضح أيضًا.

٣٣١ ــ هل من توبة؟ [٧٠]

الباء المضمومة مع التاءِ والألفِ

إلى مَتَى في الحقِّ نَرتابُ ... ونَظْلِمُ النَّاسَ ونَغْتابُ؟
وفي سبيلِ الشرِّ ما نأْتلي ... نَرْتكبُ الإثمَ ونَنْتابُ[1]
أَجودُنا بالمالِ ذُو مِنَّةٍ ... يَحتَقِر الجودَ، ويَعْتابُ
إذا حَدَاهُ صَوْتُ أطْماعِهِ؛ ... فَلا يُبالي الْهَوْلَ يَجْتابُ[2]
وصاحبُ السُّلطةِ قاسٍ على ... مُقْتَرفي الذَّنْب وإنْ تابُوا
لا يَقْبلُ النُّصحَ ولَا يَعْرِفُ ... الصَّفح، وبالأحرار يَرْتابُ

---

(١) ما نأتلي: لا نُقصر، وننتابُ: نأتي ونقصد.
(٢) يجْتاب: يَقْطَعُ.

٣٣٢ ــ إلى منهزم في معركة [٧١]

الباء المضمومة مع اللَّام

قد عزَّ ــ رَغمَ اجْتهادِكَ ــ الطَّلَبُ ... فَالفِكْرُ ساهٍ، والقَلْبُ مُخْتلَبُ[1]
قامَرْتَ بالحربِ دُونَ عُدَّتِها ... وساءَ بَدْءُ؛ فَساءَ مُنْقَلَبُ
فاصْبِر فَما في هَزيمةٍ شَجَبُ ... ولَمْ يَكُنْ هَمَّ مِثلك السَّلبُ[2]
وفَاوِضِ القَومَ صَارمًا حَذِرًا ... فالقَوْمُ لا يَرْحَمونَ إنْ غَلَبوا
لعَلَّ يومًا . . له مخايلُهُ ... تزهو به السابغات والْيَلَبُ

---

(١) مختلَب: مأخوذ مخدوع.

(٢) السَّلَب: ما يأخذه أحد القرنين من المهزوم.

(٣) السَّابغات: الدروع. واليَلَبُ: الخوذ.

٣٣٣ ـ أمـــر مُـــبْـــرَم [٧٢]

الباء المضمومة مع الجيم

إنْ كنتَ ضيَّعتَ فرصَةً سَنَحتْ ... فَلَمْ تُهيِّىءْ لها الذي يجبُ
خُذْها اعْتِبارًا لِمَنْ بِطَانَتُه ... لَيْسوا كرامًا. وما هُمُو نُجُبُ
أخال أمرًا في الغَيْبِ يبْرمُه ... مُدَبِّرٌ كلُّ أمرِهِ عَجَبُ
لَهُ تَثُورُ «الجموعُ» في زَمَعٍ ... يَطِيبُ للحُرِّ عِنْدَهُ الشَّجَبُ
أكادُ أرنُو إلى الجُمُوعِ وفي ... مَسَامِعِي مِنْ هُتَافِهم لَجَبُ[1]

(١) اللَّجب: الضَّجيجُ.

٣٣٤ ــ وقـفـة..! [٧٣]

الباء المضمومة مع الباء وياء الردف

خـل عنـك البكـاء.. فـالأمـر قـد كـان؛ وبـالصَّبـر يَسْتَعين الـلَّبيبُ
أقْـفَـرَ الـرَّبـعُ؛ لا مـدامُ ولا أنْـغـامُ تَـشْـدُو. ولا غـزالٌ رَبـيـبُ
كَـانَ لي هَـا هُنـا نَـدِيـمٌ وكـأسٌ وكـنـاسٌ، وروضـةٌ وحـبـيـبُ
كَـمْ لَهَـوْنـا في ظِـلِّهِ، يَـتَـغـالى فِيـهِ مِنّـا الـتمـجيـدُ والـتَّشْبيبُ
وشَـبـابُ الـحـيـاة نـشـوانُ بـالـقـوة.. والـشَّـعْـر فَـاحِـمُ غِـربـيـبُ
كيف أضحى قَفْـرًا يَبـابًـا وعَهْـدِي بـشـراهُ لِـلْعَـيْشِ فـيـه دَبـيـبُ!؟
أيـن؟ لا أيـن؛ فـالـنـهـايـاتُ إن وَافَـتْ؛ فـلا عِـلـةٌ ولا تَـسْـبـيـبُ
وإذا مـا الـقَـضَـاء حُـمَّ عَـلَى الـمَـرْءِ فـفِـي دَائِـهِ يـحـارُ الـطبـيـبُ!
والمغـانِي كـالنَّـاس؛ مِن بَعْـد أنسٍ يَـعْتَـرِيـهـا الإيحـاشُ والـتَّـتْبيبُ

٣٣٥ ــ مع النائمين [٧٤]

الباء المفتوحة مع اللَّام

صُرُوفُ الليالي أوشَكَتْ أنْ تَبيدَني ... وقَدْ أنْهَكَتْ مِنّي المشَاعرَ والقَلْبَا
نَشَأْتُ يَتِيمًا ثُمَّ شُرِّدْتُ يافِعًا ... وحُورِبْتُ كهْلاً أتَّقي الذلَّ والغلْبَا
وأصْرخُ بينَ النَّائمينَ مُحاولاً ... هِدايَةَ قومٍ أدمَنُوا النَّهبَ والسَّلْبَا
وعَاشوا كسَالَى؛ لا يُريغونَ مَطْلَبًا ... ولا يتحامونَ الملامَةَ والثَّلْبَا
وأفضلُ مِنْهُمْ في الحياة مكانَةً ... عبيدُ المواشِي والأُلَى قَدَّسُوا الصُّلبَا

٣٣٦ ــ بالإلهام.. لا بالتجربة [٧٥]

الباء المفتوحة مع الرَّاء

طُويتُ على عِلمٍ قديمٍ بِخالِقٍ ... لأمرٍ يَراهُ أوجد العُجْمَ والعُرْبا
لَهُ في ضمير الكون سِرٌّ بوحْيه ... يُميتُ ويُحْيي النَّارَ والماءَ والتُّربا
ولَولا خِلالٌ في البريَّةِ سَنَّها ... لما اشْتَرَعوا سِلْمًا ولا عَلِمُوا حَرْبا
وما إن أُماري أو أُجاري تَطَبُّعا؛
ولا باختياري آلفُ الأكْلَ والشربا
بإلهام حِسِّي، لا بَعِلْم تجاربي
أُيَمِّمُ شَرقًا في سلوكي أو غَرْبا
ولي في نِظامِ الكَوْنِ سِربٌ وإنَّما ... يَضلُّ ضَلالُ الطير إن هَجَرَ السِّرْبا
ومالي إلى الرَّحْمن إلَّا ضراعتي ... أرجّي بها مِنْه التحَنُّنَ والقُربا
لِيَغْفِرَ مَا قَارَفْتُه ويَحُوطَني
بِلُطْفٍ وعفوٍ يَكْشِفُ الهمَّ والكَرْبا

٣٣٧ ــ الأمن المخيف [٧٦]

الباء المفتوحة مع العين

يقولون لي؛ هَلاَّ أنَخْتَ رَكائبًا
بِها ظَلْتَ تَجْتَازُ المكَارِهَ والصَّعْبا؟
عَلامَ الضَّنى والعَيْشُ في الرُّعبِ والعَنا
شَريدًا؛ فَلا أَمْنًا عَرَفْتَ ولا لَعْبا؟
قَطَعْتَ بِلادَ اللَّهِ شَرْقًا ومَغْربًا
ولَمَّا تَجِدْ فيها مَلاذًا ولا شَعْبا
فَقُلْتُ: انْتِعاشِي بالمَخاوِفِ آمِلاً
أحَبُّ مِنَ الأمْنِ الذي يَرْقبُ الرُّعْبا

٣٣٨ ــ حسام الليالي [٧٧]

الباء المفتوحة مع الضَّاد

قَصَدْتُكَ عن قومٍ يُرَجَّونَ مِنَّةً
فأَغْضَيْتَ عني الطَّرفَ حَرْدانَ مغضبا
وهُمْ مَعْشَرٌ ولَّوكَ طَوعًا أمُورَهُمْ
لِتُوصِلَ مِنْهَا مَا وهى وتَقَضَّبا؛
حُسَامُ الليالي سَوفَ تَلْقَاهُ إنْ طَغى
حُسَامُكَ يومًا مِنْهُ أمْضَى وأعْضَبا

٣٣٩ ــ حَصَادي [٧٨]

الباء المفتوحة مع الضَّاد

حَلَبْتُ الليالي دَرَّهَا ونضيبها ... وعَاقَرتُ حُرًّا خمرَها ورضَابَها
فما أبَطَرتْني نِعْمةٌ بِابْتِهاجِها ... ولا خِفْتُ مِن سُودِ الخُطوبِ غِضَابَها
وَمَا اعْتَرضَتْني في الحياةِ مُصيبةٌ ... ولا محْنةٌ إلَّا افترعْتُ هِضابَها
خَبَرتُ صُروفَ الدَّهرِ عِزًّا وذِلةً ... وجَرَّبتُ مِنْها وصْلَها وانْقِضَابَها
حَصَادِي مِنَ الأيامِ أودَعْت سِرَّه ... شبابَ الليالي، واسْتَعرتُ خضابَها

٣٤٠ ــ العقل والحذر [٧٩]

الباء المفتوحة مع الصَّاد والألِف

نَصَحْتُكَ أنْ تَسْتَرشِدَ العَقْلَ دونما
هوًى؛ فالْهوى قَدْ يُفْسِدُ الرَّأْي صائبا
إذا حِدْتَ عن نَهْجِ النُّهى عِشْت تائهًا
ولم تَرَ مِنْ دُنْياكَ إلاَّ المصائبا
يَقِيني بَلؤُمِ النَّاسِ عَلَّمني التُّقى
فَكَمْ زَرعوا لي دون جُرْم نَصائبا[1]

(١) النصائب: الأشراك.

٣٤١ ـ فيا موتُ زُرْ [٨٠]

الباء المفتوحة مع الذَّال

أحْيَا زمانًا، أذَلُّ النَّاسِ أصْدَقُهُمْ
فِيهِ؛ وأكرمُهُمْ مَنْ غَشَّ أو كَذَبا
وعالِمِ[1] القومِ مَهْبُولٌ: يَكيلُ لَهمْ
مِنَ الأحاديث زُورَ القَولِ والكَذِبا
سَئِمْتُهُمْ. وهمُو مَلُّوا مُعَاشَرتي
ولمْ أَجِدْ بَيْنَهُمْ من جَدَّ أو هَذُبا
أكادُ أصرخُ مِنْ غمٍّ ومِنْ أسَفٍ
يا مَوتُ زُرْ إنَّ كأسَ الموتِ قد عَذُبا

(١) يقصد عُلماء السوء، و «الفقهاء» الدجالين وأشباههم.

٣٤٢ ــ رحلة في النور الأعظم [٨١]

الباء المفتوحة مع الجيم

إن كُنْتُ أخلصتُ حُبّي فَهُوَ عَنْ شَغَفٍ
بكم؛ وإخْلاصُ مَنْ والاكُم.. وجَبا
لَمَّا نَماني إليكُم جَوهَري خَشَعَتْ
لَكُمْ حياتي وذَابَتْ فيكُمُ عَجَبا!
قَدْ عُدْتُ مِنْ رِحْلتي الكُبرى؛ وبي كَلَفٌ
يُفْنِي؛ ويَهْتِكُ عَن مَرْآكُم الحُجُبَا
لَوْ طَافَ مِنهُ شُعاعٌ في ظلامِ دُجىً
مات الظَّلامُ، وصَاحَ اللَّيلُ وا شَجباَ..!

٣٤٣ ــ بين الأمس والغد! [٨٢]

الباء المفتوحة مع العين

نارُ الحياة بلذَّاتي قَدِ اسْتَعَرَتْ
دَهرًا وما فَتِئَتْ حتى خَبَتْ تَعَبا!
أنا رَمَادٌ لأيامٍ قَدِ احْترقَت
وكانَ جاحِمُها يَجْتَاحُ ما صَعُبا
كم أشعَلَتْ في دياجي البُؤسِ من أمل
لِلمدْنفين؛ يُبيدُ الْهمَّ والرُّعبا
واليوم.. لا غَدُ للأشواقِ يُنْعِشُها
ونَاعبُ اليأسِ والتَّرحَالِ قد نعبا
تَجَمَّدَتْ رَغباتي في صَقيعِ دَمي
ومُزِّقَتْ في مَتَاهاتِ الأسى شُعَبا!

٣٤٤ ــ صـراط الأحـرار [٨٣]

الباء المفتوحة مع اللاَّم

إذا رأيـتَ هُـمـامًـا عـزَّ أو غَـلَبـا
ونَـالَ مـا رامَـهُ واجْـتَـازَ مـا طَـلَبـا
فـاشْـفِـقْ عـلـيـه إذا مـا سَـاءَ مـنْـقَـلَبَـا
وارْفـقْ إذا ذَلَّ بَـعْـد الـعِـزّ وانْـغَـلَبـا
لا تَـخـشَ ذَا سُـلْطَةٍ مَـهْـمَـا طَـغَـى وبَـغَـى
ولا تُـبَـلْ بِـغَـويٍّ ذمَّ أو ثَـلبـا!
ولا تُـصَـدِّق خُـرافـاتِ الأُلـى فُـتِـنُـوا
بـالأَوْلـيـاءِ، ولا مَـنْ قَـدَّسـوا الـصُّـلُبَـا
فَـهَـمُّـهُـمْ إنْ هُـمـو صَـلّوا وإن وعَـظُوا
أنْ يَفتنـوا النَّـاس أو أن يَغْنَـمـوا السَّـلبـا!
سـيَّـان لصٌّ وزنـديـقٌ؛ فَـذاكَ سَـطَا
عَـلى الـحُـقـوق؛ وذَا لـلشـرِّ قَـدْ جَـلَبـا!

٣٤٥ ــ إلــى الحــاكــم..! [٨٤]

الباء المفتوحة مع العين

بـاللُّطف يَسْهـلُ ــ لا بــالقَسْـرِ ــ مــا صَعُبَـا
وراحــةُ الــخُـلْد مُــهْــدَاةٌ لِــمَــنْ تَــعِــبــا
فَــارْعَ الأنــامَ بِــرِفْــقٍ. واتَّـخِــذْ سَــبَــبًــا
إلـى القُـلُوبِ يُــزيــلُ الــخــوفَ والــرُّعُــبَــا
«لَــوْ كُنْتَ فَــظًّا غَليظَ القَلْبِ» مــا استمعــوا
ولا اسْـتَقــامــوا، وأضْـحى جــدُّهــمْ لَعبــا

٣٤٦ ــ أحـدُهـم..! [٨٥]

الباء المفتوحة مع الحاء

حَبـاكَ خيـرًا ومـا حـابـاكَ حيـن حَبَـا
بَـل كـان يُـحْسِـنُ عَـنْ حِسٍّ لَـهُ رَحُـبَـا
فكيفَ لَم تَـرْعَ فيـهِ حَقَّ صُحْبَتِـهِ؛
وكـانَ أَسمى وأَوْفَى صَـاحِبٍ صُحبـا[1]
تَـركْتَـهُ لِـرَصَـاصِ الـحِقْـدِ تَـنـهـشُـهْ
ولـم تُـغِـثْـهُ ولـم تُـنْـقِـذْهُ إذْ سُـحِـبـا
لـو كُـنـتَ تـمـلِكُ حِسًّـا مُـتَّ مِـنْ كَـمَـدٍ
أو كـانَ قـلبُـك شَـهْـمًـا ذَابَ مُـنْـتَـحِـبـا

•

(١) هو: عبد الرحمن أبو طالب. والمخاطَب هو صديقه الأستاذ محمد الفسيِّل.

٣٤٧ ـ الوهم قتّال..! [٨٦]

الباء المفتوحة مع التَّاءِ والألف

شَطَّت بِصاحِبها أوهَامُهُ فَنَأى
عنِ الصَّوابِ وبَاتَ الليل مُرتَابا
كان «اليَقِينُ» لهُ مأوى يلوذُ بِهِ
إذا طَغَى حَادِثٌ للدَّهر وانتَابا
باعَ اليَقِينَ بِشكٍّ فَانْثَنَى قَلِقًا
يرومُ مِنْ غَضَبِ الأيَّامِ إعْتابا!
كم حَطَّم «الوهْمُ» مِنْ حُبٍّ ومن أمَلٍ
وكم أضَلَّ مِنَ الكُتَّاب ـ كُتَّابا
يا صاحِبَ الشكِّ تُبْ قَبْلَ التَّباب؛ فَما
أشْقَى المُرَجِّي إذا أوْدَى ـ ومَا تَابا

٣٤٨ ــ كـذَّابٌ مُـفـدَّى؟ [٨٧]

الباء المفتوحة مع الذَّال والألِف

نَـفْـسـي الـفِـدَاءُ لِـمَـنْ قـلبي تَـعَـشَّـقـهُ
مُـمـاطـلاً مُـخْـلِفًـا لِـلْوعـدِ كـذّابـا
ومَـنْ إذا مـا سـرَتْ ذِكـراهُ فـي خَـلَدي
حَـنَّت ضـلُوعِـي وقـلبي لَـهْـفـةً ذابـا

٣٤٩ ــ نَــدَم..! [٨٨]

الباء المفتوحة مع الكافِ والواو

فــارَقْــتُــهُ مُــرْغَــمًــا؛ والــرُّوحُ عــالِــقَــةٌ
بــه؛ فــأصْــبَحْــتُ بَيْــنَ النَّــاسِ مــنكــوبــا
أمــزِّقُ الــرُّوحَ بــالأنَّــاتِ مُــوجَــعــةً؛
والــقَلْبُ أصْــهَــرُهُ في الــدمــعِ مَــسْكُــوبــا

٣٥٠ ــ الهـمُّ الفـريـد [٨٩]

الباء المفتوحة مع القافِ والواو

هَـمِّـي فـريـدٌ، وحُـزْنـي لا يُـمـاثِـلهُ
هَـمٌّ لأيّـوب، أوْ حُـزنٌ لِـيَـعْـقُـوبـا
عَـرَفْـتُ لُـؤمَ أنـاسٍ لا يَـرَوْنَ لِـذِي
حَـقٍّ حُـقُـوقًـا، ولا يَـرْعَـونَ مَـشْـقُـوبـا
لـذاكَ أصبَـحْـتُ بَـلْ أمْسَـيْتُ مُـنْـعَـزِلًا
عَـنِ الأنـامِ وقـلبي بَـاتَ مَـثْـقُـوبـا

٣٥١ ـ عابس الوجه [٩٠]

الباء المفتوحة مع الحاء وياء الردف

وكَمْ عَدوٍّ أتاني وَهُو مُضطغِنٌ
حَبَوْتُه القَوْل تأْهيلاً وترْحيبا
وعَابِسُ الوجهِ لا يَسْتَلُّ مَوجدةً
من قلب خبٍّ ولا يُرْضِي الأصَاحيبا

٣٥٢ ــ نعمة العذاب..! [٩١]

الباء المفتوحة مع الذَّال والياء

أعيشُ بالحُبِّ أشواقًا وأخْيلةً ... وأرْتَضِيهِ مُعَاناةً وتَعْذِيبَا
لولاَ مُعَاناةُ أشواقِي وأخْيلتي ... ما صُنْتُ حَقًّا ولا مَجَّدتُ تهذيبا
وبالضنَى ومُقَاسَاةِ الهُمومِ صَفَتْ ... غرائِزي فأَمَزْتُ الشَاةَ والذِّيبا![1]

(١) كناية عن الخير والشر.

٣٥٣ ــ الطبع البشري؟ [٩٢]

الباء المفتوحة مع الذَّال والياء

مَنْ كَلَّفَ النَّاسَ تَنْزِيهًا وتَهْذِيبا
كَمَنْ يحاوِلُ أن يَسْتَأنِسَ الذِّيبا
لَوْ لَمْ يكُونوا بلُؤمِ الشَرِّ قد طُبعوا؛
ما كَذَّبُوا الرُّسُلَ الأبْرارَ تكْذِيبا!
ولا عَصَوا ربَّهم جَهْرًا، ولا ظلَموا
ولا أعَدَّ لَهُم نارًا وتعذيبا!

٣٥٤ ــ أضحوا ترابًا وتراثا..! [٩٣]

الباء المفتوحة مع الشِّين والياء

أينَ الأُلى حَكَموا الدُّنيا بِمَا اشْتَرعوا
وأشَّبوهُ لَنا في الأرضِ تأشيبا[1]
شرائعًا، وقوانينا وأخيلَةً
هِمْنا بِها؛ ما صَفَا مِنْها وما شِيبا
أضْحَوا تُرابًا: وما زال الَّذي ابتدعُوا
يُغْوي به الواعِظُ الشُّبَّانَ والشِّيبَا

---

(١) أشَّب: خلط.

٣٥٥ ــ عصر العلم [٩٤]

الباء المفتوحة مع السِّين والياء

بالعِلْمِ قَدْ عَزَّ أقوامٌ ومَا انْتَسَبوا
والجَهْلُ أخضَعَ أقوامًا مَناسِيبا!
نَعِيشُ في عَصْرِ تَقنِينٍ و «تَقْنيةٍ»
أخْنَى على مَنْ عَرَفْنَاهُمْ يَعاسِيبا!

٣٥٦ ــ حصادي من الأيَّام [٩٥]

الباء المفتوحة مع العين والألِف

بلغْتُ مُنايَ من خَيْرٍ وشرٍّ ورُضْتُ الدَّهرَ؛ أمنًا وارتعَابا!
وما أبْقَيتُ في الدُّنيا مَجالاً لِمَنْ يَهْوى المخَاطِرَ والصعابا
فَلَمْ أحْصدْ سِوى حَسَراتِ شيخٍ تَقَضَّى عُمْرُهُ لَعِبًا وعَابا

٣٥٧ ــ الشعر نسبي..! [٩٦]

الباء المفتوحة مع السِّين

قالوا: «أنانيٌّ» فقُلتُ: طَبيعَةُ
لم أدَّخِرْها خِسَّةً وتكَسُّبا
لا أستطيعُ مَذلَّةً أو خُدعَةً
أوْ أنْ أُطأْطِىءَ هامةً أو أرْسُبا
وإذا انْتَسَبْتُ فَلِلْقَريضِ يَطُولُ بي
نَسَبٌ وأكْرِمْ بالقَريضِ تَنَسُّبا
ما لي «بِعَدْنانٍ» فخارٌ، إن دَعا
داعٍ ولا أعْزُو الفخار إلى «سَبَا»
هم يَسْبَحون توهُّما في حَنْدَسٍ
ويُخططون بلاَ دَليلٍ سَبْسَبَا!

٣٥٨ ـ وَلَّـى الهـوى! [٩٧]

الباء المفتوحة مع التَّاء والألفِ

طَـرَقَتْ فَقُلْتُ لهـا أفقْتُ مِنَ الصِّبـا ... والقَلبُ عـادَ إلى الصَّـوابِ وتـابـا
قَـالَتْ: وعَهْـد الحُبِّ هَـلاَّ صُنْتَـهُ؟ ... قُـلتُ: الفـؤاد غَـدَا بِـهِ مُـرْتَـابـا
لم يَبْقَ مِنْ شـوقِي ولا مِن صَبْـوتي ... رَمَـقٌ يـطيـقُ تَـغَـزُّلا؛ وعِـتـابـا
ولَّى الهـوى، وارتحْتُ من نَـزَواتِـهِ ... وعـذَابِـهِ؛ وهَـجَـرْتُـهُ مُـؤتَـابـا
قَـلَمـي وأوْراقـي تُـبَـدِّدُ وحْـشـتِـي ... وإذا طغَى حـزنـي فَتَـحْتُ كـتـابـا

٣٥٩ ـ تمثيل..! [٩٨]

الباء المفتوحة مع التَّاء والواو

قالوا: قلاكَ؛ فقلتُ حظِّي عاثِرٌ
وبِهِ غَدَوْتُ مُرَزَّأً مَعْتوبا
أنا مَنْ وهَبْتُ لَهُ الفُؤادَ فَباعَهُ
أتُرى قَلى؟ أم مَثَّلَ «المكْتُوبا»؟

٣٦٠ ـ الغاية المحتمة [٩٩]

الباء المفتوحة مع الظَّاء

قد خَلَقَ الناسَ وأرزَاقَهُم ... مَنْ يَرزُقُ الثُّعبانَ والحَنظبهْ[١]
وقدَّرَ الْمَوتَ لَهُم غايَةً ... لا فرق بينَ الصَّقرِ والعُنظَبه[٢]

(١) الحَنظبة: دابةٌ مثل الخنفساء.
(٢) العُنطبة: الجراد الضَّخم.

٣٦١ ــ الفَصل الأول..! [١٠٠]

الباء المفتوحة مع الحاء والألِف

هَلَكَ السَّيِّدُ الإمام ووَلَّى ... بعد أن أتعَبَ الأنامَ وحابا
كادَ أن يأمرَ النجوم بأن تَخْ ... سِفَ والريحَ أن تُبيدَ السَّحابا
أسْكَنَ الرُّعبَ كلَّ قَلْبٍ وأضْفَى ... الخَوفَ يَغْشَى كالسَّافياتِ الرِّحابا
ضاقتِ الأرض بالأنام فلا حُسْ ... نَى؛ ولا صاحبٌ يُرجَّى صحابا
لا ترى؛ غير ثاكلٍ أو يتيمٍ ... يَتَفَانَوْنَ لَوْعَةً وانْتحابا

١٣٦٧/٤/٧هـ

٣٦٢ ــ الفصل الثاني: اللَّحظة الأخيرة [١٠١]

الباء المفتوحة مع الباء والياء

حينَ وافاهُ الموتُ قطَّبَ ذُعرًا ... وقَلاَ نَفْسَهُ وعافَ حبيبَهْ
لم تُفِدْهُ الحُصُونُ والجندُ ... والمالُ وأعْيَا وزيرَهُ وطَبيبَهْ
ظنَّ أنَّ الخُلُودَ سِلْعةُ سوقٍ ... تُشْتَرى مِثْلَما تُباعُ الضَّبيبَهْ[1]
وأطاعَ الهوى؛ ولم يُصْغِ للنُّصْحِ ... وأقْصى حَكِيمَه ولبيبَهْ
ومَضَى؛ لا أسَى الشيوخ عليه ... يتلظى ؛ ولا شعورُ الشَّبِيبَهْ

(١) الضبيبة: طعامٌ يتخذ للصبي.

٣٦٣ ــ الفصل الثالث: دستور ١٩٤٨م [١٠٢]

الباء المفتوحة مع الطاء والياء

لَم يكُنْ غيـر ومْـضَـةٍ طـردَتْ عَنْ ... أفقِنـا بـازدهـائِـهـا التَّـقـطِيـبـا!
لحـظَةٌ كـالـزَّمـانِ صـاحَتْ بمـا ... نَهْـوَى وأودت كالـزَّهـر غضًّـا رطيبا
وإذا بـالـظّلام يـخـنـقُ مـن كـان ... أديـبًـا، أو عـالمًـا. أو خـطيبـا
ويُـغنّـى الفـنـاء صَمْـتَ الْمـنـايـا ... وتفـوحُ الـدّمـاء خمـرًا وطـيـبـا!
ويُـديـرونَهـا كؤوس اعْـتِسَـافٍ: ... «مَـرَّة خـالصًـا، وأخـرى قـطيبـا»[1]

(١) القطيب: الممزوج.

٣٦٤ ــ الفصل الرّابع: [١٠٣]

الباء المفتوحة مع اللاَّم والياء

ثم دار الزَّمانُ دورةَ حِقدٍ ... وأباح التَّقْتيلَ والتَّصليبا!
وتَفانَى في الشر قومٌ وغالى ... مَنْ يريدُ التجريحَ والتثليبا
كَمْ عَزيزٍ أضحى ذليلًا؛ وكمْ مِنْ ... ذي ثراءٍ أضْحَى شريدًا سَليبا
مَعشرٌ يخبطون تِيهًا؛ وقومٌ ... مزَّقوهُمْ، وأودَعُوهُم قَلِيبا
لا تَسَلْنِي عَمَّا جرى؟ لسْتُ أدري ... قد أَلِفْتُ التغييرَ والتَّقْليبا!
وطغَتْ حيرةٌ على النّاس حتى ... حَسِبوا الأسْدَ في الإسارِ كليبا[1]
واضمحَلَّتْ حواسُّهُمْ، لا يَميزُ ... ونَ «حِداءً تَصِرُّ» أو عَنْدَليبا!

١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م

(١) الكليبُ: جماعة الكلاب.

٣٦٥ ـ رجاء الغريب! [١٠٤]

الباء المفتوحة مع الرَّاء

يا مَنْ لِصَبٍّ مُعَنًّى ... في الحُبِّ ضيَّع دربَهْ
يَتِيهُ في ليلِ شَوقٍ ... وفي مَجَاهلِ غُرْبَهْ
مَلَّ الحياةَ اصْطبارًا ... على الفراقِ، وكُرْبَهْ
يا ساريَ البرقِ هلاَّ ... شِمْتَ الحبيبَ وسِربَهْ؟
وهلْ سَبيلٌ إليْهِ؟ ... وهَلْ سَأَشْهَدُ قُرْبَهْ؟
هُنَاكَ حيث قَضَيْنَا ... عَهْدَ الشَّبابِ وإربَهْ
هناك كُنَّا، وكُنَّا: ... تربًا يُعَاشِر تِربَهْ
في «مَوْطنٍ» أتمنَّى.. ... بأنْ أقبِّل تُربَهْ
فيه تَذَوَّقتُ حُرًّا ... سِلْمَ الزّمان وحَربَهْ
ما عَنْه أرضى بديلاً: ... شَرْق الوجودِ وغربَهْ

* * *

مضى شَبابي جنونًا: ... يَفْتَنُّ عِشقًا وطرْبَهْ
فيَا لِخُسْرانِ عُمْرِي ... إنْ عَانَقَ الرُّوحُ أُرْبَهْ[1]
وما ادّخَرتُ ثَوابًا ... ولا تعبَّدتُ قُرْبَهْ[2]

---

(١) الأُربة: الغائلة، والمقصود الموت.

(٢) القُربة: ما يُتَقرب به إلى الله.

٣٦٦ ــ قُـل للحـسُـود.. [١٠٥]

الباء المفتوحة مع التَّاء

قُـلْ لـلَّذي حَـسَـدًا لـي ... يَـهْـذِي ويُكْـثِـرُ عـتـبَـهْ
قَـدْ نِـلتُ مـا أتـمـنـى: ... عَـلمًـا، وخيـرًا، ورُتْـبَـهْ
ومَـنْ سِـواي تُـنَـاجـي ... «صـنْعـا» وتَـعْشَـقُ كتبـهْ!؟

٣٦٧ ـ الحُبُّ الخالص [١٠٦]

الباء المفتوحة مع النّون

بِروحيَ أفْدِي الرَّشَا الأشنبا ... وإن ضيّعَ العَهْدَ؛ أو أذْنَبَا
وكمْ في هواه رَكبتُ الصِّعـ ... ـعابَ وأضنيتُها مِقْنَبًا مِقْنَبَا
خُلِقتُ له؛ لا أُبالي الحسُو ... دَ فيهِ، ولا عَاذلاً أنَّبَا
ولَنْ يَصِفَ القولُ ما في الضَّمـ ... ـير؛ وإن هُوَ أغرقَ أو أطْنَبَا

٣٦٨ ـ تـهَـالُـك [١٠٧]

الباء المفتوحة مع الحاء

حَـبـانـي الـحـيـاة فَـحـابَـيْـتُـهُ ... ومَـلّكتُـهُ مُـهـجـتـي مُـصْـحَـبَـا[1]
وإنْ عِشتُ مُـضْـنًى بِـــهِ مـدنفًـا ... كـثـيـر الأسَـى سَـاهِـرًا أشـحـبَـا
ولـو قـال لي خـلّ عنـكَ الحيـاة ... مِـتُّ وقُـلتُ لـه: «مَـرْحـبَـا»
وكـيـفَ يُـعـنِّـفـنـي لائـمٌ ... إذَا مـا أعـدتُ لَـهُ مـا حَـبَـا!؟

(١) المصحب: من أصحبَ: إذا انقادَ وخضع.

٣٦٩ ـ تأديب الضمير [١٠٨]

الباء المفتوحة مع الدَّال

حَنانًا لِحُبٍّ سَقتْهُ الدُّموعُ ... غَيثَ الأسى[1] عندما أجدبَا
فأخْصَبَ من زَهْرِه ما ذَوى ... ونوَّرَ ما شَاخَ واخْدَوْدَبَا
وكانَتْ ظنوني قَد أطْبَقتْ ... على روضِهِ مِثْل جَيشِ الدَّبى[2]
ضلَلْتُ زَمانًا، فثار الضّمير؛ ... وما مِثله قطّ مَنْ أدَّبا

---

(١) الأسى: جمع أسوة؟ مايُتعزى به.

(٢) الدبى: الواحدة دباء: أصغر الجراد؛ النَّمل.

٣٧٠ ــ بين المخاطر والحب [١٠٩]

الباء المكسورة المشدَّدة

وهبتُ حياتي لِلْمَخاطِرِ والحُبِّ
وعِشْتُ بِقَلْبِ التائِهِ الوالِهِ الصبِّ
لياليَ أحْلامي كأيَّامِ يَقْظَتي
تهبُّ عَلَى خَوفٍ، وتَغْفُو على خِبِّ[1]
وإن زَارني طيفُ السَّعادة؛ زارني
مَرُوعَ الأماني والزِّيارةُ عَن غِبِّ[2]
رَضِيتُ بها: إذا لَمْ تُطأطِئْ لِهَامَتِي
جَبِينًا وصَانَتْنِي عَنِ الثَّلْبِ والسَّبِّ
ولم أتَّخِذْ غَيْرَ الكَرَامةِ مَنْهَجًا
ولا خِفْتُ في هَذِي الحياةِ سِوى الربِّ

---

(١) الخبّ: الخداع.

(٢) غَبَّ: جاء زائرًا بعد أيام؛ ومنه الأثر: «زُرْ غِبًّا تَزْدَدْ حُبًّا».

٣٧١ ـ تمتّع بما تسطيع! [١١٠]

الباء المكسورة مع الدَّال

لِمَنْ تَكْسِبُ الدنيا وأنتَ مشرَّدٌ
تهيمُ بقَلْبٍ مُسْتَهامٍ مُعذَّب
أترجُو خلودًا في الحياةِ إذنْ فقدْ
خُدِعت؛ ومَن يُخْدَعْ يخادِعْ ويَكْذِبِ؟
وما خَدَعَ الإنسانَ مِثلُ ضَميرِهِ
وبِئسَ ضميرُ المرءِ ما لم يُهذَّبِ!
تمتعْ بما تَسْطيعُ فالعمرُ ضائعٌ
كأشْباح طَيف في أصابعِ جُذَّب
وشذِّبْ غِياط العيش تزهو زهورُهُ
فَلَنْ تَزْهُوَ الأشجار ما لَمْ تشَذَّبِ

٣٧٢ ـ اعـتـراف الرّاجـي [١١١]

الباء المكسورة مع الجيم

حَـنَـانَـكَ ربّـي قـد قَصَـدْتُـكَ خـائـفًـا
لأنّـي قَـد قَـصَّـرتُ فـي كـلِّ واجـبِ
أُأنـكِـرُ آثـامي، ومـا اجْـتَـرحَـتْ يـدي
وقَـدْ طُـبِـعَـتْ آثـارُهـا فـي الـرَّواجِـب[1]

(١) الرواجب: مفاصل أصول الأصابع.

٣٧٣ ــ غـدْر الصّـديـق [١١٢]

الباء المكسورة مع الحاء بعد الألفِ

خَبَـرْتُ الـرَّزايـا والخُـطوبَ، وطَـاف بـي
زَمـاني فـي أفـقٍ مـن الـسعـدِ لاحِـبِ[1]
فَـلَمْ أرَ أدْهَـى، أوْ أشَـدَّ مَـرارةً
على مُهجـةِ الإنسـانِ مـن غَـدْرِ صَـاحبِ!
يـروعُـك مِـنْـهُ يـومَ خـيـرِكَ بـشْـرُه
ويَـلْقَـاكَ يـومَ الـشـرِّ فـي وَجْـهِ شَـاحِـبِ

(١) اللاحب: الواضح.

٣٧٤ ــ جـواذبُ الخـيْـر والشـرّ [١١٣]

الباء المكسورة مع الذَّال بعد الألفِ

يَـعيشُ الـفـتـى مِـن طَـبـعِـهِ فـي وسـاوسٍ
تُـصـدِّق أوْهـامَ الـظّـنـون الـكـواذبِ
دوافِـعُ ضَـعْـفٍ فـي غـرائِـز خـلقـةٍ
تُـسبِّـبُ مـا يـنْـتَـابُـنـا مِـن تَـجـاذبِ

٣٧٥ ــ القلبُ اليَتيم! [١١٤]

الباء المكسورة مع الرَّاء والألفِ

تركتُ فؤادي بينَ تلكَ المضَاربِ ... يتيمَ الأماني مُسْتَضامَ المآربِ
وهِمتُ وحيدًا في المشَارِق تارةً ... وطَورًا أُعاني وَحْدتي في المغارِبِ
ولا نور إلاَّ ما أُلَمْلِمُ مِنْ مُنًى ... ولا مِنْ رفيقٍ غيرَ هَمْسِ التَّجارِبِ
كأنّي ــ والأوهامُ حَوْلَ مَضَاجِعي ؛ ... تَضِجُّ كرُوَّادِ الدُّجى والمطَارِبِ!
أسيرٌ بأيدِي مَنْ يريدُونَ قَتلَهُ ... وقد أوصدتْ عنْهُ جَميعُ المهَارِبِ
عَلاَم الأسى؟ ما عِنْدَهُمْ من بَقِيَّةٍ ... لِسَلْوَى وما في الكأس فَضْلٌ لشارِبِ
قد انْخَسَفَتْ تِلكَ الرّياض ومَزَّقَتْ ... رياحُ الرَّزايا مُطْنَباتِ المَضَارِبِ
ولَمْ يَبْقَ فيها غَيْرُ قلبِكَ ثاكلاً ... ينوحُ عَلى الْهَلْكَى كَسيفِ المحارِبِ

٣٧٦ ــ طـالبُ المَـجْـد [١١٥]

الباء المكسورة مع الكاف والألفِ

بـطعنِ القنا، لا بـالدّمـوعِ السّواكبِ ... يبـزُّ الفَتَى الأقْـرانَ بينَ الـمـواكبِ
ومـا عَـزَّ شَخْصٌ بـالبَـطَالـةِ والخَنَـا ... ولكِنْ بصَبْـرٍ في ازدحـام المنَـاكبِ
ومَنْ يَتَبَـاهي بـالمنَـاسِبِ والْغِنَى ... كَمنْ يَتَـدَلّى في خيـوطِ العَنَـاكِبِ
فَـزَاحِمْ بَهَـالِيـلَ الـرِّجـال بِمَنْكِبٍ ... قـويٍّ، وطَـاوِلْ نيِّـراتِ الكـواكبِ
وَسِـرْ في رِكابِ الحقِّ، وأْنس بـأهْلِهِ ... وحَـاذِرْ مُنَى فسْـلٍ عَنْ الحقِّ نـاكِبِ

٣٧٧ ــ الاعتدال [١١٦]

الباء المكسورة مع الهاء والألفِ

يلومُونَني فيما أقولُ وإنَّما ... يُعَنّيهمو مَا نِلتُهُ من مَواهِبِ!
إذا كان ربّي قد بَراني واعيًا ... بدون اخْتياري وارتضى لي مذاهبي
فما حيلتي فيما خُلِقْتُ لأجْلِه؟ ... وما ذنبُ أعمى تَاهَ بين الغَياهب؟!
ولا ضَيْر في شتى مذاهب ملَّتي ... ومن يَزْدَرِيها في عِداد القراهب[1]
ولكنني قَدْ مِلْتُ لِلْقِسْطِ فِطرةً ... ونكَّبْتُ عن تضليلِ قَسٍّ وراهبِ

(١) القرهبُ: الثور المسن.

٣٧٨ ــ اعـتـرافُ التّـائـب! [١١٧]

الباء المكسورة مع الهمزة بعد الألفِ

أضعتُ الهُدى بين الهوَى والـرغائبِ ... طِـلابًا لمجـدٍ؛ أو لِوَصْـلِ حبَـائبِ!
وكـنتُ إذا مـا نِـلتُ غـايـةَ مُنيـةٍ ... طَمِعْتُ بـأخْرى سـاخـرًا بـالشّـوائب
ولمـا أفـاقَتْ بـالمشيب جَهـالتي ... حَزِنتُ عَلى صَرْعى المُنى مِن ضرائبي (١)
فَسَـالَتْ دمـوعي حَسْـرةً ونَـدَامـةً ... وكـادَتْ همـومي أن تَـدكَّ تَـرائبي
وقَـدْ رُضْتُ بالتَّأويـلِ كُـلَّ خَـطيئـةٍ ... وحسّنتُ مـا تَقْلو النهى منْ مَعَـائبِ
ولـوَّنْتُ أيَّـامي بشـوقِ غـرائـزي ... وزيَّنْتُ أسْحـارِي بِسِحْـرِ رَغـائبي!
وإنْ خَـطَرتْ لي من لَـذائـذِ شَهْـوتي ... صبـايا هـوى بـاشَـرْتُهـا غيـر هـائبِ
تُـرَى هَـلْ لِمثْلي أن يُـؤمِّـل رَحمـةً ... إذا جِئتُ رَبّـي حـامِـلاً قَلب تـائبِ!

---

(١) الضرائب: الطبائع.

٣٧٩ ــ بعض الأقارب! [١١٨]

الباء المكسورة مع الرَّاء

لَعًا لَلمعنَّى مِن شرورِ الأقارِب ... فمِنْها يُقاسِي لَسْعَ سُودِ العَقارِبِ[1]
بَنى لهُمو مجدًا يَنالون باسْمِهِ ... ــ إذا اجتهدوا ــ ما يُرتَضى مِنْ مآرِبِ
فَراموه كيدًا، واسْتَباحوا ذِمَامَهُ ... وكَادُوا لَهُ كيدَ العدُوِّ المحارِبِ
وسَامُوا العِدا في عرْضِهِ يَنْهَشونَهُ ... وهُم بَينَ مَفْتُونٍ، وفَدْمٍ، وخَارِبِ!

* * *

لَه اللَّهُ مولًى، قد حَباهُ بفضْلِهِ ... وأغْنَاهُ عَنْهُم بالنُّهى والتَّجارِبِ
إذا شَطَحوا أولاهُمو فَيْضَ حِلمِهِ ... وإن جَمحُوا أرضَاهمو بالتقَارِبِ
لحَا الله حِسْد الأقرباءِ فإنَّه.. ... يهدُّ، ويُقوِي شَامِخاتِ المضاربِ[2]

---

(١) لَعًا للمعنَّى: أنعشه الله وأقامَهُ من عثرته. والمعنَّى: المكلَّف بما يشق عليه.
(٢) لحا الله فلانا: قبَّحه. ويُقْوي: يُخلي.

٣٨٠ ــ الخطبةُ. الخطبة.. [١١٩]

الباء المكسورة مع الهاء

لَعًا لِبلَادٍ قومُها في جَهَالة ... وسَاداتُها ما بين فَدمٍ وناهبِ
وقد حكَّموا مَنْ ليسَ يعرِف شِرعةً ... إلى الحق أو قومًا خِساسَ المذاهبِ
يَحُوطُونَ أَرْبَابَ الخَنَا برعَايةٍ ... ويُقْصون أرباب النُّهى والمواهِبِ
ومن قَالَ: لا صَبُّوا الرصاصَ برأسِهِ ... أو احتَجزوهُ في بُطُونِ الغَياهِبِ
وكم سيدٍ يمضي الليالي معربدًا ... ويلبسُ في رأدِ الضُّحى ثوبَ راهبِ
تغيرت الأسماءُ كذبًا ولم تزل ... شَمائلُ والي يَومِنَا مثل ذَاهبِ!!

٣٨١ ــ الوحدة عبادة [١٢٠]

الباء مع اللَّام والياء

بلغتُ المُنى مِنْ وحدتي وبَلَوتُها ... وعاقَرتها قَهرًا بِعَقْلِ سليبِ[١]
وأجملُ ما قَدْ نِلتُ مِنها تمتُّعي ... بعِرضي وعِرضُ النَّاسِ غَيرُ ثَلِيبِ
مُعاشَرةُ الإنسان للنَّاس محنةٌ ... عليه، ومَدْعَاةٌ لِكلِّ جليبِ[٢]
ومُعْظَمُ مَنْ عاشَرتُهُ مِن خيارهم: ... رقيقُ قبورٍ، أو عبيدُ صليبِ

---

(١) سليب: مسلوب.

(٢) جليب: مجلوب.

٣٨٢ ــ صوت شبيب [١٢١]

الباء المكسورة مع الباء والياء

كَرِهتُ بقائي في بلادي تَعَفُّفًا ... وإن كَانَ فيها مَسْكَني وحبيبي!
إلى حيث لا أدْري أسوقُ ركائبي ... سِراعًا وأُزجيها بِصَوتِ «شَبيبِ»[1]
ورغْمَ اعْتِسافي للْخُطُوبِ وهِمَّتي ... فما زِلتُ مَغْرورًا، وغير لَبيبِ!
وما زَالتِ الأهواءُ تُغوي مقاصدي ... وما زِلتُ بالأيام غير طبيبِ

(١) شبيب بن زيد الخارجي؛ وفي صوته قال الشاعر:
إن صاحَ يومًا حسبْتُ الصَّخر مُنْحَدِرًا ... والرِّيحَ عَاصِفَةً والموجَ يَلْتَطِمُ

٣٨٣ ــ لا أنسابَ يَومَئذٍ! [١١٨]

الباء المكسورة مع النُّون والواو

إذا جاءَ يومَ الحشْر كلُّ مفاخِرًا ... بِمَجْدِ «شمالٍ» أو بِفَضْل «جَنوبِ»!
وظنَّ الفتَى «الآري» أنَّ سِماتَه ... أجلُّ وأسْمى مِنْ شمائل «نُوبي»
فإنِّي سآتي سَاهِمَ الوَجْهِ مُطرقًا ... لأنّي سآتي مُثقَلاً بذنوبي

٣٨٤ ــ الحدس مشكاة العقل [١٢٣]

الباء المكسورة مع الياء والواو

دعُوني فإنِّي قد شُغِلتُ عنِ الورى ... وعمَّا همو فيه بِعَدٍّ عيوبي
إذا ابتَسَمَتْ يومًا حظُوظي خَشِيتُ ما ... تكَشَّرُ عنه في غدٍ بنيوبِ!
وإنِّي بأشْعَاري وفَهْمي وهِمَّتي ... أُلاقي بنَات الدَّهرِ غير هَيُوبِ
وحَدَسي مشكاةٌ لعَقلي إذا دَجا ... بي الوَهْم. أو جابَهْتُ لَيلَ ريوبِ
«إذا قُرِنَ الظنُّ المصيب مِنَ الفتى ... بتجربةٍ جَاءَا بِعِلْمِ غيوبِ»[1]!!

(١) البيت الأخير: للمعري.

٣٨٥ ــ فـاز المـخـفـون [١٢٤]

الباء المكسورة مع النُّون

لا تَـهلكَـن أسـفًـا إذا مَـاتَ امـرؤٌ ... وانـظُرْ غَـداةَ تصيـرُ أنْتَ بِجَـنْبِـهِ
فـازَ المخفُّ وخـابَ مَنْ عثـرتْ بـه ... آثـامُـهُ، أوْ لـم يَـتُـبْ عـن ذَنْـبـهِ
ولقَـدْ يمـوتُ المـرءُ قبـلَ مَمـاتِـهِ ... إن ظـلَّ يخشى مَوتَـهُ جَزِعًـا . . بِـهِ!

٣٨٦ ــ العِلْمُ.. والعَمَل [١٢٥]

الباء المكسورة مع اللاَّم

بالعِلْم.. مُقترنًا بالسَّعي يَبْلُغ ما
يُريدُهُ المرء مِنْ حَظٍّ ومِنْ طَلَبِ
اليوم ليسَ لنَجْمٍ عِنْدَنا أَثَرٌ
وإنَّما تُؤْخَذُ الأشياءُ بالغَلَبِ

٣٨٧ ــ مُـعـتـقـدي! [١٢٦]

الباء المكسورة مع الصَّاد

مــاذا تــرى نِلْتُ من جُـهــدي ومن نَـصبـي
ــ بَعْــدَ الأذى ــ غيـر إجْهــادي وإنْصَــابـي
لم أرتضِ «الــرَّفْض» مِن قـومٍ كمــا رَفَضَتْ
مــبــادئــي قــولَ فُــسَّــاقٍ و «نُــصَّــابِ»
وقــالَ قــومٌ نُــرجِّــي بَــعْــثَ «داعــيــةٍ»
فــقــلتُ: شــرعــة أوثَــانٍ وأنْــصــابِ
حَــدْس الـمجــرب نــبــراسي، وأبــرأُ مِـن
قــولِ «الصليبي» و «المـانيِّ» و «الصَّــابـي»
وقــد عَــرفــتُ فــنــونَ الـقــولِ مُـنْــتَـقــدًا
كمــا مَــزَجتُ لــذيــذَ الشَّهــدِ بــالـصَّــابِ

٣٨٨ ــ محض الودِّ [١٢٧]

الباء المكسورة مع الضَّاد والألِف

أرضَى من الخلِّ ما تَسْطيعُ قُدْرَتُه ... ولا أجاريهِ إغضابًا بإغْضَابِ
ولا أكِنُّ له إلَّا الصفاءَ عَلى ... جميع حالاتِهِ: درٍّ وإنْضَابِ!
وإن تَعنَّتني أعْذَرْتُهُ حَدَبًا ... وقلتُ: رُبَّةَ يومٍ سَوفَ يَرْضَى بي!

٣٨٩ ــ مـظـلـوم.! [١٢٨]

الباء المكسورة مع اللاَّم

مـا إن خَدَعتُ صـديقًا أو غـدرتُ به ... وكـم خُـدِعـتُ بـكـذَّابٍ وثـلَّابِ
وكـم تـنـاولـنـي قـومٌ بـأَلْـسِـنـةٍ ... ظُلْمًـا وكانـوا أُصَيْحابـي وطُـلَّابـي!
رضـيتُ بـالـحقِّ أرعـاهُ وأحـمـدُهُ ... وأستـعـيـذُ بـهِ مِـنْ كُـلِّ غـلَّابِ
إنّي لأسْتَعْـذِبُ التَّعـذيبَ فيـهِ ولاَ ... أخْشَى أبـاطيـل تَمْـويـهٍ، وإجْـلابِ

٣٩٠ ــ خطر الكذب [١٢٩]

الباء المكسورة مع الذَّال والألِف

لي حيلةٌ في صنُوفِ الشرِّ أدفَعُها
ولا تَحايُل لي مِنْ شرِّ كذَّابِ
يُعْمِي البصيرَ، ويُغْوي كلَّ ذِي حَذَرٍ
بحُسْنِ لَفْظٍ ولَحْنٍ مِنْهُ جذَّابِ

٣٩١ ــ الصِّـدق مـنْـجـاة [١٣٠]

الباء المكسورة مع الحاء والألِف

لـم يَـطْرقِ الـلؤمُ لـي قـلبًـا. ولاَ وجـدت
عِـنـدي الـدَّسـائسُ يـومًـا أيَّ تـرحَـابِ
بـالصِّـدقِ لُـذْتُ فَـظلَّ الصَّـدرُ مُنشـرحًـا
وإن خَـسِـرتُ بِـهِ أهْـلي وأصـحـابي

٣٩٢ ــ غـريـبٌ فـي وطـنـه [١٣١]

الباء المكسورة مع الرَّاءِ والألِف

يــا رُبَّ مكنـون سـرٍّ لـو أبــوحُ بِـهِ ... غَارَ الجهولُ، وأملى لي، وأغرى بـي!
كـأنَّمـا أنــا بينَ النَّـاسِ في وطني: ... وجهًـا ونُـطْقًـا غـريبٌ بين أغــرابِ!
لا يَفْهمُ الخلْقُ حـولي مـا أجــودُ بـه ... من البيــان. ولا يَــدْرون آرابـي[١]
رُضْتُ الفجـائـعَ أعْمى وهي مُبصـرةٌ ... تَـرى مَقَـاصِــدَ أسـرارِي وآرابـي[٢]
ظلَّت تصَيَّــد أتــرابـي، وتَفـجعُـني ... بِهِمْ؛ فَصِـرتُ وحيدًا دون أتـراب[٣]
وهـنتُ حـتَّى عـلى نَفْـسي وأدْركـني ... دَهــرٌ أحَـاطَ بــآمــالي وأزْرى بـي!
وكَمْ صَـديقٍ تَحـامَى رُؤيتي حَــذِرًا! ... وكم تَجــاهَلَني مَنْ كَـانَ أدْرَى بـي!
أضَعْتُ عُمْـري في الأوهامِ أزْرعُهـا ... شِعـرًا وأرْويـه من دَمْعِي وإطــرابـي
كــأنَّمــا أنَــا مِن حِسِّي ومـن ألمـي ... صَــاحٍ يُـرتــل آيًـا بَيْنَ شُــرَّاب!!
وإن تَــظَاهَــرَ مِنْهُمْ من يُــرحِّبُ بـي ... فـإنـه في غــدٍ يَقْضِي بـإغْــرابـي[٤]
والمــرء إن كَـانَ ذا حس ومَعْــرَفَــةٍ ... عــاشَ الحيـاة أمينًــا بين خُـرَّابِ[٥]

---

(١) الآراب جمع أرب: بمعنى حاجة.
(٢) الآراب هنا جمع إربة: وهي الحيلة والدهاء.
(٣) تَصيَّد: تتصيّد.
(٤) إغرابي: إبعادي.
(٥) الخُرَّاب: اللصوص.

٣٩٣ ـ دَعـك عـنـهـم.! [١٣٢]

الباء المكسورة مع الهاءِ والألِف

أوْجَـزْتُ نُـصحي فمـا أصْـغى لَـهُ أحـدُ
فَـهَـلْ تُـرى يَنْـفـعُ الإخـوانَ إسـهـابي؟
لا.. دَعْـكَ عنهم؛ ولا تحفلْ بمـا صَنعـوا
ولا تَـخَـف أيَّ إيـعَـادٍ وإرْهـابِ
واحـذرْ مُجـاراةَ من عَـاثـوا وقـد نَـطَقَتْ
أعـمـالُـهـم: بـيـنَ وهَّـابٍ ونـهَّـاب!
لا يَـرْحَـمُـونَ دُمُـوعًـا تَـسْتَـغِيـثُ بـهـا
ثَكْلَى؛ ولا صـرخـةً لِلْهـالِـك الهَـابي[1]

---

(١) الهابي: الوَاهن.

٣٩٤ ـ قلبي لكم [١٣٣]

الباء المكسورة مع الذَّال والياء

قلبي لكُمْ فلماذا تَعبثُون به؟
ماذا جَنَى كيْ تجازوهُ يتَعْذيبِ؟
أنتُمْ يقيني وشكِّي في الحياة كَما
كنتُم جُحُودي، وإيماني، وتهذيبي!
بِالحُب أقسِمُ ما أشركتُ غيرَكُم
فيه، ولا فهْتُ عَنْ عَمدٍ ـ بتكْذِيب!

٣٩٥ ـ حقوق الإنسان [١٣٤]

الباء المكسورة مع الباءَ والياء

الأمرُ لله، قد ساوتْ شريعتُهُ
بين الرَّعَابيبِ[١] والسُّود الغَرابيبِ
حريَّةُ القول، والتَّفكيرِ قَدْ ضَمِنَتْ
ما اخْتَرْتُ مِن «عمل» حرٌّ وتربيب[٢]
لا قيد؛ إلَّا إذا كانتْ «مُضارة»
ولا ولاء بكُرهٍ أو بِتَخْبِيبِ[٣]

---

(١) الرعبوبة: البيضاء.
(٢) تربَّب: اتخذ ربًّا.
(٣) التخبيب: الغش.

٣٩٦ ــ الأمـانـي.. والأسـبـاب [١٣٥]

الباء المكسورة مع الباءِ والياء

وَسَـائِـلُ النَّـاسِ شَتَّى؛ مثـل شعـرهمـو؛
فـمِـنْ هـجـاءٍ إلـى مـدحٍ وتـشبـيـبِ
إذا أردْتَ حـيـاةً كـلُّهـا دَعَـةٌ
فـلا تُـبـاشِـرْ مَـرامًـا دون تَـحْـبـيـبِ
«مـا كـلُّ مـا يَـتَـمَـنَّى الـمـرءُ يـدركـه»
«وكُـلُّ مَـا أنْـتَ لاَقـيـهِ بِـتَـسْـبـيـبِ»[1]

(١) صدرُ البيت للمتنبي، والعجزُ للمعرِّي. وكأنَّما كانا على ميعاد!!

٣٩٧ ــ إعصار الفناء [١٣٦]

الباء المكسورة مع الطَّاء والياء

كَمْ قد نهانا عن المعاصي ... ناهٍ؛ وكم قامَ مِنْ خطيبِ
وما بَرِحْنا؛ بلا عُقولٍ ... نَحْفِلُ بالتَّافِهِ العطِيبِ[1]
ونَشْرَبُ الرَّاح في كؤوسٍ ... شِيبَتْ بمسْتَقْطرٍ وطيبِ
والدَّهرُ بالموتِ في انتظارٍ ... بِوجْهِهِ الْكالحِ القَطيبِ
إعصار جَذْبِ الزمان آتٍ ... على اخْضِلالِ المُنى الرَّطيبِ

(١) العطيب: المعطوب.. الهالك.

٣٩٨ ــ وَلَـوْلا كـثـرة البـاكـيـن..! [١٣٧]

الباء مع الحاء

وجـدتُ الـعيش مَـظْلمـةً وغَـبْنًـا ... يَضِيق على الـفتى مِنْ بـعْـدِ رَحْبِ
ولـم تَـتْـركْ لـي الأيـامُ إلاَّ ... دمـوعي . . بَعْـد خـلاَّني وصحبـي
«ولـولا كـثـرةُ الـبـاكـيـن» قَـبْـلي ... على أصْحـابِهِم لـقَضَـيتُ نَـحْبـي!

٣٩٩ ــ وَهْــم: [١٣٨]

الباء المكسورة مع الواو والياء

بــكَى قَــبْلي «الــفــرزْدقُ» و «ابـنُ زَيْــدٍ»
و «ذوجَــــدَنٍ» بــكَــى، و «أبــو ذُؤيــبِ»
ومــا مــن شَــاعــر إلَّا وأفْــضَــى
بــمــا فـي الــصَّــدْرِ مـن كَــمْــدٍ وَوَيْــبِ!

٤٠٠ ــ ومن الباكين! [١٣٩]

الباء المكسورة مع الياء والواو

و «لِلْخَنْساء» شِعرٌ في أخيها ... يُذيبُ القَاسِياتِ مِنَ الجيوب[1]
و «لابن زُرَيق» دمعٌ في قوافٍ ... خلتْ عمَّا يشينُ من العيوبِ
وكادَ «ابنُ الحُسَين» يموتُ همًّا ... ويَهْتِك بالأسى حُجُبَ الغيوبِ
وجاء «أبو العلاء» فناح حُزنًا ... وإن مَزَج التَّلَهُّفَ بالرُّيوبِ
و «شوقي» و «ابن محمود» و «صبري» ... بكَى عَلنًا؛ ولم يَكُ بالهَيوبِ
وجُرْحُ الدمعِ لا يُشْفَى وتُشْفَى ... جراحٌ بالسُّيوفِ وبالنِّيوبِ

(١) الجيوب: القلوب.

٤٠١ ــ ودمـوعـي..! [١٤٠]

الباء المكسورة مع الحاء والواو

ولـي فيـه «بـحـورٌ» مـن قـوافٍ تكـاد تَجفُّ من فـرْط الـشُّحـوبِ
بكيتُ بهـا الـشَّبـاب ومـا جَـنَتْـهُ يَـدِي بـالأمْسِ منْ خـطأ وحُـوبِ

٤٠٢ ــ أســـف..! [١٤١]

الباء المكسورة مع الباء والألِف

دعــونــي أنـتَــحـبْ أسـفًــا لأنـي وهـبـت الــلهْــوَ أيــامَ الـشــبــابِ
شُغلتُ عن المحاسنِ بالمعـاصي
أجـازفُ بـالمـدائـح ، والسَّبــابِ
وأقـطعُ بـالــظنـون : بــلاَ دَليـلٍ
وأرضَى بــالقشــورِ عَنِ اللُّبــابِ
وكــدتُ أهـيـمُ فـي فـلواتِ تـيـهـي فـتخْــطَفـني مَـتــاهــاتُ الـتَّبــابِ
وهَــلْ يُغْنـي التَّـلَهُّف أو سـيجـدي إذا أَغـلقْتُ دُون الـنــاسِ بــابـي!!

٤٠٣ ــ عندما ينضبُ اللسان [١٤٢]

الباء المكسورة مع الضَّاد

قُلْ لِلَّذي تَخِذَ البيانَ ذريعةً ... للرِّزق يَنْضُوهُ كَسَيفٍ قَاضبِ
مَاذا تُزَخْرِفُ لِلحِسابِ غدًا إذا ... مَا جِئْتَ محشورًا بوجهٍ غاضب؟!
وسُئلتَ عن عِرْضِ البريّ: فلم تُجِبْ ... أينَ البلاغةُ مِنْ لِسانٍ ناضِبِ؟

٤٠٤ ــ مـات الهـوى! [١٤٣]

الباء المكسورة مع الذَّالِ والألِف

لا تَعْـذليني ؛ أنْ قفلتُ بِـحَسْـرَتي ... وصَـدَفْتُ عن كأس الهـوى ومُـذابِـهِ
أنـا من بَلوتُ فنـونَـه وخبـرتُ مَـا ... يَغْشَى الفَتَى مِنْ صِـدْقِـهِ وكِـذَابِـهِ
لَـمْ يـبـقَ مِـمَّـا نِـلتُـهُ مِـن خَـيْـرِهِ ... إلَّا خـيـالُ تَـذَكُّـرٍ آذَى بِـهِ!
فَدَعي الْمنَى : قد مـات حُبِّـي مُثْخَنًا ... بِجِـراحِـهِ ؛ وقضى شَهِـيـد عـذابِـهِ

٤٠٥ ــ إلى أستاذ..! [١٤٤]

الباء المكسورة مع الذَّالِ والياء

بكَ دعْوتي قَامَت؛ فكيف تَصدُّ عَنْ ... لَهَفاتِها: وتجدُّ في تكْذيبها؟
أنت الذي صوَّرتَ لي أحلامَها ... وبَلغْتَ ما تهواهُ من تهذيبها
حتى تَشَابهتِ الأمورُ: فخيرُها ... مثلُ الذي أخشاهُ من تعذيبها!
وبها الخليقَةُ صُغِّرتْ في رؤيتي ... وأمزْتُ صوت أنيسِها من ذيبها

٤٠٦ ــ أحسنُ الأصدقاء [١٤٥]

الباء المكسورة مع التاء

كيف العثور على صديقٍ مُخلصٍ ... يَرْضَى لِنَفسي . . كلَّ ما رَضيتْ بهِ
إنْ تِهْتُ أرشَدني بصادقِ نُصحه ... وإذا جَنَيتُ حَنَا عليَّ بِعَتْبِهِ
وإذا نَأيت عن الرُّبوعِ فإنَّه ... دومًا ينادِمُني بِنغمةِ كُتْبِهِ

٤٠٧ ـ العُـجـبُ [١٤٦]

الباء المكسورة مع الجيم

لِـلنـفسِ آفـاتٌ وأقـبـحُ آفـةٍ ألاَّ تَفيءَ إلى الهُـدى مِـنْ عُجْبِهـا
أخْلِقْ بصـاحِبِهـا إذا جَمَحَت بِـهِ أن يَستبِـدَّ بـزجْـرِهـا وبحجبِـهـا

٤١٠ ــ وثالثًا: سيزحف شرها.! [١٤٩]

الباء المكسورة مع الواوِ والألِف

لو يَعْلَمُ «الْوالي» نهايةَ أمرِهِ ... بينَ «الْوُلاةِ» لَكَان مِنْ تُوَّابها

وصغى إلى صوتِ القَرابةِ والتُّقَى ... وأتى بيوت الودِّ من أبوابها

ولَمَا اسْتَنَامَ إلى العُصَاةِ مُداجيًا ... ومُشَجِّعًا لِلْقَومِ مِنْ جُوَّابِها

يَسْتَقْطِبُ الآثامَ في أفكارها ... ويُجَرِّد الحسنات عنْ أثوابِها

يومًا سَيَزْحَفُ شرُّها فَتَنَالُهُ ... ويذُوقُ طَعْمَ اليَأسِ مِنْ أكوابها

هَلْ رحمةٌ تُرجَى لَهُ؟ فيتوبُ عَنْ ... أهْوائِهِ، ويَرَى سَبيلَ صوابِها؟

٤١١ ــ ورابعًا: الحادثات بالمرصاد..! [١٥٠]

الباء المكسورة مع الياءِ والألِف

لا يُرْهِبنَّكَ ما تَرى مِنْ قُوَّةٍ ... فالضعفُ كلُّ الضعفِ تَحتَ ثِيابِها
فِئَةٌ تَغاوت لا تصيخُ لِناصحٍ ... وتُحكِّم الجهَّال مِنْ هُيَّابها[1]
الجهلُ ملءُ رؤوسِها، واللُّؤم مِلءُ ... نفوسها، والجبْنُ مِلءُ عِيابها[2]
والحادِثاتُ لها بمِرْصادٍ؛ وقَدْ ... جَمَعتْ سِمامَ الحِقْدِ في أنْيابها
حُضّارها للإثْمِ قَدْ شَهِدوا عَلَى ... مَنْ يَكْتمونَ الشرَّ مِنْ غُيَّابِها؟
لو جاء «نوحٌ» و «الخليلُ» و «يونسٌ» ... لَمْ يُجْدِ ما يَعِظونَ في خُيَّابها[3]
قد أُشْبِعَتْ بالغيِّ مِنْها أنْفُسٌ ... فَفَنىٰ المطَهَّرُ مِن طباعِ صُيابها[4]

---

(١) تغاوت: تجمعَتْ. وهُيَّابها: خائفوها.
(٢) العِياب: كناية عن القلوب.
(٣) الخياب: الخاسرون.
(٤) الصُّيابُ: الخالص الأصيل.

٤١٤ ـ سمو المساكين [١٥٣]

الباء المكسورة مع الرَّاء

تبًّا لِمَنْ باع نَواميسَهُ ... بالمأكلِ اللذِّ وبالمشْرب[١]
وكانَ ـ لَوْ رَامَ ـ لَهُ فسْحةٌ ... في مَشْرِقِ الأرضِ وفي المغْربِ
لكنه لُزَّ بأهْوائِهِ؛ ... ولَمْ يَحدْ عَنْها إلى مَهْربِ[٢]
بِعزَّةِ النَّفس وإيمانِها ... يَسْمو المساكينُ على المُتْربِ[٣]

(١) النَّاموس في العرف: ما يحميه الرجل من اسم وأهل. واللذّ: الشهيّ.
(٢) لُزّ: التصق.
(٣) المُتْرِبُ: كثيرُ المال.

٤١٥ ــ ضبط النَّفس [١٥٤]

الباء المكسورة مع الجيم

نَفْسَكَ لَنْ تَأْمَنَ مِنْ شرِّها ... ما لَمْ تُكَفْكِفْ أنتَ مِن عُجْبِها
فاحْجُبْ عَنِ اللذَّات أهواءها ... فَالخَيْرُ كلُّ الخَيرِ في حَجْبِها
وعُجْ بِها عَنْ كلِّ ذي فِتْنَةٍ ... فَزيْغُها أبْشَعُ مِن شَجْبِها
قَدْ قلَّ في الأرضِ رِجالُ التُّقى ... ومَاتَ مَنْ صَافيتُ مِن نُجْبِها

٤١٨ ــ لا فضلٌ.. ولا خير [١٥٧]

الباء المكسورة مع الرَّاء

مشارقي أوْهَنَتْ مَغارِبَها ... بالخير والشرِّ من تَجاربها!
ما إنْ بَلَغْتُ الفِطامَ في بلدي ... إلاَّ وقَد هِمْتُ في ضَواربها[1]
ولَمْ أزَلْ من منًى إلى أملٍ ... أنالُ ما شِئْتُ مِنْ مآربها
مُرْتبعي الصَّدْرُ في مَجالِسها ... وحيثُ أهواهُ من مشاربها
ذقتُ ضُرُوبَ الحياة مُصْطَبِرًا ... وسَلَكَتْ بي شَتى مَطَارِبها[2]
ما خَلَبتْ مُهجَتي مَفاتِنُها ... ولا تَخَوَّفتُ مِنْ مَساربِها
لكِنْ؛ وقَدْ تهْتُ في مشارقها ... كما تَنقلتُ في مغاربها
لَمْ أجدِ الفَضْلَ في أعاجِمها ... ولَمْ أرَ الخَيرَ في أعارِبها!
وجُلُّ مَنْ عَزَّ مِن أكابرهم ... أتْقَنُ لِلَّسْع مِن عَقَارِبها

---

(١) الضوارب: الليالي تشتدُّ وتمتد ظلماتها: مفردها: ضارب، وكانت أول هجرة للشاعر مع أخيه وأمه من «الضالع» إلى «صنعاء» سنة ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٨م.

(٢) المطارب: الطرقات.

٤١٩ ــ أخـرس..! [١٥٨]

الباء المكسورة مع النّونِ والألفِ

لا تَـلُمْـنـي إذا صَـمَـتُّ، فَـقِـدْمًـا ... كـانَ عَيْبِـي عِنْـد الـوَرى إطنـابـي
كَمْ تعـدَّيْتُ بِالكَـلامِ . . كما تَسْـطُو ... عـلى النّـاس، ذاتُ ظـفـرٍ ونـاب
ولَكمْ بـالبيـانِ دَافـعتُ عـنْ نفسي ... وعنْ مـوطني، وصُنْـتُ جنـابـي ؛
وأنـا اليـوم في مَـجَـالِس قَـوْمي ... مِقْـولي عَنْ مَضـارِبِ القـول نـابـي

٤٢٢ ـ الطبع غلب التطبّع [١٦١]

الباء المكسورة مع الياء المشدَّدة

يَتُوقُ إلى الشرِّ مَنْ عِرقُهُ ... يَمتُّ إلى عنصرٍ عَيِّبِ[1]
وقد تتعرى مَلذَّاتُهُ ... وتصْرخُ فيمَنْ يَرى: هيّا بي!
وتُغْري الفحول ذواتِ الحُجُولِ ... من ذاتِ حِرْزٍ، ومِنْ ثيِّبِ؛
فَيهْفُو الخَبيثُ إلى عهْرِهِ ... وتأبَى الطِّباعُ على الطيّبِ

(١) عيَّبَ: فيه عيب وفساد.

٤٢٣ ـ الطمع .. مذلّة ..! [١٦٢]

الباء المكسورة مع الباءِ والألفِ

تَذِلُّ الصِّعَابُ لِمَنْ رَاضَها ... وأدْرَكَ باطنَ أسبابِها
ولولا الأماني وأطْماعها ... وخَوف الفِراقِ لأحْبابِها
لما رضيتْ أمَّةٌ بالتَّوى ... وثارتْ على ظلمِ أرْبابِها[1]
ومرتْ على شَفرات السّيو ... فِ تجوزُ المنيَّة مِن بابِها
تعزُّ النّفوسُ إذا أخْضَعَتْ ... هَواها لِحكْمةِ ألْبابِها
وتَنْهَارُ ذُلاًّ إذا أفْرطَتْ ... «بِعشْق الحياةِ وإحْبابِها»[2]

---

(١) التّوى: الضياع والخسارة.

(٢) العجز، «للمعري».

٤٢٦ ـ المستبدّ والناصحون [١٦٥]

الباء السَّاكنة مع اللَّام

لا تَرحَمنَّ المسْتَبِدَّ إذا انْغَلَبْ ... وارْحَمْ مَصيرَكَ إن تمكَّن أو غَلَبْ
قد كان قابَ القوسِ من آمالِه ... لَكنَّه اسْتَعْلى وأفْرطَ في الطّلَبْ
راضُوا لَهُ شمْسَ الخُطوبِ محبةً ... لِلْحقِّ، يتَّبِعُون من نَادى؛ ولَبْ
كانوا بنور الصِّدقِ يَسْتَهْدُونَه ... فيصدّ؛ مُتّبعًا سَنى وهْمٍ خَلبْ!
وصبَرْتُ أدْحَضُ بالبيانِ مَنِ افْترى ... سِيّانِ مَنْ أثْنَى عَليَّ ومن ثَلَبْ
حتّى اسْتَنام إلى المُنَى، وصَغَى إلى ... مَنْ يَطْلبونَ بِهِ الغَنائمَ والسَّلَبْ
واغْترَّ بالأشباهِ؛ وهو شراهمو ... بوعودِهِ؛ مِمَّن صَبَا. . ثمَّ انْقَلَبْ[1]
من شاعرٍ فسْلٍ، ومِنْ ذِي عِمَّةً ... قِمىء وممن لِلْمصائِب قدْ جَلَبْ

* * *

غَفلوا؛ فلا حسٌّ ينوحُ على الأُلى ... ذَهبوا، ولا مَنْ قَد تَصَرَّع وانْصَلَبْ

(١) صبا: مال إلى جَهلَة الصّبيان.

٤٢٧ ــ نَــدَم... [١٦٦]

الباء السَّاكنة مع الباء

أسَـفـي عَـليـهِ؛ وقـدْ جـفَـا ... مَـنْ فـيـهِ قَـدْ غَـنـى وشـبـبْ
مـاذا جَـنَـيْـتُ؟ ومـا الَّـذي ... لِـشـرودِهِ عَـنِّـي تَـسَـبّـبْ؟
مِـنْ بَـعْـدِهِ لَـمْ يـبـقَ لـي ... فـي الـعَيشِ مِـنْ أمَـلٍ مُـحَـبَّـبْ
مَـرَضِـي بِـهِ؛ حُـرَقٌ تُـذيـبُ ... الـقَـلْبَ فـي دَمـعٍ تَـصـبَّـبْ
أضْـنَـتْ عَـليَّ أحـبَّـتـي ... حَـدَبًـا؛ وأعْـيَـتْ مَـنْ تَـطبَّـبْ

٤٣٠ ـ الإثمُ سِجن [١٦٩]

الباء السَّاكنة مع الثَّاء

عن المعاصي تُبْ وما زِلْتَ في ... فُسْحَةِ عَيْشٍ، وإلى الله ثُبْ[1]
ولا تَتِهْ في شطحات المُنى ... كالجَمل التَّائِهِ بَيْنَ الكُثُبْ
واخْلِصْ إذا شِئْتَ ثوابًا؛ فَكَمْ ... مِنْ ذي رياءٍ عامل لم يُثَبْ
الإثمُ سِجنٌ، والهوى حَائِطٌ ... يا حَظَّ مَنْ عنهُ برُشْدٍ وثَبْ

(١) ثاب: رجع.

٤٣١ ــ رحمة اللَّه [١٧٠]

الباء السَّاكنة مع التَّاء

خَفْ نقمةَ الله، ولا تَنْخَدِعْ بما أتَى مِنْ رُخَصٍ في الكُتُب!
فَرَحْمةُ الله لَها شِرعةٌ إنْ شِئْتَ أن تَرشفَ مِنْها فَتُب

٤٣٤ ـ اليـمَـن الكُـبـرى [١٧٣]

الباء السَّاكنة مع الرَّاء والياء

«اليمـنُ الكُـبْـرى» بـلادِي؛ فمِـنْ ... «تَريم»، أوْ «صَعْدةِ» أو مِن «حَريبْ»
جَـميـعُـهُـم أهْـلى، ومـا بَـيْـنَـنَـا ... إذا الـتـقـيـنـا أيّ شَـخْصٍ غـريـبْ
ووحْـدَةُ الـشّـعْـبِ بـرَغْـمِ الـعِـدا ... سـوف نـرى رايـتـهـا عـن قـريبْ
«صَنْعـاء» أمُّ العُـرْبِ؛ تـاريخُـهـا ... مـا إن لـه بَينَ الـورى مِن ضَـريبْ
كَـمْ أنْـجَـبَـتْ مِـنْ عـالـمٍ بـارعٍ ... وشَـاعـرٍ فـذٍّ وطَـبٍّ أريـبْ

٤٣٥ ـ الألـمـعـيّ .. [١٧٤]

الباء السَّاكنة مع التَّاءِ والألفِ

مـا كُنْتُ بـالغَـالي ، ولا بـالْمُـرتَـابْ ... ومـا وثـقْـتُ بِـحَـقُـودٍ مُـغْـتَـابْ
وأتـقـى بـالـلّطْفِ لـومَ الْـعـتّـابْ ... ولا ألـوم جَـانـيًـا إذا تَـابْ[1]
وإنْ تـدجّى لَيـلُ خـطْب مُـنْـتَـابْ ... أخـوضُـهُ مُـسْتَبْسِـلاً وأجْـتَـابْ
ولا أصـيـحُ لِـوَعـيـدِ رتّـاب[2] ... ولا أبَـالـي بـدعـاوى الـكُـتّـابْ
بِـذاكَ يَسْمو الألْمعيّ المُهتَـابْ

---

(١) تاب: رجع.

(٢) رتّاب: شديد.

٤٣٨ ــ الحظ.. والنّسب [١٧٧]

الباء السَّاكنة مع التَّاء

«أبو لَهب»؛ وهْوَ عَمُّ «الرَّسو ... ل» تَبَّتْ يَداهُ ضَلالاً وتَبْ
ولو كان يَنْفَعُهُ أصْلُهُ لنا ... لَ بِقُرباه أعْلَى الرُّتَبْ
وما الْحَظُّ إلاَّ جَزاءُ الصِراعِ ... إذا ما الهُمَامُ عَليهِ رتبْ[1]
وقَدْ زَعموا أنَّ جُهْد الفَتى ... يُصَوِّرُ ما خَصَّهُ وانْكتبْ

أكملتُ نظمَ حَرفِ الباء يوم السَّبت الموافق شعبان ١٣٩٥هـ، ٢ أغسطس ١٩٧٥م، في لندن، أسأل الله التوفيق.

برواملي: منطقة (كنت).

---

(١) رتَبَ: ثَبَتَ.

فهرست المجلد الثاني

الموضوع	الصفحة
١٢٤ ــ لا أنام	٤٦١
١٢٥ ــ بلا دمع	٤٦٢
١٢٦ ــ زهرة في الفلا	٤٦٣
١٢٧ ــ النيل	٤٦٤
١٢٨ ــ أحمد شوقي	٤٦٥
١٢٩ ــ خليل مطران	٤٦٩
١٣٠ ــ هوميروس	٤٧٢
١٣١ ــ لعنة المعركة	٤٧٤
١٣٢ ــ استعطاف ونصح	٤٧٥
١٣٣ ــ حياتي	٤٧٦
١٣٤ ــ رسالة وداع	٤٧٧
١٣٥ ــ حرية الرأي	٤٧٨
١٣٦ ــ عام جديد	٤٧٩
١٣٧ ــ ودائماً أيُّها العام	٤٨٠
١٣٨ ــ لحن غربي	٤٨١
١٣٩ ــ حوّاء	٤٨٣
١٤٠ ــ عبلة	٤٨٥
١٤١ ــ دنيا	٤٨٦
١٤٢ ــ العروبة	٤٨٨
١٤٣ ــ صوت	٤٨٩

الموضوع	الصفحة

١٤٤ ـ شاعر ٤٩٠
١٤٥ ـ وحيد ٤٩١
١٤٦ ـ تحية قلب ٤٩٢
١٤٧ ـ غريبان ٤٩٣
١٤٨ ـ عندما تعود ٤٩٥
١٤٩ ـ سرّ! ٤٩٦
١٥٠ ـ لا تسلني ٤٩٨
١٥١ ـ عبد الرحمن الشامي ٥٠٠
١٥٢ ـ ملل وضيق ٥٠٣
١٥٣ ـ مذنب ٥٠٤
١٥٤ ـ دمعك دمعي ٥٠٦
١٥٥ ـ عقوق ٥٠٧
١٥٦ ـ كهف ٥٠٩
١٥٧ ـ انتظار ٥١١
١٥٨ ـ تحية الشاعر للشاعر ٥١٣
١٥٩ ـ عدنان وقحطان ٥١٥
١٦٠ ـ أبي في قبره المجهول ٥١٧
١٦١ ـ نشيد أهل البيت ٥١٨
١٦٢ ـ نشيد تقرير المصير ٥٢٣
١٦٣ ـ المجهول ٥٢٧
١٦٤ ـ شهيد حب ٥٢٨
١٦٥ ـ دمعة أسى ٥٣٠
١٦٦ ـ بين الحب والحرب ٥٣١
١٦٧ ـ هادم ٥٣٤
١٦٨ ـ من اليمن ٥٣٦
١٦٩ ـ أوزان الخليل باللغة الإنجليزية ٥٤٦
١٧٠ ـ بقايا مسرحية ٥٤٧

الموضوع	الصفحة

١٧١ ـ عيد ميلاد فيصل ٥٥٠
١٧٢ ـ أسطورة اليمن السعيدة ٥٥٢
١٧٢ ـ أسطورة اليمن السعيدة ٥٥٤
١٧٣ ـ الحرب الخاسرة ٥٦٦
١٧٤ ـ دودة الحب ٥٦٩
دامغة الدوامغ ٥٧١
١٧٥ ـ دامغة الدوامغ ٥٧٢
سبيل الأولين ٥٧٢
سبيل المنصفين ٥٧٣
شرعة الحق ٥٧٤
الأئمة واليمن الخضراء ٥٧٤
منطق التاريخ ٥٧٥
سيف بن ذي يزن ٥٧٧
طغاة.. ليسوا سادة ٥٧٧
الإمام الهادي ٥٧٩
عصر الإمام الهادي ٥٨٠
يوم المنارة ٥٨١
نعمان والإرياني ٥٨٢
نحن مظلومون ٥٨٢
آل البيت وبكيل ٥٨٤
يمن الثأر ٥٨٥
تذكير ٥٨٦
نصيحة ٥٨٧
الملك فيصل بن عبد العزيز ٥٨٧
خطر الشيوعية ٥٨٨
دعاء ٥٨٨
١٧٦ ـ كيف يرجون سقاطي ٥٩٠

الموضوع	الصفحة

١٧٧ ـ الحنين إلى الوطن ٥٩١
١٧٨ ـ دمعة وفاء ٥٩٤
١٧٩ ـ نشيد السلام ٥٩٥
١٨٠ ـ مغالطة ٥٩٨
١٨١ ـ سلوان ٥٩٩
١٨٢ ـ شكوى مصارع ٦٠٠
١٨٣ ـ صنعاء ٦٠٣
١٨٤ ـ سر الوجود ٦١١
١٨٥ ـ نشيد الهارب ٦١٣
١٨٦ ـ غمامة الغد ٦١٥
١٨٧ ـ دعوه ٦١٦
١٨٨ ـ أين المفر ٦١٧
١٨٩ ـ هزل وسياسة ونصح ٦٢٠
١٩٠ ـ حسرة ٦٢١
١٩١ ـ إلاَّ بلادي ٦٢٢
١٩٢ ـ الثمالة ٦٢٣
١٩٣ ـ دمعة على الزّبيري ٦٢٦
١٩٤ ـ الشريعة المزيَّفة ٦٢٩
١٩٥ ـ لا تغضب ٦٣٠
١٩٦ ـ أنانية ٦٣١
١٩٧ ـ تغابي ٦٣٢
١٩٨ ـ نصيحة ٦٣٣
١٩٩ ـ وصيَّة محموم يهذي ٦٣٤
٢٠٠ ـ الشر والخير ٦٣٦
٢٠١ ـ قوميَّتي ٦٣٧
٢٠٢ ـ فراش ٦٣٨
٢٠٣ ـ دمعة اعتراف ٦٣٩

الموضوع	الصفحة

٢٠٤ ـ إلى أبي الحسن الطاهر ٦٤٢
٢٠٥ ـ رسالة منظومة ٦٤٣
٢٠٦ ـ هنا آدم ٦٤٩
٢٠٧ ـ القبلات ٦٥٠
٢٠٨ ـ غزل الأعمى ٦٥٢
٢٠٩ ـ مات عهد الهوى ٦٥٣
٢١٠ ـ نشيد حياتي ٦٥٥
٢١١ ـ الثورة والتصحيح والسلام ٦٦٤
٢١٢ ـ العودة ٦٦٩

من يشتري السهر؟

٢١٣ ـ من يشتري السهر ٦٧٨
المشهد الأول ٦٧٨
المشهد الثاني ٦٨٥
المشهد الثالث ٦٩٣

٢١٤ ـ أشباح الذكرى ٦٩٩
٢١٥ ـ بحر الدموع ٧٠٠
٢١٦ ـ جحود ٧١٠
٢١٧ ـ مُغنِّية ٧١١
٢١٨ ـ أنا ٧١٤
٢١٩ ـ ميّتة ٧١٦
٢٢٠ ـ العارفون والغافلون ٧١٨
٢٢١ ـ لحظة نعيم ٧١٩
٢٢٢ ـ خلود الشقاء ٧٢٠
٢٢٣ ـ أحبّ ٧٢١
٢٢٤ ـ مع الساعات ٧٢٢
٢٢٥ ـ عصر النِّقط ٧٢٣

الموضوع	الصفحة

٢٢٦ ـ ليت! ٧٢٤
٢٢٧ ـ استسلام ٧٢٥
٢٢٨ ـ الخائف الراجي ٧٢٦
٢٢٩ ـ تحايل ٧٢٧
٢٣٠ ـ نشيد التائهين ٧٢٨
٢٣١ ـ عندما يثور الحكّام! ٧٣٠
٢٣٢ ـ نشيد التعاون اليمني ٧٣٢
٢٣٣ ـ مومس ٧٣٤
٢٣٤ ـ خيبة أمل ٧٣٥
٢٣٥ ـ النادمون ٧٣٦
٢٣٦ ـ مع التائهين ٧٣٨
٢٣٧ ـ التائبون ٧٣٩
٢٣٨ ـ لحظة انعدام ٧٤٠
٢٣٩ ـ على قبر نابليون ٧٤٢
٢٤٠ ـ الهاربون ٧٤٤
٢٤١ ـ عاشق الهلاك ٧٤٥
٢٤٢ ـ نشيد الأسف ٧٤٦
٢٤٣ ـ لا عاصم اليوم! ٧٤٨
٢٤٤ ـ حصاد العمر ٧٥٠
٢٤٥ ـ القدس للعرب كل العرب عنوان ٧٥٤
٢٤٦ ـ نفحة من سقر ٧٥٧
٢٤٧ ـ وصاة ٧٥٨
٢٤٨ ـ نشيد الخيبة ٧٥٩
٢٤٩ ـ نار الروح ٧٦٠
٢٥٠ ـ الحزن الخالد ٧٦١
٢٥١ ـ محمد أحمد نعمان ٧٦٢
٢٥٢ ـ صوت المحرومين ٧٦٣

الموضوع	الصفحة

٢٥٣ ـ يحيى الوادعي ٧٦٨
٢٥٤ ـ تحية جبال اليمن ٧٦٩
٢٥٥ ـ الـوداع ٧٧١
٢٥٦ ـ عاشق الحكم وعبد المال ٧٧٢
٢٥٧ ـ بين الجبر والاختيار ٧٧٣
٢٥٨ ـ لهاث الجراح ٧٧٤
٢٥٩ ـ الملثمون ٧٧٦
٢٦٠ ـ تحية للرئيس الحمدي ٧٧٨
٢٦١ ـ بلا عنوان ٧٧٩

ألف باء اللزوميات

حـرف الهـمـزة

٢٦٢ ـ فطرة الخير ٧٨٥
٢٦٣ ـ لماذا التمادي؟ ٧٨٦
٢٦٤ ـ القضاء والقدر ٧٨٧
٢٦٥ ـ العـصبية ٧٨٨
٢٦٦ ـ بدأتُ وما زلتُ ٧٨٩
٢٦٧ ـ استنهاضُ ٧٩٠
٢٦٨ ـ عشاق المخازي ٧٩١
٢٦٩ ـ المحجّة البيضاء ٧٩٢
٢٧٠ ـ الألحان والرّاح ٧٩٣
٢٧١ ـ زندقة العصر ٧٩٤
٢٧٢ ـ صوت العدل ٧٩٥
٢٧٣ ـ التبـايـن ٧٩٦
٢٧٤ ـ القوّة والقدر ٧٩٧
٢٧٥ ـ هل من صيحـة ٧٩٨

الموضوع	الصفحة

٢٧٦ ـ الناس والدنيا ٧٩٩
٢٧٧ ـ ثورة العدل ٨٠٠
٢٧٨ ـ أيها السجّان ٨٠١
٢٧٩ ـ الأمر بالمعروف ٨٠٢
٢٨٠ ـ رسول الموت ٨٠٣
٢٨١ ـ تعليم المرأة ٨٠٤
٢٨٢ ـ بين حياتين ٨٠٥
٢٨٣ ـ فساد العقائد ٨٠٦
٢٨٤ ـ أكرم الكرماء ٨٠٧
٢٨٥ ـ العين التي لا تنام ٨٠٨
٢٨٦ ـ ذكرياتي معي ٨٠٩
٢٨٧ ـ على هامش الكون ٨١٠
٢٨٨ ـ أيام الشباب ٨١١
٢٨٩ ـ الناس سواسية ٨١٢
٢٩٠ ـ حنين إلى صنعاء ٨١٣
٢٩١ ـ ضراعة صبّ ٨١٤
حرف الألف ٨١٦
٢٩٢ ـ القضاء.. والذنوب ٨١٧
٢٩٣ ـ تحذير ٨١٨
٢٩٤ ـ تعالى الله ٨١٩
٢٩٥ ـ لماذا الحنين؟ ٨٢٠
٢٩٦ ـ سعير الهيام ٨٢٢
٢٩٧ ـ مقالات الضلال ٨٢٣
حرف الباء ٨٢٥
٢٩٨ ـ هو الشعب ٨٢٧
٢٩٩ ـ اعتراف ٨٢٨
٣٠٠ ـ أتعس خلق الله ٨٢٩

الموضوع	الصفحة

٣٠١ ـ القلب الثاكل ٨٣٠
٣٠٢ ـ بين الشك واليقين ٨٣١
٣٠٣ ـ الخروج ٨٣٢
٣٠٤ ـ كيف الخلاص؟ ٨٣٣
٣٠٥ ـ بقايا الأماني ٨٣٤
٣٠٦ ـ مخلوق الجمال ٨٣٥
٣٠٧ ـ الإنسان والبقاء ٨٣٦
٣٠٨ ـ لولا التقى! ٨٣٧
٣٠٩ ـ عندما يعذب الموت ٨٣٨
٣١٠ ـ حطب جهنم ٨٣٩
٣١١ ـ بم التعلل ٨٤٠
٣١٢ ـ تحسُّر! ٨٤١
٣١٣ ـ النفي والإيجاب ٨٤٢
٣١٤ ـ الحبّ الصريع ٨٤٣
٣١٥ ـ القصةُ.. القصة ٨٤٤
٣١٦ ـ نشيد القهر ٨٤٥
٣١٧ ـ عميتُ من الذنوب ٨٤٧
٣١٨ ـ أزف الرحيل ٨٤٨
٣١٩ ـ المجد لا يورث ٨٤٩
٣٢٠ ـ عفو الله ٨٥٠
٣٢١ ـ الصدى العاوي ٨٥١
٣٢٢ ـ اختلاف البشر ٨٥٢
٣٢٣ ـ إلى د. ع. ب. (الدكتور عبد الرحمن البيضاني) ٨٥٣
٣٢٤ ـ نصيحة! ٨٥٤
٣٢٥ ـ وإلى القاضي محمد الأكوع ٨٥٥
٣٢٦ ـ موثق أو هارب ٨٥٦
٣٢٧ ـ اليقين هو الأنسب ٨٥٧

الموضوع	الصفحة

٣٢٨ ـ تحريم التعذيب ٨٥٨
٣٢٩ ـ المجلس الجمهوري ٨٥٩
٣٣٠ ـ نفثة محروم ٨٦٠
٣٣١ ـ هل من توبة؟ ٨٦١
٣٣٢ ـ إلى منهزم في معركة ٨٦٢
٣٣٣ ـ أمر مبرم ٨٦٣
٣٣٤ ـ وقفة! ٨٦٤
٣٣٥ ـ مع النائمين ٨٦٥
٣٣٦ ـ بالإلهام.. لا بالتجربة ٨٦٦
٣٣٧ ـ الأمن المخيف ٨٦٧
٣٣٨ ـ حسام الليالي ٨٦٨
٣٣٩ ـ حصادي ٨٦٩
٣٤٠ ـ العقل والحذر ٨٧٠
٣٤١ ـ فيا موت زُرْ ٨٧١
٣٤٢ ـ رحلة في النور الأعظم ٨٧٢
٣٤٣ ـ بين الأمس والغد ٨٧٣
٣٤٤ ـ صراط الأحرار ٨٧٤
٣٤٥ ـ إلى الحاكم ٨٧٥
٣٤٦ ـ أحدُهم ٨٧٦
٣٤٧ ـ الوهم قتّال ٨٧٧
٣٤٨ ـ كذّاب مفدّى ٨٧٨
٣٤٩ ـ ندم ٨٧٩
٣٥٠ ـ الهم الفريد ٨٨٠
٣٥١ ـ عابس الوجه ٨٨١
٣٥٢ ـ نعمة العذاب ٨٨٢
٣٥٣ ـ الطبع البشري ٨٨٣
٣٥٤ ـ أضحوا تراباً وتراثاً ٨٨٤

الموضوع	الصفحة

٣٥٥ـ عصر العلم ٨٨٥
٣٥٦ـ حصادي من الأيام ٨٨٦
٣٥٧ـ الشعر نسبي ٨٨٧
٣٥٨ـ ولّى الهوى ٨٨٨
٣٥٩ـ تمثيل..! ٨٨٩
٣٦٠ ـ الغاية المحتّمة ٨٩٠
٣٦١ ـ الفصل الأوّل! ٨٩١
٣٦٢ ـ الفصل الثاني: اللحظة الأخيرة! ٨٩٢
٣٦٣ ـ الفصل الثالث: دستور ١٩٤٨! ٨٩٣
٣٦٤ ـ الفصل الرابع! ٨٩٤
٣٦٥ ـ رجاء الغريب ٨٩٥
٣٦٦ ـ قل للحسود ٨٩٦
٣٦٧ ـ الحب الخالص ٨٩٧
٣٦٨ ـ تـهـالـك ٨٩٨
٣٦٩ ـ تأديب الضمير ٨٩٩
٣٧٠ ـ بين المخاطر والحب ٩٠٠
٣٧١ ـ تمتّع بما تسطيع ٩٠١
٣٧٢ ـ اعتراف الرّاجي ٩٠٢
٣٧٣ ـ غـدر الصـديق ٩٠٣
٣٧٤ ـ جواذب الخير والشر ٩٠٤
٣٧٥ ـ القلب اليتيم ٩٠٥
٣٧٦ ـ طالب المجد ٩٠٦
٣٧٧ ـ الاعـتـدال ٩٠٧
٣٧٨ ـ اعتراف التائب ٩٠٨
٣٧٩ ـ بعض الأقارب ٩٠٩
٣٨٠ ـ الخطبةُ الخطبة ٩١٠
٣٨١ ـ الوحدة عبادة ٩١١

الموضوع	الصفحة

٣٨٢ ـ صوت شبيب ٩١٢
٣٨٣ ـ لا أنساب يومئذٍ! ٩١٣
٣٨٤ ـ الحدس مشكاة العقل ٩١٤
٣٨٥ ـ فاز المخفّون ٩١٥
٣٨٦ ـ العلم والعمل ٩١٦
٣٨٧ ـ معتقدي ٩١٧
٣٨٨ ـ محض الود ٩١٨
٣٨٩ ـ مظلوم ٩١٩
٣٩٠ ـ خطر الكذب ٩٢٠
٣٩١ ـ الصدق منجاة ٩٢١
٣٩٢ ـ غريب في وطنه ٩٢٢
٣٩٣ ـ دعك عنهم ٩٢٣
٣٩٤ ـ قلبي لكم ٩٢٤
٣٩٥ ـ حقوق الإنسان ٩٢٥
٣٩٦ ـ الأماني.. والأسباب ٩٢٦
٣٩٧ ـ إعصار الفناء ٩٢٧
٣٩٨ ـ ولولا كثرة الباكين ٩٢٨
٣٩٩ ـ وَهْم! ٩٢٩
٤٠٠ ـ ومن الباكين ٩٣٠
٤٠١ ـ ودموعي ٩٣١
٤٠٢ ـ أسف ٩٣٢
٤٠٣ ـ عندما ينضب اللسان ٩٣٣
٤٠٤ ـ مات الهوى ٩٣٤
٤٠٥ ـ إلى أستاذ! ٩٣٥
٤٠٦ ـ أحسن الأصدقاء ٩٣٦
٤٠٧ ـ العُجبُ ٩٣٧
٤٠٨ ـ مسرحية الحرب والسلام قامرتَ أوّلاً ٩٣٨

الموضوع	الصفحة

٤٠٩ ـ وثانياً: لو كنت تدري ٩٣٩
٤١٠ ـ وثالثاً: سيزحف شرها ٩٤٠
٤١١ ـ ورابعاً: الحادث بالمرصاد ٩٤١
٤١٢ ـ قل للخليفة ٩٤٢
٤١٣ ـ الطبيعة أقوى ٩٤٣
٤١٤ ـ سموّ المساكين ٩٤٤
٤١٥ ـ ضبط النفس ٩٤٥
٤١٦ ـ سنّة المختار ٩٤٦
٤١٧ ـ جواب المحتضر ٩٤٧
٤١٨ ـ لا فضل.. ولا خير ٩٤٨
٤١٩ ـ أخرس ٩٤٩
٤٢٠ ـ الصراع على السلطة ٩٥٠
٤٢١ ـ نسب الأقوياء ٩٥١
٤٢٢ ـ الطبع غلب التطبّع ٩٥٢
٤٢٣ ـ الطمع مذلّة ٩٥٣
٤٢٤ ـ الأمة الهالكة ٩٥٤
٤٢٥ ـ الثابت الوجود ٩٥٥
٤٢٦ ـ المستبد والناصحون ٩٥٦
٤٢٧ ـ ندم ٩٥٧
٤٢٨ ـ لولا الهوى ٩٥٨
٤٢٩ ـ التقيّة! ٩٥٩
٤٣٠ ـ الإثم سجن ٩٦٠
٤٣١ ـ رحمة الله ٩٦١
٤٣٢ ـ إلى الشاعر الباكي ٩٦٢
٤٣٣ ـ المبدع المعبود ٩٦٣
٤٣٤ ـ اليمن الكبرى ٩٦٤
٤٣٥ ـ الألمعي ٩٦٥

الموضوع	الصفحة

٤٣٦ ـ الجاحدون ٩٦٦
٤٣٧ ـ نذير المنون ٩٦٧
٤٣٨ ـ الحظ والنسب ٩٦٨

فهرست ٩٦٩

• • •